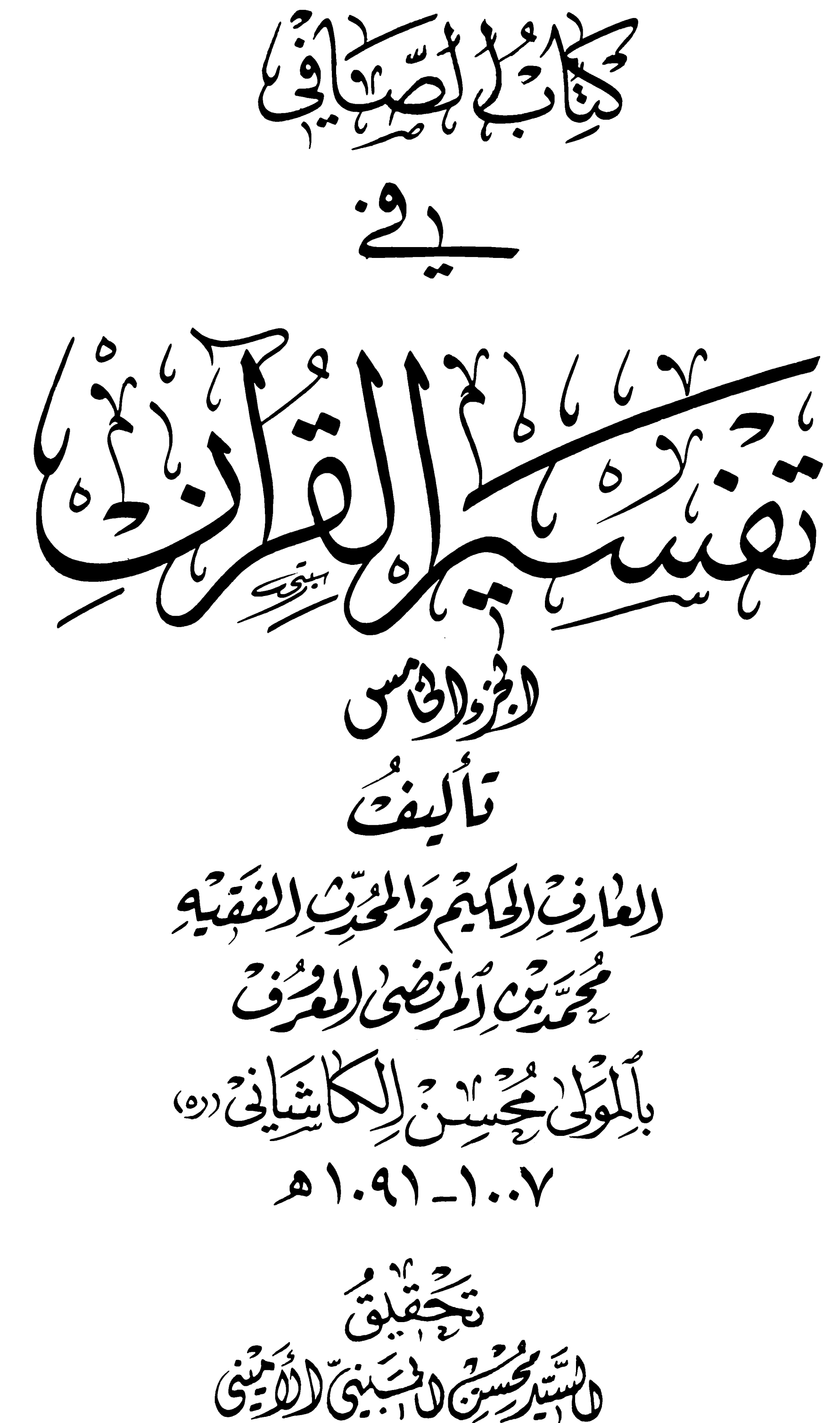

الفيض الكاشاني
كتاب الصافي
في
تفسير القرآن
٥
دار الكتب الإسلامية


كتاب الصافي
في
تفسير القرآن
الجزء الخامس
تأليف
العارف الحكيم والمحدّث الفقيه
محمد بن المرتضى المعروف
بالمولى محسن الكاشاني (ره)
١٠٠٧-١٠٩١ هـ
تحقيق
السيّد محسن الحسيني الأميني

﴿الجزء الخامس﴾

❊ هوية الكتاب:

❊ اسم الكتاب: كتاب الصافي في تفسير القرآن.

❊ المؤلف: العارف الحكيم والمحدّث الفقيه محمد بن مرتضى المدعو بـ«المولى محسن» الملقب بالفيض الكاشاني.

❊ تحقيق: العلّامة السيد محسن الحسيني الأميني.

❊ الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ ـ ١٣٧٧ ش.

❊ المطبعة: مروى.

❊ الكميّة: ٢٠٠٠

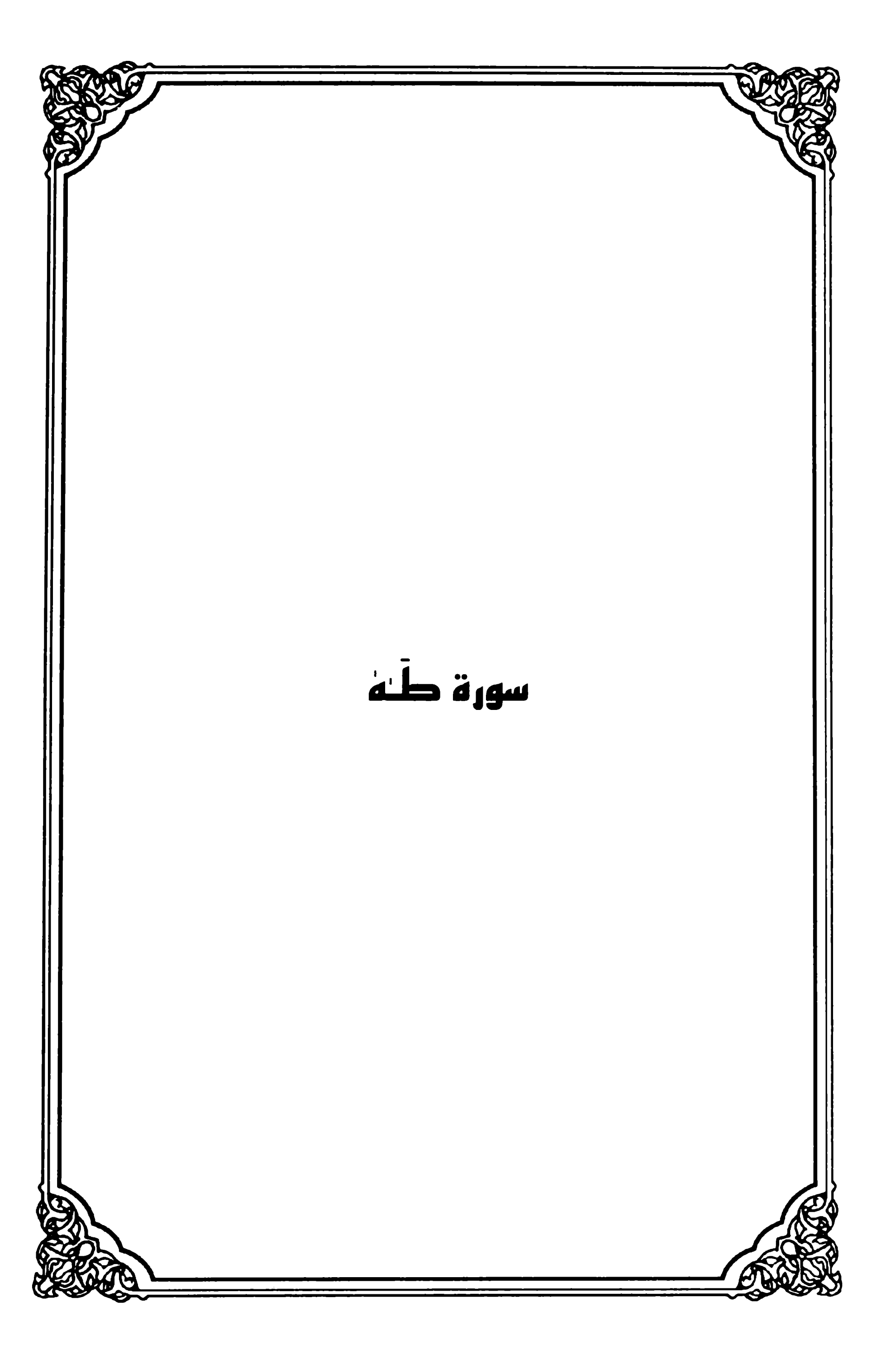
❊ الناشر: دارالكتب الإسلاميّة ـ ايران ـ طهران ـ بازار سلطاني رقم ٩٩

❊ تلفون: ٥٦٢٧٤٤٩ ـ ٥٦٢٠٤١٠ فاكس: ٣٩١٦٩٤٤

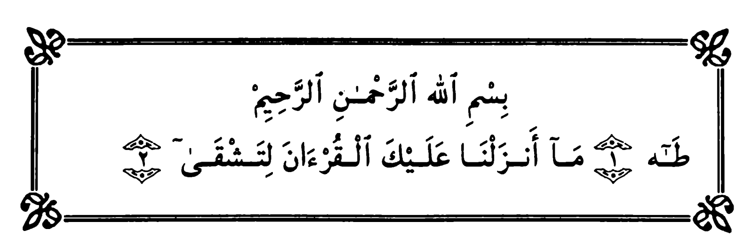
❊ شابك الجزء الخامس: ٩٦٤ـ٤٤٠ـ٠٨٤. ISBN: 964 - 440 - 084

❊ شابك الدورة الكاملة سبعة أجزاء: ٩٦٤ـ٤٤٠ـ٠٨٧ـ٩

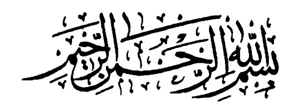
ISBN - SFT: 964 - 440 - 087 - 9 VOL: 7.



سورة طـٰه



سورة طه: مكيّة عدد آيها مائة وأربعون آية شامي، وخمس وثلاثون كوفي[1]، وأربع حجازي[2]، وآيتان بصري[3].



﴿طه﴾: سبق تأويله في سورة البقرة، وفي المعاني: عن الصّادق عليه السلام وأمّا طه فإسم من أسماء النّبيّ صلى الله عليه وآله، ومعناه يا طالب الحقّ الهادي إليه[4].

﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾: قال: بل لتسعد به[5].

والقمّي: عنهما عليهما السلام قالا: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلّى قام على أصابع رجليه حتّى تورّمت، فأنزل الله تبارك وتعالى طه بلغة طيّ يا محمّد: «مَآ أَنزَلْنَا» الآية[6].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلتها، فقالت: يا

---

١ ـ اعلم أنّ أصحّ الأعداد هي أعداد أهل الكوفة الذي هو مائة وخمس وثلاثون آية لأنّها مأخوذة عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

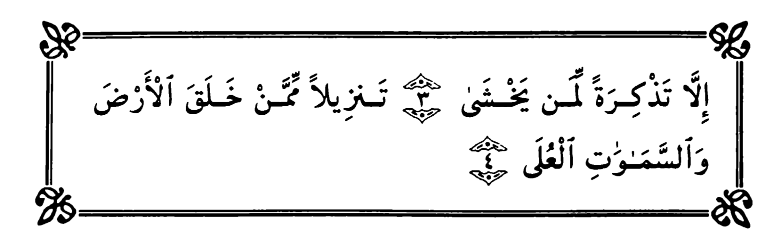
٢ ـ أي مائة وأربع وثلاثون آية.

٣ ـ أي مائة واثنان وثلاثون آية.

٤ ـ معاني الأخبار: ص٢٢، ح١، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن.

٥ ـ معاني الأخبار: ص ٢٢، ح ١، باب معنى الحروف المقطّعة في أوائل السور من القرآن، س ١٥، وهكذا راجع الإحتجاج: ج ١، ص ٣٢٦، س ٨، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على اليهود.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٥٧ ـ ٥٨.



رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال: يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً؟ قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على أطراف أصابع رجليه فأنزل الله سبحانه «طه * مَآ أَنزَلْنَا» الآية[١].

وفي الإحتجاج: عن الكاظم، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: لقد قام رسول الله صلى الله عليه وآله عشر سنين على أطراف أصابعه حتّى تورّمت قدماه وأصفّر وجهه، يقوم الليل أجمع حتّى عوتب في ذلك، فقال الله عزّوجلّ: «طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ» بل لتسعد به[٢].

قيل: والشقاء شائع بمعنى التعب، ومنه أشق من رائض[٣] المهر[٤] وسيّد القوم أشقاهم، ولعلّه عدل إليه للإشعار بأنّه أُنزل، إليه ليسعد[٥].

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾: لكن تذكيراً.

﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾: لمن في قلبه خشية ورقّة يتأثّر بالإنذار.

﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾: جمع العُليا، مؤنّث الأعلى عظم شأن المنزل بالفتح بنسبته إلى من هذه صفاته وأفعاله.

---

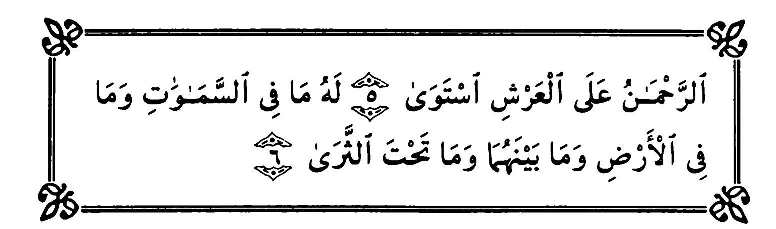
١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٩٥، ح ٦، باب الشكر.

٢ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٢٦، س ٨، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على اليهود.

٣ ـ راض المهر رياضةً ذلله فهو مروض وقوم رواض وراضه. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢١١، مادة «روض».

٤ ـ المُهر ـ بالضم ـ: ولد الفرس، والجمع: أمهار ومهار ومهارة والأنثى مُهرة، والجمع: مُهَر، مثل غرفة وغرف، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٨٦، مادة «مهر».

٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٥، س ٧.



﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾: في التّوحيد: عن الصّادق عليه السلام يقول: على الملك إحتوى[1][2].

وقد سبق تمام تفسيره في آية السّحرة من سورة الأعراف[3].

﴿لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَـا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾: في الخصال: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه تلا هذه الآية فقال: فكلّ شيء على الثّرى، والثّرى على القدرة، والقدرة تحمل كلّ شيء[4].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الأرض على الحوت، والحوت على الماء، والماء على الصّخرة، والصّخرة على قرن ثور أملس، والثور على الثرى، وعند ذلك ضلّ علم العلماء[5].

قيل: بدأ بخلق الأرض والسّماوات التي هي أُصول العالم، وقدّم الأرض لأنّها أقرب إلى الحسّ وأظهر عنده من السّماوات، ثمّ أشار إلى وجه إحداث الكائنات وتدبير أمرها بأن قصد العرش فأجرى منه الأحكام والتقادير وأنزل منه الأسباب على ترتيب ومقادير حسبما إقتضته حكمته وتعلّقت به مشيّته ليدلّ بذلك على كمال قدرته وإرادته، ولمّا كانت القدرة تابعة للإرادة وهي لا تنفك عن العلم عقّب ذلك بإحاطة علمه بجليّات الأُمور وخفيّاتها على سواء فقال: «وَإِن تَجْهَرْ»[6].

---

١ ـ إحتوى الشيء: جمعه واشتمل عليه. وحوى الشيء: إذا أحاط به من جهاته. مجمع البحرين: ج١، س١١٢، مادة «حوا».

٢ ـ التّوحيد: ص٣٢١، ح١، باب ٥٠ ـ العرش وصفاته.

٣ ـ الأعراف: ١١٣.

٤ ـ الخصال: ص٥٩٧، س٤، ح١، باب الواحد إلى المائة.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٨ ـ ٥٩.

٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٥، س ١٥.

وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَاراً لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾: في المعاني: عن الصّادق عليه السلام[١]، وفي المجمع: عنهما عليهما السلام في هذه الآية السرّ: ما أكننته في نفسك، وأخفى: ما خطر ببالك، ثم أنسيته[٢].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: في المجمع: عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله إنّ لله تعالى تسعة وتسعين إسماً، من أحصاها دخل الجنّة[٣].

وفي التّوحيد: عن الصّادق عليه السلام مثله[٤].

﴿وَهَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾: قيل: قفّى تمهيد نبوّته صلّى الله عليه وآله بقصّة موسى ليأتمّ به في تحمّل أعباء النبوّة، وتبليغ الرّسالة، والصّبر على مقاساة الشّدائد، فإنّ هذه السّورة من أوائل ما نزل[٥].

﴿إِذْ رَءَا نَاراً﴾: قيل: إنّه إستاذن شعيباً في الخروج إلى أُمّه وخرج بأهله فلمّا وافى وادي طوى وفيه الطّور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة، وكانت ليلة الجمعة، وقد أضلّ الطريق وتفرقت ماشيته إذ رأى من جانب الطّور ناراً[٦].

---

١ ـ معاني الأخبار: ص١٤٣، ح١، باب معنى السر وأخفى.

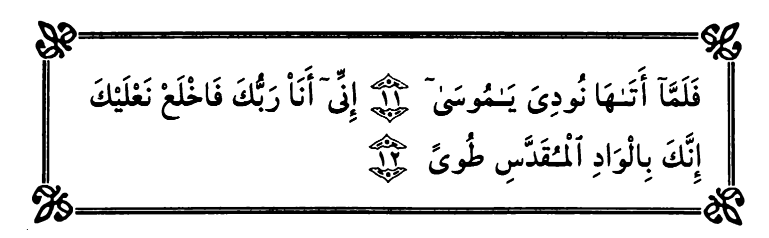
٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣. وفيه: «السرّ: ما أخفيته».

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣.

٤ ـ التّوحيد: ص١٩٤، ح٨، وص٢١٩، ح١١ باب أسماء الله تعالى.

٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٤٦، س٧.

٦ ـ أنوار التنزل: ج٢، ص٤٦، س٩.



﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾: أقيموا مكانكم.

﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَاراً﴾: أبصرتها إبصاراً لا شبهة فيه، وقيل: الإيناس إبصار ما يؤنس به[١].

﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾: بشعلة من النّار.

﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول: آتيكم بقبس من النّار تصطلون من البرد أو أجد على النّار هُدىً كان قد أخطأ الطريق، يقول أو أجد عند النّار طريقاً[٢].

﴿فَلَمَّآ أَتَـٰهَا﴾: أي النّار، قيل: وجد ناراً بيضاء تتّقد في شجرة خضراء[٣].

القمّي: عن الباقر عليه السلام فأقبل نحو النّار يقتبس فإذا شجرة ونار تلتهب عليها فلمّا ذهب نحو النّار ليقتبس منها أهوت النار إليه ففزع وعدا ورجعت النّار إلى الشجرة فالتفت إليها وقد رجعت إلى الشجرة فرجع الثانية ليقتبس فأهوت إليه فعدا وتركها ثم إلتفت وقد رجعت إلى الشجرة فرجع إليها الثالثة فأهوت إليه فعدا ولم يعقّب أي لم يرجع فناداه الله عزّوجلّ[٤].

ويأتي تمام الحديث في سورة القصص[٥].

﴿نُودِيَ يَـٰمُوسَىٰٓ * إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾: وقرئ بفتح الهمزة.

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾: طوى عطف بيان للوادي فإنّه

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٤٦، س١٢.
٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٦٠، س٤.
٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٤٦، س١٧.
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٠، س٣.
٥ ـ ذيل الآية: ٣١.

كان مسمى به، وقرئ بالتّنوين، قيل: أُمر بخلع نعليه لأنّ الحفوة[١] تواضع وأدب[٢].

وفي الفقيه[٣]، والإكمال[٤]، والعلل: عن الصّادق عليه السلام[٥]، والقمّي: قال: إنّه إنّما أمر بخلعها لأنّهما كانتا من جلد حمار ميّت[٦].

وفي الإكمال: عن الحجّة القائم عليه السلام في حديث قيل له: أخبرني يابن رسول الله عن أمر الله لنبيّه موسى عليه السلام «فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ» فإنّ فقهاء الفريقين يزعمون إنّها كانت من إهاب الميتة، قال: صلوات الله عليه من قال ذلك فقد إفترى على موسى عليه السلام واستجهله في نبوّته، لأنّه ما خلا الأمر فيها من خصلتين إمّا أن تكون صلاة موسى عليه السلام فيها جائزة أو غير جائزة، فإن كانت صلاته جائزة جاز له لبسها في تلك البقعة إذا لم تكن مقدّسة وإن كانت مقدّسة مطهّرة فليست بأقدس وأطهر من الصلاة وإن كانت صلاته غير جائزة فيها فقد أوجب على موسى أنّه لم يعرف الحلال من الحرام وعلم ما جاز فيه الصّلاة ومالم تجز وهذا كفر. قيل: وأخبرني يا مولاي عن التّأويل فيها، قال: صلوات الله عليه: إنّ موسى عليه السلام ناجى ربّه بالواد المقدّس، فقال: يا ربّ إنّي قد أخلصت لك المحبّة منّي وغسلت قلبي عمّن سواك وكان شديد الحبّ لأهله، فقال الله تعالى: «اخْلَعْ نَعْلَيْكَ» أي أنزع حبّ أهلك من قلبك إن كانت محبّتك لي خالصة وقلبك من الميل إلى من سواى مغسول[٧].

وفي العلل: عن الصّادق عليه السلام يعني إرفع خوفيك، يعني خوفه من ضياع أهله، وقد خلّفها تمخض، وخوفه من فرعون[٨].

---

١ ـ حفي الرجل حفاءً ـ مثل سلام من باب تعب ـ: مشى بغير نعل ولا خف فهو حافٍ، والجمع حفاة كقاضٍ وقضاة. مجمع البحرين: ج١، ص١٠٤، مادة «حفا».

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٤٦، س٢٢.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج١، ص١٦٠، ح٢/٧٥١، باب ٣٩ ـ ما يصلي فيه ومالا يصلى فيه من الثياب وجميع الأنواع.

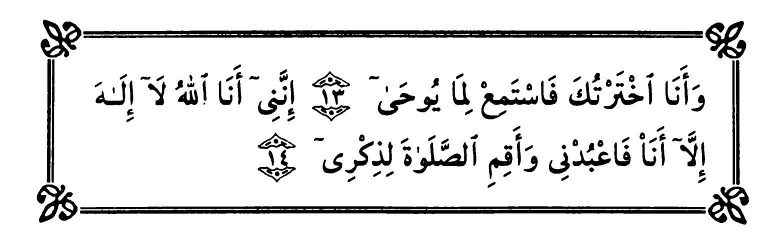
٤ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص١٥١،س١٧،قطعة من ح١٣،باب٦ ـ في غيبة موسى عليه السلام.

٥ ـ علل الشرائع: ص٦٦، ح١، باب العلّة التي من أجلها قال الله تعالى لموسى حين كلمه: «فاخلع نعليك».

٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٦٠، س١.

٧ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٤٦٠، قطعة من ح٢١، باب ٤٣ ـ ذكر من شهد القائم عليه السلام ورآه وكلّمه.

٨ ـ علل الشرائع: ص٦٦، ح٢، باب العلّة التي من أجلها قال الله تعالى لموسى حين كلّمه: «فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ».



وفي الإكمال: مرفوعاً ما في معناه[١].

وفي العلل: عن النبيّ ﷺ إنّه سئل عن الواد المقدّس فقال: لأنّه قدّست فيه الأرواح واصطفيت فيه الملائكة وكلّم الله عزّوجلّ موسى تكليماً[٢].

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾: إصطفيتك للنبوّة، وقرئ إنّا إخترناك.

﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: لّلذي يوحي إليك أو للوحي، واللّام يحتمل التعلّق بكلّ من الفعلين.

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾: بدل ممّا يوحي دالّ على أنّه مقصور على تقرير التّوحيد الّذي هو منتهي العلم والأمر بالعبادة الّتي كمال العمل.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾: قيل: خصّها بالذّكر وأفردها بالأمر للعلّة الّتي أناط بها إقامتها وهو تذكّر المعبود وشغل القلب واللّسان بذكره[٣].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إذا فاتتك صلاة فذكرتها في وقت أُخرى فإن كنت تعلم أنّك إذا صلّيت التي فاتتك كنت من الأُخرى في وقت فابدأ بالّتي فاتتك فإنّ الله يقول: «أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ» الحديث[٤].

وفي المجمع: عنه عليه السلام معناه أقم الصلاة متى ذكرت، إنّ عليك صلاة كنت في وقتها أم لم تكن[٥].

---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص١٥١، س١٨، قطعة من ح١٣، باب ٦ ـ في غيبة موسى عليه السلام.

٢ ـ علل الشرائع: ص٤٧١ ـ ٤٧٢، ح٣٣، باب النوادر.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٤٧، س٢.

٤ ـ الكافي: ج٣، ص٢٩٣، ح٤، باب من نام عن الصلاة أو سهى عنها.

٥ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٦، س١.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾

وعن النّبيّ ﷺ: من نسى صلاة فليصلّها إذا ذكرها لا كفّارة لها غير ذلك وقرأ «أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ»[١].

والقمّي: قال: إذا نسيتها ثمّ ذكرتها فصلّها[٢].

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾: كائنة لا محالة.

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾: قيل: أي أخفي وقتها[٣].

والمجمع[٤]، والجوامع: عن الصّادق عليه السلام أكاد أُخفيها من نفسي وأنّه كذلك في قراءة أُبيّ[٥].

والقمّي: قال: من نفسي هكذا نزلت، قيل: كيف يخفيها من نفسه؟ قال: جعلها من غير وقت، وقيل: معناه أكاد أظهرها من أخفاه إذا سلب خفاه[٦].

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾: متعلّق بـ«ءَاتِيَةٌ» أو «أُخْفِيهَا» على المعنى الأخير.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾: عن تصديق السّاعة أو الصّلاة.

﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾: فتهلك بالإنصداد أو بصدّه.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾: إستفهام يتضمّن إستيقاظاً لما يريه فيها من العجائب.

﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: تكرير لزيادة الإستيناس والتنبيه.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾: أعتمد عليها إذا عييت أو وقفت على رأس القطيع.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٦، س ٢.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٠، س ٣.
٣ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٤٧، س ٦.
٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٦، س ٦.
٥ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٤١٧، س ٩.
٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٠، س ٨.

قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَـٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾

﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾: وأخبط[١] الورق بها على رؤوس غنمي.

﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾: حاجات أُخر مثل أنّه كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلّق بها أدواته وإذا كان في البريّة ركزها وعرض الزندين[٢] على شعبتيها وألق عليها الكساء واستظلّ به وإذا قصر الرشاء وصله بها، وإذا تعرّضت السّباع لغنمه قاتل بها.

القمّي: فمن الفرق لم يستطع الكلام فجمع كلامه فقال: «وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ»، يقول: حوائج أُخرى[٣].

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ * فَأَلْقَـٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾:

القمّي: عن الصّادق عليه السلام ففزع منها موسى عليه السلام وعدا فناداه الله عزّوجلّ: خذها ولا تخف[٤].

﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾: هيئتها وحالتها المتقدّمة من السيّر تجوز بها للطّريقة والهيئة.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: تحت العضد.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: من غير عاهة، كنّي به عن البرص، في طبّ الأئمّة: عن الباقر عليه السلام يعني من غير برص[٥].

---

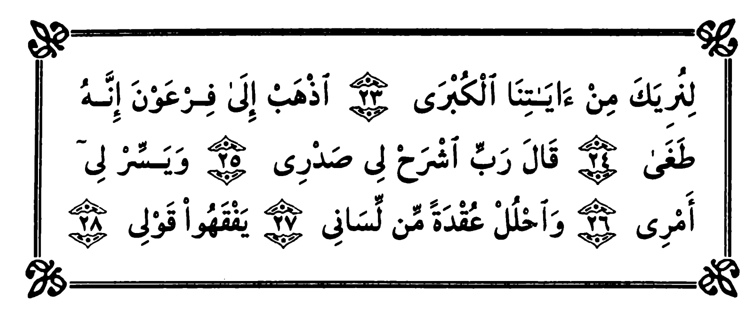
١ ـ الخبط بالمعجمة ثمّ بالمهملة: ضرب الشجر بالعصا لتناثر ورقها. منه رحمه الله.

٢ ـ الزند: العود الذي يقدح به النار وهو الأعلى. والزندة: السفلى فيها ثقب، وهي الأنثى فإذا إجتمعا قيل: زندان ولم يقل زندتان والجمع زناد وأزند وأزناد. الصحاح: ج ٢، ص ٤٨١، مادة «زند».

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٠، س ٧.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٠، س ٤.

٥ ـ طب الأئمة: ص ٥٥، عوذة عند الحجامة.



والقمّي: عن الصّادق عليه السلام أي من غير علّة، وذلك أنّ موسى عليه السلام كان شديد السّـمرة فأخرج يده من جيبه فأضائت له الدّنيا(١).

﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾: معجزة ثانية.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى * ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: بهاتين الآيتين وادعُه إلى العبادة.

﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾: عصى وتكبّر.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى * وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾: لمّا أمره الله بخطب عظيم سأله أن يشرح صدره، ويفتح قلبه ليحمل أعباءه، والصّبر على مشاقّه.

﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى * يَفْقَهُواْ قَوْلِى﴾: قيل: كان في لسانه رتـة(٢) مـن جمرة أدخلها فاه(٣).

القمّي: عن الباقر عليه السلام وكان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل كلّما يلدون، ويربّي موسى ويكرمه ولا يعلم أنّ هلاكه على يديه، ولمّا درج موسى كان يوماً عند فرعون فعطس فقال: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ» فأنكر فرعون ذلك عليه ولطمه، وقال: ما هذا الّذي تقول؟ فوثب موسى عليه السلام على لحيته وكان طويل اللّحية فهلبها أي قلعها فألّمه ألماً شديداً، فهمّ فرعون بقتله،

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٠، س١٠.

٢ ـ الرُتَّةُ ـ بالضم ـ: العُجمة في الكلام، والحكلَةُ فيه. رجلٌ أرتُّ: بيّن الرتت، وفي لسانه رتّةٌ، وأرتّه الله فرَتَّ. الصحاح: ج١، ص ٢٤٩، مادة «رتت».

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٤٨، س١٧.

وَٱجْعَل لِّى وَزِيراً مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾

فقالت له إمرأته: هذا غلام حدث لا يدري ما يقول، فقال فرعون: بلى يدري، فقالت له: ضع بين يديك تمراً وجمراً فإن ميزّ بين التمر والجمر فهو الّذي تقول، فوضع بين يديه تمراً وجمراً، وقال له: كل فمدّ يده إلى التمر فجاء جبرئيل فصرفها إلى الجمر، فأخذ الجمر في فيه فاحترق لسانه، وصاح وبكى، فقالت آسية لفرعون: ألم أقل لك إنّه لم يعقل؟ فعفا عنه[1].

﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيراً مِّنْ أَهْلِى * هَـٰرُونَ أَخِى﴾: يعينني على ما كلّفتني به.

﴿ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِى﴾: قوّتي.

﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾: وقرئ بلفظ الخبر على إنّهما جواب الأمر.

﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾: فإنّ التّعاون يهيّج الرّغبات، ويؤدّي إلى تكاثر الخير وتزايده.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً﴾: عالماً بأحوالنا وإنّ التّعاون ممّا يصلحنا، وإنّ هارون نعم المعين لي فيما أمرتني به.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾: أي مسؤولك.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾: أنعمنا عليك في وقت آخر.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾: ما لم يعلم إلّا بالوحي.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٦، س ١٢.

أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَـٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾: والقذف يقال: للإلقاء والوضع.

﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾: تكرير عدوّ للمبالغة، أو لأنّ الأوّل بإعتبار الواقع والثاني بإعتبار المتوقّع.

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾: أي أحببتك، أو محبّة كائنة منّي قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك.

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾: ولتربّى ويحسن إليك وأنا راعيك وراقبك.

﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: بلقائك.

﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾: هي بفراقك أو أنت على فراقها وفقد إشفاقها. القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: إنّ موسى لمّا حملت أمّه به لم يظهر حملها إلّا عند وضعه، وكان فرعون قد وكّل بنساء بني إسرائيل نساء من القبط يحفظنهنّ وذلك لما كان بلغه عن بني إسرائيل أنّهم يقولون: أنّه يلد فينا رجل يقال له: موسى بن عمران، يكون هلاك فرعون وأصحابه على يديه، فقال فرعون عند ذلك: لأقتلنّ ذكور أولادهم حتّى لا يكون ما يريدون، وفرّق بين الرّجال والنّساء، وحبس الرجال في المحابس، فلمّا وضعت أمّ موسى بموسى نظرت إليه وحزنت واغتمت وبكت

وقالت: يذبح السّاعة فعطف الله بقلب الموكّلة بها عليه، فقالت لأُمّ موسى: مالك قد إصفر لونك؟ فقالت: أخاف أن يذبح ولدي، فقالت: لا تخافي وكان موسى لا يراه أحد إلّا أحبّه وهو قوله: «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى» فأحبّته القبطيّة الموكّلة به، وأنزل الله على أُمّ موسى التابوت ونوديت ضعيه في التابوت فاقذفيه في اليّم، وهو البحر «وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ»(١) فوضعته في التابوت وأطبقت عليه وألقته في النيل، وكان لفرعون قصور على شطّ النّيل متنزّهات فنظر من قصره ومعه آسية إمرأته إلى سواد في النّيل ترفعه الأمواج والرّياح تضربه حتّى جاءت به إلى باب قصر فرعون فأمر فرعون بأخذه فأُخذ التابوت ورفع إليه، فلمّا فتحه وجد فيه صبيّاً، فقال: هذا إسرائيلي فألق الله في قلب فرعون لموسى محبّة شديدة وكذلك في قلب آسية، وأراد فرعون أن يقتله، فقالت آسية «لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ»(٢) إنّه موسى عليه السلام، ولم يكن لفرعون ولد، فقال أُدنوا له ظئراً لتربيته فجاؤوا بعّدة نساء قد قتل أولادهنّ، فلم يشرب لبن أحد من النّساء، وهو قول الله تعالى: «وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ»(٣) وبلغ أُمّه أنّ فرعون قد أخذه فحزنت وبكت كما قال الله: «وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ»(٤) قال: كادت أن تخبر بخبره أو تموت، ثمّ حفظت نفسها فكانت كما قال الله: «لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ»(٥) ثمّ «قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ»: أي إتبعيه فجاءت أُخته إليه «فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ» أي عن بعد «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ»(٦) فلمّا لم يقبل موسى بأخذ ثدي أحد من النّساء إغتمّ فرعون غمّاً شديداً، فقالت أخته «فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَـٰصِحُونَ»(٧) فقال: نعم فجائت بأمّه فلمّا أخذته بحجرها وألقمته ثديها إلتقمه وشرب ففرح فرعون وأهله وأكرموا أمّه، فقال لها: ربّيه لنا فإنا نفعل بك ونفعل(٨).

وسأله الرّاوي فكم مكث موسى عليه السلام غائباً عن أمّه حتّى ردّه الله عليها؟ قال: ثلاثة أيّام(٩).

---

١ و ٢ ـ القصص: ٧ و ٩.
٣ و ٤ ـ القصص: ١٢ و ١٠.
٥ و ٦ و ٧ ـ القصص: ١٠ و ١١ و ١٢.
٨ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٥ ـ ١٣٦.
٩ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٦، س ٢١.

وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾

﴿وَقَتَلْتَ نَفْساً﴾: نفس القبطي الّذي إستغاثه عليه الإسرائيلي كما تأتي قصّته في سورة القصص[١] إنّ شاء الله تعالى.

﴿فَنَجَّيْنَـٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾: غمّ قتله خوفاً من عقاب الله، وإقتصاص فرعون، بالمغفرة، والأمر بالهجرة إلى مدين.

﴿وَفَتَنَّـٰكَ فُتُوناً﴾: وابتليناك إبتلاءاً، أو أنواعاً من الإبتلاء فتنة بعد فتنة وذلك أنّه ولد في عام كان يقتل فيه الولدان، وألقته اُمّه في البحر، وهمّ فرعون بقتله، ونال في سفره ما نال من الهجرة عن الوطن ومفارقة الاُلاّف، والمشي راجلاً على حذر، وفقد الزاد، وأجر نفسه عشر سنين، إلى غير ذلك.

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: لبثت فيهم عشر سنين، ومدين: على ثماني مراحل من مصر.

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾: قيل: أي على مقدار من الزّمان يوحى فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة[٢].

وقيل:معناه سبق في قدري وقضائي أن اُكلّمك في وقت بعينه فجئت على ذلك القدر[٣].

﴿يَـٰمُوسَىٰ﴾: قيل: كرّره عقيب ما هو غاية الحكاية لتنبيه على ذلك[٤].

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾: وإتخذتك صنيعتي وخالصتي واصطفيتك لمحبتي ورسالتي وكلامي.

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى﴾: بمعجزاتي.

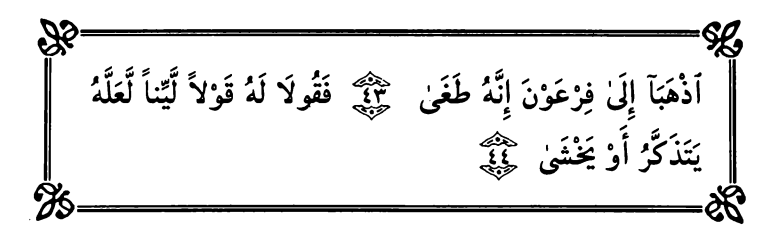
---

١ ـ الآيات: ١٥ ـ ١٩.

٢ ـ الكشاف: ج٣، ص٦٥، ومجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١١، س١٤.

٣ ـ الكشاف: ج٢، ص٦٥.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوارالتنزيل: ج٢، ص٥٠، س١٣.



﴿وَلَا تَنِيَا﴾: ولا تفترا ولا تقصّرا.

﴿فِي ذِكْرِي﴾: لا تنسياني حيثما تقلّبتما.

وقيل: في تبليغ ذكري، والدعاء إليّ[١].

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُۥ قَوْلاً لَّيِّناً﴾: مثل هل لك إلى أن تزكّى وأهديك إلى ربّك فتخشى فإنّه دعوة في صورة عرض ومشورة حذراً أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكما.

﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾: في العلل: عن الكاظم عليه السلام قال: أمّا قوله: «فَقُولَا لَهُۥ قَوْلاً لَّيِّناً» أي ليّناه، وقولا له: يا أبا مصعب، وكان فرعون أبا مصعب الوليد بن مصعب، وأمّا قوله: «لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ» فإنّما قال: ذلك ليكون أحرص لموسى على الذهاب، وقد علم الله عزّوجلّ أنّ فرعون لا يتذكرّ ولا يخشى إلّا عند رؤية البأس ألا تسمع قول الله يقول: «حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ»[٢] فلم يقبل الله إيمانه وقال: «ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ»[٣][٤].

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له وأعلم أنّ الله جلّ ثناؤه قال لموسى عليه السلام حين أرسله إلى فرعون: «فَقُولَا لَهُۥ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ»، وقد علم أنّه لا يتذكّر ولا يخشى، ولكن ليكون ذلك أحرص لموسى عليه السلام على الذّهاب[٥].

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٥٠، س١٦.
٢ ـ يونس: ٩٠.
٣ ـ يونس: ٩١.
٤ ـ علل الشرائع: ص٦٧، ح١، باب ٥٦ ـ العلة التي من أجلها قال الله عزّوجلّ لموسى وهارون: «ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ...».
٥ ـ الكافي: ج٧، ص٤٦٠، ح١، باب النوادر.

قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾: أن يعجّل علينا بالعقوبة، ولا يصبر إلى إتمام الدّعوة، وإظهار المعجزة. من ـ فرط ـ إذا تقدّم.

﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾: أن يزداد طغياناً فيتخطى إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي، لجرأته وقساوته وإطلاقه من حسن الأدب.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾: بالحفظ والنصرة.

﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾: ما يجري بينكما وبينه من قول أو فعل فأحدث في كلّ حال ما يصرف شرّه عنكما، ويوجب نصرتي لكما.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أطلقهم.

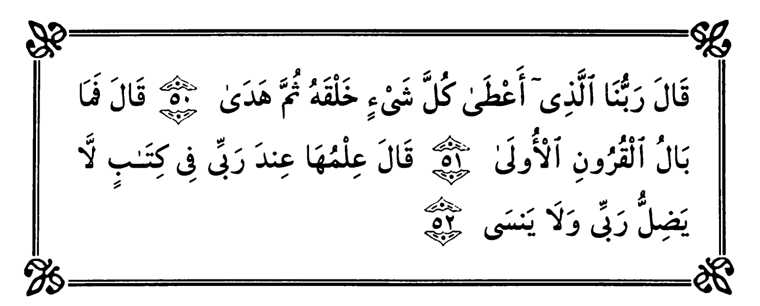
﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾: بالتكاليف الصّعبة.

﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾: بمعجزة وبرهان.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾: والسلامة من عذاب الله على المهتدين.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾: إنّ العذاب على المكذّبين للرّسل.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾: أي بعد ما أتياه وقالا له: ما أُمرا به، وإنّما خاطب



الإثنين وخصّ موسى بالنّداء لأنّه الأصل وهارون وزيره وتابعه أو حمله خبثه على إستدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون.

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾: صورته وشكله الّذي يوافق المنفعة المنوطة.

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾: عرّفه كيف يرتفق بما أعطى، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال: ليس شيء من خلق الله إلّا وهو يعرف من شكله الذكر من الأنثى، سئل ما معنى «ثُمَّ هَدَىٰ»؟ قال: هدى للنّكاح والسّفاح من شكله[1].

قيل: وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره وإعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها، ودلالته على أنّ الغنّي القادر بالذّات المنعم على الإطلاق هو الله تعالى، وأنّ جميع ما عداهُ مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وأفعاله ولذلك بهت الّذي كفر فلم يـر إلّا صرف الكلام عنه عليه السلام[2].

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾: فما حالهم من بعد موتهم من السّعادة والشقاوة.

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾: يعني أنّه غيب لا يعلمه إلّا الله وإنّما أنا عبد مثلك لا أعلم منه إلّا ما أخبرني به.

﴿فِى كِتَـٰبٍ﴾: مثبت في اللّوح المحفوظ.

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص٥٦٧، ح٤٩، باب النوادر.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٥١ ـ ٥٢.

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَٰجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَـٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾

﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾: الضّلال: أن يخطيء الشيء في مكانه فلم يهتد إليه، والنسيان: أن يذهب بحيث لا يخطر بالبال.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾: وحصل لكم فيها سبلاً بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من أرضٍ إلى أرض لتبلغوا منافعها.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾: إلتفات من الغيبة إلى التكلّم، وله نظائر كثيرة في القرآن.

﴿أَزْوَٰجاً﴾: أصنافاً.

﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ * كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾: على إرادة القول.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾: لذوي العقول النّاهية عن إتّباع الباطل وإرتكاب القبائح، جمع نهية.

القمّي: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية، فقال: نحن والله أولو النّهي[1].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ خياركم أولو النّهي. قيل: يا رسول الله ومن أولو النّهي؟ قال: هم أُولو الأخلاق الحسنة، والأحلام الرزينة، وصلة الأرحام، والبررة بالأُمّهات والآباء، والمتعاهدون للفقراء والجيران واليتامى، ويطعمون الطّعام، ويفشون السّلام في العالم، ويصلّون والنّاس نيام غافلون[2].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٦١، س٦.

٢ ـ الكافي: ج٢، ص٢٤٠، ح٣٢، باب المؤمن وعلاماته وصفاته.

مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَاناً سُوىً ﴿٥٨﴾

﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ﴾: فإنّ التراب أصل خلقة أوّل آبائكم وأوّل موادّ أبدانكم.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾: بالموت، وتفكيك الأجزاء.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾: بتأليف أجزائكم، المتفتتة المختلطة بالتّراب على الصّور السّابقة، وردّ الأرواح إليها.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ النّطفة إذا وقعت في الرّحم بعث الله عزّ وجلّ ملكاً، فأخذ من التربة التي يدفن فيها فماثها في النّطفة فلا يزال قلبه يحنّ إليها حتّى يدفن فيها[1]

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا﴾: بصّرناه إيّاها، وعرّفناه صحّتها.

﴿كُلَّهَا فَكَذَّبَ﴾: من فرط عناده.

﴿وَأَبَىٰ﴾: الإيمان والطّاعة لعتوّه.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾: أرض مصر.

﴿بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾: هذا تعلّل منه، ويلوح من كلامه أنّه خاف منه أن يغلبه على ملكه.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾: مثل سحرك.

---

١ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٠٣، ح ٢، باب التربة التي يدفن فيها الميّت.

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحىً ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾

﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً﴾: وعداً.

﴿لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَاناً سُوىً﴾: قيل: أي منتصفاً تستوي مسافته إلينا وإليك، وقرئ بضمّ السّين[١].

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾: وهو يوم عيد كان لهم في كلّ عام، وإنّما عيّنه ليظهر الحقّ ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد، ويشيع ذلك في الأقطار.

﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحىً﴾: وإجتماع النّاس في ضحىً.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾: ما يكاد به من السّحرة وآلاتهم.

﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾: الموعد.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾: بأن تدعوا آياته سحراً.

﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾: فيهلككم ويستأصلكم به، وقرئ بضّم الياء.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ * فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: قيل: أي تنازعت السّحرة في أمر موسى حين سمعوا كلامه، فقال بعضهم: ليس هذا من كلام السّحرة[٢].

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾: يعني السّحرة، قيل: كان نجواهم: إن غلبنا موسى إتّبعناه[٣].

وقيل: إن كان ساحراً فسنغلبه، وإن كان من السّماء فله أمر[٤].

---

١ و ٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٥٣، س ٩ و ١٧.

٣ ـ قاله الزجاج والفرّاء كما جاء في مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٨، س ١٣.

٤ ـ قاله قتادة، كما جاء في مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٨، س ١٥.

قَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾

﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَٰنِ﴾: قال فرعون وقومه وهو على لغة بلحارث بن كعب فإنّهم جعلوا الألف للتثنية وأعربوا المثنّى تقديراً، وقرئ «إِنْ هَـٰذَانِ» على أنّها هـي المخـفّفة واللّام هي الفارقة أو النّافية، واللّام بمعنى إلّا، وقرئ هذين وهو ظاهر.

﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾: بالإستيلاء عليها.

﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾: بمذهبكم الّذي هو أفضل المذاهب أو بأهل طريقتكم، ووجوه قومكم وأشرافكم.

﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ﴾: فازمعوه واجعلوه مجمعاً عليه لا يتخلّف عنه واحـد مـنكم، وقرئ فأجمعوا ويعضده قوله: «فَجَمَعَ كَيْدَهُ»[1].

﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفّاً﴾: مصطفّين لأنّه أهيب في صدور الرّائين، قيل: كانوا سبعين ألفاً مع كلّ واحد حبل وعصا، وأقبلوا عليه إقبالة واحدة[2].

﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾: فاز بالمطلوب من غلب.

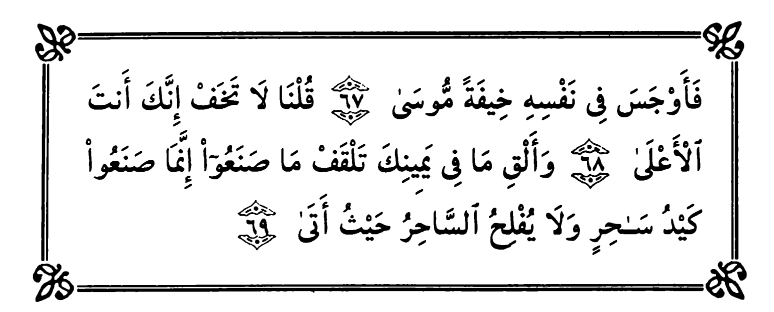
﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾: أي بعد ما أتوا مراعاة للأدب.

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ﴾: مقابلة أدب بأدب، وعدم مبالاة بسحرهم، ولأن يأتوا بأقـصى

---

١ ـ طـه: ٦٠.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٥٤، س ٨.



وسعهم، ثمّ يظهر الله سلطانه فيقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه.

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾: أي فألقوا فإذا حبالهم.

قيل: أنّهم لطخوها بالزيبق فلمّا ضربت عليها الشمّس إضطربت فخيّل إليه أنّها تتحرك، وقرئ تخيّل بالتّاء على بناء الفاعل[1].

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾: فأضمر فيها خوفاً، في نهج البلاغة: لم يوجس موسى خيفة على نفسه، بل أشفق من غلبة الجهال ودول الضّلال[2].

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: تعليل للنّهي وتقرير لغلبته مؤكّداً.

في الإحتجاج: عن الصّادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ موسى عليه السلام لمّا ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة، قال: اللهّم إنّي أسألك بحقّ محـمّد وآل محـمّد لمّـا امـنتني، قـال الله عزّوجلّ: «لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ»[3].

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾: تبتلعه بقدرة الله تعالى، وقرئ بـالرّفع وبالتخفيف.

﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ﴾: الذي زوّروا وإفتعلوا.

﴿كَيْدُ سَـٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾: حيث كان، وأين أقبل.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٥٤، س ١٦.

٢ ـ نهج البلاغة: ص ٥١، الخطبة ٤.

٣ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٥٥، س ٦، باب إحتجاجات النّبيّ صلى الله عليه وآله.

فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّداً﴾: أي فألقي، فتلقف، فتحقق عند السّحرة أنّه ليس بسحر وإنّما هو من آيات الله ومعجزاته، فألقاهم ذلك على وجوههم سجّداً لله توبة عمّا صنعوا وتعظيماً لما رأوا.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ * قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾: أي لموسى، واللّام لتضمين الفعل معنى الإتّباع، وقرئ بدون الهمزة.

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: في الإيمان له.

﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾: لعظيمكم في فنّكم وأعلمكم به وأُستادكم.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾: وأنتم تواطأتم على ما فعلتم.

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ﴾: اليد اليمنى والرّجل اليسرى(١).

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾: يريد به نفسه وموسى أو ربّ موسى.

﴿أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَىٰ﴾: أدوم عقاباً.

﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾: لن نختارك.

---

١ ـ أو بالعكس.

إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾

﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا﴾: به موسى أو المستتر في جاء لما.

﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾: المعجزات الواضحات.

﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾: عطف على ما جاءنا، أو قسم.

﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾: ما أنت قاضيه أي صانعه أو حاكمه.

﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾: إنّما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الدّنيا والآخرة خير وأبقى، فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا﴾: من الكفر والمعاصي.

﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾: في معارضة المعجزة.

في الجوامع: روي أنّهم قالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً فوجدوه يحرسه العصا[١]، فقالوا: ما هذا بسحر، فإنّ السّاحر إذا نام بطل سحره، فأبى إلّا أن يعارضوه[٢].

﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾: جزاءاً أو خير ثواباً وأبقى عقاباً[٣].

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنّ الأمر.

﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِماً﴾: بأن يموت على كفره وعصيانه.

---

١ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: «تحرسه عصاه»، كما في المصدر. لأنّ الإعجاز إنّما كان في عصا موسى لا في مطلق العصا.

٢ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٤٣٠، س ٣. وفيه: «فأبى فرعون إلّا أن يعملوا».

٣ ـ المعنى غير واضح لعدم دلالة الآية عليه، والصحيح في ذلك أن يقال: «والله خير ثواباً للمؤمنين، وأبقى عقاباً للعاصين منك يا فرعون».

وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُوْلَـٰئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِى ٱلْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَـٰفُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾

﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمُ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾: فيستريح.

﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾: حياة مهنّاة.

﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: في الدنيا.

﴿فَأُوْلَـٰئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾: المنازل الرّفيعة.

﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾: من تطهّر من أدناس الكفر والمعاصي، والآيات الثلاث تحتمل أن تكون من كلام السّحرة، وأن تكون إبتداءاً كلام من الله.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾: أي من مصر.

﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ﴾: فاجعل لهم.

﴿طَرِيقاً فِى ٱلْبَحْرِ يَبَساً﴾: يابساً.

﴿لَّا تَخَـٰفُ دَرَكاً﴾: آمنا من أن يدرككم العدو، وقرئ لا تخف.

﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾: إستئناف أو عطف.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾: فأتبعهم نفسه ومعه جنوده.

﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾: ما سمعت قصّته ولا يعرف كنهه إلّا الله، فيه

وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾

مبالغة ووجازة.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾: نقل ابن طاوس ﷺ عن تفسير الكلبي، عن ابن عبّاس، أنّ جبرئيل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله في حديث في حال فرعون وقومه، وإنّما قال لقومه: «أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ»[1] حين إنتهى إلى البحر فرآه قديبست فيه الطّريق، فقال لقومه: ترون البحر قديبس من فرقي فصدّقوه لمّا رأوا ذلك فذلك قوله تعالى: «وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ»[2].

ويأتي تمام القصّة في سورة الشّعراء[3].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون على إضمار قلنا أو للّذين منهم في عهد النّبيّ صلى الله عليه وآله بما فعل بآبائهم.

﴿قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾: فرعون وقومه.

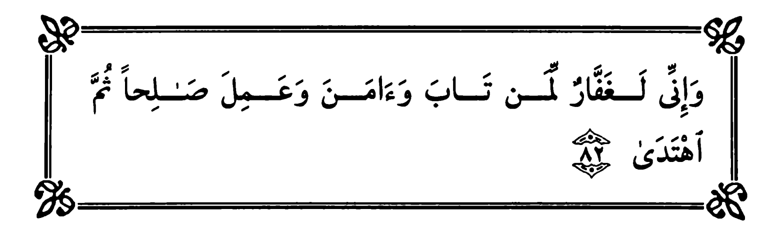
﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾: لمناجاة موسى عليه السلام وإنزال التوراة عليه، وقرئ أنجيتكم وواعدتكم.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: يعني في التّيه كما سبق قصّته في سورة البقرة[4].

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: لذائذه.

---

١ ـ النازعات: ٢٤.
٢ ـ سعد السعود: ص٢١٨، س١٢.
٣ ـ الآيات: ١٠ ـ ٦٦.
٤ ـ ذيل الآية: ٥٧.



﴿وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ﴾: بالإخلال بشكره، والتعدّي لما حدّ الله لكم فيه، كالسرف والبطر والمنع عن المستحق.

﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾: فيلزمكم عذابي، ويجب لكم.

﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾: فقد تردّى وهلك، وقرئ يحلّ ويحلل بالضّم، في التّوحيد: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية ما ذلك الغضب؟ فقال: هو العقاب، ثمّ قال: إنّه من زعم أنّ الله عزّوجلّ زال من شيء إلى شيء فقد وصفه صفة مخلوق، إنّ الله عزّوجلّ لا يستفزّه شيء، ولا يغيّره[1].

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام ما يقرب منه[2].

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾: عن الشّرك.

﴿وَءَامَنَ﴾: بما يجب الإيمان به.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحاً ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾: إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام، القمّي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: ألا ترى كيف إشترط ولم تنفعه التوبة، والإيمان والعمل الصّالح حتّى إهتدى، والله لو جهد أن يعمل ما قبل منه حتّى يهتدي. قيل: إلى من جعلني الله فداك؟ قال: إلينا[3].

وفي المجالس: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّه قال لعليّ عليه السلام في حديث: ولقد ضلّ من ضلّ عنك، ولن يهتدي إلى الله من لم يهتد إليك وإلى ولا يتك، وهو قول ربّي عزّوجلّ: «وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ

---

١ ـ التّوحيد: ص١٦٨، ح١، باب ٢٦، معنى رضاه عزّوجلّ وسخطه.

٢ ـ الإحتجاج: ج٢، ص٥٥، س٦، إحتجاج أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليهما السلام في شيء مما يتعلق بالأصول والفروع.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٦١، س١٨. وفيه: «والله لو جهد أن يعمل بعمل ما قبل منه».

«وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ» يعني إلى ولايتك[١].

وفي المجمع[٢]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال: ثمّ إهتدى إلى ولايتنا أهل البيت، فوالله لو أنّ رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثمّ مات ولم يجيء بولايتنا لأكّبه الله في النّار على وجهه[٣].

وفي المناقب: عن السّجاد عليه السلام في هذه الآية «ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ» قال: إلينا أهل البيت[٤].

وفي المحاسن: عن الصّادق عليه السلام «ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ» قال: إلى ولايتنا[٥].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: وهو مستقبل البيت إنّما اُمر النّاس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثمّ يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا، وهو قول الله تعالى: «وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ» ثمّ أومأ بيده إلى صدره إلى ولايتنا[٦].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام قال: لهذه الآية تفسير يدلّ ذلك التفسير على أنّ الله لا يقبل من أحد عملاً إلّا ممّن لقاه بالوفاء منه بذلك التفسير وما اشترط فيه على المؤمنين[٧].

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: إنّكم لا تكونوا صالحين حتّى تعرفوا، ولا تعرفوا حتّى تصدّقوا، ولا تصدّقوا حتّى تسلموا أبواباً أربعة، حتّى لا يصلح أوّلها إلّا بآخرها، ضلّ أصحاب الثلاثة وتاهوا تيهاً عظيماً إنّ الله تعالى لا يقبل إلّا العمل الصّالح، ولا يقبل الله إلّا الوفاء بالشّروط والعهود، فمن وفى لله تعالى بشرطه واستعمل ما وصف في عهده نال ما عنده،

---

١ ـ الأمالي: للشيخ الصدوق: ص ٤٠٠، ح ١٣، المجلس الرابع والسبعون.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢٣، س ٣٠.

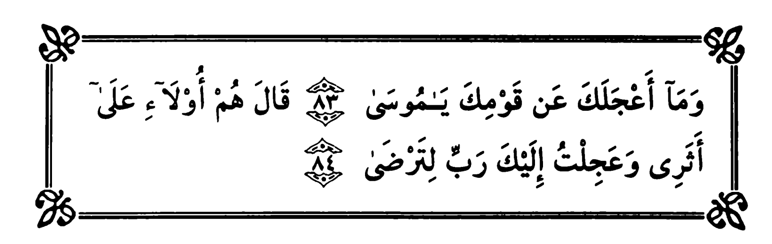
٣ ـ لم نعثر عليه في تفسير العياشي: بل جاء في مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٢، س ٢٣ نقلاً عن العيّاشي وهكذا ورد في شواهد التنزيل: ج ١، ص ٤٩١، ح ٥١٨.

٤ ـ المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤، ص ١٢٩، س ٢٠، باب إمامة أبي محمّد علي بن الحسين عليه السلام فصل في المقدمات.

٥ ـ المحاسن: ج ١، ص ٢٣٧، ح ٣٥/٤٣٠، باب ١٠ ـ الولاية.

٦ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣، ح ٣، باب إن الواجب على النّاس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام فيسألونه عن معالم دينهم ويعلمونهم ولا يتهم ومودتهم له.

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٢٨، ح ٦٢.



واستكمل وعده، إنّ الله تعالى أخبر العباد بطرق الهدى، وشرع لهم فيها المنار وأخبرهم كيف يسلكون فقال: «وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ» وقال: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ»(١) فمن اتقى الله فيما أمره لقى الله مؤمناً بما جاء به محمّد ﷺ هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنّوا أنّهم آمنوا وأشركوا من حيث لا يعلمون، إنّه من أتى البيوت من أبوابها إهتدى، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى، وصل الله طاعة وليّ أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الإقرار بما نزل من عند الله تعالى(٢).

أقول: أشار بالأبواب الأربعة: إلى التوبة عن الشرك، والإيمان بالوحدانية، والعمل الصّالح، والإهتداء إلى الحجج عليهم السّلم، كما يتبيّن فيما بعد، وأصحاب الثلاثة: إشارة إلى من لم يهتد إلى الحجج، والشروط، والعهود كناية عن الأمُور الأربعة المذكورة إذ هي شروط للمغفرة وعهود وقوله: «فمن إتّقى الله» أي من الشرك في أمره.

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ * قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾: ما تقدّمتهم إلّا بخطي يسيرة لا يعتدّ بها عادة.

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾: فإنّ المسارعة إلى إمتثال أمرك، والوفاء بعهدك توجب مرضاتك، في المصباح الشريعة: عن الصّادق عليه السلام قال: المشتاق لا يشتهي طعاماً، ولا يلتذ شراباً، ولا يستطيب رقاداً، ولا يأنس حميماً، ولا يأوى داراً، ولا يسكن عمراناً، ولا يلبس لباساً، ولا يقرّ قراراً، ويعبد الله ليلاً ونهاراً، راجياً بأن يصل إلى ما يشتاق إليه ويناجيه

---

١ ـ المائدة: ٢٧.

٢ ـ الكافي: ج١، ص١٨١ ـ ١٨٢، ح٦، باب معرفة الإمام والرد إليه.

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَـٰنَ أَسِفاً قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِـلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾

بلسان شوقه معبّراً عمّا في سريرته كما أخبر الله عن موسى بن عمران عليه السلام في ميعاد ربّه بقوله: «وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ» وفسّر النبيّ صلى الله عليه وآله عن حاله أنّه ما أكل ولا شرب ولا نـام ولا إشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى ربّه[1].

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ﴾: إ بتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم.

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾: بإتخّاذ العجل، والدّعاء إلى عبادته.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: بعد ما استوفى الأربعين وأخذ التوراة.

﴿غَضْبَـٰنَ﴾: عليهم.

﴿أَسِفاً﴾: حزيناً بما فعلوه.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً﴾: بأن يعطيكم التوراة فيها هُدىً ونورٌ.

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾: أي الزّمان زمان مفارقته لهم.

﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾: يجب عليكم.

﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: بعبادة ما هو مثل في الغباوة.

﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾: وعدكم إيّاي بالثبات[2] على الإيمان بالله، والهدى والقـيام على ما أمرتكم به.

---

١ ـ مصباح الشريعة: ص١٩٦، باب الرابع والتسعون في الشوق.

٢ ـ وفي نسخة: [بالثبوت].

قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَىٰ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً ﴿٨٩﴾

﴿قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾: بأن ملكنا أمرنا أي لو خلّينا وأمرنا ولم يسوّل لنا السّامري لما أخلفنا، وهو مثلّثاً مصدر ملكت الشّيء وقرئ بالفتح وبالضمّ.

﴿وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾: أحمالاً من حليّ القبط الّتي إستعرناها منهم أو ألقاها البحر على السّاحل بعد إغراقهم، وقرئ حملنا بالفتح والتخفيف.

﴿فَقَذَفْنَـٰهَا﴾: أي في النّار.

﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَىٰ ٱلسَّامِرِيُّ﴾: أي ما كان معه منها.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً﴾: من تلك الحليّ المذابة.

﴿لَّهُ خُوَارٌ﴾: صوت العجل.

﴿فَقَالُواْ﴾: يعني السامريّ ومن افتتن به أوّل ما رآه.

﴿هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾: قيل: فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطّور أو فنسي السّامريّ أي ترك ما كان عليه من إظهار الإيمان[١].

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾: أفلا يعلمون.

﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾: أنّه لا يرجع إليه كلاماً، ولا يردّ عليهم جواباً.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٥٨، س ١١.

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾

﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾: من قبل رجوع موسى.

﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ﴾: بالعجل.

﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾: لا غير.

﴿فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي﴾: في الثّبات على الدّين.

﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ﴾: على العجل وعبادته.

﴿عَـٰكِفِينَ﴾: مقيمين.

﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾: القمّي: فهمّوا بهارون فهرب منهم، وبقوا في ذلك حتّى تمّ ميقات موسى أربعين ليلة، فلمّا كان يوم عشرة من ذي الحجّة أنزل الله تعالى عليه الألواح فيها التوراة، وما يحتاج إليه من أحكام السير والقصص، فأوحى الله إلى موسى: «فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ» وعبدوا العجل، وله خوار فقال: يا ربّ العجل من السّامريّ فالخوار ممّن؟ فقال: منّي يا موسى إنّي لمّا رأيتهم قد ولّوا عنّي إلى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة فرجع موسى إلى قومه كما حكى الله[1].

﴿قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ﴾: أي قال له موسى لمّا رجع.

﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾: بعبادة العجل.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٢، س ١٤.

أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾

﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾: أي في الغضب لله ومقاتلة من كفر به، أو تأتي عقبى وتلحقني و«لا» مزيدة كما في قوله «مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ»[1].

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾: بالصّلابة في الدّين والمحاماة عليه.

القمّي: ثمّ رمى بالألواح وأخذ بلحية أخيه ورأسه يجرّ إليه، فقال: «مَا مَنَعَكَ»[2].

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾: خصّ الأمّ إستعطافاً وترقيقاً.

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: لو قاتلت بعضهم ببعض أو فارقت.

﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾: حين قلت أخلفني في قومي وأصلح فإنّ الإصلاح كان في حفظ الدّماء والمداراة بينهم إلى أن ترجع إليهم فتدارك الأمر برأيك.

في العلل: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل لم أخذ برأسه يجرّه إليه وبلحيته ولم يكن له في إتخاذهم العجل وعبادتهم له ذنب؟ فقال: إنّما فعل ذلك لأنّه لم يفارقهم لمّا فعلوا ذلك، ولم يلحق بموسى، وكان إذا فارقهم ينزل بهم العذاب ألا ترى أنّه قال لهارون: «مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى» قال هارون: لو فعلت ذلك لتفرّقوا[3].

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ﴾: ثمّ أقبل عليه وقال له منكر: ما طلبك له، وما الذي حملك عليه؟

---

١ ـ الأعراف: ١٢. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٣، س ١.

٣ ـ علل الشرائع: ص ٦٨، ح ١، باب ٥٨ ـ العلة التي من أجلها قال هارون لموسى عليهما السلام «يابن أُم...».

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفاً ﴿٩٧﴾

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ﴾: علمت ما لم يعلموا وفطنت مالم يفطنوا له، وهو أنّ الرّسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس أثره شيئاً إلّا أحياه، وقرئ لم تبصروا على الخطاب.

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾: القمّي: يعني من تحت حافر رمكة[1] جبرئيل في البحر[2].

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: يعني أمسكتها فنبذتها في جوف العجل وقد مضت هذه القصّة في سورة البقرة[3] ثمّ في سورة الأعراف[4].

﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾: أي زيّنت، القمّي: فأخرج موسى العجل فأحرقه بالنّار وألقاه في البحر[5].

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾: عقوبة على ما فعلت.

﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾: خوفاً أن يمسّك أحد فيأخذك الحمى ومن مسّك فتحامى النّاس ويحاموك وتكون طريداً وحيداً كالوحشي النافر.

القمّي: يعني ما دمت حيّاً، وعقبك هذه العلامة فيكم قائمة أن تقول لا مساس حتّى

---

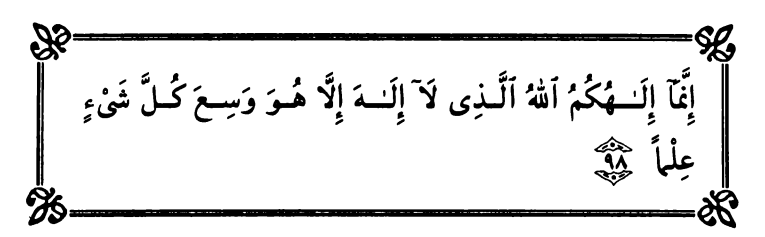
١ ـ الرَمَكُ والرَمَكَة ـ بالتحريك فيهما ـ: الأنثى من البراذين. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٦٩، مادة «رمك».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٣، س ٩.

٣ ـ البقرة: ذيل الآية ٥٣ و ٩٢.

٤ ـ الأعراف: ذيل الآيات ١٠٢ ـ ١٥٥.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٣، س ١٠.



تعرفوا أنّكم سامريّة، فلا يغتر بكم النّاس فهم إلى السّاعة بمصر والشام معروفون بـ«لا مساس»، قال: ثمّ همّ موسى بقتل السامري فأوحى الله إليه يا موسى لا تقتله فإنّه سخيّ[١].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام إنّ موسى همّ[٢] الحديث.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً﴾: في الآخرة.

﴿لَّن تُخْلَفَهُ﴾: لن يخلفكه الله وينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدّنيا، وقرئ بكسر اللّام أي لن تخلف الوعد إيّاه وسيأتيه لا محالة.

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً﴾: ظلّلت على عبادته مقيماً فحذف اللّام الأولى تخفيفاً.

﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُ﴾: أي بالنّار، وفي الجوامع: وقرئ «لنحرقنّه» وهي قراءة عليّ عليه السلام ومعناه لنبردنّه بالمبرد، قال: ويجوز أن يكون «لنحرقنّه» مبالغة في حرق إذا برد، قال: وهذه القراءة تدلّ على أنّه كان ذهباً وفضّة ولم يصر حيواناً[٣].

أقول: قد سبق أنّه برد العجل ثمّ أحرقه بالنّار فذرّه في اليمّ، وفي رواية ذرئت سحالته في الماء[٤].

﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ﴾: لنذرينّه رماداً أو مبروداً.

﴿فِى ٱلْيَمِّ نَسْفاً﴾: فلا يصادف منه شيء والمقصود زيادة العقوبة وإظهار غباوة المفتنين به.

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾: المستحقّ لعبادتكم.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٣، س ١٢.
٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢٩، س ٧.
٣ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٤٣٥، س ٨.
٤ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٤٢٥.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْراً ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلاً ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴿١٠٢﴾

﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: الّذي لا أحد يماثله أو يدانيه في كمال العلم والقدرة.

﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً﴾: وسع علمه كلّ ما يصّح أن يعلم لا العجل الّذي يصاغ ويحرق وإن كان حيّاً في نفسه كان مثلاً في الغباوة.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾: من أخبار الأُمور الماضية، والأُمم الدارجة، تبصرة لك، وزيادة في علمك، وتكثيراً لمعجزاتك، وتنبيهاً وتذكيراً للمستبصرين من أمّتك.

﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً﴾: كتاباً مشتملاً على هذه الأقاصيص والأخبار حقيقاً بالتفكّر والإعتبار.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْراً﴾: عقوبة ثقيلة فادحة على ذنوبه وكفره.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ﴾: في الوزر.

﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلاً * يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: وقرئ ننفخ بالنّون.

﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ﴾: وقرئ يحشر المجرمون.

﴿زُرْقاً﴾: قيل: يعني زرق العيون لأنّ الزّرقة أسوء ألوان العين، وأبغضها عند العرب[1].

وقيل: أي عميان فإنّ حدقة الأعمى تزراق[2].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٦٠، س ١٨.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٦٠، س ١٩. وفيه: «أي عمياً فإنّ حدقة الأعمى تزرق».

يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً ﴿١٠٤﴾ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ﴿١٠٦﴾

وقيل: عطاشا يظهر في أعينهم كالزرقة[١].

والقمّي: تكون أعينهم مزرقة لا يقدرون أن يطرفوها[٢].

﴿يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يخفظون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرّعب والهول.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً﴾: يستقصرون مدّة لبثهم في الدّنيا أو في القبر لزوالها.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾: وهو مدّة لبثهم.

﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾: أعدلهم، القمّي: أعلمهم وأصلحهم[٣].

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً * وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾: عن مآل أمرها.

﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾: يجعلها كالرّمل، ثمّ يرسل عليها الرّياح فيفرقها.

في المجمع: إنّ رجلاً من ثقيف سأل النّبيّ صلى الله عليه وآله كيف يكون الجبال مع عظمها يوم القيامة؟ فقال: إنّ الله يسوقها بأن يجعلها كالرّمال ثمّ يرسل عليها الرّياح فتفرّقها[٤].

﴿فَيَذَرُهَا﴾: فيذر مقارّها أو الأرض وإضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله: «مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآبَّةٍ»[٥].

﴿قَاعاً﴾: خالياً.

---

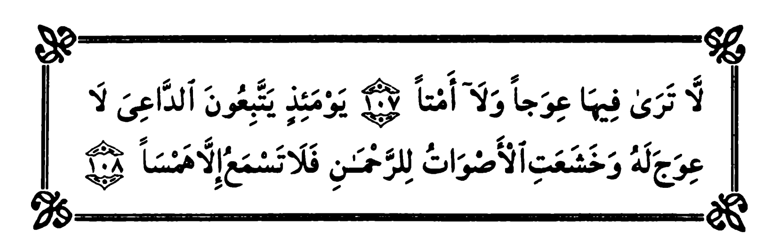
١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٩، س١٩. وفيه: «وقيل: عطاشا في مظهر عيونهم كالزرقة»، وفي جوامع الجامع: ج٢، ص ٤٣٦، «العطاش يظهر في عيونهم كالزرقة».

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٦٤، س٣.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٦٤، س٥.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٩، س٣١.

٥ ـ النحل: ٦١.



﴿صَفْصَفاً﴾: مستوياً كان أجزاؤها على صفّ واحد.

القمّي: القاع: الّذي لا تراب فيه، والصّفصف: الّذي لا نبات له[1].

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلَآ أَمْتاً﴾: إعوجاجاً ولا نتوءاً[2]، القمّي: قال: الأمت: الإرتفاع، والعوج: الحزون، والذكوات[3][4].

قيل: الأحوال الثلاثة مرتبة: فالأوّلان باعتبار الإحساس، والثالث باعتبار المقياس، ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخصّ المعاني[5].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾: داعي الله إلى المحشر، قيل: هو إسرافيل يدعو النّاس قائماً على صخرة بيت المقدّس فيقبلون من كلّ أوب إلى صوبه[6].

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾: لا يعوج مدعوّ ولا يعدل عنه.

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ﴾: وخفضت لمهابته.

﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾: صوتاً خفيّاً، القمّي: عن الباقر عليه السلام إذا كان يوم القيامة

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٦٧، س١٥.

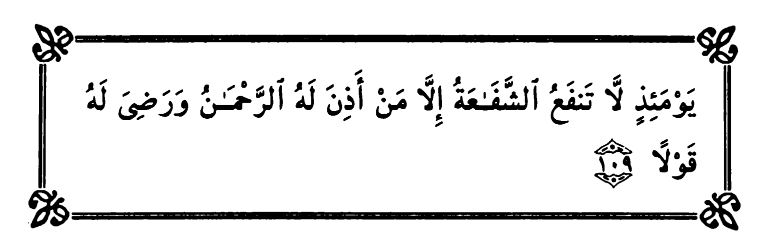
٢ ـ يقال: نتأ الشي ينتؤ بفتحتين نتوءاً: خرج من موضعه وارتفع من غير أن يبين. مجمع البحرين: ج ١، ص٤٠٦، مادة «نتا».

٣ ـ الذكوات ـ جمع ذكوة ـ: الجمرة الملتهبة من الحصى، ومنه الحديث: «قبر علي عليه السلام ذكواتٍ بيض». مجمع البحرين: ج ١، ص ١٥٩، مادة «ذكا».

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٤، س ٨.

٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٦١، س ٥، باختلاف، والعبارة غير واضحة لأنّها مقتبسة من تفسير الكشّاف: ج ٣، ص ٨٨، س ٧.

٦ ـ قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج ٢، ص٤٣٧، س ٦، وذكره أيضاً في تفسيره مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص ٣١، س ٤ مختصراً، وممّا يبدو أنّ الزمخشري اقتبس منه في تفسيره، راجع الكشّاف: ج ٣، ص ٨٨، س ٢١. كما اقتبس عن الكشّاف البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٦١، س ٨.



يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾

جمع الله عزّوجلّ النّاس في صعيد واحد، حفاة عراة، فيوقفون في المحشر حتى يعرقوا عرقاً شديداً وتشتّد أنفاسهم فيمكثون في ذلك مقدار خمسين عاماً، وهو قول الله تعالى: «وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًاً» قال: ثمّ ينادي منادٍ من تلقاء العرش أين النبي الأمّي؟ فيقول النّاس: قد أسمعت فسمّ باسمه فينادي أين نبيّ الرّحمة، أين محمّد بن عبدالله الأميّ؟ فيتقدّم رسول الله أمام النّاس كلّهم حتى ينتهي إلى حوض طوله ما بين إيلة[1] وصنعاء فيقف عليه، فينادي بصاحبكم فيتقدّم عليّ عليه‌السلام أمام النّاس فيقف معه، ثمّ يؤذن للنّاس فيمرُّون فبين وارد الحوض يومئذ وبين مصروف عنه فإذا رآى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله من يصرف عنه من محبيّنا بكى، ويقول: يا ربّ شيعة عليّ أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النّار، ومنعوا ورود الحوض، قال: قال: فيبعث الله إليه ملكاً، فيقول له: ما يبكيك يا محمّد؟ فيقول: أبكي للأناس من شيعة علي، فيقول له الملك: إنّ الله يقول لك: يا محمّد إنّ شيعة عليّ قد وهبتهم لك يا محمّد، وصفحت لهم عن ذنوبهم بحبّهم لك ولعترتك وألحقتهم بك وبمن كانوا يقولون به، وجعلناهم في زمرتك فأوردهم حوضك[2].

قال أبو جعفر عليه‌السلام: فكم من باك يومئذٍ وباكية ينادون يا محمّداه إذا رأوا ذلك، ولا يبق أحد يومئذ يتولّانا ويحبّنا ويتبرأمن عدوّناويبغضهم إلّاكانوا في حزبنا ومعنا ويرد حوضنا[3].

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾: إلّا

---

١ ـ أيلة: جبل بين مكّة والمدينة قرب ينبع، وإيلة بالكسر: قرية بين مدين والطور، أيلة ـ بالفتح والسكون ـ: بلد بين ينبع ومصر، ومنه حديث حوض رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله «عرضه ما بين صنعاء إلى أيلة». مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣١٥، مادة «أيل».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٦٤ ـ ٦٥.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٦٥، س٦.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً ﴿١١٢﴾

شفاعة من أذن له، ورضي لمكانه عند الله، أو إلّا من أذن في أن يشفع له، ورضي لأجله قول الشافع في شأنه، أو قوله لأجله وفي شأنه.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما تقدّمهم من الأحوال.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: وما بعدهم ممّا يستقبلونه، القمّي: قال: ما بين أيديهم ما مضى من أخبار الأنبياء، وما خلفهم من أخبار القائم عليه السلام[1].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾: في التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية لا يحيط الخلائق بالله عزّوجلّ علماً إذ هو تبارك وتعالى جعل على أبصار القلوب الغطاء، فلا فهم يناله بالكيف، ولا قلب يثبته بالحدّ، فلا نصفه[2] إلّا كما وصف نفسه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ»[3] «هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ»[4] «ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ»[5] خلق الأشياء فليس من الأشياء شيء مثله تبارك وتعالى[6].

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾: ذلّت وخضعت له خضوع العناة، وهم الأُسارى في يد الملك القهّار.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: بعض الطاعات.

١ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٥، س ٩.

٢ـ هكذا في الأصل، وفي نسخة: [فلا تصفه].

٣ـ الشورى: ١١.

٤ـ الحديد: ٣.

٥ـ الحشر: ٢٤.

٦ـ التّوحيد: ص ٢٦٣، قطعة من ح ٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾: منع ثواب مستحق بالوعد.

﴿وَلَا هَضْمًا﴾: ولا كسراً منه بنقصان، القمّي: عن الباقر عليه السلام ولا ينقص من عمله شيء وأمّا ظلماً يقول: لن يذهب به[1].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: كلّه على هذه الوتيرة.

﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾: مكرّرين فيه آيات الوعيد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي فيصير التّقوى لهم ملكة.

﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾: عظة وإعتباراً حين يسمعونها فيثبطّهم عنها ولهذه النّكتة أُسند التّقوى إليهم، والأحداث إلى القرآن.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾: في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين.

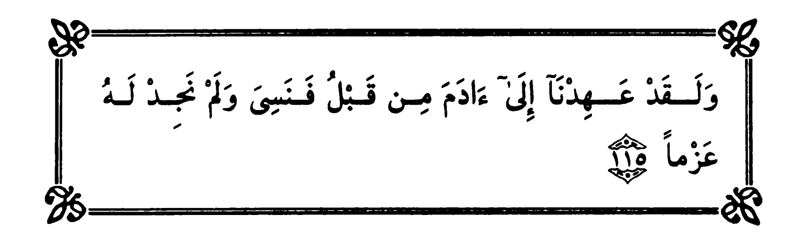
﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾: النافذ أمره ونهيه بالإستحقاق.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾: القمّي: قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه القرآن بادر بقراءته قبل تمام نزول الآية، والمعنى فأنزل الله «وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ» أي يفرغ من قراءته[2].

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾: أي سل الله زيادة العلم بدل الإستعجال فإنّ ما أوحى إليك تناله لا محالة، وفي المجمع: عن النّبي صلى الله عليه وآله قال: إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربّني

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٧، س ٣.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٥، س ١٥.



إلى الله فلا بارك الله لي في طلوع شمسه[١].

وفي الخصال: عن الصّادق عليه السلام سئل أمير المؤمنين عليه السلام من أعلم النّاس قال: من جمع علم النّاس إلى علمه[٢].

وعنه، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فضل العلم أحبّ إلى الله من فضل العبادة[٣].

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾: لقد أمرناه، يقال: تقدّم الملك إليه، وأوعز إليه، وعزم عليه، وعهد إليه: إذا أمره[٤].

﴿فَنَسِىَ﴾: العهد ولم يعن به.

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْماً﴾: تصميم رأي وثباتاً على الأمر، القمّي: قال فيما نهاه عنه من أكل الشجرة[٥].

وفي الكافي[٦]، والإكمال: عن الباقر عليه السلام إنّ الله تعالى عهد إلى آدم أن لا يقرب هذه الشجرة فلمّا بلغ الوقت الّذي كان في علم الله أن يأكل منها فنسي فأكل منها وهو قول الله تعالى: «وَلَقَدْ عَهِدْنَآ» الآية[٧].

وفي الكافي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: إنّ الله تعالى قال لآدم وزوجته: لا تقرباها يعنى لا تأكلا منها، فقالا: نعم يا ربّنا لا نقربها، ولا نأكل منها، ولم يستثنيا في قولهما «نعم» فوكلهما الله

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٢، س٨.

٢ ـ الخصال: ص٥، ح١٣، باب أعلم النّاس من جمع خصلة إلى خصله

٣ ـ الخصال: ص٤، ح٩، باب خصلة هي أفضل الدين.

٤ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٦٢، س ١٠.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٦٥، س١٦.

٦ ـ الكافي: ج٨، ص١١٣، ح٩٢، حديث آدم عليه السلام مع الشجرة.

٧ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٢١٣، ح٢، باب إتصال الوصيّة من لدن آدم عليه السلام.

في ذلك إلى أنفسهما وإلى ذكرهما[١].

وفي العلل: عن الصّادق عليه السلام سميّ الإنسان إنساناً لأنّه ينسي قال الله: «وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ»[٢].

والعيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام إنّه سأل كيف أخذ الله آدم بالنسيان؟ فقال: إنّه لم ينس وكيف ينسى وهو يذكره ويقول له إبليس: «مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ»[٣][٤].

أقول: لعلّ المنسي عزيمة النّهي بحيث لا يقبل التأويل والرّخصة، وغير المنسّي أصل النهّي، أو يقال: إنّ العهد المنسيّ الإقرار بفضيلة النّبيّ والوصيّ وذرّيتهما المعصومين عليهم السلام، ويكون النسيان هنا بمعنى التّرك كما يدلّ عليه الأخبار الأُخر.

ففي الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال في قوله تعالى: «وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ» كلمات في محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام من ذرّيتهم فنسي هكذا والله أُنزلت على محمّد صلى الله عليه وآله[٥].

وفيه[٦]، وفي العلل[٧]، والبصائر: عن الباقر عليه السلام، قال: عهد إليه في محمّد صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام من بعده فترك، ولم يكن له عزم فيهم إنّهم هكذا، وإنّما سمّوا أُولو العزم لأنّه عهد إليهم في محمّد صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده، والمهّدي وسيرته فأجمع عزمهم إنّ ذلك كذلك، والإقرار به[٨].

---

١ ـ الكافي: ج٧، ص٤٤٧ ـ ٤٤٨، ح٢، باب الإستثناء في اليمين.

٢ ـ علل الشرائع: ص١٥، ح١، باب ١١ ـ العلة التي من أجلها سمي الإنسان إنساناً.

٣ ـ الأعراف: ٢٠.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص٩ ـ ١٠، ح٩.

٥ ـ الكافي: ج١، ص٤١٦، ح٢٣، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٦ ـ الكافي: ج١، ص٤١٦، ح٢٢، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٧ ـ علل الشرائع: ص١٢٢، ح١، باب ١٠١ ـ العلّة التي من أجلها سمي أولوا العزم أولي العزم.

٨ ـ بصائر الدرجات: ص٩٠، ح١، باب ٧ ـ ما خص الله به الأئمّة من آل محمّد عليهم السلام من ولاية أولي العزم لهم في الميثاق وغيره.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾

وفي العلل: عنه عليه السلام في حديث قال: وأخذ الميثاق على أُولي العزم إنّني ربّكم، ومحمّد رسولي، وعليّ أمير المؤمنين، وأوصيائه من بعده ولاة أمري وخزّان علمي، وأنّ المهديّ عليه السلام أنتصر به لديني وأظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي وأُعبد به طوعاً وكرهاً، قالوا: أقررنا يا ربّ وشهدنا ولم يجحد آدم، ولم يقرّ فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي عليه السلام ولم يكن لآدم عزم على الإقرار به، وهو قوله تعالى «وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْماً» قال: إنّما هو: فترك[1].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾: قد سبق الكلام فيه.

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾: قيل: أفرده بإسناد الشقاء إليه بعد إشتراكهما في الخروج إكتفاء بإستلزام شقائه شقائها من حيث أنّه قيّم عليها، أو محافظة على الفواصل، أو لأنّ المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرّجال، ويؤيّده ما بعده[2].

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ *

---

١ ـ لم نعثر عليه في العلل. والظاهر أنّه سهو من قلمه الشريف أو من النسّاخ، والنص موجود في الكافي: ج ٢، ص ٨، ح ١، باب آخر منه. نعم ما يقرب منه موجود في العلل: ص ١٢٢، ح ١، باب ١٠١ ـ العلّة التي من أجلها سمّي أُولوا العزم أولي العزم.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٦٢، س ٢٢.

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فأنهى إليه وسوسته.

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾: الشجرة الّتي من أكل منها خلد ولم يمت أصلاً.

﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾: لا يزول ولا يضعف.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: أخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستّر.

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾: بالأكل من الشجّرة.

﴿فَغَوَىٰ﴾: فضلّ عن المطلوب، وخاب حيث طلب الخلد بأكلها.

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: إصطفاه وقرّبه بالحمل على التّوبة والتّوفيق له.

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: فقبل توبته لمّا تاب.

﴿وَهَدَىٰ﴾: إلى الثبات على التّوبة والتشبّث بأسباب العصمة.

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: الخطاب لآدم وحوّاء، أو له

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾

ولإبليس، ولمّا كانا أصلي الذريّة خاطبهما مخاطبتهم[١].

وقد مضى تمام هذه القصّة وتفسير هذه الآيات في سورة البقرة[٢].

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدىً﴾: كتاب ورسول.

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ﴾: في الدّنيا.

﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾: في الآخرة، في الكافي: مضمراً أنّه سأل عن هذه الآية فقال: من قال بالأئمّة، واتبع أمرهم، ولم يجز طاعتهم[٣].

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾: ضيّقاً.

﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَٰلِكَ﴾: أي مثل ذلك فعلت ثمّ فسّره.

﴿أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا﴾: واضحة نيّرة.

﴿فَنَسِيتَهَا﴾: فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثل تركك إيّاها.

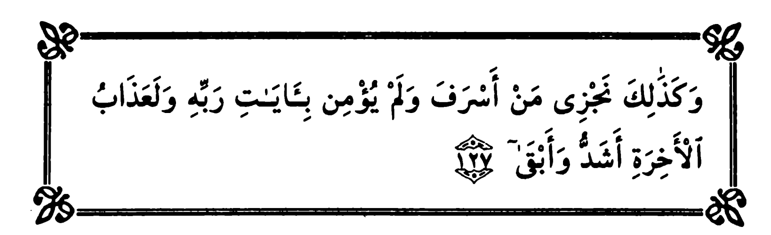
﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾: تترك في العمى والعذاب، القمّي: عن الصّادق عليه السلام «فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً» قال: هي والله للنصّاب. قيل له: رأيناهم في دهرهم الأطول في الكفاية حتّى ماتوا،

---

١ ـ أي: لمّا كان آدم وحواء أصلاً للبشر جعلا كأنّهما البشر فخوطبا مخاطبتهم. راجع تفسير جوامع الجامع للطبرسي: ج ٢، ص ٤٤٠، س ١٦.

٢ ـ ذيل الآيات: ٣٦ و ٣٨.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٤، ح ١٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.



قال: ذاك والله في الرّجعة يأكلون العذرة[1].

وفي الكافي: عنه عليه السلام في قوله تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى» قال: ولاية، أمير المؤمنين عليه السلام، قلت: «وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ»، قال: يعني أعمى البصر في الآخرة، أعمى القلب في الدّنيا عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وهو متحيّر في القيامة يقول: «لِمَ حَشَرْتَنِىٓ» الآية قال: الآيات: الأئمّة عليهم السلام، «فَنَسِيتَهَا»: يعني تركتها، «وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ» تترك في النّار كما تركت الأئمّة عليهم السلام فلم تطع أمرهم، ولم تسمع قولهم[2].

وفي الفقيه[3]، والمجمع[4]، والقمّي: عنه عليه السلام سأل عن رجل لم يحج قط وله مال، فقال: هو ممّن قال الله: «وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ». قيل: سبحان الله أعمى؟ فقال: أعماه الله عن طريق الخير[5].

والقمّي: عن طريق الجنّة[6].

وفي الكافي: ما يقرب منه[7].

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾: في الكافي: عن

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٥، س ٢٠.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣٥، ح ٩٢، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية. وفيه: «قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا»، قال: الآيات: الأئمّة.

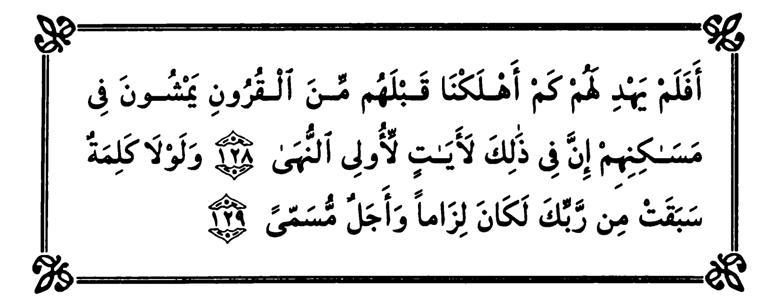
٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٧٣، ح ١٣٣٢/٢، باب ١٧ ـ تسويف الحج.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٤، س ٢٣. وفيه: «أعماه الله عن طريق الحق».

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٦، س ٨، والنص للفقيه، وفي القمّي: «في طريق الجنّة».

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٦، س ٨.

٧ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٦٩، ح ٦، باب من سوف الحج وهو مستطيع.



الصّادق عليه السلام يعني من أشرك بولاية أمير المؤمنين عليه السلام غيره «وَلَمْ يُؤْمِن بِـَٔايَـٰتِ رَبِّـهِ» تـرك الأئمّة معاندة فلم يتبّع آثارهم ولم يتولهم[1].

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾: من ضنك العيش، ومن العمى.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾: القمّي: يقول يبيّن لهم[2].

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾: أهلكنا إيّاهم.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَـٰكِنِهِمْ﴾: ويشاهدون آثار هلاكهم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾: لذوي العقول النّاهية عن التغافل والتّعامي.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: وهي العدة بـتأخير عـذاب هـذه الأمّـة إلى الآخرة.

﴿لَكَانَ لِزَاماً﴾: لكان مثل ما نزل بعادٍ وثمود لازماً لهذه الكفرة.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: عطف على «كلمة» أي: ولولا العدة بـتأخير العـذاب وأجـل مسمّى لأعمارهم أو لعذابهم لكان العذاب لزاماً، والفصل للدّلالة على إستقلال كلّ منهما بنفي لزوم العذاب.

القمّي قال: اللّزام: الهلاك[3].

قال: وكان ينزل بهم العذاب ولكن قد أخّرهم إلى أجلٍ مسمّى[4].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦، ح ٩٢، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٧، س ١٤. ٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٧، س ١٤.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٦، س ١٠.

فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَٰجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾: ومن ساعاته جمع إنى بالكسر والقصر، وأناء بالفتح والمدّ.

﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾: طمعاً أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك، وقرئ بالبناء للمفعول[1] أي يرضيك ربّك.

في الخصال: عن الصّادق عليه السلام سئل عن هذه الآية فقال: فريضة على كلّ مسلم أن يقول قبل طلوع الشّمس وقبل غروبها عشر مرّات لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كلّ شيءٍ قدير[2].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في قوله: «وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ» قال: يعني تطوّع بالنّهار[3].

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: أي نظرهما.

﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾: إستحساناً له، وتمنّياً أن يكون لك مثله.

﴿أَزْوَٰجاً مِّنْهُمْ﴾: أصنافاً من الكفرة.

﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: زينتها وبهجتها.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنبلوهم ونختبرهم فيه، أو لنعذّبهم في الآخرة بسببه.

---

١ ـ وفي نسخة: [بالبناء على المفعول].

٢ ـ الخصال: ص٤٥٢، ح٥٨، باب ما فرض على كل مسلم أن يقوله كل يوم قبل طلوع الشّمس عشر مرات وقبل غروبها عشر مرات.

٣ ـ الكافي: ج٣، ص٤٤٤، ح١١، باب صلاة النوافل.

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْئَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾: أي الهدى، والنبوّة فإنّه لا ينقطع، القمّي: عن الصّادق عليه السلام لمّا نزلت هذه الآية أستوى رسول الله جالساً، ثمّ قال: من لم يتعزّ بعزاء الله تقطّعت نفسه على الدّنيا حسرات، ومن أتبع بصره ما في أيدي النّاس طال همّه ولم يشف غيظه، ومن لم يعرف أن لله عليه نعمة لا في مطعم ولا في مشرب قصر أجله ودنا عذابه[١].

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: إيّاك وأن تطمح نفسك إلى من فوقك، وكفى بما قال الله عزّ وجلّ لرسول الله صلى الله عليه وآله: «فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ»[٢] وقال: «لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ» الآية[٣].

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾: وداوم عليها.

﴿لَا نَسْئَلُكَ رِزْقاً﴾: أن ترزق نفسك، ولا أهلك[٤].

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾: وإيّاهم ففرّغ بالك للآخرة.

﴿وَالْعَـٰقِبَةُ﴾: المحمودة.

﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾: لذي التقوى، في العوالي[٥]، والمجمع: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية، قال: أمر الله نبيّه أن يخصّ أهل بيته وأهله دون النّاس ليعلم النّاس، أنّ لأهله عند الله منزلة ليست لغيرهم فأمرهم مع النّاس عامّة ثم أمرهم خاصّة[٦].

وفي العيون: عن الرّضا عليه السلام في هذه الآية، قال: خصّنا الله بهذه الخصوصية إذ أمرنا مع الأُمّة بإقامة الصّلاة، ثمّ خصّنا من دون الأُمّة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء إلى باب علي وفاطمة عليهما السلام بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر في كلّ يوم عند حضور كلّ صلاة خمس مرّات

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٦٦، س١٣. وفيه: «ومن لم يعرف أنّ لله عليه نعمة إلّا في مطعم أو في مشرب قصر أجله ودنا عذابه».

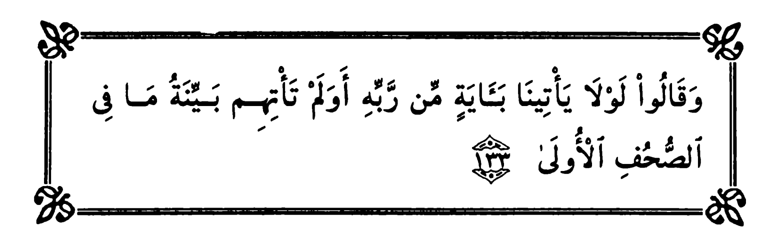
٢ ـ التوبة: ٥٥.

٣ ـ الكافي: ج٨، ص١٦٨، ح١٨٩.

٤ ـ أي لا نسألك أن ترزق نفسك وأهلك

٥ ـ عوالي اللئالي: ج٢، ص٢٢، ح٤٩.

٦ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٧، س٩.



فيقول: الصّلاة يرحمكم[1] الله، وما أكرم الله أحداً من ذراري الأنبياء عليهم السلام بمثل هذه الكرامة الّتي أكرمنا بها وخصّنا من دون جميع أهل بيتهم[2]. وزاد القمّي مرسلاً[3].

وفي المجمع: عن الخدري بعد قوله: يرحمكم الله «إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»[4][5].

القمّي: فلم يزل يفعل ذلك كلّ يوم إذا شهد المدينة حتّى فارق الدنيا[6].

وفي نهج البلاغة: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نَصِباً[7] بالصّلاة بعد التّبشير له بالجنّة، لقول الله سبحانه: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا» فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأمر بها ويصبر عليها نفسه[8]. وفي الكافي: مثله[9].

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾: تدلّ على صدقه في إدّعاء النّبوة.

﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾: من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السّماوية، فإنّ إشتمال القرآن على زبدة ما فيها من العقائد والأحكام الكلّية مع أنّ الآتي بها، لم

---

١ ـ وفي نسخة: [رحمكم الله] كما في المصدر.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٤٠، ح١٢، باب ـ ٢٣ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمة.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٦٧، س١١. وإليك نص الزيادة «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء كلّ يوم عند صلاة الفجر حتّى يأتي باب علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ويقول: الصلاة يرحمكم الله «إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» فلم يزل يفعل ذلك كلّ يوم إذا شهد المدينة حتّى فارق الدنيا. وقال أبو الحمراء خادم النبي صلى الله عليه وآله: أنا أشهد به يفعل ذلك.

٤ ـ الأحزاب: ٣٣.

٥ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٧، س٨.

٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٦٧.

٧ ـ نَصَبَ ـ كفرَحَ ـ: تعب وأعيي، ونصبه: أتعبه. مجمع البحرين: ج٢، ص١٧٤، مادة «نصب».

٨ ـ نهج البلاغة: ص٣١٧، الخطبة ١٩٩.

٩ ـ الكافي: ج٥، ص٣٦ ـ ٣٧، ح١، باب ما كان يوصي أمير المؤمنين عليه السلام به عند القتال.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

يرها ولم يتعلّم ممّن علّمها إعجاز بيّن.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾: من قبل محمّد صلى الله عليه وآله.

﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾: بالقتل والسّبي في الدّنيا.

﴿وَنَخْزَىٰ﴾: بدخول النّار في الآخرة.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾: منتظر لما يؤول أمره.

﴿فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾: الوسط.

﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: من الضّلالة، في كشف المحجّة: عن أمير المؤمنين عليه السلام: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. في حديث، قيل: ومن الوليّ يا رسول الله؟ قال: وليّكم في هذا الزمان أنا، ومن بعدي وصيّي، ومن بعد وصيّي لكلّ زمان حجج الله لكيلا تقولون: كما قال الضّلال من قبلكم فارقهم نبيّهم «رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ» الآية وإنّما كان تمام ضلالتهم جهالتهم بالآيات وهم الأوصياء فأجابهم الله «قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ» الآية وإنّما كان تربّصهم أن قالوا: نحن في سعة من معرفة الأوصياء حتّى يعلن إمام علمه[1].

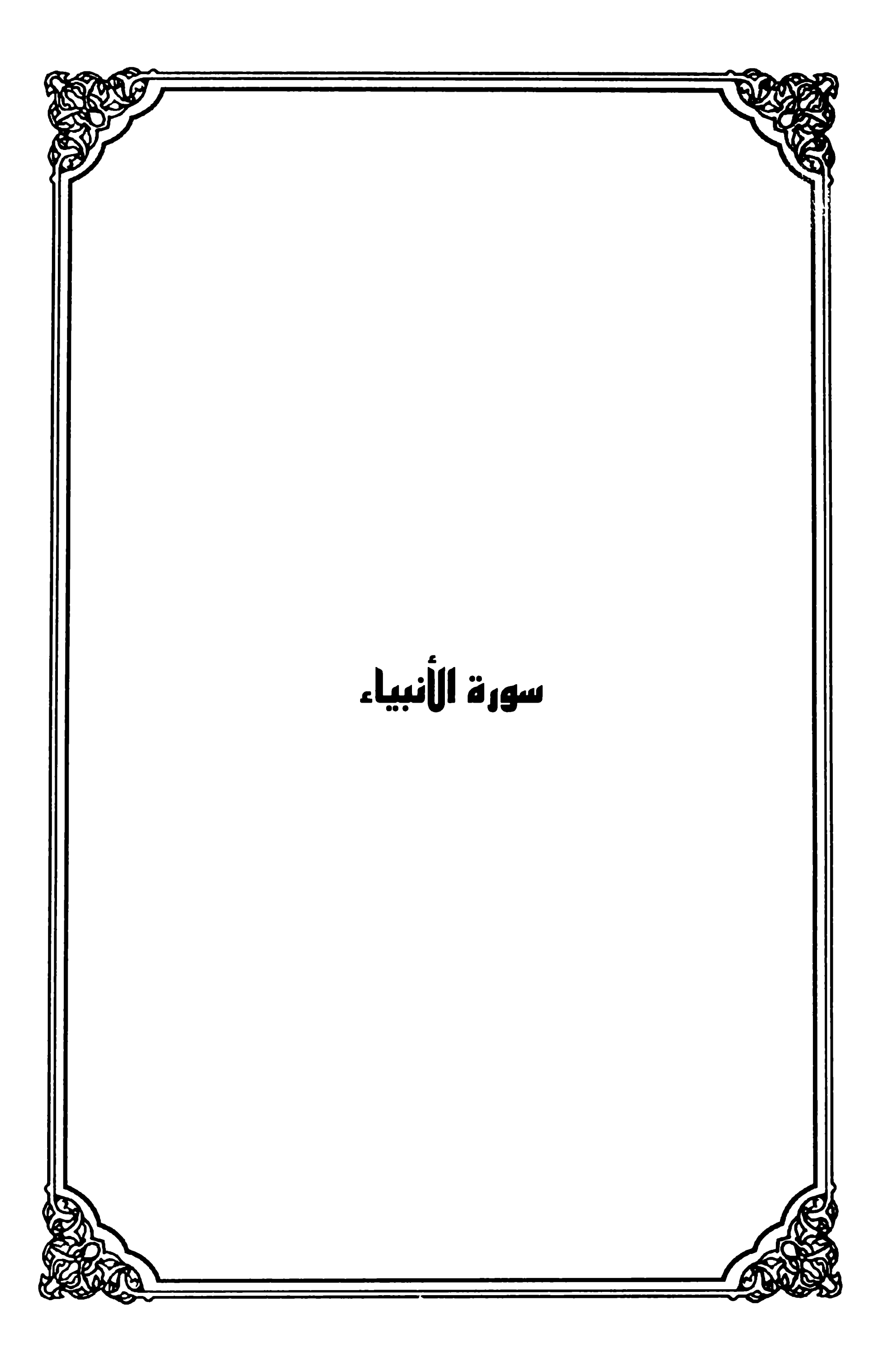
في ثواب الأعمال[2]، والمجمع: عن الصّادق عليه السلام قال: لا تدعوا قراءة سورة طه فإنّ الله يحبّها، ويحبّ من قرأها، ومن أدمن قراءتها أعطاه الله يوم القيامة كتابه بيمينه، ولم يحاسبه بما عمل في الإسلام، وأُعطي في الآخرة من الأجر حتّى يرضى[3].

---

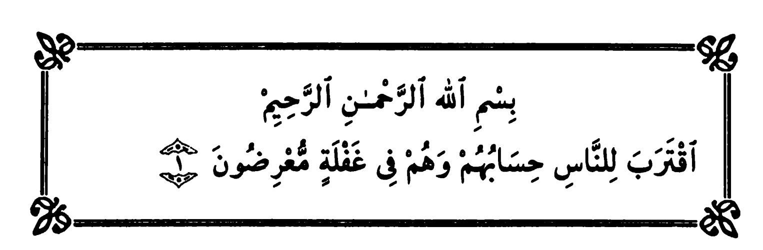
١ ـ كشف المحجة: ص ١٩٠.

٢ ـ ثواب الأعمال: ص١٠٨، ثواب قراءة سورة طه.

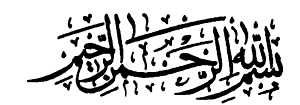
٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١، س١٣.



سورة الأنبياء



سورة الأنبياء: مكيّة كُلّها وهي مائة واثنتا عشرة آية كوفي، وإحدى عشرة آية في الباقين فاختلافها آية واحدة وهي: «مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ»[1].



﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾: القمّي: قربت القيامة، والسّاعة، والحساب[2].

وفي المجمع: وإنّما وصف بالقرب لأنّ أحد أشراط السّاعة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله فقد قال: بعثت أنا والسّاعة كهاتين[3].

وفي الجوامع: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ الدّنيا ولّت حذاء[4]، ولم يبق منها إلّا صبابة[5] كصبابة الإناء[6].

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾: في غفلة من الحساب معرضون عن التفكّر فيه.

---

١ ـ الأنبياء: ٦٦.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٧، س ١٩.
٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٩، س ٣.
٤ ـ الحذّاء: السريعة الماضية التي لم يتعلّق بها شيء. القاموس المحيط: ج ١، س ٣٥٢، مادة «حذذ»، أي: ولّت الدنيا بسرعة.
٥ ـ الصبابة ـ بالضم ـ: بقيّة الماء في الإناء، وإن شئت قلت: البقيّة اليسيرة من الشراب يبق في الإناء. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٩٦، مادة «صبب».
٦ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٢، س ٣.

مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾: ينبّههم عن سنة الغفلة والجهالة.

﴿مُّحْدَثٍ﴾: ليكرر على أسماعهم التّنبيه كي يتعظوا.

﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يستهزؤون ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكّر في العواقب.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾: القمّي: قال: من التلهي[1].

﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾: بالغوا في إخفائها أو جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: بدل من «واو» أسرّوا، للإيماء بأنّهم ظالمون فيما أسرّوا به.

﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: قيل: كأنّهم إستدلّوا بكونه بشراً على كذبه في إدّعاء الرّسالة لإعتقادهم أنّ الرّسول لا يكون إلّا ملكاً واستلزموا منه أنّ ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فأنكروا حضوره وإنّما أسرّوا به تشاوراً في إستنباط ما يهدم أمره ويظهر فساده للنّاس عامّة[2].

﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: جهراً كان أو سرّاً، وقرئ «قال» بالإخبار عن الرّسول.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٧، س ٢٠.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٦٧، س ٣.

بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: فلا يخفى عليه ما يسرّون ولا ما يضمرون.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾: إضراب لهم من قولهم: وهو سحر إلى أنّه تخاليط الأحلام، ثمّ إلى أنّه كلام إفتراه، ثمّ إلى أنّه قول شاعر.

﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾: مثل اليد البيضاء، والعصا، وإبراء الأكمه، وإحياء الموتى.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾: من أهل قرية.

﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: باقتراح الآيات لمّا جاءتهم.

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: وهم أعتى منهم، القمّي: قال: كيف يؤمنون، ولم يؤمن من كان قبلهم بالآيات حتّى هلكوا(١).

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: وقرئ نوحي بالنّون.

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: قيل: هو جواب لقولهم: «هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ»(٢)(٣).

في الكافي: عن الباقر عليه السلام قيل: له إنّ من عندنا يزعمون، أنّ قول الله عزّوجلّ: «فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ» إنّهم اليهود والنّصارى، قال: إذن يدعونكم إلى دينهم، ثمّ قال: وأومأ بيده إلى

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٦٨، س٥. ٢ ـ الأنبياء: ٣.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٦٧، س٢١.

وَمَا جَعَلْنَـٰهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَـٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾

صدره، نحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون[1].

وقد سبق هذا الحديث مع أخبار أُخر في هذا المعنى في سورة النّحل مع بيان[2].

﴿وَمَا جَعَلْنَـٰهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَـٰلِدِينَ﴾: نفي لما إعتقدوه أنّ الرسالة من خواصّ الملك.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾: أي في الوعد.

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾: يعني المؤمنين بهم ومن في إبقائه حكمة كمن سيؤمن هو أو واحد من ذريّته.

﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: في الكفر والمعاصي.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾: يا قريش.

﴿كِتَـٰباً﴾: يعني القرآن.

﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: وصيّتكم أو موعظتكم.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتؤمنون.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾: بعد إهلاك أهلها.

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٢١١، ح ٧، باب أن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام.

٢ ـ ذيل الآية: ٤٣.

فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَـٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰـهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيداً خَـٰمِدِينَ ﴿١٥﴾

﴿قَوْماً ءَاخَرِينَ﴾: مكانهم.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾: فلمّا أدركوا شدّة عذابنا إدراك المشاهد المحسوس.

﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾: يهربون مسرعين.

﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾: على إرادة القول، أي قيل لهم إستهزاءاً[1].

﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾: من التنعّم والتلذّذ، والإتراف: إبطار النّعمة.

﴿وَمَسَـٰكِنِكُمْ﴾: الّتي كانت لكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ * قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ * فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰـهُمْ﴾: فمازالوا يردّدون ذلك وإنّما سمّاه دعوى لأنّ المُوَلْوِلْ كأنّه يدعو الويل، ويقول: يا يا ويل تعال فهذا أوانك.

﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيداً﴾: وهو النّبت المحصود.

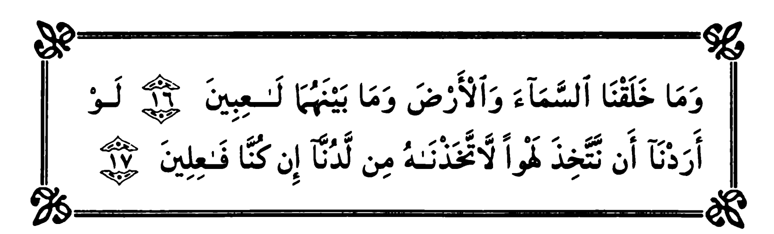
﴿خَـٰمِدِينَ﴾: ميّتين، من خمدت النار، قيل: نزلت في أهل اليمن كذّبوا نبيّهم حنظلة وقتلوه فسلّط الله عليهم بخت نصّر حتّى أهلكهم بالسيف[2] ومعنى لعلّكم تسألون: أي تسألون شيئاً من دنياكم فإنّكم أهل ثروة ونعمة وهو إستهزاء بهم.

وفي الكافي: عن السّجاد عليه السلام لقد أسمعكم الله في كتابه ما فعل بالقوم الظّالمين من أهل القرى قبلكم حيث قال: «وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً» وإنّما عنى بالقرية أهلها حيث

---

١ ـ راجع أنوار التنزيل: ج ٢، ص٦٨، س ١٤.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤١، س٣١.



يقول: «وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ» فقال عزّوجلّ: «فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ» يعني يهربون قال: فلمّا أتاهم العذاب «قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ»[١] قال: وأيم الله إنّ هذه عظة لكم وتخويف ان اتعظتم وخفتم[٢].

وعن الباقر عليه السلام: قال: إذا قام القائم وبعث إلى بني اُميّة بالشّام هربوا إلى الرّوم فيقول لهم الروم: لا ندخلنكم حتّى تتنصروا فيعلّقون في أعناقهم الصّلبان فيدخلونهم، فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم عليه السلام طلبوا الأمان والصّلح، فيقول أصحاب القائم عليه السلام: لا نفعل حتّى تدفعوا إلينا من قبلكم منّا، قال: فيدفعونهم إليهم فذلك قوله: «لَا تَرْكُضُواْ» إلى قوله: «لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ» قال: يسألهم الكنوز وهو أعلم بها، قال: فيقولون «يَـٰوَيْلَنَآ» إلى قوله: «خَـٰمِدِينَ» أي بالسّيف، وهو سعيد بن عبدالملك الأموي صاحب نهر السعيد بالرّحبة[٣].

والقمّي: ما يقرب منه، قال: وهذا كلّه ممّا لفظه ماض ومعناه مستقبل[٤].

وهو ممّا ذكرناه ممّا تأويله بعد تنزيله.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ﴾: وإنّما خلقناهما تبصرة للنظّار، وتذكرة لذوي الإعتبار، وتسبيباً لما ينتظم به اُمور العباد في المعاش والمعاد، فينبغي أن يتسلّقوا بها إلى تحصيل الكمال: ولا يغترّوا بزخارفها السّريعة الزّوال.

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً﴾: ما يتلهى به ويلعب.

﴿لَّاتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾: قيل: أي من جهة قدرتنا أو من عندنا ممّا يليق بحضرتنا

---

١ ـ الأنبياء: ١١ ـ ١٤.
٢ ـ الكافي: ج٨، ص ٧٤، قطعة من ح٢٩ س ١٤.
٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ٥١ ـ ٥٢، قطعة من ح ١٥.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٦٨، س ٢٠.

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾

من الرّوحانيات لا من الأجسام(١).

﴿إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾: ذلك.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾: فيمحقه.

﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾: هالك، إضراب عن إتّخاذ اللّهو، وتنزيه لذاته سبحانه من اللّعب أي من شأننا أن نغلب الحقّ الذي من جملته الجدّ على الباطل الذي من عداده اللّهو، واستعير القذف الذي هو الرّمي البعيد المستلزم لصلابة المرميّ، والدمغ الذي هو كسر الدّماغ بحيث يشقّ غشاءه المؤدّى إلى زهوق الرّوح، تصويراً لإبطاله به ومبالغة فيه.

﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾: ممّا تصفونه ممّا لا يجوز عليه، في المحاسن: عن الصّادق عليه السلام ليس من باطل يقوم بإزاء حقّ إلّا غلب الحقّ الباطل، وذلك قول الله تعالى: «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ»(٢).

وعنه عليه السلام: ما من أحد إلّا وقد يرد عليه الحقّ حتّى يصدع قلبه، قبله أم تركه، وذلك أنّ الله يقول: في كتابه: «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ» الآية(٣).

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خلقاً وملكاً.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾: يعني الملائكة.

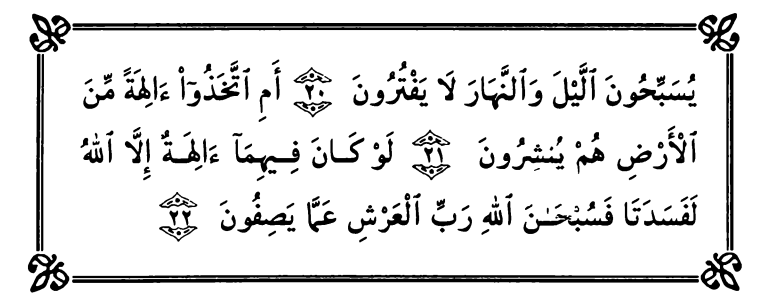
﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: ولا يعيون منها.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٦٩، س٤.

٢ ـ المحاسن: ج١، ص٣٥٤ ـ ٣٥٥، ح١٥٣/٧٥١، باب ١٤ ـ حقيقة الحق.

٣ ـ المحاسن: ج١، ص٤٣١، ح٣٩٧/٩٩٥، باب ٣٩ ـ البيان والتعريف ولزوم الحجة.



﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: ينزهونه، ويعظّمونه دائماً.

﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾: في العيون: عن الرّضا عليه السلام إنّ الملائكة معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بألطاف الله تعالى، قال الله فيهم: «لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»[1] وقال عزّوجلّ: «وَلَهُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ» يعني الملائكة «لَا يَسْتَكْبِرُونَ» الآية[2].

وفي الإكمال: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن الملائكة أينامون؟ فقال: ما من حيّ إلّا وهو ينام ما خلا الله وحده، والملائكة ينامون، فقيل: يقول الله عزّوجلّ: «يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ» قال: أنفاسهم تسبيح[3].

وفي رواية: ليس شيء من أطباق أجسادهم إلّا ويسبّح الله عزّوجلّ ويحمده من ناحيته بأصوات مختلفة[4].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: بل اتّخذوا، والهمزة لإنكار إتّخاذهم.

﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾: الموتى وهم وإن لم يصرّحوا به لكن لزم إدّعاؤهم لها الإلـٰهيّة فإنّ من لوازمها الإقتدار على ذلك، والمراد به تجهيلهم والتهكّم بهم.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: غير الله.

﴿لَفَسَدَتَا﴾: لبطلتا وتفطرتا، وقد وجد الصّلاح وهو بقاء العالم ووجوده، فدلّ على

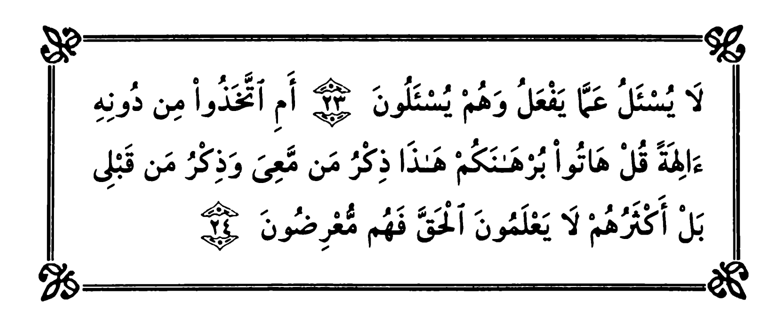
---

١ ـ التحريم: ٦.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٦٩، ح١، باب ٢٧ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام في هاروت وماروت.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٦٦٦، ح٨، باب ٥٨ ـ في نوادر الكتاب.

٤ ـ التوحيد: ص٢٨٠، ح٦، باب ٣٨ ـ ذكر عظمة الله جل جلاله.



أنّ الموجد له واحد وهو الله جلّ جلاله.

في التّوحيد: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل ما الدّليل على أنّ الله واحد؟ قال: إتّصال التدبير وتمام الصّنع كما قال عزّوجلّ: «لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا»[1].

﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾: المحيط بجميع الأجسام الّذي هو محلّ التدابير ومنشأ المقادير.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: من إتّخاذ الشريك، والصّاحبة، والولد.

﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾: لعظمته، وقوّة سلطانه، وتفردّه بالألوهيّة، والسّلطنة الذاتية.

﴿وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾: لأنّهم مملوكون مستعبدون.

في العلل: عن عليّ عليه السلام يعني بذلك خلقه أنّه يسأهم[2][3].

وفي التّوحيد: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل وكيف لا يسئل عمّا يفعل؟ فقال: لأنّه لا يفعل إلّا ما كان حكمة وصواباً، وهو المتكبّر الجبّار، والواحد القهّار، فمن وجد في نفسه حرجاً في شيء ممّا قضى كفر، ومن أنكر شيئاً من أفعاله جحد[4].

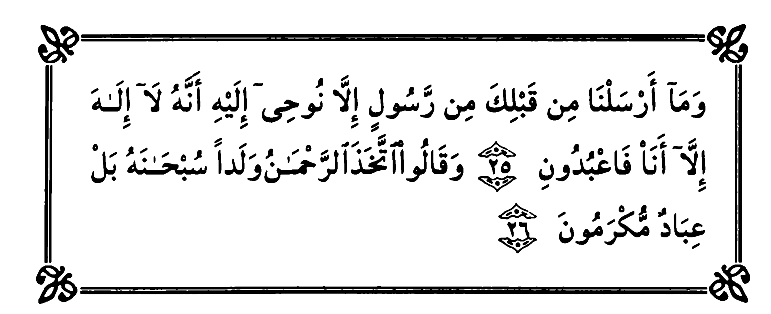
وعن الرّضا عليه السلام: قال: قال الله تعالى يا ابن آدم بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوّتي أدّيت الي فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً قويّاً، ما

١ـ التوحيد: ص ٢٥٠، ح ٢، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة. وفيه «تمام الصنع».

٢ـ وفي نسخة: [خلقه أنّهم يسألون].

٣ـ علل الشرائع: ص١٠٦، س٤ قطعة من ح ١، باب ٩٦ ـ علة الطبائع والشهوات والمحبات.

٤ـ التّوحيد: ص٣٩٧، ح١٣، باب ٦١ ـ الأطفال وعدل الله عزّوجلّ فيهم.



وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾

أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك، وذلك إنّي أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك منّي، وذلك إنّي لا أُسأل عمّا أفعل وهم يسألون[١].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾: كرّره إستعظاماً لكفرهم وإستفظاعاً لأمرهم وتبكيتاً وإظهاراً لجهلهم.

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾: على ذلك فإنّه لا يصحّ القول بما لا دليل عليه.

﴿هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾: قيل: أي من الكتُب السماويّة فانظروا هل تجدون فيها إلّا الأمر بالتّوحيد والنّهي عن الإشراك[٢].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام يعني بذكر مَن معي: ماهو كائن، وبذكر مَن قبلي: ماقد كان[٣].

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾: ولا يميّزون بينه وبين الباطل.

﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾: عن التّوحيد: واتّباع الرّسول من أجل ذلك.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ﴾: وقرئ بالنّون.

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ﴾: تأكيد وتعميم.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا﴾: قيل: نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله[٤].

والقمّي: قال: هو ما قالت النّصارى «إنّ المسيح ابن الله» وما قالت اليهود: «عزير ابن

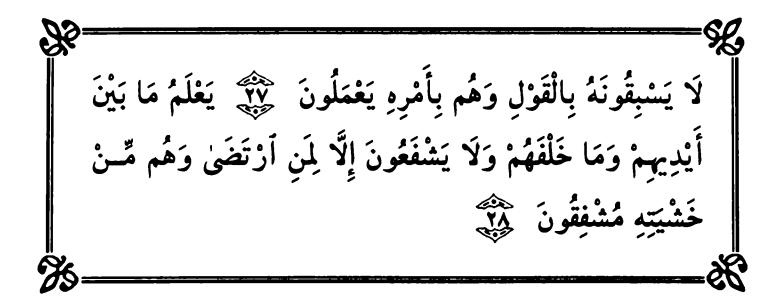
---

١ ـ التوحيد: ص٣٣٨، ذيل ح٦، باب ٥٥ ـ المشيئة والإرادة.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٧٠، س١٢.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٤، س١٨.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٧٠، س٢٠.



الله» وقالوا في الأئمة عليهم السلام ما قالوا: فقال الله سبحانه[1].

﴿سُبْحَانَهُ﴾: أنفة له.

﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾: يعني هؤلاء الّذين زعموا أنّهم ولد الله، قال[2]: وجواب هؤلاء في سورة الزّمر في قوله: «لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ»[3][4].

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾: لا يقولون شيئاً حتّى يقوله كما هو شيمة العبيد المؤدّبين.

﴿وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾: لا يعملون قطّ ما لم يأمرهم به.

في الخرائج: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه اختصم رجل وأمرأة إليه فعلا صوت الرّجل على المرأة فقال له عليّ عليه السلام: إخسأ، وكان خارجيّاً فإذا رأسه رأس الكلب، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين صِحتَ بهذا الخارجي فصار رأسه رأس الكلب فما يمنعك عن معاوية؟ فقال: ويحك لو أشاء أن آتي بمعاوية إلى ها هنا بسريره لدعوت الله حتّى فعل، ولكنّ لله خزّان لا على ذهب ولا فضّة ولكن على أسراره هذا تأويل ما تقرأ «بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ» الآية[5].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ولا يخفى عليه خافية ممّا قدّموا وأخرّوا وهو كالعلّة لما قبله والتمهيد لما بعده فإنّهم لإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراقبون أحوالهم.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٩، س ٤.

٢ ـ أي قال القمّي: وجواب هؤلاء الذين زعموا أنّهم ولد الله يأتي في سورة الزمر... إلخ.

٣ ـ الزمر: ٤. ٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٩، س ٦.

٥ ـ الخرائج والجرائح: ج ١، ص ١٧٢، ح ٣، باب ٢ ـ في معجزات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وفيه: «وكنّا لله خزّان لا على ذهب ولا فضّة ولا انكار على أسرار تدبير الله».

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾: في العيون: عن الرّضا عليه السلام إلّا لمن ارتضى الله دينه[١].

وفي الخصال: عن الصّادق عليه السلام وأصحاب الحدود فسّاق لا مؤمنون ولا كافرون، لا يخلّدون في النّار ويخرجون منها يوماً والشفاعة جائزة لهم وللمستضعفين إذا إرتضى الله دينهم[٢].

وفي التوحيد: عن الكاظم عليه السلام عن أبيه، عن آبائه، عن رسول الله صلوات الله عليه وعليهم، قال: إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي فأمّا المُحسنون منهم فما عليهم من سبيل، قيل يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر، والله تعالى ذكره يقول: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ» ومن يرتكب الكبيرة لا يكون مرتضى، فقال: ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلّا سآءه ذلك وندم عليه. وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: كفى بالنّدم توبة، وقال عليه السلام: من سرّته حسنة وساءته سيّئة فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن، ولم تجب له الشفاعة وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول: «مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ»[٣]، فقيل له: يا ابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه؟ فقال: ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أن سيعاقب عليها إلّا ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائباً مستحقّاً للشّفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصرّاً، والمصّر لا يغفر له لأنّه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم، وقد قال النبّي صلى الله عليه وآله: لا كبيرة مع الإستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار، وأمّا قول الله عزّوجلّ: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ» فإنّهم لا يشفعون إلّا لمن ارتضى الله دينه، والدين: الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذّنوب لمعرفته بعاقبته في القيامة[٤].

﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ﴾: من عظمته ومهابته.

---

١ ـ عيون أخبار الرّضا: ج١، ص١٣٦ ـ ١٣٧، ح٣٥، باب ١١ ـ ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار في التّوحيد.

٢ ـ الخصال: ص٦٠٨ ـ ٦٠٩، قطعة من ح ٩ خصال من شرائع الدين أبواب المائة فما فوقه.

٣ ـ المؤمن: ١٨.

٤ ـ التّوحيد: ص٤٠٧ ـ ٤٠٨، ح٦، باب ٦٣ ـ الأمر والنهي والوعد والوعيد.

وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَـٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُـلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾

﴿مُشْفِقُونَ﴾: مرتعدون، وأصل الخشية خوف مع تعظيم، ولذلك خصّ بها العلماء، والإشفاق: خوف مع إعتناء، فإن عدّى بـ«من» فمعنى الخوف فيه أظهر، وإن عدّى بـ«على» فبالعكس.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾: من الملائكة أو من الخلائق.

﴿إِنِّيٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾: قيل: يريد به نفي الربوبيّة، وإدّعاء نفي ذلك عن المخلوق، وتهديد المشركين بتهديد مدّعي الرّبوبيّة[1].

والقمّي: قال من زعم إنّه إمام وليس بإمام[2].

أقول: لعلّ هذا التّأويل، وذاك التّفسير.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ * أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَـفَرُوٓاْ﴾: أولم يـعلموا، وقـرئ بغير واو.

﴿أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَـٰهُمَا﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية فقال: فلعلّك تزعم إنّهما كانتا رتقاً ملتزقتان ملتصقتان ففتقت إحداهما من الأُخرى؟ فقال: نعم، فقال عليه السلام: إستغفر ربّك، فإنّ قول الله عزّوجلّ: «كَانَتَا رَتْقاً» يقول: كانت السّماء رتقاً لا تنزل المطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت الحبّ، فلمّا خلقّ الله الخلق وبثّ

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٧١، س ٧.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٩، س ٨.

فيها من كلّ دابّة فتق السّماء بالمطر والأرض بنبات الحبّ. فقال السّائل: أشهد أنّك من ولد الأنبياء وأن علمك علمهم[١].

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام ما يقرب منه[٢].

وفي الكافي: عنه إنّه سئل عنها فقال: إنّ الله تبارك وتعالى أهبط آدم إلى الأرض، وكانت السّماء رتقاً لا تمطر شيئاً، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت شيئاً، فلمّا تاب الله عزّوجلّ على آدم، أمر السّماء فتفطّرت[٣] بالغمام، ثمّ أمرها فأرخت عزاليها[٤]، ثم أمر الأرض فأنبتت الأشجار وأثمرت الثمار، وتفهّقت[٥] بالأنهار، فكان ذلك رتقها، وهذا فتقها[٦].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن ذلك، فقال: هو كما وصف نفسه، كان عرشه على الماء، والماء على الهواء، والهواء لا يحدّ، ولم يكن يومئذ خلق غيرهما، والماء يومئذ عذب فرات، فلمّا أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرّياح فضربت الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحا الأرض من تحته فقال الله تبارك وتعالى: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً»[٧]، ثم مكث الرّب تبارك وتعالى ماشاء، فلمّا أراد أن يخلق السّماء أمر الرياح فضربت البحور حتّى أزبدتها، فخرج من ذلك الموج والزّبد من وسطه دخان ساطع من غير نار فخلق منه السّماء، وجعل فيها البروج والنّجوم ومنازل الشّمس والقمر، وأجراها في الفلك، وكانت السّماء خضراء على لون الماء الأخضر، وكانت الأرض غبراء على لون الماء العذب، وكانتا مرتوقتين ليس لهما أبواب، ولم يكن للأرض أبواب، وهو النّبت، ولم تمطر السّماء عليها فتنبت ففتق السّماء بالمطر وفتق الأرض

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٩٤ ـ ٩٥، ح٦٧، حديث أهل الشام.

٢ ـ الإحتجاج: ج٢، ص٦١ ـ ٦٢، إحتجاج أبي جعفر عليه السلام على نافع مولى عمر.

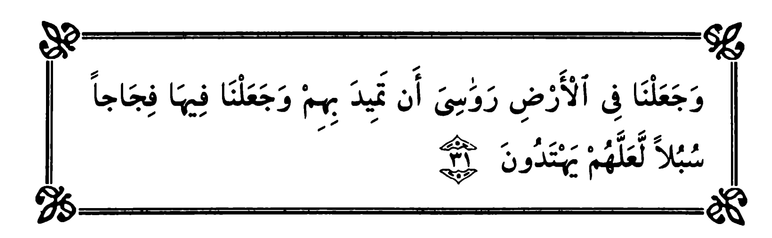
٣ ـ وفي نسخة: [فتقطرت] كما في المصدر.

٤ ـ العزالي ـ بفتح اللام وكسرها ـ: جمع العزلاء، مثل الحمراء، وهو فم المزادة فقوله: أرسلت السماء عزاليها: يريد شدة وقع المطر على التشبيه بنزوله من أفواه المزادة. مجمع البحرين: ج٥، ص٤٢٢ ـ ٤٢٣، مادة «عزل».

٥ ـ فَهِقَ الإناء ـ بالكسر ـ يفهق فَهَقاً وفَهْقاً: إذا إمتلأ حتّى يتصبّب. الصحاح: ج ٤، ص ١٥٤٥، مادة «فهق».

٦ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٢٠ ـ ١٢١، قطعة من ح٩٣.

٧ ـ آل عمران: ٩٦.



بالنبات وذلك قوله «أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ» الآية[1].

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾: وخلقنا من الماء كلّ حيوان كقوله: «وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِن مَّآءٍ»[2] لأنّه أعظم موادّه، ولفرط احتياجه إليه، وإنتفاعه به بعينه أو صيّرنا كلّ شيء حيّ بسبب من الماء لا يحيى دونه.

القمّي: قال: نسب كلّ شيء إلى الماء ولم يجعل للماء نسباً إلى غيره[3].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام مثله[4].

وعن الصّادق عليه السلام: إنّه سئل عن طعم الماء؟ فقال: طعم الماء: طعم الحياة[5].

وفي المجمع[6]، والعيّاشي[7]، وقرب الإسناد: مثله، وزاد قال الله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ»[8].

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾: مع ظهور الآيات.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾: ثابتات.

﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾: كراهة أن تميل بهم.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً﴾: مسالك واسعة.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: إلى مصالحهم.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٦٩ ـ ٧٠. ٢ ـ النور: ٤٥.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٠، س ١٠.

٤ ـ الكافي: ج ٨، ص ٩٤، س ١١، ح ٦٧، حديث أهل الشام.

٥ ـ الكافي: ج ٦، ص ٣٨١، ح ٧، باب فضل الماء. ٦ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٥، س ١٦.

٧ ـ لم نعثر عليه في تفسير العيّاشي بل نقل عنه الطبرسي في مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٥ فراجع وهكذا ورد في تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٣٩. ٨ ـ قرب الإسناد: ص ١١٦، ح ٤٠٥.

وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَـوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً﴾: عن الوقوع والزّوال والإنحلال إلى الوقت المعلوم بمشيّته كقوله تعالى: «وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»[١] وقوله: «إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا»[٢].

والقمّي: يعني من الشّياطين أي لا يسترقون السّمع[٣].

﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا﴾: أحوالها الدالة على كمال قدرته وعظمته وتناهي علمه وحكمته.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: غير متفكرين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: بيان لبعض تلك الآيات.

﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: يسرعون إسراع السّابح في الماء.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَـوْتِ﴾: القمّي: لمّا أخبر الله عزّوجلّ نبيّه صلى الله عليه وآله بما يصيب أهل بيته بعده صلوات الله عليهم، وإدّعاء من إدّعى الخلافة دونهم، إغتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله عزّوجلّ هذه الآية[٤].

وقيل: نزلت حين قالوا: «نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ ٱلْمَنُونَ»[٥][٦].

---

١ ـ الحج: ٦٥.
٢ ـ فاطر: ٤١.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٠، س ١٢.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٠، س ١٣.
٥ ـ الطور: ٣٠.
٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٧٢، س ٧.

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾

وقد سبق عند تفسير هذه الآية من سورة آل عمرآن[١] حديث في الفرق بين الموت والقتل.

﴿وَنَبْلُوكُم﴾: نعاملكم معاملة المختبرين.

﴿بِالشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾: بالبلايا والنّعم.

﴿فِتْنَةً﴾: إبتلاء.

﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾: فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصّبر والشكر.

في المجمع: عن الصّادق عليه السلام إنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرض فعاده إخوانه، فقالوا: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: بشرّ، قالوا: ما هذا كلام مثلك، قال: إنّ الله تعالى يقول: «وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً» فالخير: الصّحة، والغنى، والشرّ: المرض والفقر[٢].

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾: أي بسوء.

﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾: فهم أحقّ أن يهزء بهم.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾: كأنّه خلق منه لفرط إستعجاله، وقلّة ثباته.

القمّي: قال: لمّا أجرى الله في آدم الرُّوح من قدميه فبلغت إلى ركبتيه أراد أن يقوم فلم يقدر، فقال الله عزّوجلّ: «خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ»[٣].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام ما يقرب منه[٤].

---

١ ـ ذيل الآية: ١٨٥.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٦، س٣١.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٧١، س٥.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٤٨، س٢.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾

وفي نهج البلاغة: إيّاك والعجلة بالأمور قبل أوانها، والتّساقط فيها عند إمكانها الحديث[١].

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾: بالإتيان بها.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: يعنون النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: محذوف الجواب يعني لما استعجلوا.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾: فجأة

﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾: فتغلبهم أو تحيّرهم.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله.

﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: وعد له بأنّ ما يفعلونه يحيق بهم.

---

١ ـ نهج البلاغة: ص٤٤٤. وفيه: «التسقط فيها».

قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾: يحفظكم.

﴿بِالَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: من بأسه إن أراد بكم، وفي لفظ الرّحمن تنبيه، على أن لا كالىء غير رحمته العامّة، وإنّ إندفاعه بها مهلة.

﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾: لايخطرونه ببالهم فضلاً عن أن يخافوا بأسه.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾: بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب يتجاوز منعنا؟ أو من عذاب يكون من عندنا.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾: إستيناف بإبطال ما إعتقدوه فإنّ من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾: إضراب عمّا توّهموه ببيان ما هو الداعي إلى حفظهم، وهو الإستدراج والتمتيع بما قدّر لهم من الأعمار أو إضراب عن الدّلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك فحسبوا أنّ لا يزالوا كذلك وأنّه بسبب ما هم عليه وهذا أوفق لما بعده.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ﴾: قيل: أرض الكفرة[١].

﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾: قيل: أي بتسليط المُسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٧٣.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَٰزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

الله على أيدي المسلمين[١].

﴿أَفَهُمُ الْغَـٰلِبُونَ﴾: رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين، وفي الكافي[٢]، والمجمع: عن الصّادق عليه السلام نَنقصها، يعني بموت العلماء، قال: نقصانها ذهاب عالمها[٣] وقد مرّ بيانه في سورة الرّعد[٤].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾: بما أوحى إليّ.

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾: وضع الصّم موضع الضّمير للدّلالة على تصامّهم وعدم إنتفاعهم بما يسمعون.

وقرئ ولا تسمع الصّم على خطاب النّبيّ صلى الله عليه وآله.

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾: أدنى شيء.

﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾: من الّذي ينذرون به.

﴿لَيَقُولُنَّ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾: لدعوا على أنفسهم بالويل، وإعترفوا عليها بالظّلم.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَٰزِينَ الْقِسْطَ﴾: العدل يوزن بها الأعمال.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٧٣ ـ ٧٤.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٨، ح ٦، باب فقد العلماء.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٤٩، س ٢٦.

٤ ـ ذيل الآية ٤١.

﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾: من حقّه أو من الظّلم.

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾: وقرئ بالرّفع.

﴿مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾: أحضرناها، في الجوامع: عن الصّادق عليه السلام إنّه قرأ: «ءَاتينا» بالمدّ[1].

والقمّي: أي جازينا بها وهي ممدودة[2].

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾: إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا. في الكافي[3]، والمعاني: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال: هم الأنبياء والأوصياء[4].

وفي رواية أُخرى نحن الموازين القسط[5].

وفي التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في جواب من اشتبه عليه بعض الآيـات، وأمّـا قوله: «وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ» فهو ميزان العدل يؤخذ به الخلائق يـوم القـيامة يـدين الله تبارك وتعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين[6].

أقول: قد سبق منّا معنى كون الأنبياء والأوصياء موازين، وتحقيق مـعنى المـيزان في تفسير: «وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ»[7] من سُورة الأعراف.

وفي الكافي: عن السّجاد عليه السلام في كلامه في الوعظ والزّهد، قال: ثم رجع القول مـن الله في الكتاب على أهل المعاصي والذّنوب فقال: عزّوجلّ: «وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَـذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ» فإن قُلتم أيّها النّاس إنّ الله عزّوجلّ إنّما عنى بهذا أهل الشّرك فكيف ذلك وهو يقول: «وَنَضَعُ ٱلْمَـوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ» الآية، إعلموا عباد الله إنّ أهل

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ١٦، س ١٣.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧١، س ٨.
٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٩، ح ٣٦، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.
٤ ـ معاني الأخبار: ص ٣١ ـ ٣٢، ح ١، باب معنى الموازين التي توزن بها أعمال العباد.
٥ ـ لم نعثر عليه، والظاهر أنّه نقل بالمعنى. أُنظر بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٢٦، وفيه: «أنّ الأئمّة هم المـوازيـن القسط».
٦ ـ التّوحيد: ص ٢٦٨، ح ٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنويّة والزنادقه.
٧ ـ الأعراف: ٨.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ أَفَأَنتُمْ لَـهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾

الشّرك لا ينصب لهم الموازين ولا ينشر لهم الدواوين، وإنّما يحشرون إلى جهنّم زمراً، وإنّما نصب الموازين ونشر الدواوين لأهل الإسلام فإتّقوا الله عباد الله(١).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: أي الكتاب الجامع لكونه فارقاً بين الحقّ والباطل، وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة، وذكراً يتعّظ به المتقّون.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾: خائفون.

﴿وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾: وهذا القرآن ذكر كثير خيره.

﴿أَنزَلْنَـٰهُ﴾: على محمّد صلى الله عليه وآله.

﴿أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾: إستفهام توبيخ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾: الإهتداء لوجوه الصلاح، وأضافه إليه ليدلّ على أنّه رشيد مثله، وأنّ له لشأناً.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل موسى وهارون عليهما السلام أو محمّد صلى الله عليه وآله.

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ﴾: علمنا أنّه أهل لما آتيناه.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ﴾: تحقير

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٧٤ ـ ٧٥، ح٢٩، كلام علي بن الحسين عليهما السلام.

قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾

لشأنها وتوبيخ على إجلالها، فإنّ التّمثال صُورة لا روح فيها.

﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ﴾: فقلّدناهم.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: لعدم إستناد الفريقين إلى برهان.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ﴾: كأنّهم لإستبعادهم تضليل آبائهم ظنّوا أنّ ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا: أبجدّ تقوله أم تلعب به؟

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾: إضراب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما إدّعاه.

﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾: من المحقّقين له والمبرهنين عليه، فإنّ الشاهد من تحقّق الشيء وحفظه.

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم﴾: لأجتهدنّ في كسرها ولفظ الكيد وما في التّاء من التعجّب لصعوبة الأمر وتوقّفه على نوع من الحيل.

﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾: إلى عيدكم ولعلّه قال ذلك سرّاً.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذاً﴾: قطاعاً فقال: بمعنى مفعول كالحطام من الجذّ وهو القطع، وقرئ بالكسر.

قَالُواْ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾

﴿إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ﴾: للأصنام.

﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُواْ﴾: حين رجعوا.

﴿مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: يعيبهم.

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ * قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾: بمرأىً منهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: بفعله أو قوله.

﴿قَالُوٓاْ﴾: حين احضروه.

﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾: في العيون: عن الصّادق عليه السلام إنّما قال إبراهيم: «إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ» فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً فما نطقوا، وما كذب إبراهيم[1].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّما قال إبراهيم: «بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ» إرادة الإصلاح، ودلالة على أنّهم لا يفعلون، ثمّ قال: والله ما فعلوه وما كذب[2].

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: لم نعثر عليه في العيون، والظاهر إنّه سهو من قلمه الشريف. بل وجدناه في معاني الأخبار: ص٢٠٩ ـ ٢١٠، ح١، باب معنى قول إبراهيم: فعله كبيرهم...

٢ ـ الكافي: ج١، ص٣٤١ ـ ٣٤٢، ح١٧، باب الكذب.

فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: وراجعوا عقولهم.

﴿فَقَالُوٓاْ﴾: فقال بعضهم لبعض.

﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: بعبادة ما لا ينطق ولا يضرّ ولا ينفع لا من ظلمتموه.

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾: قيل: يعني إنقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة، شبّه عودهم إلى الباطل، بصيرورة أسفل الشّيء مستعلياً على أعلاه[١].

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾: فكيف تأمر بسؤالهم وهو على إرادة القول.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾: إنكار لعبادتهم لها بعد إعترافهم بأنّها جمادات لا تنفع ولا تضرّ فإنّه ينافي الأُلوهيّة.

﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: تضجّر منه على إصرارهم بالباطل البيّن، وأُفّ: صوت المتضجّر، ومعناه قبحاً ونتناً.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: قبح صنيعكم.

﴿قَالُواْ﴾: أخذاً في المضارّة لمّا عجزوا عن المحاجّة.

﴿حَرِّقُوهُ﴾: فإنّ النّار أهول ما يعاقب به.

﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ﴾: بالإنتقام لها.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص٧٦، س٨.

قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَـٰماً عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطاً إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾

﴿إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾: إن كنتم ناصرين لها نصراً مؤزراً.

﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَـٰماً﴾: ذات برد وسلام أي أبردي برداً غير ضارّ.

﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * وَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً﴾: مكراً في إضراره.

﴿فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾: أخسر من كلّ خاسر عاد سعيهم برهاناً قاطعاً على أنّهم على الباطل، وإبراهيم عليه السلام على الحقّ وموجباً لمزيد درجته واستحقاقهم أشدّ العذاب.

في الإحتجاج: عن الصّادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا اُلقي في النّار، قال: اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أنجيتني منها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً[١].

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطاً إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾: إلى الشّام، قيل: بركته العامّة، إنّ أكثر الأنبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم الّتي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينيّة والدنيويّة، ولكثرة النّعم فيها، والخصب الغالب[٢].

القمّي: قال: فلمّا نهاهم إبراهيم عليه السلام واحتج عليهم في عبادتهم الأصنام فلم ينتهوا فحضر عيد لهم فخرج نمرود وجميع أهل مملكته إلى عيد لهم وكره أن يخرج إبراهيم عليه السلام معه فوكّله ببيت الأصنام، فلمّا ذهبوا عمد إبراهيم عليه السلام إلى طعام فأدخله بيت أصنامهم، فكان يدنو من صنم فصنم فيقول له: كل وتكلّم، فإذا لم يجبه أخذ القدوم[٣] فكسر يده ورجله حتّى فعل

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٥٥، س ٥، إحتجاجات النبي صلى الله عليه وآله على اليهود جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٧٧، س ٣.

٣ ـ القدوم ـ كرسول ـ: الآلة التي ينحت بها النجار، مؤنثة، وعن إبن السكيت: ولا تقل قدّوم بالتشديد: وعن الزمخشري والمطرزي التشديد لغة. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٣٧، مادة «قدم».

ذلك بجميع الأصنام، ثم علّق القدوم في عنق الكبير منهم الّذي كان في الصّدر، فلمّا رجع الملك ومن معه من العيد، نظروا إلى الأصنام مكسّرة، فقالوا: «مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ» وهو ابن آزر فجاؤوا به إلى نمرود، فقال نمرود لآزر: خنتني وكتمت هذا الولد عنّي، فقال: أيّها الملك هذا عمل اُمّه وذكر إنّها تقوم بحجتّه، فدعا نمرود ام إبراهيم عليه السلام فقال لها: ما حملك على أن كتمتني أمر هذا الغلام حتّى فعل بآلهتنا ما فعل؟ فقالت: أيّها الملك نظراً منّي لرعيّتك، قال: وكيف ذلك؟ قالت: رأيتك تقتل أولاد رعيّتك فكان يذهب النسل، فقلت: إن كان هذا الّذي يطلبه دفعته إليه ليقتله ويكفّ عن قتل أولاد النّاس، وإن لم يكن ذلك فبقي لنا ولدنا، وقد ظفرت به فشأنك، فكفّ عن أولاد النّاس، وصوّب رأيها، ثم قال لإبراهيم عليه السلام: من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال إبراهيم: «فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ». فقال الصّادق عليه السلام: والله ما فعل كبيرهم وما كذب إبراهيم، فقيل فكيف ذلك؟ فقال: إنّما قال: فعله كبيرهم هذا إن نطق، وإن لم ينطق فلم يفعل كبيرهم، هذا شيئاً فإستشار نمرود قومه في إبراهيم عليه السلام فقالوا له: «حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ». فقال الصّادق عليه السلام: كان فرعون إبراهيم عليه السلام وأصحابه لغير رشدة فإنّهم قالوا: لنمرود «حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ» وكان فرعون موسى وأصحابه لرشدة، فإنّه لمّا إستشار أصحابه في موسى «قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ»[1] فحبس إبراهيم عليه السلام وجمع له الحطب حتّى إذا كان اليوم الّذي ألقى فيه نمرود إبراهيم عليه السلام في النّار، برز نمرود وجنوده، وقد كان بُني لنمرود بناء ينظر منه إلى إبراهيم عليه السلام كيف تأخذه النّار، فجاء إبليس وإتّخذ لهم المنجنيق لأنّه لم يقدر أحد أن يتقارب من النّار وكان الطّائر إذا مرّ في الهواء يحترق فوضع إبراهيم عليه السلام في المنجنيق وجاء أبوه فلطمه لطمة وقال له: إرجع عمّا أنت عليه، وأنزل الرّبّ ملائكة إلى السّماء الدّنيا ولم يبق شيء إلّا طلب إلى ربّه، وقالت الأرض: يا ربّ ليس على ظهري أحد يعبدك غيره فيحرق، وقالت الملائكة: يا ربّ خليلك إبراهيم عليه السلام يحرق؟ فقال الله عزّوجلّ: أما إنّه إن دعاني كفيته، وقال

١ـ الأعراف: ١١١ ـ ١١٢.

جبرئيل عليه السلام: يا ربّ خليلك إبراهيم عليه السلام ليس في الأرض أحد يعبدك غيره، سلطّت عليه عدوّه يحرقه بالنّار؟ قال: اسكت، إنّما يقول هذا عبد مثلك يخاف الفوت، هو عبدي آخذه إذا شئت، فإن دعاني أجبته، فدعا إبراهيم عليه السلام ربّه بسورة الإخلاص يا الله، يا واحد، يا أحد، يا صمد، يا من لم يلد، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، نجّني من النّار برحمتك، قال: فالتقى معه جبرئيل في الهواء، وقد وضع في المنجنيق، فقال: يا إبراهيم هل لك إليّ من حاجة؟ فقال إبراهيم: أمّا إليك فلا، وأمّا إلى ربّ العالمين فنعم، فدفع إليه خاتماً عليه مكتوب لا إله إلّا الله محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله ألجأت ظهري إلى الله، وأسندت أمري إلى الله، وفوّضت أمري إلى الله، فأوحى الله إلى النّار كوني برداً فاضطربت أسنان إبراهيم من البرد حتّى قال: سلاماً على إبراهيم عليه السلام، وإنحّط جبرئيل وجلس معه يحدّثه في النّار، ونظر نمرود إليه، فقال: من اتخّذ إلهاً فليتخّذ مثل إله إبراهيم، فقال عظيم من عظماء أصحاب نمرود، إنّي عزمت على أن لا تحرقه فخرج عمود من النّار نحو الرّجل فأحرقه، فآمن له لوط فخرج مهاجراً إلى الشّام، فنظر نمرود إلى إبراهيم عليه السلام في روضة خضراء في النّار مع شيخ يحدّثه، فقال لآزر: يا آزر ما أكرم إبنك على ربّه؟ قال: وكان الوزغ ينفخ في نار إبراهيم عليه السلام، وكان الضّفدع يذهب بالماء ليطفي به النّار، قال: ولمّا قال الله تبارك وتعالى للنّار: «كُونِى بَرْداً وَسَلَـٰماً» لم تعمل النّار في الدّنيا ثلاثة أيّام، ثمّ قال الله تبارك وتعالى و:«أَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ» فقال الله «وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطاً إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ» إلى الشّام وسواد الكوفة[١].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام ما يقرب من صدر هذا الحديث على حذف واختصار[٢].

وعن الباقر عليه السلام: ما يقرب من ذيله كذلك[٣].

وعن الصّادق عليه السلام: إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا كسر أصنام نمرود، وأمر به نمرود فأُوثق وعمل له حيراً[٤] وجمع له فيه الحطب، وألهب فيه النّار، ثمّ قذف إبراهيم عليه السلام في النّار لتحرقه، ثمّ

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧١ ـ ٧٣.

٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩، ح ٥٥٩.

٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٦٩، س ٩، ح ٥٥٩.

٤ ـ الحير ـ بالفتح ـ: مخفّف حائر، وهو الحظيرة والموضع الذي يتحيّر فيه الماء، ومنه: «عمل لإبراهيم عليه السلام حيراً، وجمع فيه الحطب»، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٨١، مادة «حير».

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ۝٧٢ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ۝٧٣﴾

اعتزلوها حتّى خمدت النّار، ثمّ أشرفوا على الحير فإذا هم بإبراهيم عليه السلام سليماً مطلقاً من وثاقه فأُخبر نمرود خبره فأمر أن ينفوا إبراهيم من بلاده، وأن يمنعوه من الخروج بماشيته وماله، فحاجّهم إبراهيم عليه السلام عند ذلك، فقال: إنّ أخذتم ماشيتي ومالي فإنّ حقي عليكم أن تردوا عليّ ما ذهب من عمري في بلادكم، واختصموا إلى قاضي نمرود فقضى على إبراهيم أن يسلّم إليهم جميع ما أصاب في بلادهم، وقضى على أصحاب نمرود أن يردّوا على إبراهيم عليه السلام ما ذهب من عمره في بلادهم، فأُخبر بذلك نمرود، فأمرهم أن يخلوا سبيله وسبيل ماشيته وماله وأن يخرجوه، وقال: إنّه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم وأضرّ بآلهتكم[١].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾: في المعاني: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال: ولد الولد نافلة[٢].

والقمّي: قال: ولد الولد، وهو يعقوب عليه السلام[٣].

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ * وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً﴾: يقتدى بهم.

﴿يَهْدُونَ﴾: النّاس إلى الحقّ.

﴿بِأَمْرِنَا﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الأئمّة في كتاب الله عزّوجلّ: إمامان، قال الله تبارك وتعالى: «وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» لا بأمر النّاس يقدّمون ما أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم، قال: «وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ»[٤] يقدّمون أمرهم

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٣٧١، س١، ح٥٦٠.

٢ ـ معاني الأخبار: ص٢٢٤ ـ ٢٢٥، ح١، باب معنى النافلة.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٧٣، س١٧.

٤ ـ القصص: ٤١.

وَلُوطاً ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحاً إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

قبل أمر الله وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله[1].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾: من عطف الخاصّ على العامّ.

﴿وَكَانُواْ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾: موحدين مخلصين في العبادة، ولذا قدّم الصلاة.

﴿وَلُوطاً ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾: القمّي: قال: كانوا ينكحون الرّجال[2].

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * وَنُوحاً إِذْ نَادَىٰ﴾: إذ دعا الله على قومه بالهلاك.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل من ذكر.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾: دعاءه.

﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: الغمّ الشديد، وهو أذى قومه أو الطّوفان.

﴿وَنَصَرْنَـٰهُ﴾: جعلناه منتصراً.

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٢١٦، ح ٢، باب أن الأئمة في كتاب الله إمامان: إمام يدعو إلى الله، وإمام يدعو إلى النار.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٣، س ١٩.

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾

﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّهُـمْ كَـانُواْ قَـوْمَ سَـوْءٍ فَأَغْـرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: لتكذيبهم الحقّ وإنهماكهم في الشرّ.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾: في الزّرع والكرم.

﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾: رعته ليلاً.

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ﴾: لحكم الحاكمين والمتحاكمين.

﴿فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال: إنّه كان أوحى الله عزّوجلّ إلى النّبيّين قبل داود إلى أن بعث الله داود أيّ غنم نفشت في الحرث فلصاحب الحرث رقاب الغنم ولا يكون النّفش إلّا باللّيل، فإنّ على صاحب الزّرع أن يحفظ زرعه بالنّهار وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم باللّيل فحكم داود بما حكم به الأنبياء عليهم السلام من قبله فأوحى الله عزّوجلّ إلى سليمان عليه السلام أيّ غنم نفشت في زرع فليس لصاحب الزّرع إلّا ما خرج من بطونها، وكذلك جرت السّنة بعد سليمان، وهو قول الله تعالى: «وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً» فحكم كلّ واحد منهما بحكم الله عزّوجلّ[1].

وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام ما يقرب منه[2].

وعنه عليه السلام: قال: أوحى الله إلى داود عليه السلام أن اتّخذ وصيّاً من أهلك فإنّه قد سبق في علمي

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص٣٠٢، ح ٣ باب ضمان ما يفسد البهائم من الحرث والزرع.

٢ ـ الكافي: ج٥، ص ٣٠١، ح ٢، باب ضمان ما يفسد البهائم من الحرث والزرع.

أن لا أبعث نبيّاً إلّا وله وصيّ من أهله، وكان لداود عليه السلام عدّة أولاد، وفيهم غلام كانت اُمّه عند داود وكان لها محبّاً فدخل داود عليه السلام عليها حين أتاه الوحي فقال لها: إنّ الله عزّوجلّ أوحى إليّ يأمرني أن أتخّذ وصيّاً من أهلي فقالت له امرأته: فليكن ابني قال: ذاك اُريد وكان السّابق في علم الله المحتوم عنده إنّه سليمان فأوحى الله تبارك وتعالى إلى داود أن لا تعجل دون أن يأتيك أمري فلم يلبث داود أن ورد عليه رجلان يختصمان في الغنم والكرم فأوحى الله عزّوجلّ إلى داود عليه السلام أن أجمع ولدك فمن قضى بهذه القضيّة فأصاب فهو وصيّك من بعدك، فجمع داود عليه السلام ولده، فلمّا أن قصّ الخصمان، قال سليمان: يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرّجل كرمك؟ قال: دخلته ليلاً قال: قد قضيت عليك يا صاحب الغنم بأولاد غنمك وأصوافها في عامك هذا، ثمّ قال له داود عليه السلام فكيف لم تقض برقاب الغنم وقد قوّم ذلك علماء بني إسرائيل فكان ثمن الكرم قيمة الغنم، فقال سليمان: إنّ الكرم لم يجتثّ من أصله وإنّما أكل حمله وهو عائد في قابل فأوحى الله عزّوجلّ إلى داود عليه السلام أن القضاء في هذه القضيّة ما قضى سليمان به يا داود أردت أمراً وأردنا أمراً غيره، فدخل داود على إمرأته، فقال: أردنا أمراً فأراد الله أمراً غيره ولم يكن إلّا ما أراد الله، فقد رضينا بأمر الله عزّوجلّ وسلّمنا، وكذلك الأوصياء عليهم السلام ليس لهم أن يتعدّوا بهذا الأمر فيجاوزون صاحبه إلى غيره[١].

والقمّي: عنه عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل وكان له كرم ونفشت فيه غنم لرجل باللّيل وقصمته وأفسدته فجاء صاحب الكرم إلى داود فاستعدى على صاحب الغنم فقال داود عليه السلام: إذهبا إلى سليمان ليحكم بينكما، فذهبا إليه، فقال سليمان: إن كانت الغنم أكلت الأصل والفرع فعلى صاحب الغنم أن يدفع إلى صاحب الكرم الغنم وما في بطنها، وإن كانت ذهبت بالفرع ولم تذهب بالأصل فإنّه يدفع ولدها إلى صاحب الكرم، وكان هذا حكم داود عليه السلام، وإنّما أراد أن يعرف بني إسرائيل أنّ سليمان وصيّه بعده، ولم يختلفا في الحكم ولو اختلف حكمهما لقال: كنّا لحكمهما شاهدين[٢].

---

١ ـ الكافي: ج١، ص٢٧٨، ح٣، باب أن الإمامة عهد من الله عزّوجلّ معهود من واحد إلى واحد عليه السلام.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٧٣ ـ ٧٤.

وفي الفقيه: عن الباقر عليه السلام قال: لم يحكما إنّما كانا يتناظران ففهمها سليمان[١].

وعن الكاظم عليه السلام: كان حكم داود عليه السلام رقاب الغنم، والّذي فهّم الله سليمان أنّ الحكم لصاحب الحرث باللبن والصّوف ذلك العام كلّه[٢].

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام إنّه كان كرماً قد بدت عناقيده فحكم داود عليه السلام بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان: غير هذا يا نبيّ الله أرفق، قال: وما ذاك؟ قال تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوّم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان، ثمّ دفع كلّ واحد منهما إلى صاحبه ماله[٣].

وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ سليمان قضى بحفظ المواشي على أربابها ليلاً، وقضى بحفظ الحرث على أربابه نهاراً[٤].

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾: يقدّسن الله معه، وقيل: يسرن من السبّاحة[٥].

﴿وَالطَّيْرَ﴾: في الإكمال: عن الصّادق عليه السلام إنّ داود عليه السلام خرج يقرأ الزّبور، وكان إذا قرأ الزّبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر إلّا جاوبه[٦].

والإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ يهوديّاً قال: له هذا داود عليه السلام بكى على خطيئته حتّى سارت الجبال يسبّحن معه لخوفه فقال عليه السلام: إنّه كان كذلك الحديث بطوله[٧].

وفي المناقب: عن السّجاد عليه السلام: إنّه صلّى ركعتين فسبّح في سجوده فلم يبق شجر ولا مدر إلّا سبّحوا معه[٨].

١ـ من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٥٧، ح١٩٨/ ١، باب ٤٣ـ الحكم في نفش الغنم في الحرث.

٢ـ من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٥٧، ح١٩٩/ ٢، باب ٤٣ـ الحكم في نفش الغنم في الحرث. وفيه: «أن احكم لصاحب الحرث».

٣ـ مجمع البيان: ج٧ـ٨، ص٥٧، س٢٤.

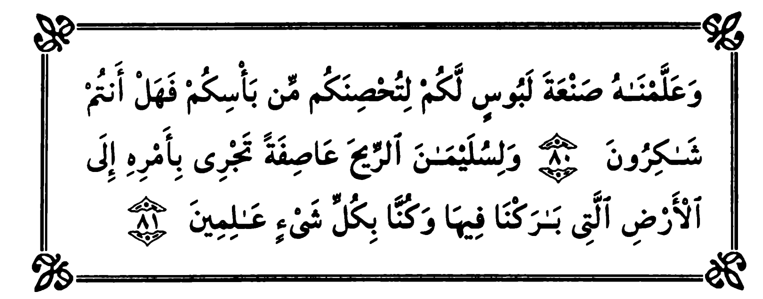
٤ـ مجمع البيان: ج٧ـ٨، ص٥٨، س١.

٥ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٧٨، س١١.

٦ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٥٢٤، ح٦، باب ما جاء في التعمير.

٧ـ الإحتجاج: ج١، ص٣٢٦، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على اليهود.

٨ـ المناقب لابن شهرآشوب: ج٤، ص١٣٦، س٢١، فصل في معجزاته.



﴿وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾: لأمثاله فليس ببدع منّا وإن كان عجيباً عندكم.

﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾: عمل الدّرع وهو في الأصل اللّباس.

﴿لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ﴾: وقرئ بالتاء والنون.

﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ﴾: ذلك، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: أوحى الله إلى داود عليه السلام إنّك نعم العبد لولا إنّك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً، قال: فبكى داود عليه السلام أربعين صباحاً فأوحى الله إلى الحديد أن لن لعبدي داود فألان الله له الحديد فكان يعمل في كلّ يوم درعاً فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاث مائة وستّين درعاً فباعها بثلاث مائة وستّين ألفاً وإستغنى من بيت المال[1].

﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ﴾: وسخّرنا له.

﴿ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: شديدة الهبوب يقطع مسافة كثيرة في مدّة يسيرة كما قال: «غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ»[2].

﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾: القمّي: قال: تجري من كلّ جانب[3].

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾: قال: إلى بيت المقدس والشّام.

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ﴾: فيجريه على ما تقتضيه الحكمة.

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص٧٤، ح٥، باب ما يجب من الإقتداء بالأئمة عليهم السلام في التعرض للرزق.

٢ ـ سبأ: ١٢.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٧٤، س٨.

وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمۡ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيۡنَـٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَـٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾: في البحار ويخرجون نفايسه.

﴿وَيَعۡمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَٰلِكَ﴾: ويتجاوزون ذلك إلى أعمال أُخر كبناء المدن والقصور وإختراع الصّنايع الغريبة لقوله تعالى: «يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ»[1].

﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَـٰفِظِينَ﴾: عن أن يزيغوا عن أمرنا أو يفسدوا على ماهو مقتضى جبلّتهم.

﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾: وهو بالفتح شائع في كلّ ضرر، وبالضمّ خاصّ بما في النفس كمرض وهزال.

﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: وصف ربّه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفاً في السّؤال.

قيل: وكان روميّاً من ولد عيص بن إسحاق إستنبأه الله وكثر أهله وماله ثمّ ابتلاه الله بهلاك أولاده، وذهاب أمواله، والمرض في بدنه[2].

ويأتي ذكر قصّته في سورة صٓ[3]، إن شاء الله تعالى.

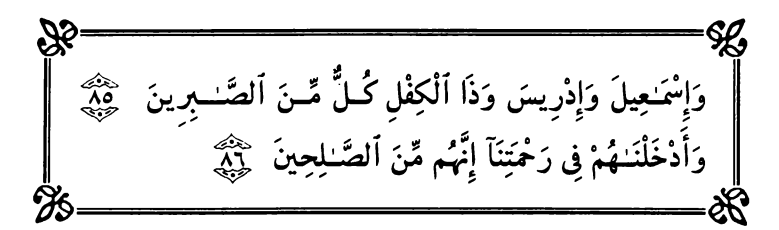
﴿فَاسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾: بالشّفاء من مرضه.

---

١ ـ سبأ: ١٣.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٧٩، س ٨.

٣ ـ الآيات: ٤١ ـ ٤٤.



﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل كيف أُوتي مثلهم معهم؟ قال: أحيى له من ولده الّذين كانوا ماتوا قبل ذلك بآجالهم مثل الّذين هلكوا يومئذ[١].

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: عليه.

﴿وَذِكْرَىٰ﴾: وتذكرة.

﴿لِلْعَـٰبِدِينَ﴾: في الخصال: عنه عليه السلام قال: ابتلى أيّوب سبع سنين بلا ذنب[٢].

وفي العلل: عنه عليه السلام قال: إنّما كانت بليّة أيّوب عليه السلام الّتي ابتلى بها في الدّنيا لنعمة أنعم الله بها عليه نأدّى شكرها الحديث[٣] ويأتي تمامه إن شاء الله في سورة صٓ[٤].

﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾: هو يوشع بن نون، رواه في العيون: عن الرّضا، عن أمير المؤمنين عليه السلام، في خبر الشّامي[٥].

﴿كُلٌّ﴾: كلّ هؤلاء.

﴿مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾: على مشاقّ التكاليف وشدائد المصائب.

﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾: النّبوة في الدّنيا، والنّعيم في الآخرة.

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٢٥٢، ح٣٥٤.
٢ ـ الخصال: ص٣٩٩، ح١٠٧، باب أُبتلي أيوب عليه السلام سبع سنين بلا ذنب.
٣ ـ علل الشرائع: ص٧٥، ح١، باب ٦٥ ـ العلة التي من أجلها أُبتلي أيوب النبيّ عليه السلام.
٤ ـ الآيات: ٤١ ـ ٤٤.
٥ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٤٥، س٩، ح١، باب ٢٤ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشامي وما سأل عنه أمير المؤمنين في جامع الكوفة.

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾

﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَذَا ٱلنُّونِ﴾: وصاحب الحوت: وهو يونس بن متي.

﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾: لقومه لمّا برم لطول دعوتهم وشدّة شكيمتهم وتمادي إصرارهم مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر به كما سبق قصّته في سورته[١].

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: قيل: أي لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر أو لن نعمل فيه قدرتنا[٢].

وقيل: هو تمثيل لحاله بحال من ظنّ أن لن نقدر عليه في مراغمة قومه من غير إنتظار لأمرنا أو خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسمّى ظنّاً للمبالغة[٣].

﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: قيل: أي لنفسي بالمبادرة إلى المهاجرة[٤].

وفي العيون: عن الرّضا عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية فقال: ذاك يونس بن متّى عليه السلام، ذهب مغاضباً لقومه فظنّ بمعنى إستيقن أن لن نقدر عليه، أي لن نضيّق عليه رزقه، ومنه قول الله عزّوجلّ: «وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ»[٥] أي ضيّق عليه وقتر، «فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ» ظلمة اللّيل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت «أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ

---

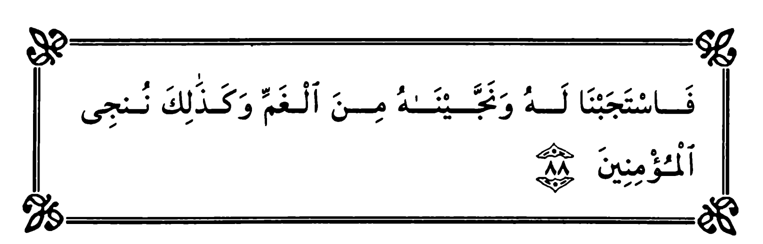
١ ـ يونس: ذيل الآية ٩٨.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٨٠، س ٤.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٨٠، س ٥.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٨٠، س ٨.

٥ ـ الفجر: ١٦.



ٱلظَّـٰلِمِينَ» بتركي مثل هذه العبادة الّتي قد فرّغتني لها في بطن الحوت، فاستجاب الله له وقال عزّوجلّ: «فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ»[١][٢].

وفي رواية أُخرى: عنه عليه السلام بعد تفسير «لن نقدر» بما ذكر، ولو ظنّ أنّ الله لا يقدر عليه لكان قد كفر[٣].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام في قوله: «وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِباً» يقول: من أعمال قومه «فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ» يقول: ظنّ أن لن نعاقب بما صنع[٤].

وعن الصّادق عليه السلام: إنّه سئل ما كان سببه حتّى ظنّ أن لن نقدر عليه، قال: وكلّه الله إلى نفسه طرفة عين[٥].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّما وكل الله يونس بن متيّ إلى نفسه طرفة عين فكان منه ما كان[٦].

وعن الصّادق عليه السلام: بعدما ذكر من قصّة يونس ما سبق في سورته، قال: فغضب يونس وفرّ على وجهه مغاضباً لله كما حكى الله عنه حتى إنتهى إلى ساحل البحر فإذا سفينة قد شحنت الحديث[٧].

ويأتي تمامه في سورة الصّافات[٨] إن شاء الله ويذكر فيه ما دعاه إلى ندائه في الظّلمات.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾: بأن قذفه الحوت إلى السّاحل وأنبت الله عليه

---

١ ـ الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٠١، ح١، باب١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص١٩٣، ح١، باب ١٤ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقالات وما أجاب به علي بن محمد بن الجهم في عصمة الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين.

٤ و ٥ و٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٧٥ و٧٤ و٧٥، س١٤ و١٨ و١١.

٧ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣١٨، س٧.

٨ ـ الآيات: ١٣٩ ـ ١٤٧.

وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

شجرة من يقطين.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من غموم دعوا الله فيها بالإخلاص وقرئ بنون واحدة وتشديد الجيم.

في الفقيه[1]، والخصال: عن الصّادق عليه السلام عجبت لمن يفزع من أربع كيف لا يفزع إلى أربع، إلى قوله عليه السلام: عجبت لمن اغتم كيف لا يفزع إلى قوله تعالى: «لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ» فإنّي سمعت الله يقول بعقبها: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ»[2].

وروي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله ما من مكروب يدعوا بهذا الدّعاء إلّا استجيب له[3].

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْداً﴾: وحيداً بلا ولد يرثني.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: فإن لم ترزقني من يرثني فلا اُبالي به.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾: القمّي: في روايته قال: كانت لا تحيض فحاضت[4].

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص ٢٨٠، ح ١١/٨٣١، باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب. في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن الحنفية.

٢ ـ الخصال: ص٢١٨، ح٤٣، باب العجب لمن يفزع من أربعة كيف لا يفزع إلى أربعة.

٣ ـ الكشاف: ج٣، ص١٣٢، س١٢.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٧٥، س١٧.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَـٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: يبادرون إلى أبواب الخير.

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾: القمّي: قال راغبين راهبين[1].

أقول: لعلّ المراد: الرغبة في الطّاعة لا في الثواب، والرّهبة من المعصية لا من العقاب، لارتفاع مقام الأنبياء عن ذلك، قال أمير المؤمنين عليه السلام: إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتّك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك[2].

وفي الخصال: عن الصّادق عليه السلام إنّ الناس، يعبدون الله على ثلاثة أوجه: فطبقة يعبدون الله رغبة في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء وهي الطّمع، وآخرون يعبدونه فرقاً من النّار فتلك عبادة العبيد وهي الرّهبة، ولكنّي أعبده حبّاً له فتلك عبادة الكرام[3].

وفي بعض الألفاظ الأُجراء مكان الحرصاء.

ولك أن تقول: إنّ أولياء الله قد يعملون بعض الأعمال للجنّة وصرف النار لأنّ حبيبهم يحبّ ذلك، هذا أمير المؤمنين سيّد الأولياء قد كتب كتاباً لبعض ما وقفه من أمواله فصدّر كتابه بعد التسّمية بهذا: هذا ما أوصى به وقضى به في ماله عبد الله عليّ إبتغاء وجه الله ليولجني به الجنّة، ويصرفني به عن النّار، ويصرف النّار عنّي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه[4].

أو تقول إنّ جنّة الأولياء: لقاء الله وقربه، ونارهم: فراقه وبعده.

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام الرغبة: أن تستقبل ببطن كفيّك إلى السّماء، والرّهبة: أن تجعل ظهر كفيّك إلى السّماء[5].

﴿وَكَانُواْ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾: مخبتين أو دائمي الوجل، والمعنى أنّهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٧٥، س١٨.

٢ ـ بحار الأنوار: ج ٧٠، ص١٨٦، ح١، وص١٩٧، ح٢ وص٢٣٤، ح٦.

٣ ـ الخصال: ص١٨٨، ح٢٥٩، باب ٣ ـ الناس يعبدون الله عزّ وجلّ على ثلاثة أوجه.

٤ ـ الكافي: ج ٧، ص ٤٩، ح ٧، باب صدقات النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة والأئمة عليهم السلام ووصاياه

٥ ـ الكافي: ج ٢، ص٤٧٩، ح١، باب الرغبة والرهبة والتضرع والتبتل والإبتهال والإستعاذة.

وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: القمّي: قال[1]: مريم لم ينظر إليها شيء[2].

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾: قد سبق تحقيق معنى الرّوح في سورة الحجر[3].

﴿وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾: فإنّ من تأمّل حالهما تحقّق كمال قدرة الصّانع تعالى.

﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾: ملّتكم وهي ملّة الإسلام والتّوحيد.

﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: غير مختلفة فيما بين الأنبياء.

﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ﴾: لا إله لكم غيري.

﴿فَٱعْبُدُونِ﴾: لا غيري.

﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: تفرّقوا في الدين، وجعلوا أمره قطعاً موزّعة.

﴿كُلٌّ﴾: من الفرق المنحزبة.

﴿إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾: فنجازيهم.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: بالله ورسله.

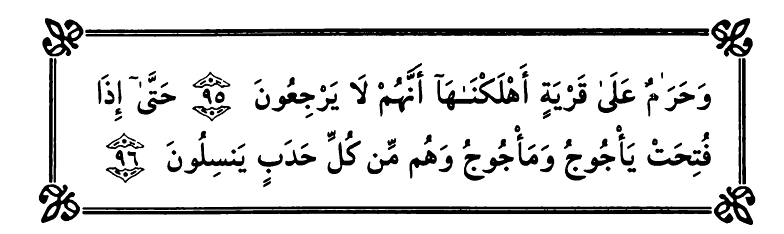
﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾: فلا تضييع لسعيه، أُستعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لإعطائه.

---

١ ـ أي قال أبو جعفر عليه السلام في رواية علي بن إبراهيم.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٥، س ١٨.

٣ ـ ذيل الآية ٢٩.



﴿وَإِنَّا لَهُ﴾: لسعيه.

﴿كَـٰتِبُونَ﴾: مثبتون في صحيفة عمله.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: ممتنع على أهلها غير متصوّر منهم، وقرئ حرم بكسر الحاء وسكون الرّاء.

﴿أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: قيل: أي حرام رجوعهم إلى الدّنيا أو إلى التوبة، و«لا» مزيدة[1]. وقيل: أي حرام عدم رجوعهم للجزاء، وهو مبتدأ وحرام خبره[2].

في الفقيه: في خطبة الجمعة لأمير المؤمنين عليه السلام ألم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقين منكم لا يبقون، قال الله تعالى: «وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ»[3].

وهذا ناظر إلى المعنى الأوّل، وتؤيّده القراءة بالكسر في الشّواذّ كما أنّها تؤيّد المعنى الثّاني أيضاً، والقراءة بالفتح المشهورة تؤيّد المعنى الثالث.

والقمّي: عنهما عليهما السلام قالا: كلّ قرية أهلك الله عزّ وجلّ أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرجعة[4].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام قال: كلّ قرية أهلكها الله بعذاب فإنّهم لا يرجعون[5].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ﴾: وقرئ بالتشديد.

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٨١. وفيه: «ولا» صلة. نعم ورد في جوامع الجامع: ج ٣، ص ٢٨، و«لا» مزيدة كما أثبته الماتن رحمه الله.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٨١. وراجع جوامع الجامع: ج ٣، ص ٢٨.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٧٦، س ٦، ح ١٢٦٢/٤٦، باب ٥٧ ـ وجوب الجمعة وفضلها ومن وضعت عنه والصلاة والخطبة فيها.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٥، س ١ و ج ٢، ص ٧٦، س ١.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٦٣، س ٢.

وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾

﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾: سدّهما، القمّي: قال: إذا كان في آخر الزّمان خرج يأجوج ومأجوج إلى الدنيا ويأكلون النّاس[١].

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾: نشر[٢] من الأرض.

﴿يَنسِلُونَ﴾: يسرعون.

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: جواب الشّرط و«إذا» للمفاجأة.

﴿يَـٰوَيْلَنَا﴾: مقدّر بالقول.

﴿قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا﴾: لم نعلم أنّه حقّ.

﴿بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾: لأنفسنا بالإخلال بالنظر، والإعتداد بالنّذر.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: يرمى به إليها ويهيج به من حصبه يحصبه إذا رماه بالحصباء، والقمّي: يقذفون فيها قذفاً[٣].

وفي المجمع: وقراءة عليّ عليه السلام حطب بالطّاء[٤].

﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾: عوّض «اللّام» من «على» للإختصاص والدّلالة على أنّ

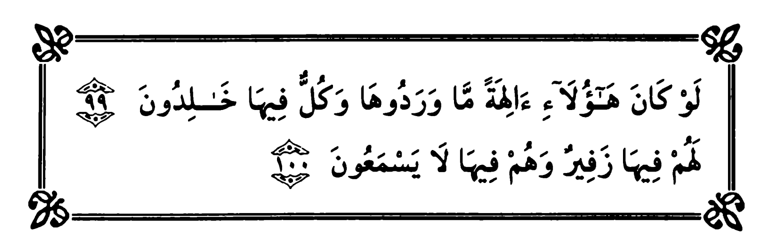
---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٧٦، س٥.

٢ ـ هكذا في الأصل، والظاهر أنّ هنا تصحيف. والصحيح «نشز من الأرض»، والنشز: المكان المرتفع، كما أنّ معنى «حدب» المرتفع من الأرض. فالمعنى يظهرون من غليظ الأرض ومرتفعها.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٧٦، س ٢٠.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٦٣، س١٣.



ورودهم لأجلها.

﴿لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾: لا خلاص لهم عنها.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: أنين وتنفّس شديد.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾: في قرب الإسناد: عن الصّادق، عن أبيه عليهما السلام، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله تبارك وتعالى يأتي يوم القيامة بكلّ شيء يُعبد من دونه من شمس أو قمر أو غير ذلك، ثمّ يسأل كلّ إنسان عمّا كان يعبد، فيقول كلّ من عبد غير الله: ربّنا إنّا كنّا نعبدها لتقرّبنا إليك زلفى، قال: فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة: إذهبوا بهم وبما كانوا يعبدون إلى النّار ما خلا من إستثنيت فإنّ «أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ»[١][٢].

وفي العلل: عنه عليه السلام إذا كان يوم القيامة أُتي بالشمس والقمر في صورة ثورين فيقذف بهما وبمن يعبدهما في النّار، وذلك إنّهما عُبدا فرضيا[٣].

أقول: ويأتي تأويل هذا الحديث في سورة الرّحمن[٤].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام: لمّا نزلت هذه الآية وجد منها أهل مكّة وجداً شديداً فدخل عليهم عبدالله بن الزّبعرى، وكفّار قريش يخوضون في هذه الآية فقال ابن الزّبعرى: أتكلّم محمّد صلى الله عليه وآله بهذه الآية؟ قالوا: نعم، قال ابن الزّبعرى: لئن إعترف بها لأخصمنّه، فجمع بينهما فقال: يا محمّد أرايت الآية الّتي قرأت آنفا فينا، وفي آلهتنا خاصّة أم في الأُمم وآلهتهم؟ قال: بل

---

١ ـ الأنبياء: ١٠١. ٢ ـ قرب الإسناد: ص٨٥، ح ٢٧٩.

٣ ـ علل الشرائع: ص٦٠٥، ح٧٨، باب ٣٨٥ ـ نوادر العلل. وفيه: «في صورة ثورين عبقريّين فيقدمان بهما وبمن يعبدهما في النار، وذلك أنّهما عُبدا فرضيا».

٤ ـ ذيل الآية: ١٢. وراجع تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٤٣، س ٤.

إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

فيكم وفي آلهتكم، وفي الأمم وآلهتهم إلّا من استثنى الله، فقال ابن الزّبعرى: خصمتك والله ألست تثني على عيسى عليه السلام خيراً وقد عرفت أنّ النّصارى يعبدون عيسى وأمّه عليهما السلام وأنّ طائفة من النّاس يعبدون الملائكة أفليس هؤلاء مع الآلهة في النّار؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا، فضجّت قريش وضحكوا، قالت قريش: خصمك ابن الزّبعرى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قلتم الباطل، أما قلت: إلّا من استثنى الله وهو قوله: «إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» إلى قوله: «أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ»[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾: الخصلة الحسنى.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾: القمّي: يعني الملائكة، وعيسى بن مريم عليه السلام[2].

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: صوتها الّذي يحسّ به.

﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾: في الّدنيا، في المجالس: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّه قال لعليّ عليه السلام: يا علي أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم، وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر، في ظلّ العرش، يفزع النّاس ولا تفزعون، ويحزن النّاس ولا تحزنون، وفيكم نزلت هذه الآية: «إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ» الآية وفيكم نزلت «لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ» الآية[3].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٦، س ٨.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٦ ـ ٧٧.

٣ ـ الإمالي للشيخ الصدوق: ص ٤٥١، س ٩، ح ٢، المجلس الثالث والثمانون.

يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْداً عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾

وفي المحاسن: عن الصّادق عليه السلام قال: إنّ الله يبعث شعيتنا يوم القيامة على ما فيهم من الذنوب وغيره مبيضة وجوههم، مستورة عوراتهم، آمنة روعتهم، قد سهلت لهم الموارد، وذهبت عنهم الشّدائد، يركبون نوقاً من يافوت، فلا يزالون يدورون خلال الجنّة، عليهم شرك من نور يتلألؤ، توضع لهم الموائد، فلا يزالون يطعمون والنّاس في الحساب، وهو قول الله تبارك وتعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ» الآية[١].

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾: قيل: كطّي الطومار لأجل الكتابة أو للمكتوب فيه[٢]، وقرئ على الجمع أي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه.

والقمّي: قال: السجل إسم الملك الّذي يطوي الكتب، ومعنى نطويها أي نفنيها، فتتحول دخاناً، والأرض نيراناً[٣].

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْداً عَلَيْنَآ﴾: أي علينا إنجازه.

﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: ذلك لا محالة. في المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله إنه قال: تحشرون يوم القيامة عراة حفاة غرلاً[٤] «كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ» الآية[٥].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾: في كتاب داود عليه السلام.

---

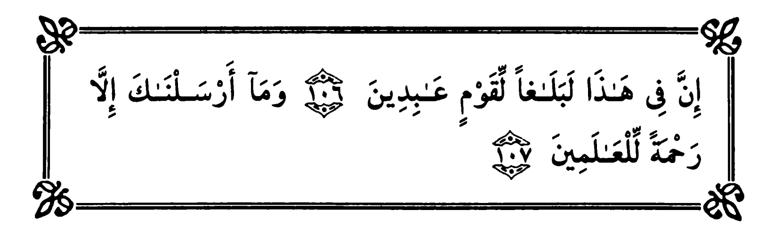
١ ـ المحاسن: ج١، ص٢٨٥ ـ ٢٨٦، ح٥٦٣/١٦٨، باب ٤١ ـ في البعث.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٨٢، س٢٢.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٧٧، س١٩.

٤ ـ الغُرل: جمع الأغرل، وهو الأقلف. والغرلة: القلفة. النهاية لابن الأثير: ج ٣، ص ٣٦٢.

٥ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٦٦، س٢٢. وفي ج ٥ ـ ٦، ص ٤٧٤، س ٢١، جاء هكذا: يحشر الناس من قبورهم يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً.



إِنَّ فِي هَـٰذَا لَبَلَـٰغاً لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾

﴿مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾: القمّي: قال: الكتب كلّها ذكر[1].

﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾: قال: القائم عليه السلام وأصحابه[2].

قال: الزبور فيه ملاحم، وتحميد، وتمجيد، ودعاء[3].

وفي رواية أُخرى: وأنزل الله عليه يعني على داود الزّبور فيه تحميد، وتمجيد، ودعاء، وأخبار رسول الله، وأمير المؤمنين، والأئمّة من ذرّيتهما عليهم السلام، وأخبار الرّجعة، وذكر القائم عليه السلام [4].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية ما الزّبور وما الذكر؟ قال: الذكر عند الله: والزّبور الذي أنزل على داود عليه السلام، وكلّ كتاب نزل فهو عند أهل العلم، ونحن هم[5].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام في قوله: «أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ» قال: هم أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان[6].

قال صاحب المجمع: ويدلّ على ذلك ما رواه الخاصّ والعام عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لو لم يبق من الدّنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[7].

﴿إِنَّ فِي هَـٰذَا﴾: فيما ذكر من الأخبار والمواعظ.

﴿لَبَلَـٰغاً﴾: لكفاية في البلوغ إلى البغية[8].

﴿لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ﴾: هممهم العبادة دون العادة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾: لأنّ ما بعث به سبب لاسعادهم وموجبٌ

---

١ و ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٧. ٣ و ٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٧ و ١٢٦.

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦، ح ٦، باب أن الأئمة ورثوا علم النّبيّ وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم. ٦ و ٧ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٦٦ و ٦٧.

٨ ـ البغيّة ـ بضم الموحدة ـ: الحاجة نفسها. وبغى ضالته: أي طلبها. مجمع البحرين: ج ١، ص ٥٦، مادة «بغا».

لصلاح معاشهم ومعادهم وكونه رحمة للكفّار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الإستيصال، وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث مجيباً لبعض الزّنادقة وأمّا قوله لنبيّه صلى الله عليه وآله: «وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ» وإنّك ترى أهل الملل المخالفة للإيمان ومن يجري مجراهم من الكفّار مقيمين على كفرهم إلى هذه الغاية، وأنّه لو كان رحمة عليهم لاهتدوا جميعاً ونجوا من عذاب السّعير، فإنّ الله تبارك وتعالى إسمه إنّما عنى بذلك إنّه جعله سبيلاً لأنظار أهل هذه الدار، لأنّ الأنبياء قبله بعثوا بالتّصريح لا بالتّعريض، وكان النّبيّ صلى الله عليه وآله منهم إذا صدع بأمر الله وأجابه قومه سلموا وسلم أهل دارهم من سائر الخليقة، وإن خالفوه هلكوا وهلك أهل دارهم بالآفة الّتي كانت نبيّهم يتوعّدهم بها ويخوّفهم حلوها ونزولها بساحتهم من خسف أو قذف أو رجف أو ريح أو زلزلة أو غير ذلك من أصناف العذاب الّذي هلكت به الأُمم الخالية، وأنّ الله علم من نبيّنا صلى الله عليه وآله ومن الحجج في الأرض الصّبر على مالم يطق من تقدّمهم من الأنبياء الصّبر على مثله، فبعثه الله بالتعريض لا بالتّصريح وأثبت حجّة الله تعريضاً لا تصريحاً بقوله في وصيّه «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا إنّه لا نبيّ بعدي»، وليس من خليقة النّبيّ صلى الله عليه وآله ولا من شيمته أن يقول قولاً لا معنى له، فلزم الأُمّة أن تعلم أنّه لمّا كانت النبوّة والأُخوّة موجودتين في خلقة هارون ومعدومتين فيمن جعله النّبي صلى الله عليه وآله بمنزلته أنّه قد إستخلفه على أُمّته كما إستخلف موسى هارون عليه السلام حيث قال له: «ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِى»[١] ولو قال لهم: لا تقلّدوا الإمامة إلّا فلانا بعينه وإلّا نزل بكم العذاب لأتاهم العذاب وزال باب الإنظار والإمهال[٢].

وفي المجمع: عن النبيّ صلى الله عليه وآله إنّه قال لجبرئيل لمّا نزلت هذه الآية: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال: نعم إنّي كنت أخشى عاقبة الأُمر فآمنتُ بك لما أثنى الله عليّ بقوله «ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ»[٣][٤].

وفي العلل: عن الباقر عليه السلام أما لو قد قام قائمنا ردّت بالحميراء حتّى يجلدها الحدّ، وحتى

---

١ ـ الأعراف: ١٤٢.

٢ ـ الإحتجاج: ج١، ص٣٧٩ ـ ٣٨٠، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٣ ـ التكوير: ٢٠. ٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٦٧، س٢١.

قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾

ينتقم لابنة محمّد ﷺ فاطمة عليها السلام منها، قيل: ولم يجلدها؟ قال: لفريتها على أمّ إبراهيم؟ قيل: فكيف أخرّه الله للقائم عليه السلام؟ قال: لأنّ الله تبارك وتعالى بعث محمّد ﷺ رحمة، وبعث القائم عليه السلام نقمة[1].

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: ما يوحى إليّ إلّا أنّه لا إلـه لكم إلّا إلـه واحد وذلك لأنّ المقصود الأصلي من بعثته مقصور على التّوحيد.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: مخلصون البعادة لله على مقتضى الوحي.

وفي المناقب: عن الصّادق عليه السلام فهل أنتم مسلِّمون الوصيّة لعلي بعدي نزلت مشدّدة[2].

أقول: ومآلهما واحد لأنّ مخالفة الوصيّة عبادة للهوى والشيطان.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: عن التّوحيد أو الوصيّة.

﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾: أعلمتكم ما أمرت به.

﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: عدل.

﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾: وما أدري.

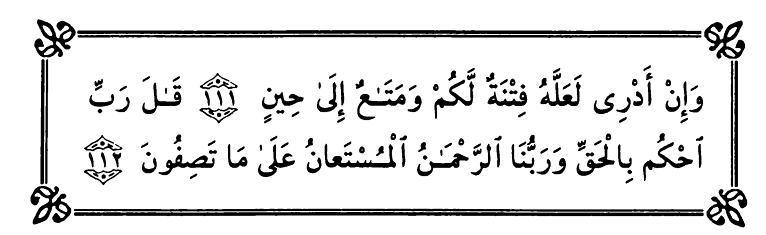
﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾: لكنّه كائن لا محالة.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام.

---

١ ـ علل الشرائع: ص٥٧٩ ـ ٥٨٠، ح١٠، باب ٣٨٥ ـ نوادر العلل. وفيه: «أما لو قام قائمنا لقد ردت إليه الحميراء حتّى يجلدها».

٢ ـ المناقب لابن شهرآشوب: ج٤، ص٤٨، س١.



﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾: من الإحن[١] والإحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه.

﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾: وما أدري لعلّ تأخير جزائكم إستدراج لكم وزيادة في إفتتانكم أو إمتحان لينظر كيف تعملون.

﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: تمتيع إلى أجل مقدّر تقتضيه مشيّته.

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾: القمّي: قال: معناه لا تدع للكفّار، والحقّ: الإنتقام من الظّالمين[٢]. قال: ومثله في سورة آل عمران: «لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ»[٣][٤]. وقرئ: «قال» على حكاية قول الرّسول صلّى الله عليه وآله[٥].

﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: كثير الرّحمة على خلقه.

﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾: المطلوب منه المعونة.

﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: من الحال بأنّ الشّوكة تكون لهم وأنّ راية الإسلام تخفق أيّاماً ثمّ تسكن وأنّ الموعد به لو كان حقّاً لنزل بهم فأجاب الله دعوة رسوله فخيّب أمانيّهم ونصر رسوله عليهم، وقرئ بالتّاء.

في ثواب الأعمال[٦]، والمجمع: عن الصّادق عليه السلام من قرأ سورة الأنبياء حبّاً لها كان كمن رافق النّبيّين أجمعين في جنّات النعيم وكان مهيباً في أعين النّاس في حياة الدّنيا[٧].

---

١ ـ الإحنة ـ بكسر الفاء ـ: واحدة الإحن، وهي الضغائن، يقال: في صدره عَلَيّ إحنة: أي حقد. وأحن الرجل يأحن من باب تعب: حقد وأظهر العداوة. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٩٨، مادة «إحن».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٧٨، س ١.

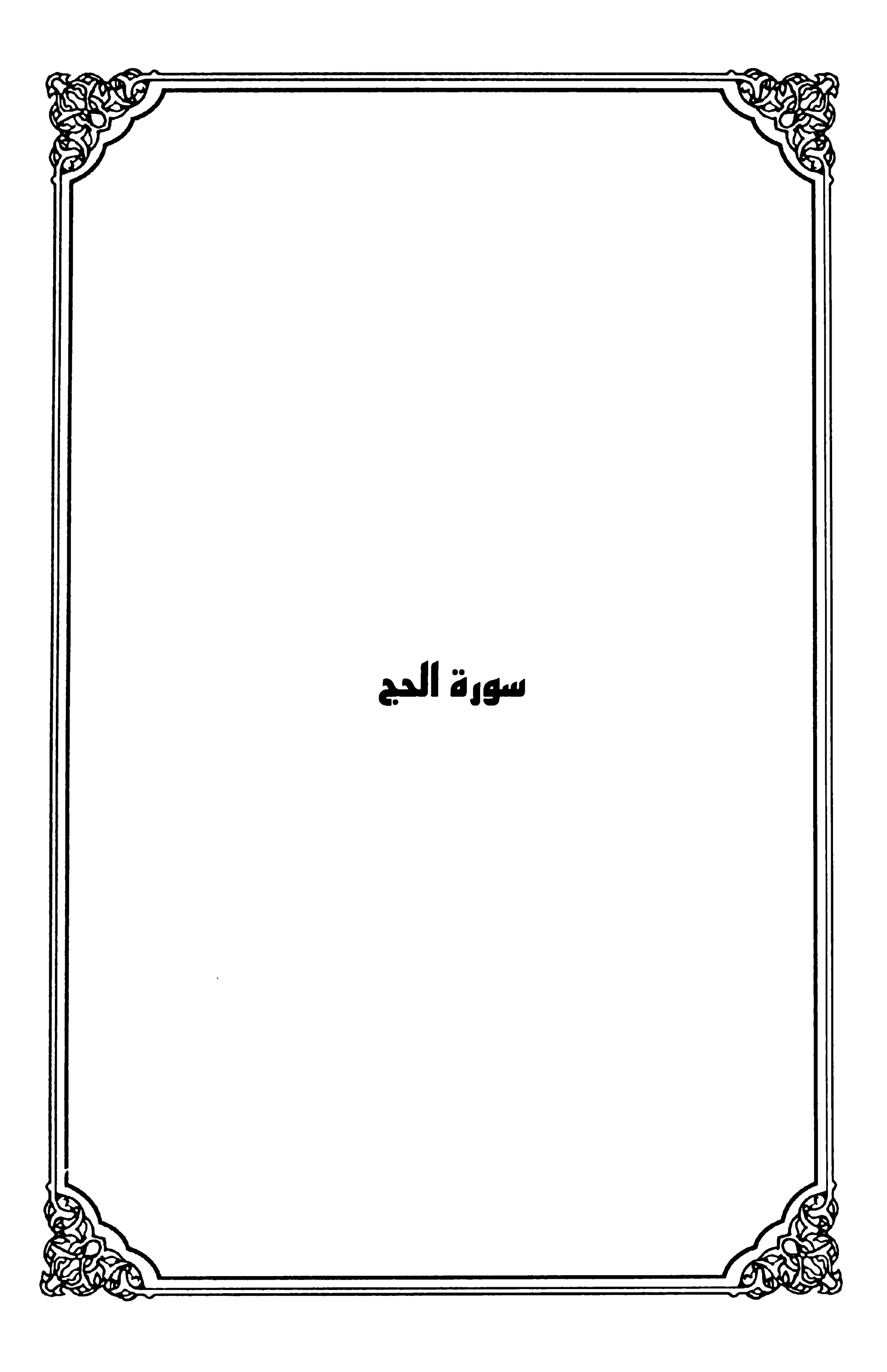
٣ ـ آل عمران: ١٢٨.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٧٨، س ٢.

٥ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص٨٤، س ٢.

٦ ـ ثواب الأعمال: ص١٠٨، ثواب قراءة سورة الأنبياء.

٧ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص٣٨، س٦.



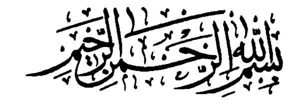
سورة الحج

[illegible]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

سورة الحج: مدنيّة غير آيات نزلت في السّفر، وقال بعضهم: غير ست آيات، وقال بعضهم: غير أربع آيات، عدد آيها ثمان وسبعون آية كوفي، سبع مكي، وستّ مدني، خمس بصري، أربع شامي.



﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾: في الإحتجاج: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله معاشر النّاس التّقوى التّقوى إحذروا السّاعة كما قال الله عزّوجلّ: «إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ»[1].

والقمّي: قال: مخاطبة للنّاس عامّة[2].

قيل: هي زلزلة تكون قبل طلوع الشمس من مغربها، وهي من أشراط السّاعة[3].

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٨٢، س ٨، إحتجاجه صلى الله عليه وآله في حديث الغدير.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٨، س ٧.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٨٤، س ١٢.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾: قيل هو تصوير لهولها والضمير للزّلزلة والمقصود الدلالة على أنّ هولها بحيث إذا دهشت الّتي ألقمت الرّضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه[١].

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾: القمّي: قال: كلّ إمرأة تموت حاملة عند زلزلة السّاعة تضع حملها يوم القيامة[٢].

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ﴾: كأنّهم سكارى.

﴿وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾: على الحقيقة، وقرئ سكرى فيهما.

﴿وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾: القمّي: قال: يعني ذاهبة عقولهم من الحزن والفزع متحيّرين[٣].

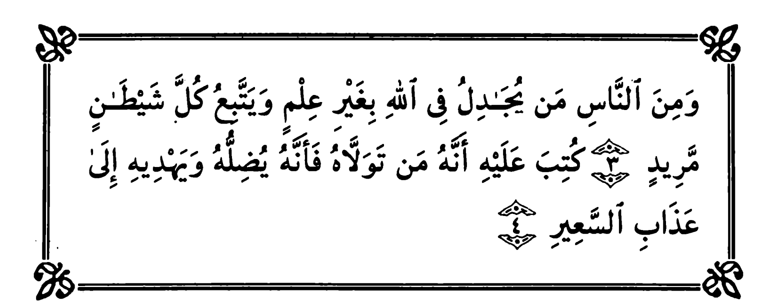
في المجمع: قال عمران بن الحصين: وأبو سعيد الخدريّ نزلت الآيتان من أوّل السّورة ليلاً في غزاة بني المصطلق، وهم حيّ من خزاعة والنّاس يسيرون فنادى رسول الله ﷺ فحثوا المطى حتّى كانوا حول رسول الله ﷺ فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكياً من تلك اللّيلة فلمّا أصبحوا لم يحطّوا السرّج عن الدّواب ولم يضربوا الخيام والنّاس بين باك أو جالس حزين متفكر، فقال لهم رسول الله ﷺ: أتدرون أيّ يوم ذاك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذاك يوم يقول الله تعالى لآدم: إبعث بعث النار من ولدك فيقول آدم: من كم كم؟ فيقول عزّوجلّ: من كلّ ألف تسع مائة وتسعة وتسعين إلى النّار، وواحد إلى الجنّة فكبر ذلك على المسلمين وبكوا فقالوا: فمن ينجو يا رسول الله؟ فقال: ابشروا فإنّ معكم خليقتين يأجوج ومأجوج ما كانتا في شيء إلّا كثرتاه ما أنتم في النّاس إلّا كشعرة بيضاء في الثور الأسود أو كرقم في ذراع البكر أو كشامة في جنب البعير، ثم قال رسول الله ﷺ إنّي لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنّة فكبّروا، ثمّ قال إنّي لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنّة فكبّروا، ثمّ قال إنّي لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٨٤، س ١٤.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٨، س ٩.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٨، س ٩.



الجنّة فإنّ أهل الجنّة مائة وعشرون صفّاً ثمانون منها أُمّتي، ثم قال ويدخل من أُمّتي سبعون ألفاً الجنّة بغير حساب.

وفي بعض الرّوايات: إنّ عمر بن الخطاب، قال: يا رسول الله ﷺ سبعون ألفاً؟ قال: نعم، ومع كلّ واحد سبعون ألفا، فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ﷺ ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: اللّهم اجعله منهم، فقام رجل من الأنصار فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم فقال ﷺ: سبقك بها عكاشة، قال ابن عبّاس: كان الأنصاري منافقاً فلذلك لم يدعُ له[1]

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: يخاصم.

﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ﴾: متجرّد للفساد وأصله: العريّ، والقمّي: قال: المريد: الخبيث[2].

قيل: نزلت في النّضر بن الحارث، وكان جدلاً يقول الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأوّلين، ولا بعث بعد الموت، وهي تعّمه وأضرابه[3].

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: على الشيّطان.

﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾: تبعه.

﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾: أي كتب عليه إضلال من يتولّاه لأنّه جبل عليه.

﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: بالحمل على ما يؤدّي إليه.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص ٧٠، في شأن النزول.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٧٨، س ١٢.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص٨٥، س٤.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾: من إمكانه وكونه مقدوراً.

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُمْ﴾: أي فانظروا في بدو خلقكم فإنّه يزيح ريبكم.

﴿مِّن تُرَابٍ﴾: بخلق آدم منه وبخلق الأغذية المتكون منها المني.

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: منّي من النّطف وهو الصبّ.

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: قطعة من الدّم جامدة.

﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾: قطعة من اللّحم وهو في الأصل قدر ما يمضغ، في الكافي: عن الباقر عليه السلام النطفة تكون بيضاء مثل النخامة الغليظة، فتمكث في الرّحم إذا صارت فيه أربعين يوماً، ثمّ تصير إلى علقة، قال: وهي علقة كعلقة دم المحجمة الجامدة تمكث في الرّحم بعد تحويلها عن النطفة أربعين يوماً، ثمّ تصير مضغة، قال: وهي مضغة لحم حمراء فيها عروق خضر مشتبكة، ثمّ تصير إلى عظم وشق له السّمع والبصر، ورتّبت جوارحه[1].

﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: القمّي: قال: المخلّقة إذا صارت تامّاً، وغير مخلّقة السّقط[2].

---

١ ـ الكافي: ج٧، ص٣٤٥، س١١، ح١٠، باب دية الجنين.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٧٨، س١٤.

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: قيل: في حذف المفعول إيماء إلى أنّ أفعاله هذه يتبيّن بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر[١].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام ليبيّن لكم أنّكم كنتم كذلك في الأرحام[٢].

﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾: قال: فلا يخرج سقطاً[٣].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّه سئل عن ذلك فقال: المخلّقة: هم الذر الّذين خلقهم الله في صلب آدم، أخذ عليهم الميثاق، ثمّ أجراهم في أصلاب الرّجال وأرحام النّساء، وهم الّذين يخرجون إلى الدّنيا حتّى يسئلوا عن الميثاق، وأمّا قوله: «وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ» فهم كلّ نسمة لم يخلقهم الله عزّوجلّ في صلب آدم حين خلق الذّر وأخذ عليهم الميثاق وهم النطف من العزل والسقط، قبل أن ينفخ فيه الرّوح والحياة والبقاء[٤].

وعنه عليه السلام: قال: إنّ النّطفة تكون في الرّحم أربعين يوماً، ثمّ تصير علقة أربعين يوماً، ثمّ تصير مضغة أربعين يوماً فإذا أكمل أربعة أشهر بعث الله ملكين خلّاقين فيقولان: يا ربّ ما تخلق ذكراً أو أنثى، فيؤمران، فيقولان: يا ربّ شقيّاً أو سعيداً فيؤمران، فيقولان: يا ربّ ما أجله وما رزقه؟ وكلّ شيء من حاله وعدّد من ذلك أشياء ويكتبان الميثاق بين عينيه فإذا أكمل الله الأجل بعث الله ملكاً يزجره زجرة فيخرج وقدنسى الميثاق[٥].

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وهو وقت الوضع وأدناه ستّة أشهر وأقصاه تسعة.

ففي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا تلد المرأة لأقل من ستة أشهر[٦].

وعن الباقر عليه السلام: إنّه سئل عن غاية الحمل بالولد في بطن أُمّه كم هو؟ فإنّ النّاس يقولون: ربما بقي في بطنها سنين فقال: كذبوا أقصى حدّ الحمل تسعة أشهر لا يزيد لحظة لو زاد ساعة لقتل أُمّه قبل أن يخرج[٧].

---

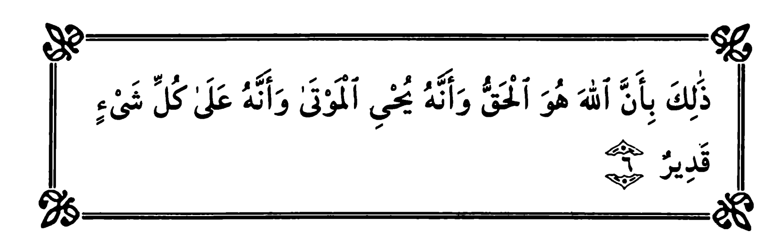
١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٨٥، س ١٥.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٨، س ١٧. ٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٨، س ١٨.

٤ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٢، ح ١، باب بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أُمّه.

٥ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٣، ح ٣، باب بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أُمّه.

٦ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٦٣، ٣٢، باب النوادر. ٧ ـ الكافي: ج ٦، ص ٥٢، ح ٣، باب النوادر.



وعن الصّادق والكاظم عليهما السلام: إذا جاءت به لأكثر من سنة لم تصدّق ولو ساعة واحدة[١].

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾: كمالكم في القوّة والعقل.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: إنقطاع يتم اليتيم الإحتلام وهو أشدّه[٢].

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾: عند بلوغ الأشدّ أو قبله.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: الهرم والخرف، القمّي: عن الصّادق، عن أبيه عليهما السلام قال: إذا بلغ العبد مائة سنة فذلك أرذل العمر[٣].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام خمساً وسبعين[٤]، كما سبق في سورة النّحل[٥].

﴿لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾: ليعود كهيئته في أوان الطفوليّة من سخافة العقل، وقلّة الفهم، فينسي ما عمله وينكر ما عرفه.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾: ميتة يابسة.

﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾: تحرّكت بالنبات.

﴿وَرَبَتْ﴾: وانتفخت.

﴿وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنف.

﴿بَهِيجٍ﴾: حسن رائق.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار مختلفة وتحويله على أحوال متضادّة

---

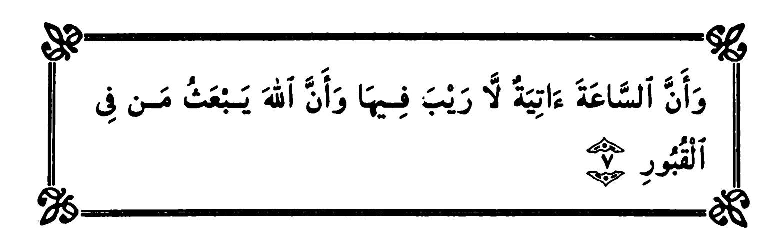
١ ـ الكافي: ج٦، ص١٠١، ح٣، باب المسترابة بالحبل. وفيه عن «أبي إبراهيم، أو أبيه عليهما السلام».

٢ ـ الكافي: ج٧، ص٦٨، ح٢، باب الوصي يدرك أيتامه. فيمتنعون من أخذ مالهم ومن يدرك ولا يؤنس منه الرشد وحد البلوغ.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٧٩، س١.

٤ ـ مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٣٧٢، س٢٢.

٥ ـ ذيل الآية: ٧٠.



وإحياء الأرض بَعد موتها.

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: بأنّه الثّابت في ذاته الّذي به يتحقّق الأشياء.

﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: وأنّه يقدر على إحيائها وإلّا لما أحيا النّطفة والأرض الميتة.

﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: لأنّ قدرته لذاته الّذي نسبته إلى الكلّ على السّواء.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾: فإنّ التغيير دليل على الإنصرام والتجدّد.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾: بمقتضى وعده، في قرب الإسناد: عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجبرئيل: يا جبرئيل أرني كيف يبعث الله تبارك وتعالى العباد يوم القيامة؟ قال: نعم فخرج إلى مقبرة بني ساعدة فأتى قبراً فقال له: أُخرج بإذن الله، فخرج رجل ينفض رأسه من التراب وهو يقول: والهفاه، واللّهف: الثبور، ثمّ قال: أُدخل فدخل، ثمّ قصد به إلى قبر آخر فقال له: أُخرج بإذن الله، فخرج شابّ ينفض رأسه من التّراب، وهو يقول: أشهد أنّ لا إلـه إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأشهد أنّ السّاعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، ثمّ قال: هكذا يبعثون يوم القيامة[1].

والقمّي: ما يقرب منه، ويأتي في سورة الزّمر[2].

وفي المجالس[3]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السّماء على الأرض أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللّحوم[4].

---

١ ـ قرب الإسناد: ص٥٨، ح١٨٧.
٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٣، س٨.
٣ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص١٤٩، ح٥، المجلس الثالث والثلاثون.
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٢٥٣، س٦.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ * ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾: متكبّراً، فإنّ ثني العطف كناية عن التكبّر كلّي الجيد.

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: وقرئ بفتح الياء.

﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: القمّي: قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل[1] «ثَانِىَ عِطْفِهِۦ» قال: تولّى عن الحقّ «عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ»، قال: عن طريق الله عزّوجلّ والإيمان.

في مصباح الشّريعة: عن الصّادق عليه السلام من خاصم الخلق في غير ما يؤمر به فقد نازع الخالقية والرّبوبية، قال الله تعالى: «وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ» الآية، قال: وليس أحد أشدّ عقاباً ممّن لبس قميص النّسك بالدّعوى بلا حقيقة ولا معنى[2].

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾: على طرف من الدّين لا ثبات له فيه كالّذي يكون على طرف

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٩، س ٥.

٢ ـ مصباح الشريعة: ص ٥٧، باب ٢٥ ـ في آفة القرّاء.

يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

الجيش فإن أحسّ على ظفر قرّ وإلّا فرّ.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ﴾: بذهاب عصمته وحبوط عمله بالإرتداد.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾: إذ لا خسران مثله.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية قال: هم قوم وحّدوا الله وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله، فخرجوا من الشّرك ولم يعرفوا أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله رسول الله، فهم يعبدون الله على شكّ في محمّد صلى الله عليه وآله وما جاء به، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: ننظر فإن كثرت أموالنا وعُوفينا في أنفسنا وأولادنا علمنا أنّه صادق وأنّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن كان غير ذلك نظرنا، قال الله تعالى: «فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ» يعني عافية في الدّنيا «وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ» يعني بلاء في نفسه «ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ» إنقلب على شكّه إلى الشّرك[1].

﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾: قال عليه السلام: ينقلب مشركاً، يدعو غير الله ويعبد غيره، فمنهم من يعرف فيدخل الإيمان قلبه فيؤمن ويصدّق ويزول عن منزلته من الشكّ إلى الإيمان، ومنهم من يثبت على شكّه، ومنهم من ينقلب إلى الشّرك[2].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام مثله من دون تفسيري الخير والفتنة[3].

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾: عن المقصد.

﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾: بكونه معبوداً لأنّه يوجب القتل في الدّنيا والعذاب في الآخرة.

---

١ و ٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤١٣ ـ ٤١٤، ح ٢، باب في قوله تعالى: «وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ».

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٩، س ١٦.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾: الّذي يتوقع بعبادته، وهو الشفاعة والتوسّل بها إلى الله.

﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: النّاصر.

﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾: الصّاحب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: من إثابة الموحّد الصّالح، وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾: وقرئ بكسر اللّام.

﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾: قيل: معناه إنّ الله ناصر رسوله في الدّنيا والآخرة، فمن كان يظنّ خلاف ذلك ويتوقّعه من غيظه أو جزعه فليستقص في إزالة غيظه أو جزعه بأن يفعل كل ما يفعله الممتلىء غضباً أو المبالغ جزعاً، حتى يمدّ حبلاً إلى سماء بيته فيختنق من قطع إذا إختنق، فإن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه أو فليمدد حبلاً إلى سماء الدّنيا، ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره[1].

وقيل: المراد بالنّصر: الرزق، والضّمير لمن[2].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٨٧، س ١٢.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٨٧، س ١٣.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

والقمّي: الظنّ في كتاب الله على وجهين ظنّ يقين، وظنّ شكّ. فهذا ظنّ شكّ، قال: من شكّ أنّ الله عزّوجلّ لم ينصر رسوله في الدّنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السّماء أي يجعل بينه وبين الله دليلاً، والدليل على أنّ السّبب هو الدّليل قول الله عزّوجلّ في سورة الكهف «وَءَاتَيْنَٰهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً»[1] أي دليلاً[2].

وقال: «ثُمَّ لْيَقْطَعْ» أي يميز، والدليل على أنّ القطع هو التميز قوله تعالى: «وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً»[3]، أي ميّزناهم «فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يُغِيظُ» أي حيلته، والدّليل على أنّ الكيد هو الحيلة قوله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ»[4] أي احتلنا له حتّى حبس أخاه، وقوله يحكي قول فرعون: «فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ»[5] أي حيلتكم، قال: فإذا وضع لنفسه سبباً وميّز دلّه على الحقّ، فأمّا العامّة فإنّهم رووا في ذلك أنّه من لم يصدّق بما قال الله عزّوجلّ فليلق حبلاً إلى سقف البيت ثمّ ليختنق[6].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾: أنزلنا القرآن كلّه.

﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾: به.

﴿مَن يُرِيدُ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ

---

١ ـ الكهف: ٨٤ ـ ٨٥.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٩، س ١٩.
٣ ـ الأعراف: ١٦٠.
٤ ـ يوسف: ٧٦.
٥ ـ طه: ٦٤.
٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٠، س ٢.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾

وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: بالحكومة بينهم، وإظهار المحقّ منهم من المبطل، وجزاء كلّ بما يليق به.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: عالم به مراقب لأحواله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾: ينقاد لأمره.

﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: يأتي في بيان هذا السّجود كلام في سورة النّور[1] إن شاء الله.

﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾: بكفره وإبائه عن الطّاعة والإنقياد.

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾: في التّوحيد: عن الصّادق، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام أنّه قيل له: إنّ رجلاً يتكلّم في المشيّة، فقال: اُدعه لي، قال: فدُعِي له، فقال له: يا عبدالله خلقك الله لما شاء أو لما شئت؟ قال: لما شاء، قال عليه السلام: فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء، قال عليه السلام: فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال عليه السلام: إذا شاء، قال: فيدخلك حيث شاء أو حيث شئت؟ قال: حيث شاء قال: فقال عليّ عليه السلام له: لو قلت غير هذا لضربت الّذي فيه عيناك[2].

---

١ ـ ذيل الآية: ٤١.

٢ ـ التّوحيد: ص٣٣٧، ح٢، باب ٥٥ ـ المشيئة والإرادة.

هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾

﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ﴾: فوجان مختصمان المؤمنون، والكافرون.

﴿ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ﴾: القمّي: قال: نحن وبنو اُمّية، نحن قلنا صدق الله ورسوله، وقالت بنو اُمّية كذب الله ورسوله[1].

وفي الخصال: عن الحسين عليه السلام مثله، وزاد فنحن الخصمان يوم القيامة[2].

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: فصل لخصومتهم.

قيل: وهو المعني بقوله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ»[3][4].

القمّي: «فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ» يعني بني اُميّة[5].

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾: الماء الحار.

﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾: أي يؤثّر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم فيذاب به أحشاءهم كما يذاب به جلودهم.

﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ﴾: سياط.

﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾: يجلدون بها، القمّي: قال: تشويه النّار فتسترخي شفته السّفلى حتّى تبلغ سرّته، وتتقلّص شفته العليا حتّى تبلغ وسط رأسه. «وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ» قال:

---

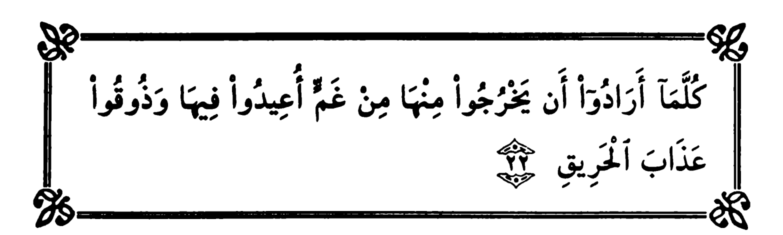
١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٠، س ١١.

٢ ـ الخصال: ٤٢ ـ ٤٣، ح ٣٥، باب الإثنين ـ في خصمان إختصموا في ربهم.

٣ ـ الحج: ١٧.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٨٨، س ١٦.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٠، س ١٢.



الأعمدة الّتي يضربون بها[١].

وفي المجمع: عن النّبيّ ﷺ، قال: «وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ» لو وضع مقمع من حديد في الأرض، ثمّ اجتمع عليه الثقلان ما أقلّوه من الأرض[٢].

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾: ضرباً بتلك الأعمدة.

﴿وَذُوقُواْ﴾: قيل لهم: ذوقوا.

﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: النّار البالغة في الإحراق، القمّي: عن أبي بصير، عن الصّادق عليه السلام، قال: قلت له يا ابن رسول الله خوّفني فإنّ قلبي قد قسا، فقال: يا بامحمّد إستعد للحياة الطويلة فإنّ جبرئيل جاء إلى رسول الله ﷺ وهو قاطب، وقد كان قبل ذلك يجيىء متبسّماً، فقال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً؟ فقال: يا محمّد قد وضعت منافخ النّار، فقال: وما منافخ النّار يا جبرئيل؟ فقال: يا محمّد إنّ الله عزّوجلّ أمر بالنّار فنفخ عليها ألف عام حتّى ابيضّت، ثمّ نفخ عليها ألف عام حتّى احمرّت، ثمّ نفخ عليها ألف عام حتّى اسودّت، فهي سوداء مظلمة، لو أنّ قطرة من الضّريع قطرت في شراب أهل الدّنيا لمات أهلها من نتنها، ولو أنّ حلقة واحدة من السّلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدّنيا لذابت الدّنيا من حرّها، ولو أنّ سربالاً من سرابيل أهل النّار علّق بين السّماء والأرض لمات أهل الأرض من ريحه ووهجه، قال: فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبرئيل فبعث الله إليهما ملكاً فقال لهما: إنّ ربّكما يقرؤكما السّلام، ويقول: قد أمنتكما أن تذنبا ذنباً أُعذّبكما عليه، فقال أبو عبدالله: فما رئي رسول الله ﷺ متبّسماً بعد ذلك، ثمّ قال: إنّ أهل النّار يعظّمون النّار، وأنّ أهل الجنّة يعظّمون الجنّة والنّعيم، وأنّ جهنّم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً فإذا بلغوا

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٠، س ١٤.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٧٨، س ٨.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

أعلاها قمعوا بمقامع الحديد وأُعيدوا في دركها هذه حالهم، وهو قول الله عزّوجلّ: «كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ» ثمّ تبدّل جلودهم غير الجلود الّتي كانت عليهم، فقال أبو عبدالله عليه السلام: حسبك يا أبا محمّد، قلت: حسبي حسبي(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾: قيل: غيّر الأسلوب فيه وأُسند الإدخال إلى الله مؤكّداً تعظيماً لشأن المؤمنين(٢).

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾: جمع أسورة وهي جمع سوار.

﴿مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً﴾: وقرئ بالنّصب وبترك الهمزة الأُولى.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: القمّي: قال: التّوحيد والإخلاص(٣).

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾: قال: إلى الولاية، وفي المحاسن: عن الباقر عليه السلام هو والله هذا الأمر الّذي أنتم عليه(٤).

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال: ذاك حمزة، وجعفر، وعبيدة، وسلمان، وأبو ذرّ، والمقداد بن الأسود، وعمّار، هدوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام(٥).

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨١.
٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٨٩.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٣، س ٣.
٤ ـ المحاسن: ج ١، ص ٢٧٢، ح ٥٣٠/١٣٣، باب ٣٦ ـ ما نزل في الشيعة من القرآن.
٥ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢٦، ح ٧١، باب نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله ما أحد أحبّ إليه الحمد من الله عزّ ذكره[١].

والقمّي: عن أبي بصير: عن الصّادق عليه السلام، قال: قلت له جعلت فداك شوّقني فقال: يا با محمّد إنّ من أدنى نعيم الجنّة أن يوجد ريحها مسيرة ألف عام من مسافة الدّنيا، وإنّ أدنى أهل الجنّة منزلاً لو نزل به الثقلان الجنّ والإنس لوسعهم طعاماً وشراباً، ولا ينقص ممّا عنده شيئاً، وإنّ أيسر أهل الجنّة منزلة من يدخل الجنّة فيرفع له ثلاث حدائق، فإذا دخل أدناهنّ رأى فيها من الأزواج والخدم والأنهار والثّمار ما شاء الله ممّا يملأ عينيه قرّة وقلبه مسرّة فإذا شكر الله وحمده قيل له: إرفع رأسك إلى الحديقة الثانيةففيها ما ليس في الأولى، فيقول: يا ربّ أعطني هذه، فيقول الله تبارك وتعالى لعلي إن أعطيتكها، سألتني غيرها فيقول: ربّ هذه هذه فإذا هو دخلها شكر الله وحمده، قال: فيقال: إفتحوا له باباً إلى الجنّة، ويقال له: إرفع رأسك، فإذا قد فتح له باب من الخلد، ويرى أضعاف ما كان فيما قبل، فيقول عند تضاعف مسرّاته: ربّ لك الحمد الّذي لا يحصى إذ مننت عليّ بالجنان، وأنجيتني من النّيران.

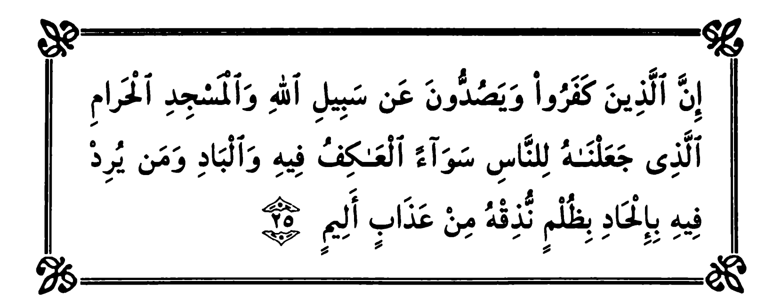
قال أبو بصير: فبكيت، وقلت له: جعلت فداك زدني، قال: يا بامحمّد إنّ في الجنّة نهراً في حافتيه جوار نابتات إذا مرّ المؤمن بجارية أعجبته قلعها وأنبت الله عزّوجلّ مكانها اُخرى، قلت: جعلت فداك زدني، قال: يا با محمّد المؤمن يزوّج ثمان مائة عذراء وأربعة آلاف ثيّب، وزوجتين من الحور العين، قلت: جُعلت فداك، ثمان مائة عذراء، قال: نعم ما يفترش منهنّ شيئاً إلّا وجدها كذلك، قلت: جعلت فداك، من أيّ شيء خلقن الحور العين؟ قال: من تربة الجنّة النورانيّة، ويرى مخّ ساقها من وراء سبعين حلّة، كبدها مرآته، وكبده مرآتها، قلت: جعلت فداك ألهنّ كلام يتكلّمن به في الجنّة؟ قال: نعم، كلام لم يسمع الخلايق أعذب منه. قلت، ما هو؟ قال: يقلن بأصوات رخيمة[٢] نحن الخالدات فلا نموت، ونحن النّاعمات فلا نبؤس[٣].

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٧٨، س٢٢.

٢ ـ الترخيم: التليين، ويقال الحذف. ومنه ترخيم الإسم في النداء، وهو أن يحذف من آخره حرف أو أكثر. الصحاح: ج٥، ص١٩٣٠ مادة «رخم».

٣ ـ بَؤُس الرجل ـ بالضم ـ يَبؤُسُ بأساً: إذا كان شديد البأس، وبَئِس الرجل يبأس بُؤساً وبئيساً: اشتدّت حاجته فهو بائس. الصحاح: ج٣، ص٩٠٧، مادة «بأس».



ونحن المقيمات فلا نظعن، ونحن الرّاضيات فلا نسخط، طوبى لمن خلق لنا، وطوبى لمن خلقنا له، ونحن اللّواتي لو أن قَرن إحدانا علّق في جوّ السّماء لأغشى نوره الأبصار[١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾: المقيم والطّاري حذف خبر إنّ لدلالة آخر الآية عليه، أي معذّبون وقرئ، سواء بالنّصب.

القمّي: قال: نزلت في قريش حين صدّوا رسول الله ﷺ عن مكّة، وقوله: «سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ» قال: أهل مكّة، ومن جاء من البلدان فهم فيه سواء لا يمنع من النزول ودخول الحرم[٢].

وفي نهج البلاغة: في كتاب كتبه إلى قثم بن العبّاس هو عامله على مكّة، وأمر أهل مكّة أن لا يأخذوا من ساكن أجراً فإنّ الله سبحانه يقول: «سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ» والعاكف: المقيم به، والباد: الّذي يحجّ إليه من غير أهله[٣].

وفي قرب الإسناد: عنه عليه السلام إنّه كره إجارة بيوت مكّة وقرأ هذه الآية[٤].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ معاوية أوّل من علّق على بابه مصراعين بمكّة، فمنع حاجّ بيت الله ما قال الله عزّوجلّ: «سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ» وكان النّاس إذا قدموا مكّة نزل البادي على الحاضر حتّى يقضي حجّه، وكان معاوية صاحب السّلسلة الّتي قال الله عزّوجلّ:

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٢، س ١.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٣، س ٥.
٣ ـ نهج البلاغة: ص ٤٥٨، الخطبة ٦٧.
٤ ـ قرب الإسناد: ص ١٤٠، ح ٤٩٨.

«فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً»[١] الآية وكان فرعون هذه الأمّة[٢].

وفي التهذيب: عنه عليه السلام كانت دور مكّة ليس على شيء منها باب، وكان أوّل من علّق على بابه المصراعين معاوية بن أبي سفيان، وليس ينبغي لأحد أن يمنع الحاجّ شيئاً من الدّور ومنازلها[٣].

وفي العلل: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: لم يكن ينبغي أن يوضع على دور مكّة أبواب لأنّ للحاج أن ينزلوا معهم في دورهم في ساحة الدّار حتى يقضوا مناسكهم، وأنّ أوّل من جعل لدور مكّة أبواباً معاوية[٤].

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾: عدول عن القصد.

﴿بِظُلْمٍ﴾: بغير حقّ، وهو ممّا ترك مفعوله ليتناول كلّ متناول.

﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية من عبد فيه غير الله عزّوجلّ أو تولّى فيه غير أولياء الله فهو ملحد بظلم، وعلى الله تبارك وتعالى أن يذيقه من عذاب أليم[٥].

وعنه عليه السلام: فيها[٦] كلّ ظلم إلحاد، وضرب الخادم من غير ذنب من ذلك الإلحاد[٧].

وسئل عن أدنى الإلحاد؟ فقال: إنّ الكبر أدناه[٨]

وفيه[٩]، وفي العلل: عنه عليه السلام قال: كلّ ظلم يظلم به الرّجل نفسه بمكّة من سرقة أو ظلم أحد أو شيء من الظّلم، فإنّي أراه إلحاداً ولذلك كان ينهي أن يسكن الحرم[١٠].

---

١ ـ الحاقة: ٣٢. ٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤، ح ١، باب في قوله عزّوجلّ «سواء العاكف فيه والباد».

٣ ـ تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٤٢٠، ح ١٤٥٨ / ١٠٤، باب ٢٦ ـ من الزيادات في فقه الحج.

٤ ـ علل الشرائع: ص ٣٩٦، ح ١، باب ١٣٥ ـ العلة التي من أجلها لم يكن ينبغي أن يوضع لدور مكة أبواب.

٥ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٣٧، ح ٥٣٣.

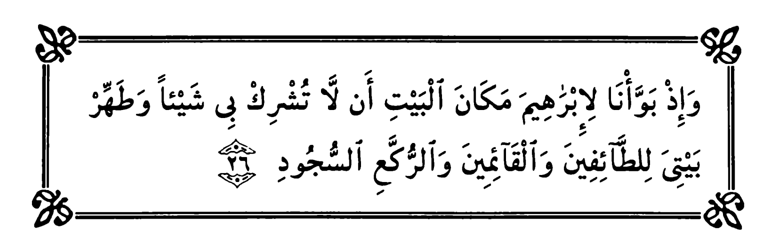
٦ ـ أي في هذه الآية: «وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ».

٧ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٢٧، ح ٢، باب الإلحاد بمكة والجنايات.

٨ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٠٩، ح ١، باب الكبر.

٩ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٢٧، ح ٣، باب الإلحاد بمكة والجنايات.

١٠ ـ علل الشرائع: ص ٤٤٥، ح ١، باب ١٩٦ ـ علة كراهة المقام بمكة.



وفي العلل: عنه عليه السلام إنّه قيل له: إنّ سبعاً من سباع الطّير على الكعبة ليس يمّر به شيء من حمام الحرم إلّا ضربه، فقال: أنصبوا له واقتلوه فإنّه قد ألحد في الحرم[١].

وفي الكافي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: نزلت فيهم حيث دخلوا الكعبة فتعاهدوا وتعاقدوا على كفرهم وجحودهم، بما نزل في أمير المؤمنين عليه السلام فألحدوا في البيت بظلمهم الرّسول ووليّه، «فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ»[٢][٣].

والقمّي: قال: نزلت فيمن يلحد أمير المؤمنين عليه السلام ويظلمه[٤].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: في الكافي[٥]، والتّهذيب: عن الصّادق عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: «وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَاكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ» فينبغي للعبد أن لا يدخل مكّة إلّا وهو طاهر قد غسل عرقه والأذى وتطهّر[٦].

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: إنّ لله تعالى حول الكعبة عشرين ومائة رحمة، منها ستّون للطّائفين، وأربعون للمصلّين، وعشرون للنّاظرين[٧].

وقد مضى في سورة البقرة أخبار أُخر تتعلّق بهذه الآية[٨].

---

١ ـ علل الشرائع: ص ٤٥٣، ح٤، باب ٢١٠ ـ نوادر علل الحج.

٢ ـ المؤمنون: ٤١.

٣ ـ الكافي: ج١، ص٤٢١، ح٤٤، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٨٣، س٨.

٥ ـ الكافي: ج٤، ص٤٠٠، ح٣، باب دخول مكة.

٦ ـ تهذيب الأحكام: ج٥، ص٢٥١، ح٨٥٢/١٢، باب ١٨ زيارة البيت.

٧ ـ الكافي: ج٤، ص٢٤٠، ح٢، باب فضل النظر إلى الكعبة.

٨ ـ ذيل الآية: ١٢٥. أُنظر ج١، ص٣٠٧ من كتابنا تفسير الصافي.

وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ﴾: ناد فيهم.

﴿بِالْحَجِّ﴾: بأن تدعوهم إليه.

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: مشاة جمع راجل.

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام إنّه قرأ رُجَّالاً بالتشّديد والضمّ(١).

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾: أي وركباناً على كلّ بعير مهزول أتعبه بعد السفر فهزله.

﴿يَأْتِينَ﴾: صفة لضامر محمولة على معناه، وقرئ يأتون صفة الرّجال والرّكبان أو إستئناف ونسبها في المجمع: إلى الصّادق عليه السلام(٢).

﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾: طريقٍ.

﴿عَمِيقٍ﴾: بعيد الأطراف، في الكافي(٣)، والعلل: عن الصّادق عليه السلام قال: لمّا أُمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببناء البيت وتمّ بناؤه قعد إبراهيم عليه السلام على ركن، ثمّ نادى هلمّ الحجّ هلمّ الحجّ فلو نادى هلّموا إلى الحج فلم يحجّ إلّا من كان يومئذ إنسيّاً مخلوقاً، ولكن نادى هلمّ الحجّ هلّم الحجّ فلبّى النّاس في أصلاب الرّجال لبيك داعي الله، لبيّك داعي الله، فمن لبّى عشراً حجّ عشراً، ومن لبّى خمساً حجّ خمساً، ومن لبّى أكثر فبعدد ذلك، ومن لبّى واحدة حجّ واحدة، ومن لم يلبّ لم يحج(٤).

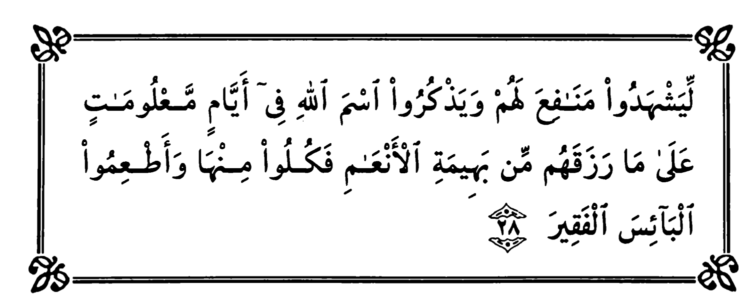
وفي العلل: عن الباقر عليه السلام قال: إنّ الله جلّ جلاله لما أمر إبراهيم عليه السلام ينادي في النّاس بالحجّ قام على المقام فارتفع به حتّى صار بإزاء أبي قبيس فنادى في النّاس بالحجّ فأسمع من

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٧٩، في القراءة. ٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٨٠، س٥.

٣ ـ الكافي: ج٤، ص٢٠٦، ح٦، باب حج إبراهيم وإسماعيل وبنائهما البيت ومن ولي البيت بعدهما عليهما السلام.

٤ ـ علل الشرائع: ص٤١٩، ح١، باب ١٥٨ ـ العلة التي من أجلها يكون في الناس من يحج حجة، وفيهم من يحج حجتين أو أكثر، ومنهم من لا يحجّ أبداً.



في أصلاب الرّجال وأرحام النّساء إلى أن تقوم السّاعة[١].

والقمّي: قال: لمّا فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت أمره الله أن يؤذّن في النّـاس بـالحجّ فقال: يا ربّ ما يبلغ صوتي فقال الله: أذّن عليك الأذان وعليّ البلاغ، وارتفع على المقام وهو يومئذ ملصق بالبيت، فارتفع به المقام حتى كان أطول من الجبال فنادى وأدخل إصبعه في أُذنه وأقبل بوجه شرقاً وغرباً يقول: أيّها النّاس كتب عليكم الحج إلى البـيت العـتيق فأجـيبوا ربّكم، فأجابوه من تحت البحور السّبع، ومن بين المشرق والمـغرب إلى مـنقطع التراب مـن أطراف الأرض كلّها، ومن أصلاب الرّجال، ومن أرحام النّساء بالتّلبية لبّيك اللّهمّ لبّيك أولا ترونهم يأتون يلبّون، فمن حجّ من يومئذ إلى يوم القيامة فهم ممّن إسـتجاب لله وذلك قـوله تعالى: «فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ»[٢] يعني نداء إبراهيم عليه السلام على المقام[٣].

وفي الكافي[٤]، والتّهذيب: عن الصّادق عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أقام بالمدينة عشر سنين لم يحجّ، ثمّ أنزل الله تعالى: «وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ» الآية فأمر المؤذّنين أن يأذّنوا بأعلى أصواتهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يحجّ في عامه هذا فعلم به من حضر بـالمدينة وأهـل العـوالي والأعراب واجتمعوا الحجّ رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّما كانوا تابعين ينظرون ما يؤمرون به فيتّبعونه أو يصنع شيئاً فيصنعونه الحديث[٥].

﴿لِّيَشْهَدُوا۟﴾: ليحضروا.

---

١ ـ علل الشرائع: ص ٤١٩ ـ ٤٢٠، ح ٢، باب ١٥٨ ـ العلة التي من أجلها يكون في النّاس من يحج حجة، وفيهم من يحج حجتين أو أكثر، وفيهم من لا يحج أبداً.

٢ ـ آل عمران: ٩٧.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٣، س ١١.

٤ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٤٥، ح ٤، باب حج النبيّ صلى الله عليه وآله.

٥ ـ تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٤٥٤، ح ١٥٨٨ / ٢٣٤، باب ٢٦ ـ من الزيادات في فقه الحج.

﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾: دينيّة ودنيويّة، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه قيل له: لو أرحت بدنك من المحمل، فقال عليه السلام إنّي احبُّ أن أشهد المنافع الّتي قال الله عزّوجلّ: «لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ» إنّه لا يشهدها أحد إلاّ نفعه الله أمّا أنتم فترجعون مغفوراً لكم، وأمّا غيركم فيحفظون في أهاليهم وأموالهم[١].

وعنه عليه السلام: إنّه يطاف به حول الكعبة في محمل وهو شديد المرض فكان كلّما بلغ الرّكن اليماني أمرهم فوضعوه بالأرض فأخرج يده من كوّة[٢] المحمل حتّى يجرّها على الأرض، ثمّ يقول: إرفعوني فلمّا فعل ذلك مراراً في كلّ شوط، قيل له يابن رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ هذا يشقّ عليك، فقال: إنّي سمعت الله عزّوجلّ يقول: «لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ» فقيل: منافع الدّنيا أو منافع الآخرة؟ فقال: الكلّ[٣].

وفي المجمع: عنه عليه السلام منافع الآخرة: هي العفو والمغفرة[٤].

وفي العيون: عن الرّضا عليه السلام، وعلّة الحجّ الوفادة[٥] إلى الله تعالى، وطلب الزّيادة، والخروج من كلّ ما اقترف[٦]، وليكون تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل وما فيه من إستخراج الأموال، وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات واللّذات[٧]، والتقرّب بالعبادة إلى الله عزّوجلّ، والخضوع والإستكانة والذلّ شاخصاً إليه في الحرّ والبرد والأمن والخوف دائباً في ذلك دائماً، وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع والرّغبة والرّهبة إلى الله تعالى، ومنه ترك قساوة القلب، وجسارة الأنفس، ونسيان الذّكر، وإنقطاع الرّجاء والأمل، وتجديد الحقوق،

---

١ ـ الكافي: ج٤، ص٢٦٣ ـ ٢٦٤، ح٤٦، باب فضل الحج والعمرة وثوابهما.

٢ ـ الكَوَّةُ: نقب البيت، الصحاح: ج٦، ص٢٤٧٨، مادة «كوى» فالمراد هنا أي أخرج يده من نقب المحمل.

٣ ـ الكافي: ج٤، ص٤٢٢، ح١، باب طواف المريض ومن يطاف به محمولاً من غير علة.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص٨١، س١٥.

٥ ـ الوفادة: القدوم للإسترفاد، ولفظه يستعار للحج لأنّه قدوم إلى بيت الله طلباً لفضله وثوابه وللصلاة. مجمع البحرين: ج٣، ص١٦٣ ماة «وفد».

٦ ـ الإقتراف: الإكتساب ومنه الحديث أياكم وإقتراف الآثام. مجمع البحرين: ج٥، ص١٠٨. مادة «قرف».

٧ ـ هكذا في الأصل، والأفضل: «حظر الأنفس عن الشهوات».

وحظر الأنفس عن الفساد، ومنفعة من في شرق الأرض وغربها، ومن في البرّ والبحر ممنّ يحجّ وممّن لا يحجّ، من تاجر، وجالب، وبايع، ومشترٍ، وكاسب، ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف، والمواضع الممكن لهم الإجتماع فيها كذلك: «لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ»[1].

وزاد في رواية أُخرى مع ما فيه من التفقّه ونقل أخبار الأئمّة عليهم السلام إلى كلّ صقع[2] وناحية كما قال الله عزّوجلّ: «فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»[3][4].

﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾: قيل: يعني عند ذبحها[5].

وقيل: كنّى عن الذّبح بالذكر لعدم إنفكاكه عنه[6].

وفي العوالي: عنهما عليهما السلام هو التكبير عقيب خمس عشرة صلاة أوّلها ظهر العيد[7].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام مثله[8].

وفي المعاني: عنه عليه السلام، قال: قال عليّ عليه السلام: في قول الله عزّوجلّ: «وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ» قال: أيّام العشر[9].

عنه عليه السلام: قال: هي أيّام التّشريق[10].

وعنه عليه السلام: قال: المعلومات، والمعدودات: واحدة، وهنّ أيّام التشريق[11].

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٩٠، باب ٣٣ ـ في ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمّد بن سنان في جواب مسائله في العلل.

٢ ـ الصقع ـ بالضم ـ: الناحية من البلاد، والجهة، والمحلّة.

٣ ـ التوبة: ١٢٢.

٤ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص١١٩، باب ٣٤، علة تشريع الحج ومناسكه.

٥ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٩٠، س١١.

٦ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٩٠، س١١.

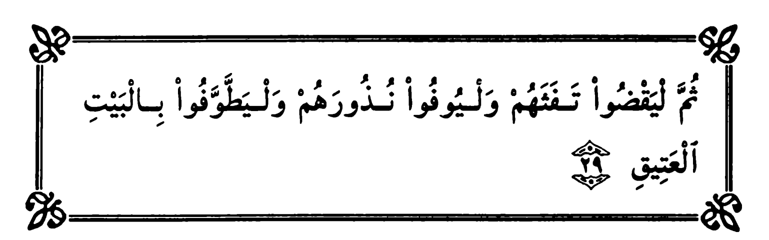
٧ ـ عوالي اللئالي: ج٢، ٨٨، ح٢٣٧.

٨ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٨١، س٢٢.

٩ ـ معاني الأخبار: ص٢٩٦ ـ ٢٩٧، ح١، باب معنى الأيام المعلومات والأيّام المعدودات.

١٠ ـ معاني الأخبار: ص٢٩٧، ح٢، باب معنى الأيّام المعلومات والأيّام المعدودات.

١١ ـ معاني الأخبار: ص٢٩٧، ح٣، باب معنى الأيّام المعلومات والأيّام المعدودات.



وفي التهذيب: عنه، عن أبيه[١].

وفي رواية عن عليّ عليه السلام أنّ الأيّام المعلومات أيّام العشر، والمعدودات: أيّام التّشريق[٢].

وفي الجوامع: عن الباقر عليه السلام إنّ الأيّام المعلومات يوم النّحر، والثلاثة بعده أيّام التّشريق، والأيّام المعدودات عشر ذي الحجّة[٣].

﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾: الّذي أصابه بؤس وشدّة.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام هو الزّمن الّذي لا يستطيع أن يخرج لزمانته[٤].

وعنه عليه السلام: البائس الفقير[٥].

﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾: ثمّ ليزيلوا وسخهم بقصّ الأظفار والشّارب، وحلق الرّأس ونحوها.

﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾: مناسك حجّهم، وقرئ بكسر اللّام فيهما وبتشديد الفاء.

في الكافي[٦]، والفقيه: عن الصّادق عليه السلام التفث: هو الحلق وما في جلد الإنسان[٧].

وعن الرّضا عليه السلام: التفث: تقليم الأظفار، وطرح الوسخ، وطرح الإحرام عنه[٨].

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج٥، ص٤٤٧، ح١٥٥٨/٢٠٤، باب ٢٦ ـ في الزيادات في فقه الحج.
٢ ـ تهذيب الأحكام: ج٥، ص٤٨٧، ح١٧٣٦/٣٨٢، باب ٢٦ ـ في الزيادات في فقه الحج.
٣ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٤٥، س ٢.
٤ ـ الكافي: ج٤، ص٤٦، ح٤، باب النوادر.
٥ ـ الكافي: ج٤، ص٥٠٠، ذيل ح٦، باب الأكل من الهدي الواجب والصدقة منها وإخراجه من منى.
٦ ـ الكافي: ج٤، ص٥٠٣، ح٨، باب الحلق والتقصير.
٧ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢٩٠، ح١٤٣٤/٤، باب ١٩٦ ـ باب قضاء التفث.
٨ ـ الكافي: ج٤، ص٥٠٣ ـ ٥٠٤، ح١٢، باب الحلق والتقصير.

وفي الفقيه: عن الباقر عليه السلام التفث: حفوف[١] الرّجل من الطّيب، فإذا قضى نسكه حلّ له الطّيب[٢].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام من التفث: أن تتكلّم في إحرامك بكلام قبيح فإذا دخلت مكّة وطفت بالبيت تكلّمت بكلام طيّب فكان ذلك كفّارة[٣].

وعن عبدالله بن سنان: عن ذريح المحاربي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ الله أمرني في كتابه بأمر فأحبّ أن أعلمه، قال: وما ذاك؟ قلت: قول الله عزّ وجلّ: «ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ» قال عليه السلام: «لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ»: لقاء الإمام، «وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ»: تلك المناسك، قال عبدالله بن سنان: فأتيت أبا عبدالله عليه السلام فقلت جُعلت فداك قول الله تعالى: «ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ» قال: أخذ الشّارب، وقصّ الأظفار، وما أشبه ذلك، قال: قلت جعلت فداك إنّ ذريح المحاربيّ حدّثني عنك بأنّك قلت له «لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ»: لقاء الإمام، «وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ»: تلك المناسك، فقال: صدق، وصدقت إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح[٤].

أقول: وجه الإشتراك بين التفسير والتأويل هو التطهير، فإنّ أحدهما تطهير عن الأوساخ الظاهرة والآخر عن الجهل والعمى، قال: في الفقيه: معنى التّفث: كلّ ما وردت به الأخبار[٥].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام أنّه يقول: ويرى النّاس بمكّة وما يعملون فعال كفعال الجاهليّة أما والله ما أُمروا بهذا، وما أمروا إلّا أن يقضوا تفثهم، وليوفوا نذورهم، فيمرّوا بنا فيخبرونا بولايتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم[٦].

---

١ ـ الحفوف ـ بالحاء المهملة والفائين ـ: بعد العهد بالدهن. منه رحمه الله.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٢٤، ح ١٠٥١/٢٣، باب ١١٨ ـ ما يجوز للمحرم إتيانه وإستعماله وما لا يجوز من جميع الأنواع.

٣ ـ الكافي: ج ٤، ص ٣٣٨، ذيل ح ٣، باب ما ينبغي تركه للمحرم من الجدال وغيره، ونحوه ما في الكافي: ج ٤، ص ٥٤٣، ح ١٥، باب النوادر.

٤ ـ الكافي: ج ٤، ص ٥٤٩، ح ٤، باب إتباع الحج بالزيارة.

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٩١، س ٧.

٦ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٩٢، ح ٢، باب أن الواجب على الناس بعدما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام فيسألونه عن معالم دينهم ويعلمونهم ولا يتهم ومودتهم له.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾: وقرئ بكسر اللّام.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عنه عليه السلام فقال: هو طواف النّساء[1].

وعن الباقر عليه السلام: إنّه سئل لم سمّى الله البيت العتيق؟ قال: هو بيت حرّ عتيق من النّاس لم يملكه أحد[2].

وفي المحاسن[3]، والعلل[4]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام سمّي البيت العتيق لأنّه أُعتق من الغرق[5].

﴿ذَٰلِكَ﴾: الأمر ذلك، وهو وأمثاله يطلق للفصل بين الكلامين.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أحكامه وما لا يحلّ هتكه.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾: ثواباً.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: كالميتة وما أُهلّ به لغير الله فلا تحرمّوا منها غير ما حرّمه الله كالبحيرة والسّائبة.

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾: فاجتنبوا الرّجس الذي هو الأوثان كما تجتنب الأنجاس وكلّ إفتراء.

---

١ ـ الكافي: ج٢، ص٥١٣، ح٢، باب طواف النساء ونحوه ج٢، ص٥١٢، ح١، باب طواف النساء. ونصه موجود في التهذيب، ج٥، ص٢٥٣، ح٨٥٥/١٥، باب ١٨ ـ زيارة البيت.

٢ ـ الكافي: ج٤، ص ١٨٩، ح٦، باب أنّ أوّل ما خلق الله من الأرضين موضع البيت؛ وكيف كان أوّل ما خلق.

٣ ـ المحاسن: ج٢، ص٦٦، ح١١٨٣/١١٢، كتاب العلل.

٤ ـ علل الشرائع: ص٣٩٨ ـ ٣٩٩، ذيل ح١، باب ١٤٠ ـ العلة التي من أجلها سمي البيت العتيق.

٥ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣٢٨، س٣، وج٢، ص٨٤، س٣.

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾

في الكافي[1]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: الرّجس من الأوثان: الشطرنج، وقول الزّور: الغناء[2].

وزاد في المجمع: وسائر أنواع القمار، وسائر الأقوال الملهيّة، وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله عدلت شهادة الزّور بالشرك بالله، ثمّ قرأ هذه الآية[3].

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾: القمّي: عن الصّادق عليه السلام أي طاهرين[4].

﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾: في التّوحيد: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عنه وعن الحنيفيّة فقال: هي الفطرة الّتي فطر الله النّاس عليها لا تبديل لخلق الله، قال: فطرهم الله على المعرفة[5].

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: لأنّه سقط من أُوج الإيمان إلى حضيض الكفر.

﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾: فإنّ الأهواء المردية توزّع أفكاره، وقرئ بتشديد الطاء.

﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾: بعيد فإنّ الشيطان قد طرح به في الضّلالة.

﴿ذَٰلِكَ﴾: الأمر ذلك.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللهِ﴾: اعلام دينه.

---

١ ـ الكافي: ج٦، ص٤٣٥، ح٢، وص٤٣٦، ح٧، باب النرد والشطرنج.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٨٤، س٥.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٨٢، س١٨.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٨٤، س٦.

٥ ـ التّوحيد: ص٣٣٠، ح٩، باب ٥٣ ـ فطرة الله عزّوجلّ الخلق على التّوحيد.

لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾

﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾: القمّي: قال: تعظيم البدن وجودتها[1][2].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّما يكون الجزاء مضاعفاً فيما دون البدنة فإذا بلغ البدنة فلا تضاعف، لأنّه أعظم ما يكون قال الله تعالى: «وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ»[3].

وعنه عليه السلام: في قصّة حجّة الوداع: وكان الهدي البدن الّذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة وستّين أو ستّة وستّين، وجاء عليّ عليه السلام بأربعة وثلاثين أو ستّة وثلاثين[4].

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: في الكافي[5]، والفقيه: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية، قال: إن احتاج إلى ظهرها ركبها من غير أن يعنّف عليها، وإن كان لها لبن حلبها حلاباً لا ينهكها[6].

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾: القمّي: قال: البُدن يركبها المحرم من موضعه الّذي يحرم فيه غير مضرّ بها ولا معنف عليها، وإن كان لها لبن يشرب من لبنها إلى يوم النّحر[7].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٤، س ٨.

٢ ـ أقول: الأنسب أن يذكر الماتن رحمه الله قول القمّي رحمه الله بعد قوله تعالى: «وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ» أو كان الأنسب له أن لا يفصل بين قوله تعالى: «وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ» وبين قوله: «فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ».

٣ ـ الكافي: ج ٤، ص ٣٩٥، ح ٥، باب المحرم يصيب الصيد في الحرم.

٤ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧، ح ٤، باب حج النبيّ صلى الله عليه وآله.

٥ ـ الكافي: ج ٤، ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣، ح ١، باب الهدى ينتج أو يحلب أو يركب.

٦ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٠٠، ح ١٤٩٣/٤، باب ٢٠٢ ـ نتاج البدنة وحلابها وركوبها.

٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٤، س ٩.

ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: أهل دين.

﴿جَعَلْنَا مَنسَكاً﴾: متعبّداً وقرباناً يتقرّبون به إلى الله، وقرئ بالكسر أي موضع نسك.

﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾: دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه، علّل الجعل به تنبيهاً على أنّ المقصود من المناسك تذكّر المعبود.

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾: عند ذبحها.

﴿فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ﴾: اخلصوا التقرب والذكر ولا تشوّبوه بالإشراك.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾: القمّي: قال: العابدين[1].

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: هيبة منه لإشراق أشعّة جلاله عليها.

﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾: من المصائب.

﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾: في أوقاتها.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في وجوه الخير.

﴿وَٱلْبُدْنَ﴾: جمع بدنة.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٤، س ١١.

﴿جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: منافع دينيّة ودنيويّة.

﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾: قائمات قد صففن أيديهنّ وأرجلهنّ، القمّي: قال: تنحر قائمة(١).

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام ذلك حين تصفّ للنحر تربط يديها ما بين الخفّ إلى الرّكبة(٢).

وقرئ صوافن بالنّون ونسبها في المجمع: إلى الباقر عليه السلام(٣) وهو من صفن الفرس إذا قام على ثلاث، وعلى طرف سنبك الرابعة، لأنّ البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: في الكافي(٤)، والمعاني: عن الصّادق عليه السلام قال إذا وقعت على الأرض(٥).

﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: قال: القانع: الّذي يرضى بما أعطيته ولا يسخط ولا يكلح ولا يلوي شدقه غضباً، والمعترّ: المارّ بك لتطعمه، وفي المعاني: عنه عليه السلام أطعم أهلك ثلثاً، وأطعم القانع ثلثاً، وأطعم المسكين ثلثاً، قيل: المسكين هو السّائل؟ قال: نعم، والقانع: يقنع بما أرسلت إليه من البضعة فما فوقها، والمعترّ يعتريك لا يسألك(٦).

وفي المجمع: عنهم عليهم السلام إنّه ينبغي أن يطعم ثلثه، ويعطي القانع والمعترّ ثلثه، ويهدي لأصدقائه الثلث الباقي(٧).

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ﴾: مع عظمها وقوّتها حتّى تأخذونها منقادة فتعقلونها، وتحبسونها صافّة قوائمها، ثمّ تطعنون في لبّاتها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: إنعامنا عليكم بالتقرّب والإخلاص.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٨٤، س ١٢.
٢ ـ الكافي: ج٤، ص٤٩٧، ح١، باب الذبح.
٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٨٥، س١.
٤ ـ الكافي: ج٤، ص٤٩٧، ذيل ح١، باب الذبح.
٥ ـ معاني الأخبار: ص٢٠٨، ح١، باب معنى القانع والمعتر.
٦ ـ معاني الأخبار: ص٢٠٨، ح٢، باب معنى القانع والمعتر.
٧ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٨٦، س٢٧.

لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ﴾: لن يصيب رضاه ولا يقع منه موقع القبول.

﴿لُحُومُهَا﴾: المتصدّق بها.

﴿وَلَا دِمَآؤُهَا﴾: المهراقة بالنّحر من حيث إنّها لحوم ودماء.

﴿وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾: لكنّه يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم الّتي تدعوكم إلى أمر الله وتعظيمه، والتقرّب إليه والإخلاص له.

في الجوامع: روي أنّ في الجاهليّة كانوا إذا نحروا لطخوا البيت بالدّم فلمّا حجّ المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت[١].

وفي العلل: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل ما علّة الأُضحيّة؟ قال: إنّه يغفر لصاحبها عند أوّل قطرة تقطر من دمها إلى الأرض، وليعلم الله عزّوجلّ من يتقّيه بالغيب، قال الله عزّوجلّ: «لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا» الآية، ثمّ قال: أُنظر كيف قبل الله قربان هابيل وردّ قربان قابيل[٢].

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾: كرّره تذكيراً للنعمة وتعليلاً له بما بعده.

﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحّدوه بالكبرياء.

والقمّي: قال: التكبير أيّام التشريق في الصلوات بمنى في عقيب خمس عشرة صلاة، وفي الأمصار عقيب عشر صلوات[٣].

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٥٠، س ٢.

٢ ـ علل الشرائع: ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨، ح ٢، باب ١٧٨ ـ علة الأضحية.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٤، س ١٦.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾: أرشدكم إلى طريق تسخيرها وكيفيّة التقرّب بها.

﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: المخلصون فيما يأتونه ويذرونه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: غائلة المشركين، وقرئ يدفع.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾: في أمانة الله.

﴿كَفُورٍ﴾: لنعمته كمن يتقرّب إلى الأصنام بذبيحته.

﴿أُذِنَ﴾: رخّص، وقرئ بفتح الهمزة أي الله.

﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾: المشركين أي في القتال حذف لدلالته عليه، وقرئ بفتح التّاء أي للّذين يقاتلهم المشركون.

﴿بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ﴾: بسبب أنّهم ظلموا، في المجمع: عن الباقر عليه السلام لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال، ولا أُذن له فيه حتّى نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية، وقلّده سيفاً(١).

وفيه: وكان المشركون يؤذون المسلمين ولا يزال يجيء مشجوج ومضروب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويشكون ذلك إليه فيقول لهم: اصبروا فإنّي لم أؤمر بالقتال حتّى هاجر فأنزل الله عليه هذه الآية بالمدينة وهي أوّل آية نزلت في القتال(٢).

والقمّي: قال: نزلت في عليّ، وجعفر، وحمزة، ثمّ جرت(٣).

وعن الصّادق عليه السلام: إنّ العامّة يقولون نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أخرجته قريش من

---

١ ـ لم نعثر عليه في المجمع. نعم ورد في نور الثقلين: ج ٣، ص ٥٠١، ح ١٥٣ نقلاً عن المجمع.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٨٧، س ٦.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٤، س ١٨.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾

مكّة، وإنّما هو القائم[1] إذا خرج يطلب دم الحسين عليه السلام، وهو يقول: نحن أولياء الدّم وطلّاب الترة[2][3].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾: وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفّار عنهم.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: يعني أنّهم لم يخرجوا إلّا لقولهم «رَبُّنَا ٱللَّهُ»، في الكافي: عن الباقر عليه السلام نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليّ عليه السلام، وحمزة، وجعفر، وجرت في الحسين عليه السلام[4].

والقمّي: قال عليه السلام[5]: الحسين عليه السلام حين طلبه يزيد ليحمله إلى الشام فهرب إلى الكوفة[6]، وقتل بالطفّ[7].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام قال: نزلت في المهاجرين، وجرت في آل محمّد عليهم السلام الّذين أُخرجوا من ديارهم وأُخيفوا[8].

---

١ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: «إنّما هي للقائم» كما جاء في تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٤ ـ ٨٥.

٢ ـ الوتيرة: طلب الثأر، والموتور: الذي قُتل له قتيل فلم يدرك دمه، ويقال: وتَرَهُ يَتِرَه وتراً وتِرَةً، ومنه حديث الأئمّة عليهم السلام «بكم يُدرك الله تِرَة كلّ مؤمن يطلب بها». مجمع البحرين: ج ٣، ص ٥٠٩، مادة «وتر».

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٤ ـ ٨٥. وفيه: «وطلّاب الدية».

٤ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨، ح ٥٣٤.

٥ ـ أي أبو عبدالله عليه السلام.

٦ ـ توجّه الحسين بن علي عليهما السلام يوم الثامن من ذي الحجّة إلى الكوفة هرباً من انتهاك حرمة بيت الله الحرام بقتله فيه من قبل يزيد «لعنه الله» في الوقت الذي يحرم فيه الحجّاج متوجّهين إلى منى لأداء مناسك الحجّ.

٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٤، س ١٩.

٨ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٨٧، س ١٤.

ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

وفي المناقب: عنه عليه السلام نحن نزلت فينا(١).

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام في حديث الزبيري ذلك لقوم لا يحلّ إلّا لهم ولا يقوم بذلك إلّا من كان منهم، ثمّ ذكر الشرائط مفصّلاً في حديث أورده في كتاب الجهاد من أراده فليطلب منه(٢).

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين، وقرئ دفاع.

﴿لَّهُدِّمَتْ﴾: وقرئ بالتّخفيف لخربت بإستيلاء المشركين على أهل الملل.

﴿صَوَٰمِعُ﴾: صوامع الرهبانيّة.

﴿وَبِيَعٌ﴾: وبيع النّصارى.

﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: وكنائس اليهود، وقيل: سمّيت بها لأنّها تصلّى فيها(٣).

وقيل: أصلها ثلوثا بالثّاء المثلّثة بالعبريّة بمعنى المصلّى فعرّبت(٤).

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام إنّه قرأ صلوات بضمّ الصّاد واللّام(٥).

﴿وَمَسَـٰجِدُ﴾: ومساجد المسلمين.

﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾: لا يمانعه شيء.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام فهذه لآل

---

١ ـ المناقب لابن شهرآشوب: ج٤، ص١٧٩.

٢ ـ الكافي: ج٥، ص١٣ ـ ٢٠، ح١، باب من يجب عليه الجهاد ومن لا يجب.

٣ و ٤ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٩٣، س١٩. ٥ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٨٥، س٢.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾

محمّد صلوات الله عليهم إلى آخر الأئمّة، والمهديّ عليه السلام وأصحابه يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها ويظهر الدّين، ويميت الله به وبأصحابه البدع والباطل، كما أمات الشقاة الحقّ حتى لا يرى أين الظّلم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[١]. وفي المجمع: عنه عليه السلام نحن هم[٢].

وفي المناقب: عن الكاظم وجدّه سيّد الشهداء عليهما السلام هذه فينا أهل البيت[٣].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ﴾: تسلية للنّبيّ صلى الله عليه وآله.

﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾: قيل: غيّر فيه النّظم لأنّ قومه لم يكذّبوه وإنّما كذّبه القبط، ولأنّ تكذيبه كان أشنع وآياته كانت أعظم وأشيع[٤].

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾: فأمهلتهم حتّى إنصرمت آجالهم المقدّرة.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بتغيّر النّعمة محنة، والحياة هلاكاً، والعمارة خراباً.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا﴾: بإهلاك أهلها، وقرئ أهلكتها.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٨٧، س١٨.
٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٨٨، س١٩.
٣ ـ المناقب لابن شهرآشوب: ج٤، ص٤٧، س٢٥.
٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٩٤، س٦.

﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: أي أهلها.

﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: ساقطة حيطانها على سقوفها.

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾: لا يستقي منها لهلاك أهلها.

﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: مرتفع أخليناه عن ساكنيه، في المجمع: وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام في قوله: «وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ» أي وكم من عالم لا يرجع إليه ولا ينتفع بعلمه[١].

وفي الإكمال[٢]، والمعاني[٣] عن الصادق عليه السلام، وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام البئر المعطّلة: الإمام الصّامت، والقصر المشيد: الإمام الناطق[٤].

أقول: إنّما كنّى عن الإمام الصّامت بالبئر: لأنّه منبع العلم الذي هو سبب حياة الأرواح مع خفائه إلّا على من أتاه، كما أنّ البئر: منبع الماء الّذي هو سبب حياة الأبدان مع خفائها إلّا على من أتاها، وكنّى عن صمته بالتعطيل لعدم الإنتفاع بعلمه، وكنّى عن الإمام النّاطق بالقصر المشيد لظهوره، وعلّو منصبه، وإشاعة ذكره.

وفي المعاني: مقطوعاً، إنّ أمير المؤمنين هو القصر المشيد، والبئر المعطّلة: فاطمة، وولدها معطّلين من الملك[٥].

والقمّي: قال: هو مثل لآل محمّد صلوات الله عليهم، وبئر معطّلة: هو الذي لا يستقى منها، وهو الإمام الّذي قد غاب فلا يقتبس منه العلم إلى وقت ظهوره، والقصر المشيد: هو المرتفع، وهو مثل لأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام منه وفضائلهم المنتشرة في العالمين، المشرفة[٦] على الدّنيا، وهو قوله: «لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ»[٧].

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٨٩، س٢.

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٤١٧، ح١٠، باب ٤٠ ـ ماروي في أن الإمامة لا تجتمع في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام.

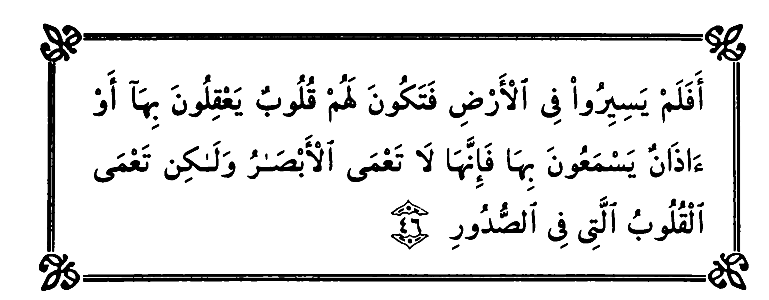
٣ ـ معاني الأخبار: ص١١١، ح١، باب معنى البئر المعطلة والقصر المشيد.

٤ ـ الكافي: ج١، ص٤٢٧، ح٧٥، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٥ ـ معاني الأخبار: ص١١١، ح٣، باب معنى البئر المعطلة والقصر المشيد.

٦ ـ وفي نسخة: [المشرقة على الدنيا].

٧ ـ التوبة: ٣٣.


أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

وقال الشّاعر:

بـئر مـعطّلة وقـصر مـشرف	مـثل لآل محـمّد مسـتطرف
فالقصر مجدهم الّـذي لا يـرتقي	والبئر علمهم الّذي لا يـنزف[1]

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: قيل: حث لهـم عـلى أن يسـافروا ليروا مـصارع المهلكين فيعتبروا[2].

وفي الخصال: عن الصّادق عليه السلام معناه أولم ينظروا في القرآن[3]

﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾: ما يجب أن يعقل.

﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: ما يجب أن يسمع.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾: عن الإعتبار أي ليس الخلل في مشاعرهم، وإنّما أنفت عقولهم بإتّباع الهوى والإنهماك في التقليد.

في التّوحيد[4]، والخصال: عن السّجاد عليه السلام إنّ للعبد أربع أعين، عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه، وعينان يبصر بهما أمر آخرته، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللّـتين في قلبه فأبصر بهما الغيب وأمر آخرته، وإذا أراد الله به غير ذلك ترك القلب بما فيه[5].

---

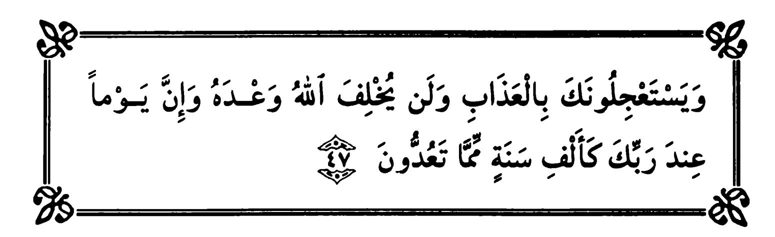
١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٨٥، س٥.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٩٤، س١٩.

٣ ـ الخصال: ص٣٩٦، ذيل ح١٠٢، باب السبعة، معنى الحديث الذي روي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال لا تعادوا الأيام فتعاديكم.

٤ ـ التوحيد: ص٣٦٦ ـ ٣٦٧، ذيل ح٤، باب ٦٠ ـ القضاء، والقدر، والفتنة، والأرزاق، والأسعار، والآجال.

٥ ـ الخصال: ص٢٤٠، ح٩٠، باب الأربعة. للعبد أربع أعين.



وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين، عينان في الرّأس، وعينان في القلب، ألا وأنّ الخلائق كلّهم كذلك ألا وإنّ الله عزّوجلّ فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم(١).

وفي الفقيه: عن الباقر عليه السلام إنّما العمى عمى القلب، ثمّ تلا الآية(٢).

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: المتوعّد به، القمّي: وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرهم أنّ العذاب أتاهم فقالوا: فأين العذاب فاستعجلوه(٣).

﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: وقرئ بالياء، وفي إرشاد المفيد: عن الباقر عليه السلام إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة فهدم فيها أربعة مساجد، ولم يبق مسجد على وجه الأرض له شرف إلّا هدّمها وجعلها جمّاً(٤)، ووسّع الطريق الأعظم، وكسر كلّ جناح خارج في الطريق، وأبطل الكنف والميازيب إلى الطرقات، ولا ترك بدعة إلّا أزالها، ولا سنّة إلّا أقامها، ويفتح قسطنطنيّة، والصّين، وجبال الدّيلم، فيمكث على ذلك سبع سنين مقدار كلّ سنة عشر سنين من سنينكم هذه، ثم يفعل الله ما يشاء، قيل: فكيف تطول السنون قال: يأمر الله الفلك باللبوث وقلّة الحركة فتطول الأيّام لذلك والسّنون، قيل: إنّهم يقولون: إنّ الفلك إن تغيّر فسد، قال: ذاك قول الزّنادقة، فأمّا المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك، وقد شقّ الله القمر لنبيّه صلى الله عليه وآله وردّ الشمس من قبله ليوشع بن نون، وأخبر بطول يوم

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٢١٤ ـ ٢١٥، ذيل ح ٢٦٠.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج١، ص٢٤٨، ح١١١٠/٢٠، باب ٥٦ ـ الجماعة وفضلها.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٨٨، س٢.

٤ ـ الجماء: أي التي لا قرن لها، وفي الحديث: «إنّ المساجد لا تُشرف تبنى جمّاً» أي لا تشرف جدرانها. مجمع البحرين: ج٦، ص ٣٠، مادة «جمم».

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

القيامة وإنّه «كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ»[١].

وفي الكافي: عنهم عليهم السلام قال: فيما وعظ الله به عيسى عليه السلام واعبدني ليوم «كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ» فيه أجزى بالحسنة أضعافها[٢].

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾: وكم من أهل قرية.

﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾: كما أمهلتكم.

﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: مثلكم.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾: بالعذاب.

﴿وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾: وإلى حكمي مرجع الجميع.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: أُوضّح لكم ما أُنذركم به.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: الكريم من كلّ نوع ما يجمع فضائله.

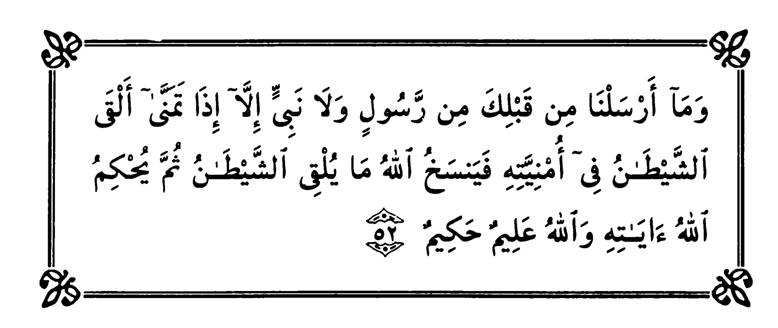
﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: بالرّد والإبطال.

﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: مسابقين مشاقين السّاعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فأعجزه إذا سابقه فسبقه لأنّ كلّاً من المتسابقين يطلب إعجاز الآخر عن اللّحاق به، وقرئ

---

١ ـ الإرشاد للشيخ المفيد: ص٣٦٥.

٢ ـ الكافي: ج٨، ص١٣٤، س١٥، قطعة من ح١٠٣.



معجّزين بالتّشديد.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: النّار الموقدة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾: في الكافي: عنهما عليهما السلام في هذه الآية إنّهما زادا ولا محدّث بفتح الدّال، قيل: ليست هذه قراءتنا، فما الرّسول و النّبيّ والمحدّث؟ فقال: الرّسول: الذي يظهر له الملك فيكلّمه، والنّبيّ هو الّذي يرى في منامه، وربّما إجتمعت النّبوة والرّسالة لواحد، والمحدّث: الّذي يسمع الصوت ولا يرى الصّورة، قيل: كيف يعلم أنّ الّذي رآى في النّوم حقّ وأنّه من الملك؟ قال: يوفّق لذلك حتّى يعرفه لقد ختم الله بكتابكم الكتب وختم بنبيّكم الأنبياء[1].

وفي معناه أخبار أُخر فيه[2]، وفي البصائر[3] وغيرهما[4].

وفي الكافي: عن السّجاد عليه السلام إنّ في القرآن آية كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعرف قاتله بها، ويعرف بها الأُمور العظام الّتي كان يحدّث بها النّاس، ثمّ قال: بعدما سئل عنها هو والله قول الله عزّوجلّ: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدِّثٍ» وكان عليّ بن أبي طالب محدّثاً[5].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ١٧٧، ح ٤، باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث.

٢ ـ راجع الكافي: ج ١، ص ١٧٦، ح ١ و ٢ و ٣.

٣ ـ بصائر الدرجات: ص ٣٨٨، ح ١ و ٢ و ٣ و ٤، باب ١ ـ في الفرق بين الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام ومعرفتهم وصفتهم. الجزء الثامن.

٤ ـ راجع بحار الأنوار: ج ١١، ص ٥٤، باب معنى النبوّة وعلّة بعثة الأنبياء.

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٧٠، ح ٢، باب أن الأئمة عليهم السلام محدثون مفهمون.

وفي البصائر: ما يقرب منه[١].

وفيه: إنّه سئل من يحدّثه؟ قال: ملك يحدّثه، قيل: إنّه نبيّ أو رسول؟ قال: لا، ولكن مثله مثل صاحب سليمان، ومثل صاحب موسى، ومثل ذي القرنين[٢].

أقول: أُريد بصاحب سليمان: آصف بن برخيا، وبصاحب موسى: يوشع بن نون عليهما السلام.

وفي الكافي: في عدّة روآيات أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا محدّثين كانوا يسمعون الصّوت ولا يرون الملك[٣].

﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث مضى بعضه في المقدّمة[٤] فيذكر الله جلّ ذكره لنبيّه ما يحدّثه عدوّه في كتابه من بعده بقوله: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ» الآية يعني أنّه ما من نبيّ تمنّى مفارقة ما يعانيه من نفاق قومه وعقوقهم، والإنتقال عنهم إلى دار الإقامة إلّا ألقى الشيطان المعرض بعداوته عند فقده في الكتاب الّذي أُنزل عليه ذمّه، والقدح فيه، والطّعن عليه، فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين فلا يقبله، ولا يصغي إليه غير قلوب المنافقين والجاهلين، ويُحكم الله آياته بأن يحمي أولياءه من الضّلال والعدوان، ومشايعة أهل الكفر والطّغيان، الّذين لم يرض الله أن يجعلهم كالأنعام حتّى قال: «بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً»[٥][٦].

والقمّي: وأمّا قوله عزّوجلّ: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ» الآية فإنّ العامّة رووا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في الصّلاة فقرأ سورة النّجم في المسجد الحرام، وقريش يستمعون لقراءته فلمّا إنتهى إلى هذه الآية: «أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ»[٧] أجرى

---

١ ـ بصائر الدرجات: ص٣٣٩ ـ ٣٤٠، ح٣، باب ٥ ـ في الأئمة أنهم عليهم السلام محدثون مفهمون. الجزء السابع.

٢ ـ بصائر الدرجات: ص٣٤٣ ـ ٣٤٤، ح١١، باب٦، في أن المحدث كيف صفته وكيف يصنع به وكيف يحدث الأئمة.

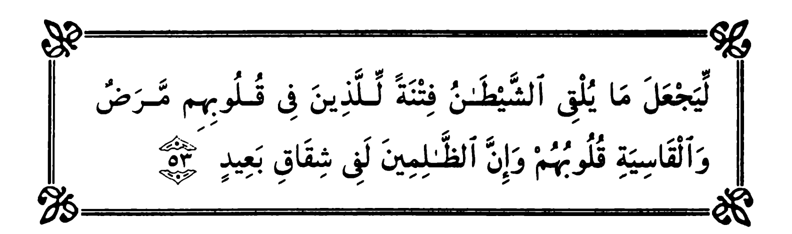
٣ ـ راجع الكافي: ج١، ص٢٧٠ ـ ٢٧١، ح١ و٢ و٣ و٤ و٥، باب أن الأئمة عليهم السلام محدثون مفهمون.

٤ ـ أُنظر ج ١، ص ٨٤ من كتابنا تفسير الصافي.

٥ ـ الفرقان: ٤٤.

٦ ـ الإحتجاج: ج١، ص٣٨٣، س١٨، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ زنديق في آي متشابهة.

٧ ـ النجم: ١٩ ـ ٢٠.



ابليس على لسانه فإنّها «الغرانيق[١] العُلى وإنّ شفاعتهنّ لترتجىٰ» ففرحت قريش وسجدوا وكان في القوم الوليد بن المغيرة المخزوميّ وهو شيخ كبير فأخذ كفّاً من حصى فسجد عليه وهو قاعد، فقالت قريش: قد أقرّ محمّد بشفاعة اللّات والعزّى، قال: فنزل جبرئيل فقال له: قرأت مالم أنزل عليك وأنزل عليه: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ» الآية.

وأمّا الخاصّة: فإنّه روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أصابه خصاصة فجاء إلى رجل من الأنصار فقال له: هل عندك من طعام؟ قال: نعم يا رسول الله، وذبح له عناقاً وشواه، فلمّا أدناه منه تمنّى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون معه علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فجاء أبو بكر وعمر ثمّ جاء عليّ بعدهما فأنزل الله عزّوجلّ في ذلك: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ» ولا محدّثٍ «إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ» يعني أبا بكر وعمر «فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ» يعني لمّا جاء عليّ عليه السلام بعدهما «ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ» للنّاس، يعني ينصر الله أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً﴾: قال: يعني فلاناً وفلاناً[٣].

﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: قال: شكّ[٤].

---

١ ـ الغرنوق ـ بالضم ـ: الشاب الناعم، والجمع الغرانيق والغرانقة. وقولهم: «تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهنّ لترجى» المراد بها هنا الأصنام، وهي في الأصل الذكور من طير الماء، واحدها غرنوق وغرنيق، سمّي به لبياضه. وقيل: هو الكركي، وكانوا يزعمون أنّ الأصنام تقرّبهم إلى الله تعالى وتشفع لهم، فشبهّت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٢٢، مادة «غرق». وفي نسخة: [للغرانيق].

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٨٥ ـ ٨٦.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٨٦، س٥.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٨٦، س٧.

وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾

﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: إنّ القرآن هو الحقّ النّازل من عند الله.

﴿فَيُؤْمِنُواْ بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾: بالإنقياد والخشية.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: القمّي: إلى الإمام المستقيم[١].

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: القمّي: أي في شك من أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: القمّي: العقيم: الّذي لا مثل له في الأيّام[٣].

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: القمّي: قال: ولم يؤمنوا بولاية أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام[٤].

---

١ و٢ و٣ و٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٨٦، س٦ و٧ و٨ و١٠.

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾: في الجهاد، وقرئ بالتّشديد.

﴿أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: فإنّه يرزق بغير حساب.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ﴾: هو الجنّة فيما يحبّونه وقرئ بفتح الميم.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾: بأحوالهم وأحوال معاديهم.

﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل في العقوبة، في الجوامع: روي أنّهم قالوا: يا رسول الله هؤلاء الّذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا أن متنا معك؟ فأنزل الله هاتين الآيتين[1].

﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾: به ولم يزد في الإقتصاص.

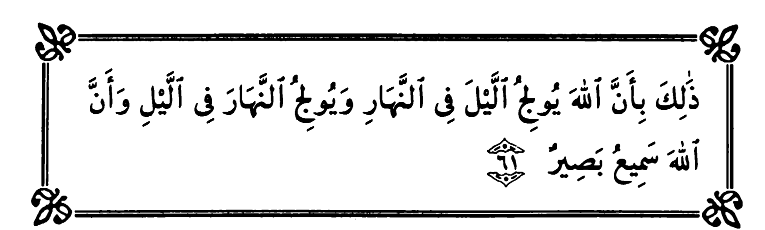
﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾: بالمعاودة إلى العقوبة.

﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾: لا محالة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾: للمنتصر، القمّي: هو رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا أخرجته قريش من مكّة، وهرب منهم إلى الغار، وطلبوه ليقتلوه فعاقبهم الله يوم بدر، وقتل عتبة، وشيبة، والوليد، وأبو جهل، وحنظلة بن أبي سفيان، وغيرهم، فلمّا قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله طلب بدمائهم، فقتل الحسين عليه السلام وآل محمّد صلوات الله عليهم بغياً وعدواناً، وهو قول يزيد (لعنه الله) حين تمثّل بهذا الشعر.

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٥٧، س ٥.



ليت أشـياخي بـبدر شهـدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل[١]
لأهــلّوا واسـتهلّوا فـرحاً	ثمّ قـالوا يـا يـزيد لا تشـلّ
لست مـن خـندف إن لم أنـتقم	مـن بني أحمـد ما كـان فـعل
قد قـتلنا القـوم مـن ساداتهـم	وعـدلناهم بـبدر فـاعتدل
وكـذاك الشـيخ أوصـاني بـه	فاتبعت الشّيخ فيما قـد سأل[٢]

وقال: يزيد (لعنه الله)[٣] أيضاً حين يقلّب الرّأس.

نـقول والرّأس مـطروح نـقلّبه	ياليت أشياخنا الماضون بـالحضر
حتّى يقيسوا قـياساً لو يـقاس بـه	أيّـام بـدر لكـان الوزن بـالقدر

فقال الله تبارك وتعالى: «ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ» يعني رسول الله صلى الله عليه وآله «بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ» يعني حين أرادوا أن يقتلوه ثُمَّ بغى عليه لينصرنّهُ الله بالقائم عليه السلام من ولده صلى الله عليه وآله[٤].

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي ذلك النّصر.

---

١ ـ الأسل: الرماح والنبل، والشل: اليبس في اليد، وخندف كزبرج: هي ليلى ابنة حلوان بـن عـمران زوجـة إلياس من مضرّ جدّ قصي. منه رحمه الله. وجاء في لسان العرب: ج ٤، ص ٢٢٧، خندف: إمرأة إلياس بن مضر بن نزار واسمها ليلى بنت حلوان غلبت على نسب أولادها.

٢ ـ أقول: وأضاف الفتّال النيسابوري في روضة الواعظين: ص ١٩١ بيتاً يدلّ على كفر يزيد بن معاوية (عليه لعائن الله) وإليك نصّة: لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وهكذا جاء هذا البيت في بتفاوت يسير في المناقب لابن شهرآشوب، ج ٤، ص ١١٤. وإليك نصّه:

لعـبت هـاشم بـالدين فـلا خـبر جـاء ولا وحـي نـزل

٣ ـ في بعض النسخ بدل قوله: «وقال يزيد أيضاً يقلب الرأس» وقال الشاعر في مثل ذلك، ويقلب بالياء فيهما، ولعل معناه أن الشاعر نقل المضمون عن يزيد في شعره تخطئة له. منه رحمه الله.

أقول: راجع بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٦٨.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٩ ـ ٩٠.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾: بسبب أن الله قادر على تقليب بعض الأُمور على بعض، والمداولة بين الأشياء المتعاندة.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾: يسمع،قول المعاقب والمعاقب يبصر أفعالهما، فلايمهلهما[١].

﴿ذَٰلِكَ﴾: الوصف بكمال القدرة والعلم.

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الثّابت.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾: إلهاً، وقرئ بالتّاء.

﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾: عن أن يكون له شريك لا شيء أعلى منه شأناً وأكبر سلطاناً.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: إستفهام تقرير.

﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾: إنّما عدل عن صيغة الماضي للدّلالة على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: يصل علمه إلى كلّ ما جلّ ودقّ.

﴿خَبِيرٌ﴾: بالتدابير الظّاهرة والباطنة.

﴿لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: خلقاً وملكاً.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾: في ذاته.

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله.

---

١ ـ هكذا في الأصل. والأنسب: «فلا يهملهما».

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جعلها مذلّلة لكم معدّة لمنافعكم.

﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾: إلّا بمشيئته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: في الإكمال: عن النبيّ صلى الله عليه وآله بعد ذكر الأئمّة الإثنى عشر بأسمائهم، قال: ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، بهم يمسك الله عزّوجلّ السّماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبهم يحفظ الأرض أن تميد[1] بأهلها[2].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾: بعد أن كنتم نطفاً.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: إذا جاء أجلكم.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: في الآخرة.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾: لجحود للنّعم[3] مع ظهورها.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾: أهل دين.

---

١ ـ يقال: ماد الشيء يميدُ مَيْداً من باب باع ومَيَداناً بفتح الياء: إذا تحرّك. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٤٧، مادة «ميد».

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩، ذيل ح ٣، باب ٢٤ ـ ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في النص على القائم عليه السلام وأنّه الثاني عشر من الأئمّة عليهم السلام.

٣ ـ هكذا في الأصل، والأفضل: «لَجَحودٌ بالنعم».

وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

﴿جَعَلْنَا مَنسَكاً﴾: متعبّداً وشريعة ومذهباً.

﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾: يذهبون إليه ويتدينون به.

﴿فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ﴾: سائر أرباب الملل.

﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾: في أمر الدّين، في الجوامع: أنّ بديل بن ورقاء وغيره من كفّار خزاعة قالوا للمسلمين: مالكم تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله، يعنون الميتة. فنزلت[1].

﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: إلى توحيده وعبادته.

﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾: طريق إلى الحقّ سويّ.

﴿وَإِن جَـٰدَلُوكَ﴾: فقد ظهر الحقّ ولزمت الحجّة.

﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها، وهو وعيد فيه رفق.

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: من أمر الدّين.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فلا يخفى عليه شيء.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ﴾: هو اللوح كتبه فيه قبل أن يبرأه.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: إثباته في اللوح أو الحكم بينكم.

---

١ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص ٥٩، س ٦.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰناً وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾

﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰناً﴾: حجّة تدلّ على جواز عبادته.

﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا﴾: من القرآن.

﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾: واضحات الدّلالة على العقائد الحقّة والأحكام الإلٰهيّة.

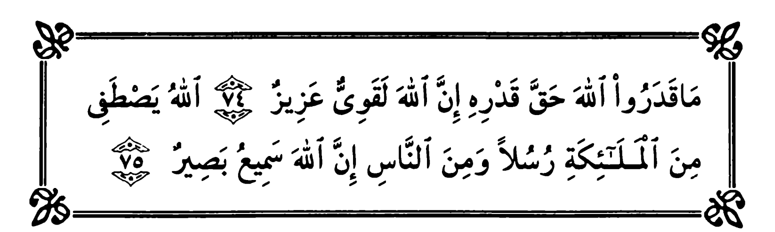
﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَ﴾: الإنكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لأباطيل أخذوها تقليداً، وهذا منتهى الجهالة.

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾: يثبون ويبطشون بهم.

﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾: من غيظكم على التّالين، وضجركم ممّا تلوا عليكم.

﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾: إستماع تدبّر وتفكرّ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يعني الأصنام.



﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً﴾: لا يقدرون على خلقه مع صغره.

﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُ﴾: ولو تعاونوا على خلقه.

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾: فكيف يكونون آلهة قادرين على المقدورات كلّها، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: كانت قريش تلطخ الأصنام الّتي كانت حول الكعبة بالمسك والعنبر وكان: «يغوث» قبال الباب، و «يعوق» عن يمين الكعبة، و «نسر» عن يسارها، وكانوا اذا دخلوا خرّوا سجّداً: «ليغوث» ولا ينحنون ثمّ يستديرون بحيالهم إلى «يعوق» ثمّ يستديرون عن يسارها بحيالهم إلى «نسر» ثمّ يلبّون، فيقولون: لبيّك اللّهم لبيّك، لبيّك لا شريك لك إلاّ شريك هو لك تملكه وما ملك، قال فبعث الله ذباباً أخضر له أربعة أجنحة فلم يبق من ذلك المسك والعنبر شيئاً إلاّ أكله فأنزل الله عزّوجلّ: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ» الآية[١].

﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: ما عرفوه حقّ معرفته حيث أشركوا به وسمّوا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة، وقد مرّ حديث فيه في سورة الأنعام[٢] ويأتي حديث آخر في تفسيره في سورة الزّمر[٣] إنّ شاء الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: لا يغلبه شيء.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي﴾: يختار.

﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلاً﴾: سفرة يتوسّطون بينه وبين الأنبياء بالوحي.

القمّي: وهم جبرئيل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل[٤].

---

١ ـ الكافي: ج٤، ص٥٤٢، ح١١، باب النوادر.
٢ ـ ذيل الآية: ٩١ من سورة الأنعام.
٣ ـ ذيل الآية: ٦٧ من سورة الزمر.
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٨٧، س١٣.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي رسلاً، يدعون سائرهم إلى الحقّ، ويبلّغون إليهم ما نزل عليهم.

القمّي: هم الأنبياء والأوصياء فمن الأنبياء نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلوات الله عليهم، ومن هؤلاء الخمسة: محمّد ﷺ ومن الأوصياء علي، والأئمّة عليهم السلام، قال: وفيه تأويل غير هذا(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: عالم بما وقع وما سيقع.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾: بسائر ما تعبّدكم به.

﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾: وتحرّوا ما هو خير وأصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطّاعات، وصلة الأرحام، ومكارم الأخلاق.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم، وقسمه عليها، وفرّقه فيها، وفرض على الوجه السجود له باللّيل والنّهار في مواقيت الصّلاة فقال: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ»، وهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرّجلين(٢).

وعنه عليه السلام جعل الخير كلّه في بيت، وجعل مفتاحه الزّهد في الدّنيا(٣).

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٧، س ١٣.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٤، س ٨، قطعة من ح ١، باب أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٢٨، ح ٢، باب ذم الدنيا والزهد فيها.

وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

وفي الجوامع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّ في سورة الحج سجدتين إن لم تسجدهما فلا تقرأها[١].

﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾: الأعداء الظاهرة والباطنة.

روي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّه لمّا رجع من غزوة تبوك قال: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر[٢]، يعني جهاد النفس.

﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾: إختاركم لدينه ولنصرته.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام إيّانا عني، ونحن المجتبون[٣].

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾: قال عليه السلام: إيّانا عنى خاصّة[٤].

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: قال عليه السلام: الله عزّوجلّ سمّانا المسلمين[٥].

﴿مِن قَبْلُ﴾: قال عليه السلام: في الكتب الّذي مضت[٦].

---

١ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص ٦١، س ١٢.
٢ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٠١، س ١. وراجع جوامع الجامع: ج ٣، ص ٦٢، س ١.
٣ ـ الكافي: ج١، ص١٩١، س٦، ح٤، باب في أنّ الأئمّة شهداء الله عزّوجلّ على خلقه.
٤ ـ الكافي: ج١، ص١٩١، قطعة من ح٤، باب في أنّ الأئمّة شهداء الله عزّوجلّ على خلقه.
٥ ـ الكافي: ج١، ص١٩١، قطعة من ح٤، باب في أنّ الائمّة شهداء الله عزّوجلّ على خلقه.
٦ ـ الكافي: ج١، ص١٩١، قطعة من ح٤، باب في أنّ الائمّة شهداء الله عزّوجلّ على خلقه.

﴿وَفِي هَٰذَا﴾: القرآن.

﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: قال عليه السلام: فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله تبارك وتعالى، ونحن الشّهداء على النّاس يوم القيامة، فمن صدّق صدّقناه يوم القيامة، ومن كذّب كذّبناه يوم القيامة[١].

وفي الإكمال: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله عني بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصّة دون هذه الأُمّة ثمّ قال: أنا وأخي علي وأحد عشر من ولدي[٢].

وفي المناقب[٣]، وفي خبر أنّ قوله تعالى: «هُوَ سَمَّـٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ» فدعوة إبراهيم وإسماعيل لآل محمّد صلوات الله عليهم فإنّه لمن لزم الحرم من قريش حتّى جاء النّبيّ صلى الله عليه وآله ثم أتبعه وآمن به، وأمّا قوله: «لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ» النّبيّ صلى الله عليه وآله يكون على آل محمّد صلوات الله عليهم شهيداً، ويكونون شهداءاً على النّاس[٤].

وفي قرب الإسناد: عن الصّادق، عن أبيه، عن النّبيّ صلوات الله عليهم، قال: ممّا أعطى الله أُمّتي وفضّلهم به على سائر الأُمم، أعطاهم ثلاث خصال لم يعطها إلّا نبي[٥]، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى كان إذا بعث نبيّاً قال له: إجتهد في دينك ولا حرج عليك، وأنّ الله تبارك وتعالى أعطى أُمّتي ذلك حيث يقول: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» يقول: من ضيق[٦]، قال: وكان إذا بعث نبيّاً جعله شهيداً على قومه، وأنّ الله تبارك وتعالى جعل أُمّتي شهداء على الخلق حيث يقول: «لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ»[٧].

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: فتقرّبوا إلى الله بأنواع الطاعات لما خصّكم

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ١٩٠، قطعة من ح ٢، باب في أنّ الإئمّة شهداء الله عزّوجلّ على خلقه.

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٧٩، س ٢، ح ٢٥، باب ٣٤ ـ نص النّبيّ صلى الله عليه وآله على القائم عليه السلام.

٣ ـ المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤، ص ١٢٩، س ١٣.

٤ ـ بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٣٥٠، ح ٦٠.

٥ ـ هكذا في الأصل كما جاء في المصدر أيضاً. والصحيح: «إلّا نبيّاً».

٦ ـ قرب الإسناد: ص ٨٤، ح ٢٧٧.

٧ ـ قرب الإسناد: ص ٨٤، ح ٢٧٧.

بهذا الفضل والشرف.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾: وثقوا به في مجامع أُمورم، ولا تطلبوا الإعانة، والنّصرة إلّا منه.

﴿هُوَ مَوْلَـٰكُمْ﴾: ناصركم ومتولّي أُموركم.

﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: هو، إذ لا مثل له في الولاية والنّصرة، بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة.

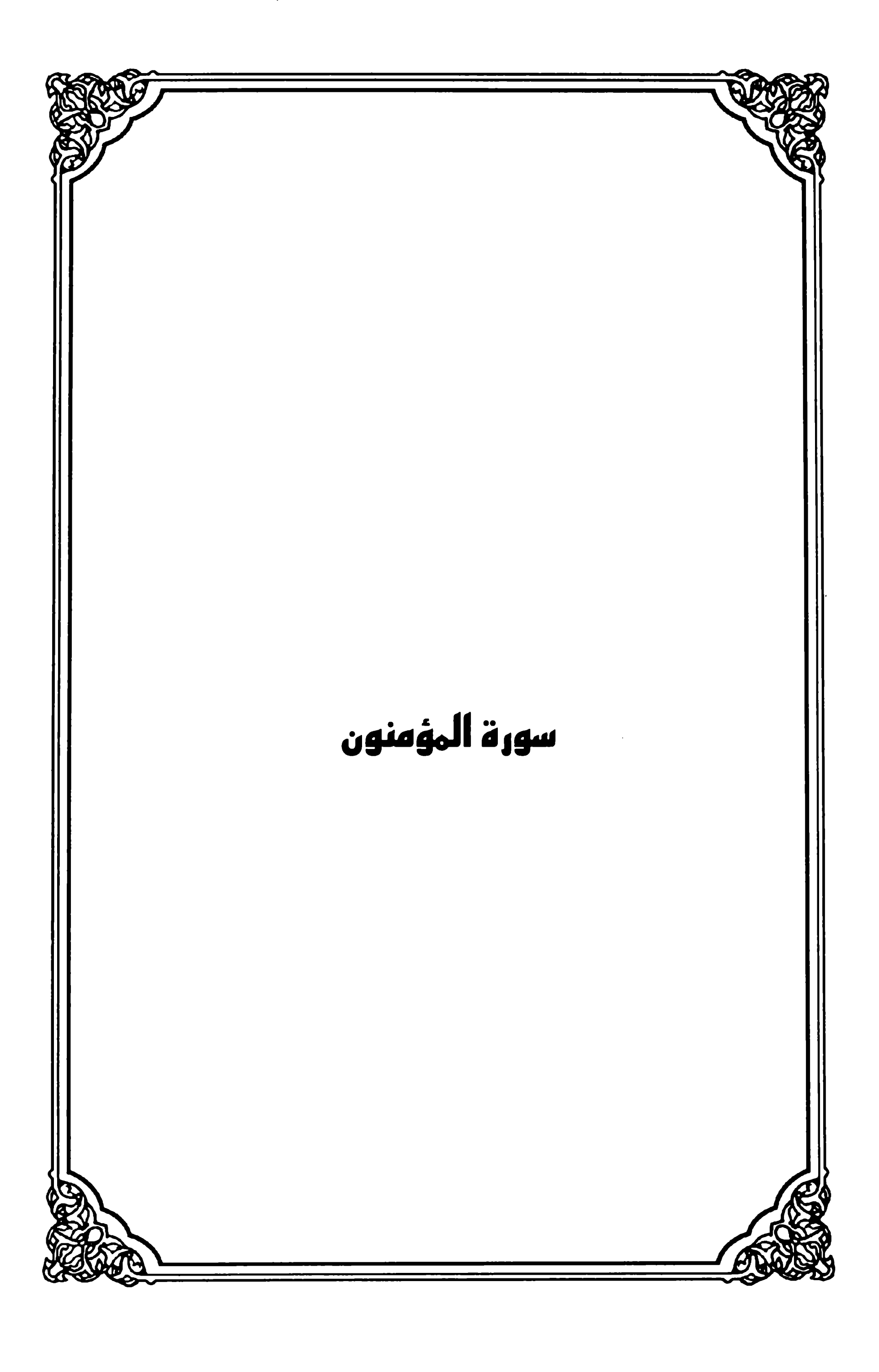
في ثواب الأعمال: عن الصّادق عليه السلام قال: من قرأ سورة الحجّ في كلّ ثلاثة أيّام لم تخرج سنته حتّى يخرج إلى بيت الله الحرام، وإن مات في سفره دخل الجنّة، قيل: فإن كان مخالفاً؟ قال: يخفّف عنه بعض ما هو فيه[١].

وفي المجمع: مثله إلى قوله عليه السلام دخل الجنّة[٢].

* * *

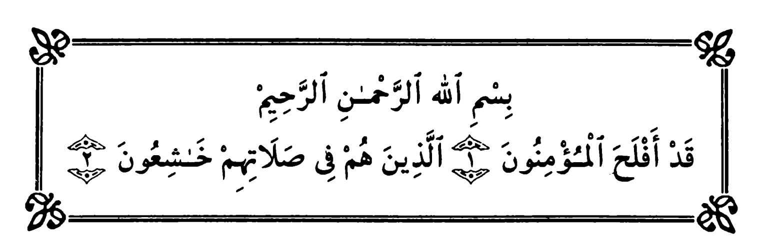
١ ـ ثواب الأعمال: ص١٠٨، باب ثواب قراءة سورة الحج.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٦٨، في فضلها.

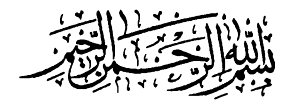


سورة المؤمنون

[illegible]



سورة المؤمنون: مكيّة عدد آيها مائة وثماني عشرة آية كوفي، تسع عشرة في الباقين.



﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام، قال: أتدري من هم؟ قيل: أنت أعلم، قال: «قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ»، المسلمون، إنّ المسلمين هم النّجباء(١).

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: لما خلق الله الجنّة قال لها: تكلّمي فقالت: «قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ»(٢).

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾: القمّي: قال: غضّك بصرك في صلاتك وإقبالك عليها(٣).

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: إذا دخلت في صلاتك فعليك بالتخشّع والإقبال على صلاتك فإنّ الله تعالى يقول: «ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ»(٤).

وعنه، عن النّبيّ صلوات الله عليهما: قال: ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب فهو عندنا نفاق(٥).

---

١ ـ الكافي: ج١، ص٣٩١، ح٥، باب التسليم وفضل المسلمين.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٨٨، س١٧.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٨٨، س١٩.

٤ ـ الكافي: ج٣، ص٣٠٠، ح٣، باب الخشوع في الصلاة وكراهية العبث.

٥ ـ الكافي: ج٢، ص٣٩٦، ح٦، باب صفة النفاق والمنافق.

وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّه رآى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته، فقال: أما إنّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه[1].

وروي: أنّه صلى الله عليه وآله كان يرفع بصره إلى السّماء في صلاته فلمّا نزلت الآية طأطأ رأسه ورمى ببصره إلى الأرض[2].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾: القمّي: يعني عن الغناء والملاهي[3].

وفي إرشاد المفيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام كلّ قول ليس فيه ذكر فهو لغو[4].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام قال: إن يتقوّل الرّجل عليك بالباطل أو يأتيك بما ليس فيك فتعرض عنه لله[5].

قال: وفي رواية أُخرى: أنّه الغناء والملاهي[6].

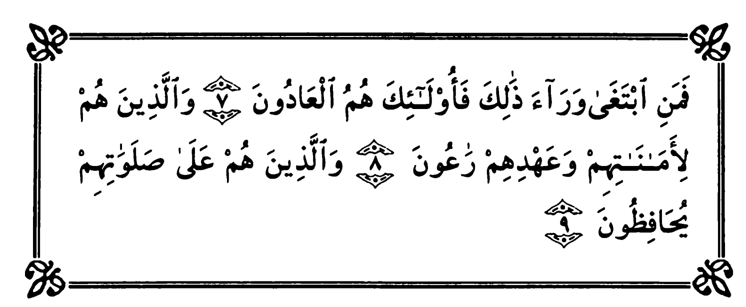
وفي الإعتقادات: عنه عليه السلام أنّه سئل عن القصّاص أيحلّ الإستماع لهم؟ فقال: لا[7].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ﴾: القمّي: عن الصّادق عليه السلام من منع قيراطاً من الزكاة فليس هو بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة[8].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٩٩، س ٤.
٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٩٩، س ٦.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٨، س ١٩.
٤ ـ الإرشاد للشيخ المفيد: ص ١٥٧.
٥ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٩٩، س ١١.
٦ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٩٩، س ١٢.
٧ ـ الإعتقادات في دين الإمامية: ص ٨٤، باب ٣٩ ـ الإعتقاد في التقيّة.
٨ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٨، س ٢٠.



﴿أَيْمَـٰنُهُمْ﴾: القمّي: يعني الإماء، قال: والمتعة حدّها: حد الإماء[1].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن المتعة؟ فقال: حلال فلا تتزّوج إلّا عفيفة إنّ الله عزّوجلّ يقول: «وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ»[2].

وعنه عليه السلام: تحلّ الفروج بثلاثة وجوه: نكاح بميراث، ونكاح بلا ميراث، ونكاح بملك اليمين[3].

وعن أبيه، عن النّبيّ صلوات الله عليهما: إنّ الله أحلّ لكم الفروج على ثلاثة معان، فرج، مورّث: وهو البتات، وفرج غير مورّث، وهو المتعة، وملك أيمانكم[4].

﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾: القمّي: قال: من جاوز ذلك[5].

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾: الكاملون في العدوان.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ﴾: وقرئ لأمانتهم.

﴿وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾: لما يؤتمنون عليه، ويعاهدون من جهة الحقّ أو الخلق قائمون بحفظها وإصلاحها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾: وقرئ صلواتهم.

---

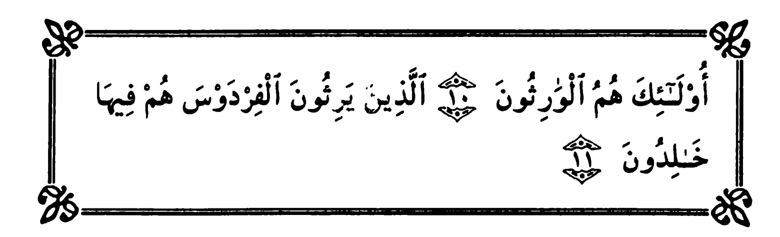
١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٨٩، س١.

٢ ـ الكافي: ج٥، ص٤٥٣، ح٢، باب أنّه لا يجوز التمتع إلّا بالعفيفة.

٣ ـ الخصال: ص١١٩، ح١٠٦، باب الثلاثة ـ تحل الفروج بثلاثة وجوه، مع تقديم وتأخير. وفي الكافي: ج٥، ص٣٦٤، ح٢، باب وجوه النكاح، بتفاوت يسير.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج٧، ص٢٤١، ذيل ح١٠٥١/٣، باب ٢٣ ـ ضروب النكاح. وفيه: «فرج موروث... وفرج غير موروث».

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٨٩، س٢.



﴿يُحَافِظُونَ﴾: القمّي: قال: على أوقاتها وحدودها[١].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية فقال: هي الفريضة، قيل: «ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ»[٢] قال: هي النّافلة[٣].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الجامعون لهذه الصّفات.

﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: القمّي: عن الصّادق عليه السلام، قال: ما خلق الله خلقاً إلّا جعل له في الجنّة منزلاً، وفي النّار منزلاً، فإذا سكن أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار، نادى منادٍ يا أهل الجنّة أشرفوا فيشرفون على أهل النّار وترفع لهم منازلهم فيها، ثمّ يقال: لهم هذه منازلكم الّتي في النّار لو عصيتم الله لدخلتموها، قال: فلو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة في ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم من العذاب، ثمّ ينادي منادٍ يا أهل النّار إرفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنّة وما فيها من النّعيم، فيقال لهم: هذه منازلكم الّتي لو أطعتم ربّكم لدخلتموها، قال: فلو أنّ أحداً مات حزناً لمات أهل النّار حزناً فيورث هؤلاء منازل هؤلاء، ويورث هؤلاء منازل هؤلاء، وذلك قول الله عزّوجلّ: «أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ»[٤].

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: ما منكم من أحد إلّا وله منزلان: منزل في الجنّة، ومنزل في النّار، فإنّ مات ودخل النّار ورث أهل الجنّة منزله[٥].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٩، س ٣.
٢ ـ المعارج: ٢٣.
٣ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠، ح ١٢، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٩، س ٤.
٥ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٩٩، س ٢٩.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾

وفي العيون: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قال: فيّ هذه الآية نزلت[1].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾: القمّي: قال: السّلالة: الصّفوة من الطّعام والشّراب الّذي يصير نطفة، والنطفة أصلها من السّلالة، والسّلالة هو من صفو الطّعام والشّراب، والطّعام من أصل الطين فهذا معنى قوله جلّ ذكره: «مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ»[2].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: قال: يعني في الأُنثيين[3]، ثمّ في الرّحم[4].

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا﴾: قد سبق تفسيرها في أوائل سورة الحجّ[5].

وقرئ العظم على التّوحيد فيهما.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: هو نفخ الرّوح فيه[6].

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾: في التّوحيد: عن الرّضا عليه السلام إنّه سئل، وغير الخالق الجليل خالق، قال: إنّ الله تبارك وتعالى قال: «فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ»[7] وقد

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٦٥، ح ٢٨٨، باب ٣١ ـ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٩، س ١٤.

٣ ـ الأُنثيان: الخصيان. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٣٤، مادة «أنث».

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٩، س ١٧.

٥ ـ ذيل الآية: ٥ من سورة الحج.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٩١، س ٢.

٧ ـ التّوحيد: ص ٦٣، قطعة من ح ١٨، باب ٢ ـ التّوحيد ونفي التشبيه.

ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾

أخبر أنّ في عباده خالقين وغير خالقين، منهم عيسى بن مريم خلق من الطّين كهيئة الطّير بإذن الله. والسّامريّ خلق لهم عجلاً جسداً له خوارٌ.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ* وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾: سبع سماوات، قيل: سمّاها طرائق: لأنّها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل، وكلّ ما فوقه مثله، فهو طريقه[١].

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ * وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام فهي الأنهار، والعيون، والآبار[٢].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام يعني ماء العقيق[٣].

أقول: يعني بالعقيق الوادي.

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله تعالى أنزل من الجنّة خمسة أنهار: سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة، والفرات وهما نهرا العراق، والنّيل وهو نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للنّاس في أصناف معايشهم وذلك قوله: «وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ» الآية[٤].

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ﴾: بالإفساد أو التصعيد أو التعميق بحيث يتعذّر إستنباطه.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٠٣ ـ ١٠٤.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩١، س٨.

٣ ـ الكافي: ج٦، ص٣٩١، ح٤، باب النوادر.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٠٢، س٢.

فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ ﴿٢٠﴾

﴿لَقَـٰدِرُونَ﴾: كما كنّا قادرين على إنزاله.

قيل: في تنكير ذهاب إيماء إلى كثرة طرقه، ومبالغة في الإيعاد به[١].

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾: تتفكّهون بها.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: تغذّيا.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾: وقرئ بكسر السّين.

﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ﴾: أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به، ويسرج منه، وكونه إداماً يصبغ فيه الخبز أي يغمس فيه للإئتدام، وقرئ تنبت من أنبت بمعنى نبت.

القمّي: قال: شجرة الزّيتون: وهو مثل لرسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين صلوات الله عليه، فالطّور: الجبل، وسيناء: الشجرة[٢].

وفي المجمع: عن النّبيّ ﷺ إنّه قال: الزّيت: شجرة مباركة فأتدموا به، وإدّهنوا[٣].

وفي التهذيب: عن الباقر عليه السلام كان في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام أن أخرجوني إلى الظّهر فإذا تصوبت أقدامكم واستقبلتكم ريح فأدفنوني فهو أوّل طور سيناء ففعلوا ذلك[٤].

وعن الصادق عليه السلام: وقد ذكر الغريّ قال: وهي قطعة من الجبل الّذي كلّم الله عليه موسى

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٠٤، س٦.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩١، س٦.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٠٣، س٢٤.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج٦، ص٣٤، ح١٣/٦٩، باب ١٠ ـ فضل الكوفة والمواضع التي يستحب فيها الصلاة منها.

وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

تكليماً، وقدّس عليه عيسى عليه السلام تقديساً، واتخذ عليه إبراهيم خليلاً، واتخذ محمّداً صلى الله عليه وآله حبيباً، وجعله للنّبيّين عليهم السلام مسكناً، فوالله ما سكن بعد أبويه الطيّبين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين عليه السلام[1].

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً﴾: تعتبرون بحالها.

﴿نُّسْقِيكُم﴾: وقرئ بفتح النّون.

﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾: من الألبان.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾: في ظهورها وأصوافها وشعورها.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾: في البرّ والبحر فإنّ الإبل سفينة البرّ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ﴾: وقرئ بالجرّ.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ﴾: الأشراف.

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج٦، ص٢٣، قطعة من ح٥١/٨، باب ٧ ـ فضل زيارته عليه السلام.

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾: لعوامهم.

﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ﴾: أن يطلب الفضل عليكم ويسودكم.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أن يرسل رسولاً.

﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾: رسلاً.

﴿مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: أي بالتّوحيد الّذي يدعونا إليه.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ﴾: جنون ولأجله يقول ذلك.

﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ﴾: فاحتملوا وانتظروا

﴿حَتَّىٰ حِينٖ﴾: لعلّه يفيق من جنونه.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي﴾: عليهم بإهلاكهم.

﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾: بسبب تكذيبهم إيّاي.

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾: بحفظنا أن تخطئ فيه أو يفسد عليك مفسد.

﴿وَوَحۡيِنَا﴾: وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾: بنزول العذاب.

﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: في الجوامع: روي أنّه قيل لنوح عليه السلام إذا رأيت الماء يفور من التنّور

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّـٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

فاركب أنت ومن معلك في السّفينة فلمّا نبع الماء من التنور أخبرته إمرأته فركب[1].

وقد سبق تمام القصّة في سورة هود عليه السلام[2].

﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾: فادخل فيها يقال: سلك فيه وسلك غيره.

﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: الذكر والأُنثى، وقرئ «كلّ» بغير التنّوين.

﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾: بإهلاكه لكفره.

﴿وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: بالدّعاء بالإنجاء.

﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: لا محالة.

﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّـٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: كقوله تعالى: «فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ»[3].

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾: وقرئ بفتح الميم وكسر الزّاي.

﴿مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾: في الفقيه: قال: النّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا علي إذا نزلت منزلاً فقل: اللّهمّ أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين، ترزق خيره ويدفع عنك شرّه[4].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: وإن كنا لممتحنين عبادنا بهذه الآيات.

١ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٧٠، س ٥. ٢ـ ذيل الآية: ٤٠.

٣ـ الأنعام: ٤٥.

٤ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص١٩٥، ح١/٨٨٧، باب ١٠١ ـ القول عند نزول المنزل.

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَـٰماً أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾

وفي نهج البلاغة إنّ الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم، ولم يعذكم من أن يبتليكم، وقد قال جلّ من قائل: «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ»[1].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً ءَاخَرِينَ﴾: هم عاد أو ثمود.

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾: هو هود أو صالح.

﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ﴾: وأنعمناهم.

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَراً مِّثْلَكُمْ﴾: فيما يأمركم به.

﴿إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـٰسِرُونَ﴾: حيث أذللتم أنفسكم.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَـٰماً﴾: مجرّدة عن اللّحوم والأعصاب.

﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾: من الأجداث.

---

١ ـ نهج البلاغة: ص ١٥٠، الخطبة ١٠٣.

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾: بعد.

﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾: اللّام للبيان كما في «هَيْتَ لَكَ»[1].

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾: إن الحياة إلّا حياتنا الدّنيا.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: يموت بعضنا ويولد بعض.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾: بعد الموت.

﴿إِنْ هُوَ﴾: ما هو.

﴿إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾: فيما يدّعيه من إرسالنا فيما يعدنا من البعث.

﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمصدّقين.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي﴾: عليهم وانتقم لي منهم.

﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾: بسبب تكذيبهم إيّاي.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ﴾: على التّكذيب إذا رأوا العذاب.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ﴾: صيحة جبرئيل، صاح عليهم صيحة هائلة تصدّعت منها قلوبهم فماتوا، وفيه دلالة على أنّ القرن قوم صالح.

---

١ ـ يوسف: ٢٣.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُوناً ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَئْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام الغثاء: اليابس، الهامد من نبات الأرض[1].

قيل: شبّههم في دمارهم بغثاء السّيل وهو حميله كقول العرب: سال به الوادي لمن هلك[2].

﴿فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: يحتمل الإخبار والدّعاء.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُوناً ءَاخَرِينَ﴾: يعني قوم صالح، ولوط، وشعيب، وغيرهم.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: الوقت الّذي قدّر لهلاكها.

﴿وَمَا يَسْتَئْخِرُونَ﴾: الأجل.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾: متواترين واحداً بعد واحد من الوتر وهو الفرد، وقرئ بالتنوين.

﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً﴾: في الهلاك.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾: لم يبق منهم إلّا حكايات يسمر بها.

﴿فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بالآيات التّسع.

﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: وحجّة واضحة ملزمة للخصم.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٩١، س ١٢.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٠٧، س ٢٠.

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاسْتَكْبَرُواْ﴾: عن الإيمان والمتابعة.

﴿وَكَانُواْ قَوْماً عَالِينَ﴾: متكبّرين.

﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾: يعني إنّ بني إسرائيل لنا خادمون منقادون.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾: بالغرق.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعلّ بني إسرائيل.

﴿يَهْتَدُونَ﴾: إلى المعارف والأحكام.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾: بولادتها إيّاه من غير مسيس.

﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾: وقرئ بفتح الرّاء، وجعلنا مأواهما مكاناً مرتفعاً.

﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: منبسطة تصلح للإستقرار والزرع.

﴿وَمَعِينٍ﴾: ماء ظاهر جار على وجه الأرض، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: الرّبوة: بخف الكوفة، والمعين: الفرات[1].

---

١ ـ لم نعثر عليه في الكافي، بل وجدناه في التهذيب: ج٦، ص٣٨، ح٧٩/٢٣، باب ١٠ ـ فضل الكوفة والمواضع التي يستحب فيها الصلاة منها، وهكذا جاء في بحار الأنوار: ج١٤، ص٢١٧، ح١٩ وج١٠٠، ص٢٢٨، ح١٠، نقلاً عن كامل الزيارات: ص ٤٧.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحاً إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام الربوة: حيرة الكوفة وسوادها، والقرار: مسجد الكوفة، والمعين: الفرات[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحاً إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: في المجمع: عن النبيّ صلى الله عليه وآله إنّ الله طيّب لا يقبل إلّا طيّباً وأنّه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ» وقال: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ»[2][3].

﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: القمّي: قال: على مذهب واحد[4].

وقرئ وإن بالكسر والفتح وبالتخفيف.

﴿وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾: في شقّ العصا ومخالفة الكلمة.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: فتحزّبوا وافترقوا، وجعلوا دينهم أدياناً متفرّقة.

﴿زُبُراً﴾: قطعاً، جمع زبور الّذي بمعنى الفرقة.

﴿كُلُّ حِزْبِۭ﴾: من المتحزبين.

﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: من الدّين.

﴿فَرِحُونَ﴾: معجبون معتقدون أنّهم على الحقّ.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٠٨، س١٩.
٢ ـ البقرة: ١٧٢.
٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٠٩، س١٤.
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩١، س١٦.

فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾

القمّي: قال: كلّ من اختار لنفسه ديناً فهو فرح به[1].

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾: في جهالتهم شبّهها بالماء الّذي يغمر القامة.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى أن يقتلوا أو يموتوا.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ﴾: ما نعطيهم ونجعله مدداً لهم.

﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾: بيان لما.

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: فيما فيه خيرهم وإكرامهم.

﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾: إنّ ذلك إستدراج، في المجمع: عن الصّادق عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى يقول: يحزن عبدي المؤمن إذا قترت عليه شيئاً من الدّنيا، وذلك أقرب له منّي ويفرح إذا بسطت له الدّنيا، وذلك أبعد له منّي، ثمّ تلا هذه الآية ثمّ قال: إنّ ذلك فتنة لهم[2].

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: من خوف عذابه حذرون.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾: شركاً جليّا ولا خفيّا.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩١، س١٧.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١١٠، س١.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾: قيل: يعطون ما أُعطوه من الصّدقات، والقمّي: قال: من العبادة والطّاعة[١]، ويؤيدّه قراءة «يأتون ما أتوا» في الشّواذ، وما يأتي من الرّوايات.

﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: خائفة أن لايقبل منهم وأن لايقع على الوجه اللّائق فيؤاخذ به.

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾: لأنّ مرجعهم إليه وهو يعلم ما يخفي عليهم.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: هي إشفاقهم ورجاؤهم يخافون أن ترد عليهم أعمالهم إن لم يطيعوا الله عزّ ذكره، ويرجون أن تقبل منهم[٢].

وفي المجمع: عنه عليه السلام «وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ» معناه خائفة أن لا يقبل منهم[٣].

قال وفي رواية أُخرى: يؤتى ما أتى وهو خائف راج[٤].

وفي المحاسن: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: يعملون ما عملوا من عمل، وهم يعلمون أنّهم يثابون عليه[٥].

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: إن استطعت أن لا تعرف فافعل، وما عليك أن لا يثني عليك النّاس، وما عليك أن تكون مذموماً عند النّاس إذا كنت محموداً عند الله، ثمّ قال: قال أبي عليّ ابن أبي طالب عليه السلام: لا خير في العيش إلّا لرجلين: رجل يزداد كلّ يوم خيراً، ورجل يتدارك السيئة بالتّوبة، وأنّى له بالتوبة والله لو سجد حتّى ينقطع عنقه ما قبل الله تبارك وتعالى منه إلّا بولايتنا أهل البيت، ألا ومن عرف حقّنا، ورجا الثواب فينا، ورضي بقوته نصف مدّ في كلّ يوم، وما ستر عورته، وما أكنّ[٦] رأسه، وهم والله في ذلك خائفون وجلون، ودّوا أنّه حظّهم من الدّنيا وكذلك وصفهم الله تعالى فقال: «وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ»، ثمّ قال: ما الذي آتوا؟ آتوا والله الطّاعة مع المحبّة والولاية، وهم في ذلك

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩١، س٢٢.
٢ ـ الكافي: ج٨، ص٢٢٩، ح٢٩٤.
٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص ١١٠، س٢٢.
٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص ١١٠، س٢٣.
٥ ـ المحاسن: ج١، ص٣٨٥، ح٨٥٤/٢٥٦، باب ٢٩ ـ اليقين والصبر في الدين.
٦ ـ كننته ـ أكُنُّه ـ من باب قتل ـ: سترته في كِنِّه بالكسر، وهو السترة، وأكننته بالألف: أخفيته. المصباح المنير: ص ٥٤٢، مادة «كنن».

أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

خائفون، ليس خوفهم خوف شكّ، ولكنّهم خافوا أن يكونوا مقصّرين في محبّتنا وطاعتنا[١].

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: يرغبون في الطّاعات أشدّ الرّغبة فيبادرون بها.

﴿وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يسبقه أحد[٢].

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾: دون طاقتها، يريد به التحريض على ما وصف به الصّالحون وتسهيله على النّفوس.

﴿وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ﴾: هو صحيفة الأعمال.

﴿يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾: بالصّدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بزيادة عقاب أو نقصان ثواب، في المناقب: عن السّجاد عليه السلام إنّه كان إذا دخل شهر رمضان يكتب على غلمانه ذنوبهم حتّى إذا كان آخر ليلة دعاهم، ثمّ أظهر الكتاب، وقال: يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أُؤدّبك فيقرّون أجمع فيقوم وسطهم ويقول: إرفعوا أصواتكم وقولوا: يا عليّ بن الحسين ربّك قد أحصى عليك ما عملت كما أحصيت علينا، ولديه كتابٌ ينطق بالحق «لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَـٰهَا»[٣] فاذكر ذلّ مقامك بين يدي ربّك الّذي لا يظلم مثقال ذرّة وكفى بالله شهيداً فاعف واصفح يعف عنك المليك لقوله تعالى: «وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ»[٤] ويبكي وينوح[٥].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص٤٥٦ ـ ٤٥٧، ح١٥، باب محاسبة العمل. وفيه: «أن قدرت أن لا تعرف».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٩٢، س٥.

٣ ـ الكهف: ٤٩.

٤ ـ النّور: ٢٢.

٥ ـ المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤، ص١٥٨، س٥، في حلم زين العابدين عليه السلام وتواضعه.

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾: قلوب الكفرة.

﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: في غفلة غامرة.

﴿مِّنْ هَٰذَا﴾: قيل: من الّذي وصف به هؤلاء، أو من كتاب الحفظة[1].

والقمّي: يعني من القرآن[2].

﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ﴾: خبيثة.

﴿مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾: سوى ماهم عليه من الشّرك.

﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾: معتادون فعلها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾: منّعميهم[3]، القمّي: يعني كبراءهم[4].

﴿بِالْعَذَابِ﴾: في الجوامع: هو قتلهم يوم بدر، أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: اللّهم أشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف عليه السلام، فابتلاهم الله بالقحط حتّى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقدد[5] والأولاد[6].

﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾: فاجؤوا الصّراخ بالإستغاثة.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١١٠، س١٣.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٢، س٦.

٣ ـ وفي نسخة: [متنّعميهم].

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٢، س١٠.

٥ ـ القِدّ ـ بالكسر ـ: جمع القدد وهي جلد السخلة. منه رحمه الله. وقال الطريحي: القدُّ ـ كحمل ـ: سير يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ، والقدّة أخصّ منه، والقديد: اللحم المقدّد، أي المشرّح طولاً، مجمع البحرين: ج٣، ص ١٢٥، مادة «قدد».

٦ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص٧٨، س١٠.

لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾

﴿لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾: قيل لهم ذلك[١].

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾: تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنّكوس الرّجوع القهقري.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾: قيل: أي بالقرآن بتضمين الإستكبار معنى التكذيب[٢].

وقيل: أي بالبيت العتيق وشهرة إستكبارهم وافتخارهم بأنّهم قوامه أغنت عن سبق ذكره[٣].

﴿سَـٰمِرًا﴾: أي يسمرون بذكر القرآن والطّعن فيه، قيل: كانوا يقصّون باللّيل في مجالسهم حول البيت[٤].

﴿تَهْجُرُونَ﴾: أمّا من الهجر بمعنى القطيعة أو الهذيان أي تعرضون عن القرآن أو تهذون في شأنه أو من الهجر بالضّم بمعنى الفحش، وقرئ بضمّ التاء.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾: أي القرآن ليعلموا أنّه الحقّ من ربّهم بإعجاز لفظه ووضوح مدلوله.

﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: من الرّسول والكتاب، وفي الجوامع:

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١١٠، س١٩.

٢ ـ قاله الطبرسي في جوامع الجامع: ج٣، ص ٧٩، س ٢.

٣ ـ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١١١، س١.

٤ ـ تفسير أبي السعود: ج٦، ص١٤٣.

أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَـٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾

حيث خافوا الله فآمنوا به وأطاعوه قال: وآباؤهم إسماعيل وأعقابه(١).

وعن النّبيّ ﷺ: لا تسبّوا مضر، ولا ربيعة، فإنّهما كانا مسلمين، ولا تسبّوا الحارث بن كعب، ولا أسد بن خزيمة، ولا تميم بن مرّ، فإنّهم كانوا على الإسلام، وما شككتم فيه من شيء فلا تشكّوا في أنّ تبّعاً كان مسلماً(٢).

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ﴾: بالأمانة والصّدق وحسن الخلق، وكمال العلم مع عدم التعلّم إلى غير ذلك ممّا هو صفة الأنبياء عليهم السلام.

﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾: فلا يبالون بقوله، وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلاً، وأثبتهم نظراً.

﴿بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾: لأنّه يخالف شهواتهم وأهواءهم فلذلك أنكره، قيل: إنّما قيّد الحكم بالأكثر لأنّه كان منهم من ترك الإيمان إستنكافاً من توبيخ قومه، أو لقلّة فطنته وعدم فكرته، لا لكراهة الحقّ(٣).

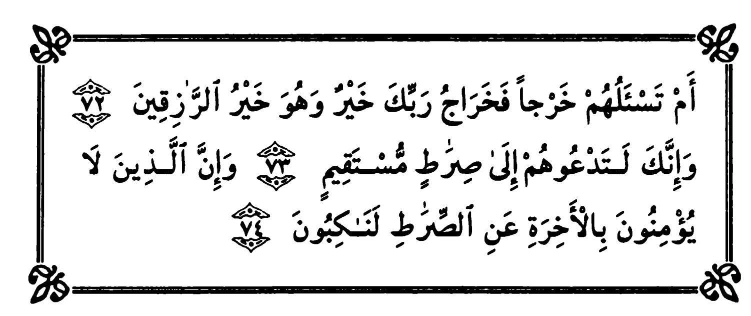
﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَـٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾: لذهب ما قام به العالم فلا يبقى، القمّي: قال: الحقّ: رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام(٤).

---

١ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص ٨٠، س ٥. ٢ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص ٨٠، س ٦.

٣ ـ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١١١، س١٣.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٢، س١٥.



قال: ففساد السماء: إذا لم تمطر، وفساد الأرض: إذا لم تنبت، وفساد النّاس في ذلك[1].

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾: بالكتاب الّذي هو ذكرهم أي وعظهم أو صيتهم وفخرهم أو الذّكر الّذي تمنّوه بقولهم: «لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْراً مِنَ ٱلْأَوَّلِينَ»[2].

﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ * أَمْ تَسْئَلُهُمْ خَرْجاً﴾: أجراً على أداء الرّسالة.

﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾: فأجره في الدّنيا والآخرة خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة[3] لك عن عطائهم، والخرج بإزاء الدّخل، والخراج غالب في الضريبة على الأرض، ففيه إشعار بالكثرة واللزّوم، وقرئ الخرج في الموضعين وبالخراج فيهما.

القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول:أم تسألهم أجراً فأجر ربّك خيرٌ[4].

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: تقرير لخيريّة خراجه.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:القمّي:قال:إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[5].

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾: لعادلون عنه، فإنّ خوف الآخرة أقوى البواعث على طلب الحقّ، وسلوك طريقه.

القمّي: قال: عن الإمام: لحادّون[6].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٢، س٢٠.　　٢ ـ الصافّات: ١٦٨.

٣ ـ المندوحة: أي المتسع. وفي حديث أمّ سلمة أنّها قالت لعائشة حين أرادت الخروج إلى البصرة: قد جمع القرآن ذيلَكِ فلاتندحيه، أي: لاتوسّعيه ولاتفرّقيه بالخروج إلى البصرة. لسان العرب:ج١٤،ص٨٨ ـ ٨٩،مادة «ندح».

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٤، س٦.　　٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٢، س٢١.

٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٣، س١.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العباد نفسه، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه، وسبيله، والوجه الّذي يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا فإنّهم عن الصّراط لناكبون[١].

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾: يعني القحط.

﴿لَّلَجُّوا﴾: لتمادوا.

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: إفراطهم في الكفر، والإستكبار عن الحقّ، وعداوة الرّسول والمؤمنين.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: عن الهدى، روي أنّهم قحطوا حتّى أكلوا العلهز[٢] فجاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أنشدُك الله والرّحم ألست تزعم إنّك بعثت رحمة للعالمين؟ قتلت الآباء بالسّيف والأبناء بالجوع، فنزلت هذه الآية، كذا في الجوامع[٣].

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾: قيل: يعني القتل يوم بدر[٤].

والقمّي: هو الجوع، والخوف، والقتل[٥].

﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾: بل أقاموا على عتوّهم وإستكبارهم.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ قال: الإستكانة: هي الخضوع،

---

١ ـ الكافي: ج١، ص١٨٤، ح٩، باب معرفة الإمام والرّد إليه.

٢ ـ العلهز ـ بالكسر ـ القُراد الضخم، وطعام من الدم والوبر، كان يتخذ في المجاعة. القاموس المحيط: ج٢، ص١٨٤. مادة «علز».

٣ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص ٨٢، س ٨.

٤ ـ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١١٢، س١١.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٤، س٨.

حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾

والتضرّع: رفع اليدين، والتضرّع بهما[١].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام الإستكانة: الدّعاء، والتضّرع: رفع اليدين في الصلاة[٢].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: في المجمع: عنه عليه السلام وذلك حين دعا النبي صلى الله عليه وآله عليهم فقال: اللّهمَّ إجعلها عليهم سنين كسنين يوسف عليه السلام فجاعوا حتّى أكلوا العلهز، وهو الوبر بالدّم[٣].

وعن الباقر عليه السلام: هو في الرّجعة[٤].

﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: متحيّرون آيسون من كلّ خير حتى جاءك أغناهم يستعطفك.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾: لتحسّوا بها ما نصب من الآيات.

﴿وَٱلْأَفْئِدَةَ﴾: لتتفكّروا فيها وتستدلّوا بها إلى غير ذلك من المنافع.

﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾: تشكرونها شكراً قليلاً لأنّ العمدة في شكرها إستعمالها فيما خلقت لأجلها والإذعان لمنعمها من غير إشراك.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: خلقكم وبثّكم فيها بالتّناسل.

﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تجمعون، بعد تفرقتكم.

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٨١، ح ٦، باب الرغبة والرهبة والتضرع والتبتل والإبتهال والإستعاذة والمسألة.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١١٣، س ٣٠.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١١٤، س ١.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١١٤، س ٣.

وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَـارِ أَفَـلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَـٰماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَـارِ أَفَـلَا تَـعْقِلُونَ﴾: بالنظر والتأمّل انّ الكلّ منّا، وانّ قدرتنا تعمّ كلّ شيء.

﴿بَلْ قَالُواْ﴾: كفّار مكّة.

﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ * قَالُوٓاْ أَءِذَا مِـتْنَا وَكُـنَّا تُـرَابـاً وَعِـظَـٰماً أَءِنَّـا لَمَبْعُوثُونَ﴾: إستبعاداً ولم يتأمّلوا إنّهم كانوا قبل ذلك أيضاً تراباً فخلقوا.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: إلّا أكاذيبهم التي كتبوها، جمع أسطور، لأنّه يستعمل فيما يتلهّى به كالأعاجيب والأضاحيك.

وقيل: جمع أسطار جمع سطر[1].

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: لأنّ العقل الصّريح إضطرهم بأدنى نظر بأنّه خالقها.

﴿قُلْ﴾: بعدما قالوه.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فتعلمون أنّ من فطر الأرض ومن فيها إبتداءاً قدر على إيجادها ثانياً، وأنّ بدء الخلق ليس بأهون من إعادته.

---

١ ــ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١١٣، س ٢.

قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾: فإنّها أعظم من ذلك.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: وقرئ بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السّؤال.

﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته.

﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: الملك الّذي وكّل به.

﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾: يغيث من يشاء، ويحرسه.

﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: ولا يغاث أحد ولا يحرس وتعديته بـ«على» لتضمين معنى النصرة.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾: فمن أين تخدعون فتصرفون من الرّشد مع ظهور الأمر وتظاهر الأدلّة.

﴿بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِالْحَقِّ﴾: من التّوحيد، والوعد بالنّشور.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾: حيث أنكروا ذلك.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾: لتقدّسه عن مماثلة أحد.

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـٰهٍ﴾: يساهمه في الألوهيّة.

عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾

﴿إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾: وإستبدّ به وامتاز ملكه عن ملك آخر.

﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: كما هو حال ملوك الدنيا فهذا التدبير المحكم وإتّصاله وقوام بعضه ببعض يدلّ على صانع واحد.

﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: من الولد والشّريك.

﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾: وقرئ بالرفع.

﴿فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: في المعاني: عن الصّادق عليه السلام الغيب: مالم يكن، والشهادة: ما قد كان(١).

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى﴾: إن كان لابدّ من أن تريني فإنّ ما والنّون للتأكيد.

﴿مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: قريناً لهم، في المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: في حجّة الوداع وهو بمني لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله، لئن فعلتموها لتعرفني في كتيبة يضاربونكم، قال الراوي: فغمز من خلفه منكبه الأيسر فالتفت فقال: أو عليّ فنزلت(٢).

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه سعد بن عبدالله في مختصر بصائره بإسناده عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وقد خطبنا يوم الفتح أيّها النّاس لأعرفنّكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ولئن فعلتم أضربكم بالسيف، ثمّ التفت

---

١ ـ معاني الأخبار: ص١٤٦، ح١، باب معنى الغيب والشهادة.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١١٧، س١٣، وج٩ ـ ١٠، ص٤٩، س١٥.

وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾

عن يمينه فقال النّاس: غمزه جبرئيل عليه السلام فقال له: أو عليّ عليه السلام[١].

وفي رواية أبان بن تغلب، عن الصّادق عليه السلام: قال: فنزل عليه جبرئيل فقال: يا محمّد إن شاء الله أو يكون ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال رسول الله: أو يكون ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال له جبرئيل: واحدة لك وإثنتان لعليّ عليه السلام، وموعدكم السّلام، قال أبان: جعلت فداك وأين السّلام؟ فقال: يا أبان السّلام: من ظهر الكوفة[٢].

أقول: وذلك إنّما يكون في الرّجعة.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ﴾: يعني الرجعة.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: وهي الصّفح عنها والإحسان في مقابلتها وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السّيئة لما فيه من التّنصيص على التفضيل.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام الّتي هي أحسن: التقية[٣].

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾: بما يصفونك به.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾: وساوسهم، وأصل الهمزة النّخس، القمّي: قال: ما يقع في قلبك من وسوسة الشياطين[٤].

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾: ويحوموا حولي في شيء من الأحوال.

---

١ ـ مختصر بصائر الدرجات للشيخ الجليل حسن بن سليمان الحلّي: ص ٢١، س ١٤. وراجع الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٥٠٢ ـ ٥٠٣، ح ١١٠١/٨؛ وبحار الأنوار: ج ٣٢، ص ٢٩٣، ح ٢٥٠، وص ٢٩٤، ح ٢٥١؛ وجوامع الجامع: ج ٣، ص ٨٦، س ١٠.

٢ ـ لم نعثر عليه.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢١٨، ح ٦، باب التقيّة.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٩٣، س ١٢.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: متعلّق بيصفون وما بينهما إعتراض.

﴿قَالَ﴾: تحسّراً على ما فرّط فيه من الإيمان والطّاعة لمّا اطّلع على الأمر.

﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾: ردّوني إلى الدّنيا، والواو لتعظيم المخاطب، كقوله: ألا فارحموني يا إلـه محمّد فإن لم أكن أهل فأنت له أهل.

﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾: القمّي: نزلت في مانع الزكاة(١).

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام من منع الزّكاة سأل الرّجعة عند الموت، وهو قوله تعالى: «رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحاً فِيمَا تَرَكْتُ»(٢).

﴿كَلَّآ﴾: ردع عن طلب الرّجعة وإستبعاد لها.

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: لتسلّط الحسرة عليه.

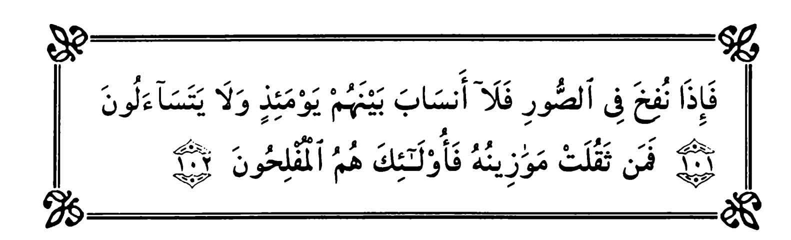
﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾: أمامهم.

﴿بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: القمّي: قال: البرزخ: هو أمر بين أمرين، وهو الثواب والعقاب بين الدّنيا والآخرة، وهو قول الصّادق عليه السلام: والله ما أخاف عليكم إلّا البرزخ، وأمّا إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم(٣).

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه قيل له: إنّي سمعتك وأنت تقول: كلّ شيعتنا في الجنّة على ما كان منهم، قال: صدقتك كلّهم والله في الجنّة، قيل: إنّ الذّنوب كثيرة كبار، فقال: أمّا في القيامة فكلّكم في الجنّة بشفاعة النّبيّ المطاع أو وصيّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله، ولكنّي والله أتخوّف عليكم في

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٩٣، س ١٤.
٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٠٤، ح ١١، باب منع الزكاة.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٩٤، س ١.



البرزخ، قيل: وما البرزخ؟ فقال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة[١].

وفي الخصال: عن السّجاد عليه السلام إنّه تلا هذه الآية، وقال: هو القبر، وأنّ لهم فيها معيشة ضنكا[٢] والله إنّ القبر لروضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النّار[٣].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: لقيام السّاعة.

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾: تنفعهم بالتعاطف والتراحم أو يفتخرون بها، وذلك من فرط الحيرة، وإستيلاء الدّهشة بحيث يفرّ المرء من أخيه، وأمّه وأبيه، وصاحبته وبنيه.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: كما هو اليوم، في المجمع: عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله كلّ حسب ونسب منقطع إلّا حسبي ونسبي[٤].

﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: ولا يسأل بعضهم بعضاً لإشتغاله بنفسه، وهو لا يناقض قوله تعالى: «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ»[٥] لأنّ هذا عند النفخة وذاك عند المحاسبة.

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال: لا يتقدّم يوم القيامة أحدٌ إلّا بالأعمال[٦].

وفي المناقب: عن السّجاد عليه السلام فيها والله لا ينفعك غداً إلّا مقدّمة تقدّمها من عمل صالح[٧].

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: موزونات عقائده وأعماله، القمّي: قال بالأعمال الحسنة[٨].

---

١ ـ الكافي: ج٣، ص٢٤٢، ح٣، باب ما ينطق به موضع القبر.

٢ ـ اقتباس من قوله تعالى: «فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً».

٣ ـ الخصال: ص١١٩ ـ ١٢٠، ذيل ح١٠٨، باب الثلاثة ـ أشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١١٩، س١٦.

٥ ـ الصافّات: ٢٧.

٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٤، س١٤.

٧ ـ المناقب لابن شهرآشوب: ج٤، ص١٥٢، س١ في زهد زين العابدين عليه السلام.

٨ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٤، س٢٠.

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: قال: من تلك الأعمال الحسنة[١].

أقول: قد مضى تحقيق معنى الوزن في سورة الأعراف[٢].

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: غبنوها حيث ضيّعوا زمان إستكمالها وأبطلوا إستعدادها لنيل كمالها.

﴿فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾: تحرقها، القمّي: قال: تلهب عليهم فتحرقهم[٣].

قيل: اللّفح كالنفخ إلاّ أنّه أشدّ تأثيراً من النّفخ[٤].

﴿وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ﴾: من شدّة الإحتراق والكلوح تقلّص الشّفتين عن الأسنان، القمّي: أي مفتوحي الفم متربدي[٥] الوجوه[٦].

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: أي يقال لهم: ذلك تأنيباً وتذكيراً.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾: ملكتنا بحيث صارت أحوالنا مؤدّية إلى سوء

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٤، س٢٠.
٢ ـ ذيل الآية: ٩.
٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٤، س٢٢.
٤ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص١١٥، س٩.
٥ ـ تربّد وجهه: أي تغيّر من الغضب، وقيل: صار كلون الرماد. لسان العرب: ج ٥، ص ١٠٦، مادة «ربد».
٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٤، س٢٢.

رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾

العاقبة، وقرئ شقاوتنا بالألف وفتح الشين.

في التّوحيد: عن الصّادق عليه السلام قال: بأعمالهم شقوا[1].

﴿وَكُنَّا قَوْماً ضَآلِّينَ﴾: عن الحق.

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾: من النّار.

﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾: إلى التكذيب.

﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾: لأنفسنا.

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾: إسكتوا سكوت هوان فإنّها ليست مقام سؤال، من خسأت الكلب إذا أزجرته فانزجر.

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾: القمّي: بلغني والله أعلم، أنّهم تداكّوا بعضهم على بعض سبعين عاماً حتّى إنتهوا إلى قعر جهنّم[2].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ * فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً﴾: هزؤاً، وقرئ بضمّ السّين.

﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾: من فرط تشاغلكم بالإستهزاء بهم فلم تخافوني في أوليائي.

﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾: إستهزاء بهم.

---

١ ـ التّوحيد: ص٣٥٦، ح٢، باب ٥٨ ـ باب السعادة والشقاوة.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٤.

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾: على أذاكم.

﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾: مخصوصون بالفوز بمراداتهم، وقرئ بكسر الهمزة.

﴿قَـٰلَ﴾: قال الله تعالى، أو الملك المأمور بسؤالهم، وقرئ قل على الأمر للملك.

﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: إحياءاً وأمواتاً في القبور.

﴿عَدَدَ سِنِينَ * قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: إستقصاراً لمدّة لبثهم فيها.

﴿فَسْئَلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾: القمّي: قال: سل الملائكة الّذين يعدّون علينا الايّام ويكتبون ساعاتنا وأعمالنا الّتي إكتسبناها فيها[1].

﴿قَـٰلَ﴾: وقرئ قل.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثاً﴾: توبيخ لهم على تغافلهم، أي لم نخلقكم تلهياً بكم، وإنّما خلقناكم لنتعبّدكم ونجازيكم على أعمالكم، وهو كالدّليل على البعث.

﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾: وقرئ بفتح التاء وكسر الجيم، في العلل: عن الصادق عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى بل خلقهم لإظهار قدرته، وليكلّفهم على طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٩٥، س ١.

فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

ليدفع بهم مضّرة بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيمه[1].

وعنه عليه السلام: إنّه قيل له: خلقنا للفناء، فقال: مه خلقنا للبقاء، وكيف وجنّة لا تبيد، ونار لا تخمد؟ ولكن إنّما نتحوّل من دار إلى دار[2].

﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾: الّذي يحقّ له الملك.

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ * وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُ بِهِۦ﴾: فإنّ الباطل لا برهان به، نبّه بذلك على أنّ التّدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلاً عمّا دلّ الدليل على خلافه.

﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾: فإنّه مجازٍ به[3] مقدار ما يستحقّه.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين، وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: في ثواب الأعمال[4]، والمجمع: عن الصّادق عليه السلام، قال: من قرأ سورة المؤمنين ختم الله له بالسّعادة، إذا كان يدمن قراءتها في كلّ جمعة وكان منزله في الفردوس الأعلى مع النّبيّين والمرسلين[5].

---

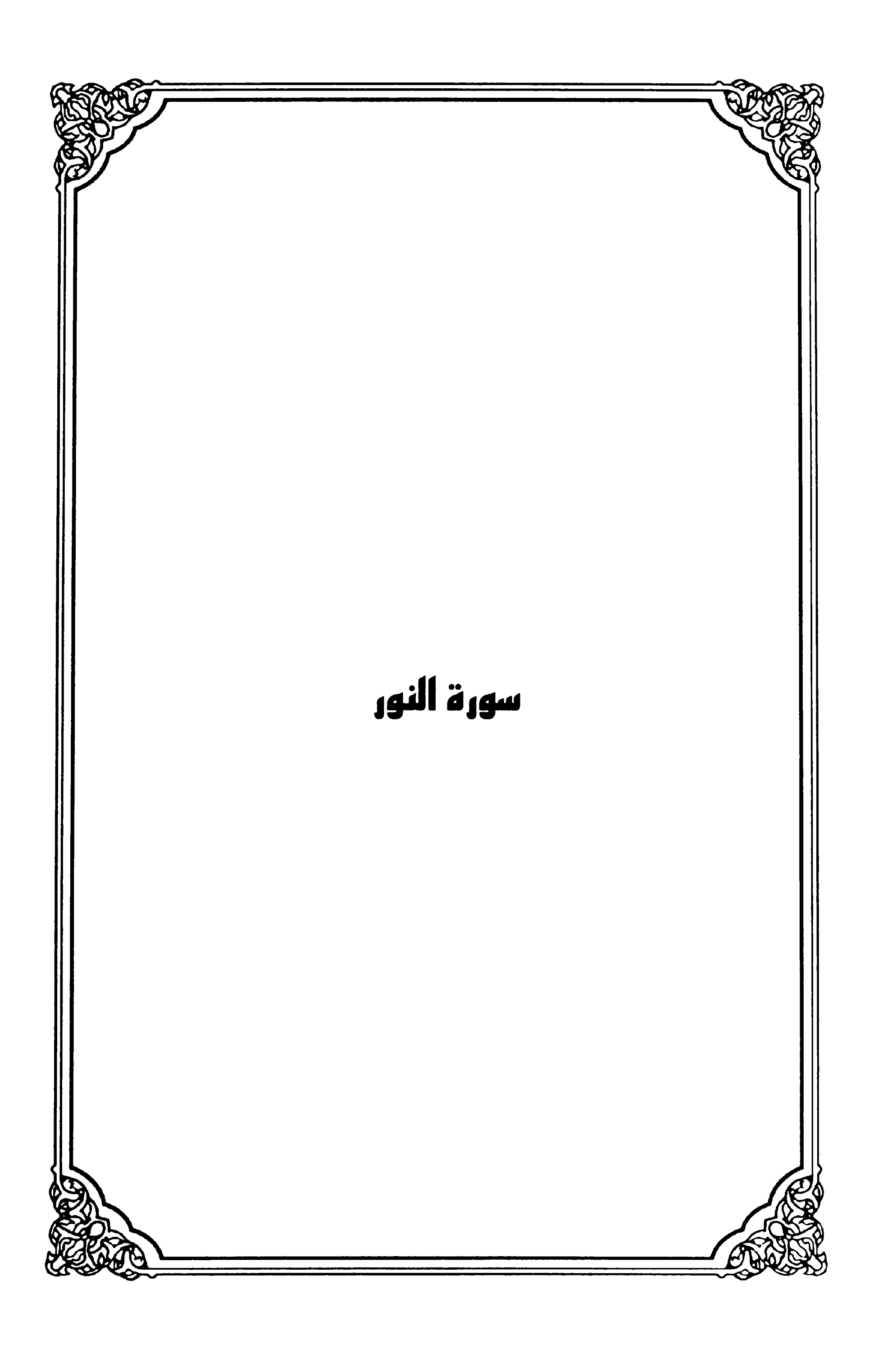
١ ـ علل الشرائع: ص٩، ح٢، باب ٩ ـ علة خلق الخلق وإختلاف أحوالهم.

٢ ـ علل الشرائع: ص١١، ح٥، باب ٩ ـ علة خلق الخلق وإختلاف أحوالهم. وفيه: «وكيف تفنى جنّة لا تبيد، ونار لا تخمد؟ ولكن قل: إنّما نتحرّك من دار إلى دار». وفي نسخة: [وكيف وجنّته لا تبيد وناره لا تخمد].

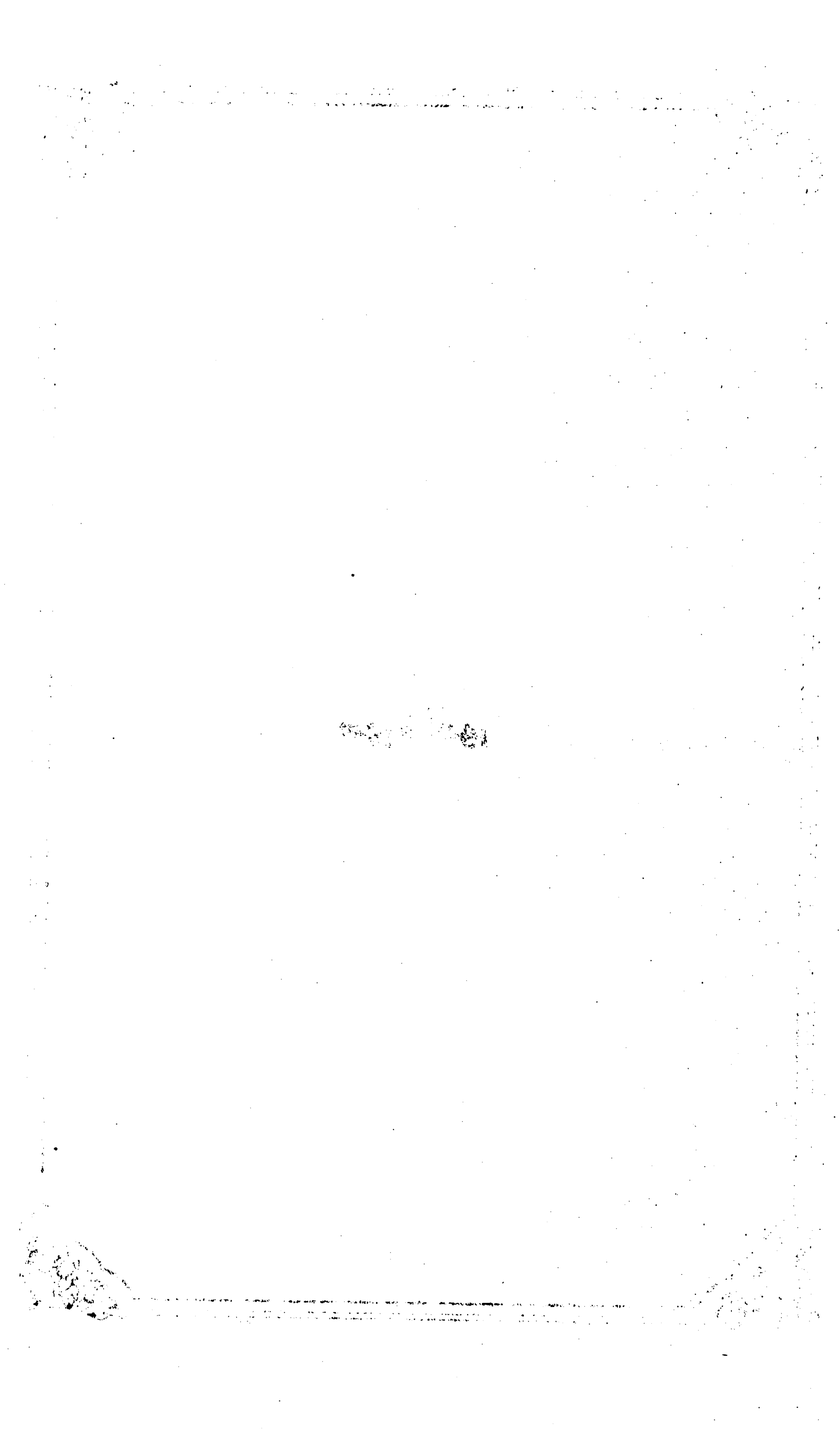
٣ ـ وفي نسخة: [فهو مجازيه].

٤ ـ ثواب الأعمال: ص١٠٨ ـ ١٠٩، باب ثواب قراءة سورة المؤمنين.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٩٨، في فضل السورة. والنص للأخير، أي للمجمع.



سورة النور



بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

سورة النّور: مدنيّة بلا خلاف عدد آيها أربع وستون آية عراقي شامي، آيتان حجازي[١]، إختلافها آيتان «بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ»[٢] و«يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ»[٣] كلاهما عراقي شامي.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا﴾: وفرضنا ما فيها من الأحكام، وقرئ بالتشديد.

﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ﴾: واضحات الدّلالة.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: فتتّقون المحارم.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾: القمّي: هي ناسخة لقوله: «وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ» الآية [٤][٥].

---

١ ـ أي اثنان وستّون آية.

٢ و٣ ـ النور: ٣٦ و٤٣.

٤ ـ النساء: ١٥.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٩٥، س ١١.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث وسورة النّور اُنزلت بعد سورة النّساء وتصديق ذلك أنّ الله عزّوجلّ أنزل عليه في سورة النّساء: «وَٱلَّـتِي يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُـمْ» إلى قوله: «لَهُنَّ سَبِيلاً»[١] والسّبيل الّذي قال الله عزّ وجلّ: «سُـورَةٌ أَنـزَلْنَـٰهَا» إلى قـوله: «مِّـنَ ٱلْمُـؤْمِنِينَ»[٢][٣].

وفيه[٤]، وفي التّهذيب: عن الصّادق عليه السلام الحرّ والحرّة إذا زنيا جلد كلّ واحد منهما مائة جلدة، فأمّا المحصن المحصنة فعليهما الرّجم[٥].

وعنه عليه السلام: الرّجم في القرآن قوله تعالى: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتّة فإنّهما قضيا الشهوة[٦].

القمّي: وكانت آية الرّجم نزلت في الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة فإنّهما قضيا الشهّوة نكالاً من الله والله عليم حكيم[٧][٨].

وفي رواية: في الشيخ والشيخة الجلد ثمّ الرّجم[٩].

وفي اُخرى: وفي المحصن والمحصنة، أيضاً كذلك[١٠].

---

١ ـ النّساء: ١٥. ٢ ـ النور: ٢.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٣، ذيل ح ١، باب ١ ـ بدون العنوان.

٤ ـ الكافي: ج ٧، ص ١٧٧، ح ٢، باب الرجم والجلد ومن يجب عليه ذلك.

٥ ـ تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ٣، ح ٦/٦، باب حدود الزنا.

٦ ـ تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ٣، ح ٧/٧، باب حدود الزنا. وفيه: «وإذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة...». وبهذا النص جاء في الكافي: ج ٧، ص ١٧٧، ح ٣، باب الرجم والجلد ومن يجب على ذلك.

وقال المجلسي رحمه الله في شرح هذا الحديث في كتابه مرآة العقول، ج٢٣، ص٢٦٧: وعدّت هذه الآية ممّا نُسخت تلاوتها دون حكمها، ورويت بعبارات اُخر أيضاً، ونحو هذا الحديث ورد في من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٧، ح ٣٢/ ١٢، وإليك نصّه: روى هشام بن سالم عن سليمان بن خالد، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: في القرآن رجم؟ قال: نعم، قلت: كيف؟ قال: الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتّة فإنّهما قضيا الشهوة.

٧ ـ اقتباس من قوله تعالى: «نَكَـٰلاً مِنَ ٱللهِ وَٱللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» في سورة المائدة: ٣٨.

٨ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٩٥، س ١٥.

٩ ـ تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ٤ ـ ٥، ح ١٤/ ١٤، باب ١ ـ حدود الزنا.

١٠ ـ تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ٤، ح ١٣/ ١٣، باب ١ ـ حدود الزنا.

وفي البكر والبكرة جلد مائة، ونفي سنة في غير مصرهما، وهما اللّذان قد أملكا، ولم يدخل بها[١].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّه سئل عن المحصن فقال: الّذي يزني وعنده ما يغنيه[٢].

وفيهما عن الباقر عليه السلام: من كان له فرج يغدو عليه ويروح فهو محصن[٣][٤].

وعن الكاظم عليه السلام: إنّه سئل عن الجارية أتحصن؟ قال: نعم، إنّما هو على وجه الإستغناء، قيل: المتعة؟ قال: لا إنّما ذاك على الشّيء الدّائم[٥].

وعن الصّادق عليه السلام: لا يرجم الرّجل ولا المرأة حتّى تشهد عليهما أربعة شهداء على الجماع والإيلاج والإدخال كالميل في المكحلة[٦].

أقول: وتأتي العلّة باعتبار الأربعة شهداء إن شاء الله.

وعن الاصبغ بن نباتة: أنّ عمر أُوتي بخمسة نفر أُخذوا في الزّنا فأمر أن يقام على كلّ واحد منهم الحدّ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام حاضراً فقال: يا عمر ليس هذا حكمهم، قال فأقم أنت الحدّ عليهم فقدم واحداً منهم فضرب عنقه، وقدم الآخر فرجمه، وقدم الثالث فضربه الحد، وقدّم الرابع فضربه نصف الحدّ، وقدّم الخامس فعزّره، فتحيّر عمر، وتعجّب النّاس من فعله، فقال له عمر: يا أبا الحسن خمسة نفر في قضيّة واحدة أقمت عليهم خمسة حدود، ليس شيء منها يشبه الآخر؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا الأول: فكان ذمّياً فخرج عن ذمّته، ولم يكن له حدّ إلّا السّيف، وأمّا الثاني: فرجل محصن كان حدّه الرّجم، وأمّا الثالث: فغير محصن حدّه الجلد، وأمّا الرّابع: فعبد ضربناه نصف الحدّ، وأمّا الخامس: فمجنون مغلوب على عقله[٧].

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ٣ ـ ٤، ح ٩/ ٩، باب ١ ـ حدود الزنا؛ والكافي: ج ٧، ص ١٧٧، ح ٧، باب الرجم والجلد ومن يجب عليه ذلك.

٢ و ٣ ـ الكافي: ج ٧، ص ١٧٨ و ١٧٩، ح ٤ و ١٠، باب ما يحصن وما لايحصن وما لايوجب الرجم على المحصن.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ١٢، ح ٢٨/ ٢٨، باب ١ ـ حدود الزنا.

٥ ـ الكافي: ج ٧، ص ١٧٨ ـ ١٧٩، ح ٦، باب ما يحصن وما لا يحصن وما يوجب الرجم على المحصن.

٦ ـ الكافي: ج ٧، ص ١٨٤، ح ٤، باب ما يوجب الرجم.

٧ ـ الكافي: ج ٧، ص ٢٦٥، ح ٢٦، باب النوادر، وتهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ٥٠، ح ١٨٨/ ١٨٨، باب ١ ـ حدود الزنا.

والقمّي: مثله إلّا أنّه، قال ستّة نفر، قال: وأطلق السّادس، ثمّ قال: وأمّا الخامس: فكان منه ذلك الفعل بالشبّهة فعزّرناه وأدّبناه، وأمّا السّادس: فمجنون مغلوب على عقله سقط منه التكليف[١].

وفيها عن الباقر عليه السلام: قال: يضرب الرّجل الحدّ قائماً والمرأة قاعدة، ويضرب كلّ عضو، ويترك الرّأس والمذاكير[٢][٣].

وعن الكاظم عليه السلام: إنّه سئل عن الزّاني كيف يجلد؟ قال: أشدّ الجلد، فقيل: فوق الثياب؟ فقال: لا، بل يجرّد[٤].

أقول: وباقي الأحكام تطلب من الوافي[٥].

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾: رحمة، وقرئ بفتح الهمزة.

﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾: في طاعته وإقامة حدّه فتعطلوه أو تسامحوا فيه.

وفي التّهذيب: عن أمير المؤمنين عليه السلام: قال: في إقامة الحدود[٦].

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾: فإنّ الإيمان يقتضي الجدّ في طاعة الله والإجتهاد في إقامة أحكامه.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: وليشهد عذابهما، يقول: ضربهما طائفة من المؤمنين، يجمع لهما النّاس إذا جلدا[٧].

وفي التهذيب: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: الطائفة واحد[٨].

وفي العوالي: عن الباقر عليه السلام قال: الطّائفة الحاضرة: هي الواحدة[٩].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٦، س٥.

٢ ـ الكافي: ج٧، ص١٨٣، ح١، باب صفة حد الزاني.

٣ ـ التهذيب: ج١٠، ص٣١، ح١٠٤/١٠٤، باب ١ ـ حدود الزنا. وفيه: «ويترك الوجه والمذاكير».

٤ ـ الكافي: ج٧، ص١٨٣، ح٢، باب صفة حد الزاني.

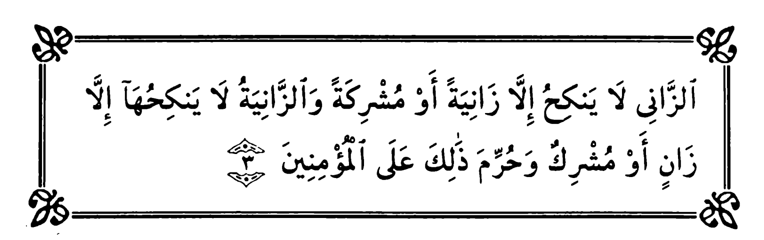
٥ ـ الوافي: ج ١٥، ص ٣٣١ ـ ٣٣٧، باب ٣٥ ـ حدود الزنا.

٦ ـ تهذيب الأحكام: ج١٠، ص١٥٠، ح٦٠٢/٣٣، باب ١٠ ـ الزيادات.

٧ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٥، س١٧. وفيه: «إذا جلدوا».

٨ ـ تهذيب الأحكام: ح١٠، ص١٥٠، ح٦٠٢/٣٣، باب ١٠ ـ من الزيادات.

٩ ـ عوالي اللئالي: ج٢، ص١٥٣، ح٤٢٨.



وفي الجوامع: عنه عليه السلام إنّ أقلّها رجل واحد[١].

﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: القمّي: هو ردّ على من يستحلّ التمتّع بالزّواني، والتزويج بهنّ، وهنّ المشهورات المعروفات في الدّنيا لا يقدر الرّجل على تحصينهنّ، قال: ونزلت هذه الآية في نساء مكّة كنّ مستعلنات بالزّنا، سارة، وحنتمة،والرّباب، كنّ يغنّين بهجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فحرّم الله نكاحهنّ، وجرت بعدهنّ في النّساء من أمثالهنّ[٢].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية فقال: هنّ نساء مشهورات بالزّنا، ورجال مشهورون بالزّنا شهروا به وعرفوا به، والنّاس اليوم بتلك المنزلة فمن أُقيم عليه حدّ الزّنا أو شهّر بالزّنا لم ينبغ لأحد أن يناكحه حتّى يعرف منه التّوبة[٣].

وعنه عليه السلام: إنّما ذلك في الجهر ثمّ قال: لو أنّ إنساناً زنى ثمّ تاب تزوّج حيث شاء[٤].

وعن الباقر عليه السلام: هم رجال ونساء كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مشهورين بالزّنا، فنهى الله عن أولئك الرّجال والنّساء، والنّاس اليوم على تلك المنزلة، من شهر شيئاً من ذلك أو أقيم عليه الحدّ فلا تزوّجوه حتّى تعرف توبته[٥].

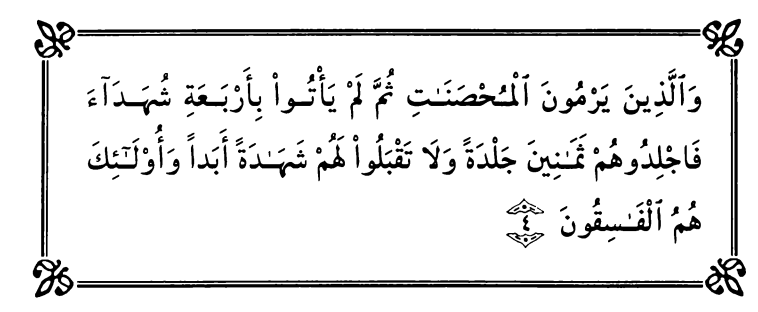
وعنه عليه السلام: في حديث إنّها نزلت بالمدينة، قال: فلم يسمّ الله الزّاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزني الزّاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السّارق حين يسرق وهو مؤمن، فإنّه إذا فعل ذلك خلع عنه الإيمان كخلع القميص[٦].

---

١ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص ٩٤، س ٤. ٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٥ ـ ٩٦.

٣ و ٤ و ٥ ـ الكافي: ج٥، ص٣٥٤ و ٣٥٥، ح ١ و ٦ و ٣، باب الزاني والزانية.

٦ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٣، قطعة من ح ١، باب ١.



﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ﴾: يقذفونهنّ بالزّنا.

﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً﴾: لا فرق في الطّرفين بين الذكر والأُنثى، ففي الكافي[1]، والتّهذيب: عن الصّادق عليه السلام في الرّجل يقذف الرّجل بالزّنا، قال: يجلد هو في كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله[2].

وعن الباقر عليه السلام: في إمرأة قذفت رجلاً قال: تجلد ثمانين جلدة[3]. وأمّا إذاكان أحدهما غلاماً أو جارية أو مجنوناً لم يحدّ كما وردت به الأخبار عنهم عليهم السلام[4].

وفيهما عن الصّادق عليه السلام: قال: إذا قذف العبد الحرّ جلد ثمانين، قال: وهذا من حقوق النّاس[5][6].

وعنه عليه السلام: لو أتيت برجل قد قذف عبداً مسلماً بالزّنا لا يعلم منه إلّا خيراً لضربته الحدّ حدّ الحرّ إلّا سوطاً[7].

---

١ ـ الكافي: ج٧، ص٢٠٥، ح٣، باب حد القاذف.

٢ ـ تهذيب الأحكام: ج١٠، ص٦٥، ح٢٣٨/٣، باب ٦ ـ الحد في الفرية والسب والتعريض بذلك والتصريح.

٣ ـ الكافي: ج٧، ص٢٠٥، ح٤، باب حد القاذف.

٤ ـ راجع التهذيب: ج١٠، ص٦٨، ح٢٥١/١٦ و٢٥٢/١٧، باب٦ ـ الحد في الفرية والسب والتعريض بذلك والتصريح، وراجع الكافي: ج٧، ص٢٠٥، ح٥، وص٢٠٩، ح٢٢ و٢٣، باب حد القاذف، وص١٩١، روايات باب المجنون والمجنونة يزنيان.

٥ ـ تهذيب الأحكام: ج١٠، ص٧٢، ح٢٧٠/٣٥، باب٦ ـ الحد في الفرية والسب والتعريض بذلك والتصريح.

٦ ـ الكافي: ج٧، ص٢٣٤، ح١، باب ما يجب على المماليك والمكاتبين من الحد.

٧ ـ الكافي: ج٧، ص٢٠٨، ح١٧، باب حد القاذف.

وعنه عليه السلام: من افترى على مملوك عزّر لحرمة الإسلام[١].

وعنه عليه السلام: في الحرّ يفتري على المملوك قال: يسئل فإنّ كانت أُمّه حرّة جلد الحدّ[٢].

وعنه عليه السلام: قال: قضى أمير المؤمنين عليه السلام إنّ الفرية ثلاثة يعني: ثلاث وجوه، إذا رمى الرّجل الرّجل بالزّنا، وإذا قال: أُمّه زانية، وإذا دعي لغير أبيه فذلك فيه حدّ ثمانون[٣].

وعنه عليه السلام: في رجل قال لرجل: يابن الفاعلة، يعني الزّنا، فقال: إن كانت أُمّه حيّة شاهدة ثمّ جاءت تطلب حقّها ضرب ثمانين جلدة، وإن كانت غائبة انتظر بها حتّى تقدم فتطلب حقّها، وإنّ كانت قد ماتت ولم يعلم منها إلّا خيراً ضرب المفتري عليها الحدّ ثمانين جلدة[٤].

وعنه عليه السلام: قال: إذا قذف الرّجل الرّجل، فقال: إنّك لتعمل عمل قوم لوط تنكح الرّجال، قال: يجلد حدّ القاذف ثمانين جلدة[٥].

وعنه عليه السلام: قال: كان عليّ عليه السلام يقول: إذا قال الرّجل للرّجل: يا معفوج، ويا منكوحاً في دبره، فإنّ عليه الحدّ حدّ القاذف[٦].

أقول: العفج ـ بالمهملة والفاء والجيم ـ: الجماع.

وعنه عليه السلام: إنّه سئل عن رجل افترى على قوم جماعة قال: إنّ أتوا به مجتمعين ضرب حدّاً واحداً وإن أتوا به متفرّقين ضرب لكلّ واحد منهم حدّاً[٧].

وعن الباقر عليه السلام: في الرّجل يقذف القوم جميعاً بكلمة واحدة، قال: إذا لم يسمّهم فإنّما عليه حدّ واحد، وإن سمّى فعليه لكلّ رجل حدّ[٨].

وعن الصّادق عليه السلام: قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا ينزع شيء من ثياب القاذف إلّا الرّداء[٩].

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ٧١، ح ٢٦٩/٣٤، باب ٦ ـ الحد في الفرية والسب والتعريض بذلك والتصريح.

٢ ـ تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ٧١، ح ٢٦٨/٣٣، باب ٦ ـ الحد في الفرية والسب والتعريض بذلك والتصريح.

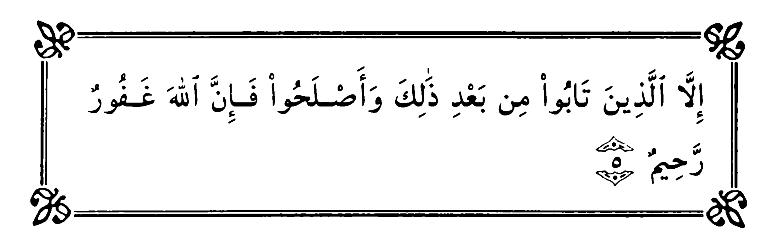
٣ ـ الكافي: ج ٧، ص ٢٠٥، ح ١، باب حد القاذف. وفيه: وإذا قال: إنّ أُمّه زانية».

٤ و٥ و٦ ـ الكافي: ج ٧، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ و ٢٠٨، ح ٦ و ١٤ و ١٦، باب حد القاذف.

٧ ـ الكافي: ج ٧، ص ٢٠٩، ح ١، باب الرجل يقذف جماعة.

٨ ـ تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ٦٩، ح ٢٥٨/٢٣، باب ٦ ـ الحد في الفرية والسب والتعريض بذلك والتصريح.

٩ ـ الكافي: ج ٧، ص ٢١٣، ح ٢، باب صفة حد القاذف.



وعنه عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الزّاني أشدّ ضرباً من شارب الخمر، وشارب الخمر أشدّ ضرباً من القاذف، والقاذف أشدّ ضرباً من التعزير(١).

وعن الكاظم عليه السلام: يجلد المفتري ضرباً بين الضّربين يضرب جسده كلّه(٢).

﴿وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَداً وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث ونزل بالمدينة «وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ» الآية قال: فبرأه الله ما كان مقيماً على الفرية من أن يسمّى بالايمان، قال الله عزّوجلّ: «أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ»(٣) وجعله الله منافقاً، فقال الله: «إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ»(٤) وجعله الله من أولياء إبليس فقال: «إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ»(٥) وجعله ملعوناً فقال: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ»(٦) وليست تشهد الجوارح على مؤمن إنّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب، فأمّا المؤمن فيعطى كتابه بيمينه، قال الله عزّوجلّ: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُ بِيَمِينِهِ»(٧) «فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً»(٨)(٩).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: القمّي:

---

١ و ٢ ـ الكافي: ج٧، ص٢١٤ و ٢١٣، ح٥ و ٢، باب صفة حد القاذف.
٣ ـ السجدة: ١٨.
٤ ـ التّوبة: ٦٧.
٥ ـ الكهف: ٥٠.
٦ ـ النّور: ٢٣ ـ ٢٤.
٧ ـ الإنشقاق: ٧.
٨ ـ الإسراء: ٧١.
٩ ـ الكافي: ج ٢، ص٣٢، ح ١، باب بدون عنوان.

وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾

عن الصّادق عليه السلام القاذف يجلد ثمانين جلدة، ولا تقبل له شهادة أبداً إلّا بعد التّوبة أو يكذّب نفسه، وإن شهد ثلاثة وأبى واحد يجلد الثلاثة، ولا تقبل شهادتهم حتّى يقول أربعة رأينا مثل الميل في المكحلة، ومن شهد على نفسه أنّه زنى لم تقبل شهادته حتّى يعيدها أربع مرّات[1].

وفي الكافي[2]، والتهذيب: إنّه عليه السلام سئل كيف تعرف توبته؟ فقال: يكذّب نفسه على رؤوس الخلائق حين يضرب، ويستغفر ربّه فإذا فعل ذلك فقد ظهرت توبته[3].

وعنه عليه السلام: إنّه سئل عن الرّجل يقذف الرجل فيجلد حدّاً، ثمّ يتوب ولا يعلم منه إلّا خيراً تجوز شهادته؟ قال: نعم، ما يقال: عندكم؟ قيل: يقولون توبته فيما بينه وبين الله، ولا تقبل شهادته أبداً فقال: بئس ما قالوا، كان أبي يقول: إذا تاب ولم يعلم منه إلّا خيراً جازت شهادته[4].

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾: وقرئ بالرّفع.

﴿بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: أي فيما رماها به من الزّنا.

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: وقرئ بتخفيف أن.

﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: في الرّمي.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص٩٦، س١٦.

٢ ـ الكافي: ج٧، ص٢٤١، ح٧، باب ما يجب فيه التعزير في جميع الحدود.

٣ ـ تهذيب الأحكام: ج٦، ص ٢٦٣، ح٦٩٩/١٠٤، باب ٩١ ـ البينات.

٤ ـ الكافي: ج٧، ص٣٩٧، ح٢، باب شهادة القاذف والمحدود.

وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتِ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٩﴾

﴿وَيَدْرَؤُاْ﴾: ويدفع.

﴿عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾: الرّجم.

﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتِ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾: فيما رماني به.

﴿وَٱلْخَـٰمِسَةَ﴾: وقرئ بالنّصب.

﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: في ذلك، وقرئ بتخفيف أن وكسر الضّاد، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: هو القاذف الّذي يقذف إمرأته فإذا قذفها ثمّ أقرّ أنّه كذب عليها جلد الحدّ وردّت إليه إمرأته، وإن أبى إلّا أن يمضي فليشهد عليها أربع شهادات بالله أنّه لمن الصّادقين، والخامسة يلعن فيها نفسه إن كان من الكاذبين، وإن أرادت أن تدرء عن نفسها العذاب، والعذاب هو الرّجم شهدت «أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتِ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ»، فإن لم تفعل رجمت، وإن فعلت درأت عن نفسها الحدّ، ثم لا تحلّ له إلى يوم القيامة، قيل: أرأيت إن فرّق بينهما ولها ولد فمات؟ قال: ترثه أُمّه وإن ماتت أُمّه ورثه أخواله، ومن قال: إنّه ولد زنا جلد الحدّ قيل: يردّ إليه الولد إذا أقرّ به؟ قال: لا، ولا كرامة ولا يرث الإبن، ويرثه الإبن[1].

وعنه عليه السلام: إنّ رجلاً من المسلمين أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أرأيت لو أنّ رجلاً دخل منزله فوجد مع إمرأته رجلاً يجامعها ما كان يصنع، قال: فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وانصرف الرجل وكان ذلك الرّجل هو الّذي أُبتلي بذلك من إمرأته قال: فنزل

---

١ ـ الكافي: ج٦، ص١٦٢ ـ ١٦٣، ح٣، باب اللعان.

الوحي من عند الله بالحكم فيهما فأرسل رسول الله ﷺ إلى ذلك الرّجل فدعاه فقال له: أنت الّذي رأيت مع إمرأتك رجلاً؟ فقال: نعم، فقال له: إنطلق فأتني بإمرأتك فإن الله قد أنزل الحكم فيك وفيها، قال: فأحضرها زوجها فأوقفهما رسول الله ﷺ: ثمّ قال: للزّوج إشهد أربع شهادات بالله إنّك لمن الصّادقين فيما رميتها به، قال: فشهد، ثمّ قال له: إتّق الله فإنّ لعنة الله شديدة، ثمّ قال له إشهد الخامسة أنّ لعنة الله عليك إن كنت من الكاذبين، قال: فشهد، ثمّ أمر به فنحيّ، ثمّ قال للمرأة إشهدي أربع شهادات بالله إنّ زوجك لمن الكاذبين فيما رماك به، قال: فشهدت، ثمّ قال لها: إمسكي، فوعظها وقال لها: إتّقي الله فإنّ غضب الله شديد، ثمّ قال لها: إشهدي الخامسة أنّ غضب الله عليكِ إن كان زوجك من الصّادقين فيما رماك به، قال: فشهدت، قال: ففرّق بينهما، وقال لهما: لا تجتمعا بنكاح أبداً بعدما تلاعنتما[1].

والقمّي: إنّها نزلت في اللّعان وكان سبب ذلك إنّه لمّا رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك جاء إليه عويمر بن ساعدة العجلانّي، وكان من الأنصار فقال: يا رسُول الله إنّ إمرأتي زنى بها شريك بن سمحا، وهي منه حامل فأعرض عنه رسول الله ﷺ فأعاد عليه القول فأعرض عنه حتّى فعل ذلك أربع مرّات فدخل رسول الله ﷺ منزله فنزل عليه آية اللعان، وخرج رسول الله وصلّى بالنّاس العصر، وقال لعويمر: إئتني بأهلك فقد أنزل الله فيكما قرآناً فجاء إليها، فقال الزوج لها: رسول الله ﷺ يدعوك، وكانت في شرف من قومها، فجاء معها جماعة فلمّا دخلت المسجد، قال رسول الله ﷺ: لعويمر تقدّم إلى المنبر والتعنا، فقال: كيف أصنع؟ فقال: تقدّم وقل: أشهد بالله إنّي إذاً لمن الصّادقين فيما رميتها به، فتقدّم وقالها، فقال رسول الله ﷺ: أعدها فأعادها، ثمّ قال أعدها فأعادها، حتّى فعل ذلك أربع مرّات، فقال له في الخامسة: عليك لعنة الله إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به، فقال: في الخامسة إنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به، ثمّ قال رسول الله ﷺ: إنّ اللّعنة موجبة إن كنت كاذباً، ثمّ قال له: تنحّ فتنحّى، ثمّ قال لزوجته: تشهدين كما شهد وإلّا أقمت عليك حدّ الله، فنظرت في وجوه قومها، فقالت لا أُسوّد هذه الوجوه في هذه العشيّة فتقدّمت إلى المنبر وقالت: أشهد بالله

---

١ ـ الكافي: ج٦، ص١٦٣، ح٤، باب اللعان.

إنّ عويمر بن ساعدة من الكاذبين فيما رماني به، فقال لها رسول الله ﷺ: أعيديها، فأعادتها حتّى أعادتها أربع مرّات، فقال لها رسول الله ﷺ: إلعني نفسكِ في الخامسة إن كان من الصّادقين فيما رماك به، فقالت في الخامسة: إنّ غضب الله عليها إن كان من الصّادقين فيما رماني به، فقال رسول الله ﷺ: ويلك إنّها موجبة لك، ثمّ قال رسول الله ﷺ لزوجها: إذهب فلا تحلّ لك أبداً، قال: يا رسول الله فمالي الّذي أعطيتها، قال: إن كنت كاذباً فهو أبعد لك منه، وإن كنت صادقاً فهو لها بما إستحللت من فرجها، ثمّ قال رسول الله ﷺ: إن جاءت بالولد أحمش السّاقين[١] أنفس العينين[٢] جعد[٣] قطط[٤] فهو للأمر السيئ، وإن جاءت به أشهل[٥] أصهب[٦] فهو لأبيه، فيقال: إنّها جاءت به على الأمر السيّئ، فهذه لا تحلّ لزوجها وإن جاءت بولد لا يرثه أبوه، وميراثه لأُمّه وإن لم يكن له أُمّ فلأخواله وإن قذفه أحد جلد حدّ القاذف[٧].

وفي العوالي: روي إنّ هلال بن أُمّية قذف زوجته بشريك بن السّمحا، فقال النّبيّ ﷺ: البيّنة وإلّا حدّ في ظهرك، فقال: يا رسول الله يجد أحدنا مع إمرأته رجلاً يلتمس البيّنة؟ فجعل رسول الله ﷺ يقول البيّنة: وإلّا حدّ في ظهرك، فقال: والّذي بعثك بالحقّ إنّني لصادق وسينزل الله ما يبرأ ظهري من الجلد، فنزل قوله تعالى: «وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ» الآية[٨].

---

١ ـ أحمش الساقين: بالحاء المهملة والشين المعجمة ـ: دقيقها. منه ﵀.

٢ ـ أنت في نَفَسٍ من أمرك أي في سعة. الصحاح: ج٣، ص٩٨٥.

٣ ـ شعر جعدٌ: بيّن الجعودة. والجعودة في الشعر: ضد السبوطة، يقال: جعد الشعر ـ بضم العين وكسرها ـ جُعُودَةً إذا كان فيه إلتواء وتقبّض فهو جعد وذلك خلاف المسترسل. مجمع البحرين: ج٣، ص٢٥، مادة «جعد». وفي هامش المخطوطة: الجعد من الشعر خلاف السبط القصير. منه ﵀.

٤ ـ شعر قط وقطط بفتحتين: شديد الجعودة، ويقال القطط شعر الزنجي. مجمع البحرين: ج٤، ص٢٦٩، مادة «قطط».

٥ ـ الشهلة في العين: أن يشوب سوادها بزرقة. وعين شهلاء، ورجل أشهل العين. مجمع البحرين: ج٥، ص٤٠٥، مادة «شهل».

٦ ـ الصهبة: الشقرة في شعر الرأس وهي الصهوبة، والرجل أصهب، والصهباء: الخمر، سميت بذلك للونها، وقال الأصمعي: يقال للأعداء: صهب السبال، وسود الأكباد، وإن لم يكونوا صهب السبال. الصحاح: ج١، ص١٦٦، مادة «صهب».

٧ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٨ ـ ٩٩.

٨ ـ عوالي اللئالي: ج٣، ص٤١١، ح١، باب اللعان.

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إذا قذف الرّجل إمرأته فإنّه لا يلاعنها، حتّى يقول: رأيت بين رجليها رجلاً يزني بها[١].

وعن الباقر عليه السلام: يجلس الإمام مستدبر القبلة فيقيمها بين يديه مستقبل القبلة بحذاه ويبدأ بالرّجل ثمّ المرأة[٢].

وفي رواية: ويجعل الرّجل عن يمينه والمرأة عن يساره[٣].

وعن الصّادق عليه السلام: في رجل أوقفه الإمام للّعان فشهد شهادتين، ثمّ نكل فأكذب نفسه قبل أن يفرغ من اللّعان قال: حدّ جلد القاذف، ولا يفرّق بينه وبين إمرأته[٤].

وعن الجواد عليه السلام: إنّه قيل له: كيف صار إذا قذف الرّجل إمرأته كانت شهادته أربع شهادات بالله، وإذا قذفها غيره أب أو أخ أو ولد أو قريب جلد الحدّ أو يقيم البيّنة على ما قال؟ فقال: قد سئل جعفر عليه السلام عن ذلك؟ فقال: إنّ الزّوج إذا قذف إمرأته فقال: رأيت ذلك بعيني كانت شهادته أربع شهادات بالله، وإذا قال: إنّه لم يره قيل له: أقم البيّنة على ما قلت، وإلّا كان بمنزلة غيره، وذلك إنّ الله جعل للزّوج مدخلاً لم يجعله لغيره، من والد ولا ولد يدخله بالّليل والنّهار، وفجاز له أن يقول رأيت، ولو قال غيره رأيت قيل له: وما أدخلك بالمدخل الّذي ترى هذا فيه وحدك، أنت متهّم فلابدّ أن يقام عليك الحدّ الّذي أوجبه الله عليك، قال: وإنّما صارت شهادة الزّوج أربع شهادات لمكان الأربعة شهداء مكان كلّ شاهد يمين[٥].

وفي العلل: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل لم جعل في الزّنا أربعة شهود وفي القتل شاهدان؟ فقال: إنّ الله عزّوجلّ أحلّ لكم المتعة وعلم أنّها ستنكر عليكم، فجعل الأربعة الشهود إحتياطاً لكم لولا ذلك لأُتي عليكم، وقلّما يجتمع أربعة على شهادة بأمر واحد[٦].

وفي رواية أُخرى: قال عليه السلام: الزّنا فيه حدّان ولا يجوز أن يشهد كلّ إثنين على واحد،

---

١ ـ الكافي: ج٦، ص١٦٣ ـ ١٦٤، ح٦، باب اللعان.
٢ ـ الكافي: ج٦، ص١٦٥، ح١٠، باب اللعان.
٣ ـ الكافي: ج٦، ص١٦٥، ح١١، باب اللعان.
٤ ـ الكافي: ج٦، ص١٦٣، ح٥، باب اللعان.
٥ ـ الكافي: ج٦، ص١٦٣ ـ ١٦٤، ح٦، باب اللعان.
٦ ـ علل الشرائع: ص٥٠٩، ح١، باب ٢٨٢ ـ العلة التي من أجلها جعل في الزنا أربعة من الشهود وفي القتل شاهدان.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ وَأَنَّ ٱللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

لأنّ الرّجل والمرأة جميعاً عليهما الحدّ، والقتل إنّما يقام الحدّ على القاتل ويدفع عن المقتول[1].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ وَأَنَّ ٱللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾: لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة حذف الجواب لتعظيمه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِالْإِفْكِ﴾: بأبلغ ما يكون من الكذب.

﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾: جماعة منكم.

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُم﴾: إستيناف والهاء للإفك.

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: لإكتسابكم به الثّواب العظيم.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾: بقدر ما خاض فيه.

﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾: معظمه.

﴿مِنْهُمْ﴾: من الخائضين.

﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الجوامع: وكان سبب الإفك إنّ عائشة ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق، وكانت قد خرجت لقضاء حاجة فرجعت طالبة له، وحمل هودجها على بعيرها ظنّاً منهم إنّها فيها فلمّا عادت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا، وكان صفوان من وراء الجيش فلمّا وصل إلى ذلك الموضع وعرفها أناخ بعيره حتّى ركبته، وهو يسوقه حتّى أتى الجيش وقد

---

١ ـ علل الشرائع: ص ٥١٠، ذيل ح٣، باب ٢٨٢ ـ العلة التي من أجلها جعل في الزنا أربعة من الشهود وفي القتل شاهدان.

نزلوا في قائم الظهيرة[١]. قال: كذا رواه الزّهري عن عائشة[٢].

والقمّي: روت العامّة إنّها نزلت في عائشة وما رميت به في غزوة بني المصطلق من خزاعة، وأمّا الخاصّة فإنّهم رووا إنّها نزلت في مارية القبطية وما رمتها به عائشة، ثمّ روي عن الباقر عليه السلام قال: لمّا مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله حزن عليه رسول الله صلى الله عليه وآله حزناً شديداً، فقالت له عائشة: ما الّذي يحزنك عليه؟ فما هو إلّا ابن جريح، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام، وأمره بقتله، فذهب علي عليه السلام إليه ومعه السّيف، وكان جريح القبطي في حائط، فضرب علي باب البستان، فأقبل إليه جريح ليفتح له الباب، فلمّا رأى عليّاً عرف في وجهه الغضب فأدبر راجعاً ولم يفتح باب البستان، فوثب عليّ عليه السلام على الحائط، ونزل إلى البستان واتبعه، وولّى جريح مدبراً، فلمّا خشي أن يرهقه صعد في نخلة، وصعد عليّ في أثره فلمّا دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته فإذا ليس له ما للرّجال ولا له ما للنّساء، فانصرف عليّ إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال له: يا رسول الله إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالمسمار المحمي في الوبر[٣] أمضي على ذلك أم أثبت؟ قال: لا بل تثبت، قال: والّذي بعثك بالحقّ ماله ما للرّجال ولا له ما للنّساء، فقال: الحمد لله الّذي صرف عنّا السّوء أهل البيت[٤].

وهذه الرّواية أوردها القمّي: بعبارة أُخرى في سورة الحجرات عند قوله تعالى: «إِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ»[٥] و زاد فأُتي به رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: ما شأنك يا جريح؟ فقال: يا رسول الله إنّ القبط يحبّون حشمهم ومن يدخل إلى أهاليهم، والقبطيّون لا يأنسون إلّا بالقبطيّين فبعثني أبوها لأدخل إليها وأخدمها وأُونسها[٦].

أقول: إنّ صحّ هذا الخبر فلعلّه صلى الله عليه وآله إنّما بعث عليّاً عليه السلام إلى جريح ليظهر الحقّ، ويصرف السّوء، وكان قد علم أنّه لا يقتله، ولم يكن يأمر بقتله بمجرّد قول عائشة.

---

١ ـ الظهيرة: الهاجرة وشدة الحر نصف النهار، ولا يقال في الشتاء: ظهيرة. مجمع البحرين: ج٣، ص٣٩٢، مادة «ظهر».

٢ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٩٨، س ١.

٣ـ في بعض النسخ في الكور مكان الوبر. منه رحمه الله.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٩٩ ـ ١٠٠. وفيه: «في الوتر».

٥ ـ الحجرات: ٦.

٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣١٩.

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِالشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

ويدلّ على هذا ما رواه القمّي: في سورة الحجرات: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل كان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بقتل القبطيّ وقد علم أنّها قد كذبت عليه أو لم يعلم وأنّما دفع الله عن القبطي القتل بتثبّت عليّ عليه السلام؟ فقال: بلى قد كان والله علم، ولو كانت عزيمة من رسول الله صلى الله عليه وآله القتل ما رجع عليّ عليه السلام حتّى يقتله، ولكن إنّما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله لترجع عن ذنبها فما رجعت ولا اشتد عليها قتل رجل مسلم بكذبها[1].

﴿لَّوْلَآ﴾: هلّا.

﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾: كما يقول المستيقن المطّلع على الحال، وإنّما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ، وإشعاراً بأنّ الايمان يقتضي ظنّ الخير بالمؤمنين، والكفّ عن الطعن فيهم، وذبّ الطّاعنين عنهم كما يذبّونهم عن أنفسهم.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِالشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾: قيل: إستيناف أو هو من جملة المقول تقريراً لكونه كذباً فإنّ ما لا حجّة عليه مكذّب عند الله أي في حكمه ولذلك رتّب عليه الحدّ[2].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾: «ولولا» هذه لإمتناع

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣١٩.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٢٠، س ١١.

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ ٱللهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

الشّيء لوجود غيره، والمعنى ولولا فضل الله عليكم في الدّنيا بأنواع النعّم الّتي من جملتها الإمهال للتوبة، ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدّرين لكم.

﴿لَمَسَّكُمْ﴾: عاجلاً.

﴿فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾: خضتم فيه.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: يستحقر دونه اللّوم والجلد.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾: يأخذه بعضكم عن بعض بالسّؤال عنه.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾: بلا مساعدة من القلوب.

﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً﴾: سهلاً لا تبعة له.

﴿وَهُوَ عِندَ ٱللهِ عَظِيمٌ﴾: في الوزر وإستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتّبة علّق بها مسّ العذاب العظيم.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾: ما ينبغي وما يصحّ لنا.

﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ﴾: تعجبّ ممّن يقول ذلك فإنّ الله ينزّه عند كلّ متعجّب من أن يصعب عليه أو تنزيه لله من أن يكون حرمة نبيّه ﷺ فاجرة، فإنّ فجورها تنفير عنه بخلاف كفرها.

﴿هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ﴾: لعظمته المبهوت عليه.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فإنّ الإيمان يمنع عنه،

وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

وفيه تهييج وتقريع.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾: الدالّة على الشّرائع ومحاسن الآداب كي تتّعظوا وتتأدّبوا.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بالأحوال كلّها.

﴿حَكِيمٌ﴾: في تدابيره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: في الكافي[١]، والأمالي[٢]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: من قال في مؤمن: ما رأته عيناه وسمعته أُذناه فهو من الّذين قال الله عزّوجلّ: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ» الآية[٣].

وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام إنّه قيل له الرّجل من إخواني بلغني عنه الشيء الّذي أكرهه فأسئله عنه فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات، فقال: كذّب سمعك وبصرك عن أخيك وإن شهد عندك خمسون قسامة، وقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم، ولا تذيعنّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروّته فتكون من الّذين قال الله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ» الآية[٤].

وعن الصّادق عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أذاع فاحشة كان كمبتدئها[٥].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٥٧، ح ٢، باب الغيبة والبهت.

٢ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٢٧٦، ح ١٦.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٠٠، س ٦.

٤ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٤٧، ح ١٢٥.

٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٥٦، ح ٢، باب التعيير.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: تكرير للمنّة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة، وحذف الجواب للإستغناء عنه بذكره مرّة.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾: بإشاعة الفاحشة، وفي المجمع: عن عليّ عليه السلام خطؤات بالهمزة[1].

﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾: الفحشاء: ما أفرط في قبحه، والمنكر: ما أنكره الشرع والعقل.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: بتوفيق التوبة الماحية للذّنوب، وشرع الحدود المكفرة لها.

﴿مَا زَكَىٰ﴾: ما طهر من دنسها.

﴿مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾: آخر الدّهر.

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾: بحمله على التّوبة وقبولها.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لمقالتهم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بنيّاتهم.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٥١، في القراءة.

وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾: ولا يحلف من الآليّة على وزن فعيلة بمعنى اليمين أو ولا يقصّر من «الألو».

﴿أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ﴾: الغنى.

﴿مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾: في المال.

﴿أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: في الجوامع: قيل: نزلت في جماعة من الصّحابة حلفوا ألّا يتصدّقوا على من تكلّم بشيء من الإفك ولا يواسوهم[1].

﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام أولو القربى: هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يعفو بعضكم عن بعض ويصفح بعضكم بعضاً، فإذا فعلتم كانت رحمة من الله لكم، يقول الله: «أَلَا تُحِبُّونَ» الآية[2].

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله «ولتعفوا ولتصفحوا» بالتّاء كما روي بالياء أيضاً[3].

وفي المناقب: ما سبق عند تفسير «وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ» من سورة المؤمنين[4].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ﴾: ممّا قذفن به.

---

١ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص١٠٠، س٦.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠٠، س١٢.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٣٣، في القراءة.

٤ ـ المناقب لابن شهر آشوب: ج٤، ص١٥٨، ذيل الآية ٦٢ من سورة المؤمنون.

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

﴿ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾: بالله وبرسوله.

﴿لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾: كما طعنوا فيهنّ.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: لعظم ذنوبهم.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾: وقرئ بالياء.

﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: بإنطاق الله إيّاها بغير إختيارهم.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾: جزاءهم المستحقّ.

﴿وَيَعْلَمُونَ﴾: لمعاينتهم الأمر.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾: العادل الظاهر العدل الّذي لا ظلم في حكمه.

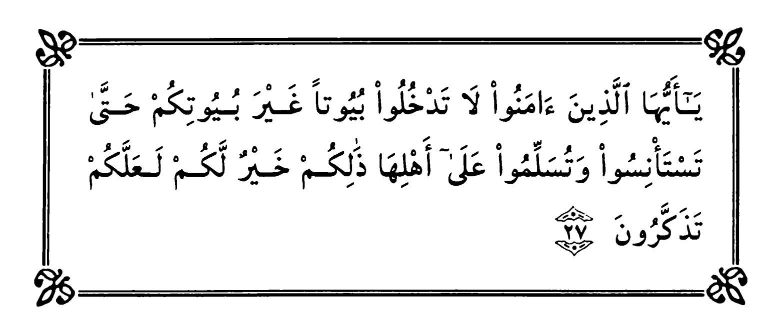
في الكافي: عن الباقر عليه السلام ليست تشهد الجوارح على مؤمن إنّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب[١] وقد مضى تمام الحديث في هذه السّورة[٢].

﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ﴾: في المجمع: عنهما عليهما السلام الخبيثات من النّساء: للخبيثين من الرّجال، والخبيثون من

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٢، ح ١، س ١٩، باب بدون عنوان.

٢ ـ ذيل قوله تعالى: «وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَداً...»، النور: ٤.



الرجال: للخبيثات من النّساء، والطيّبات من النّساء: للطّيبين من الرّجال، والطيّبون من الرجال: للطيّبات من النّساء، قالا: هي مثل قوله: «ٱلزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً»[١] إلّا أنَّ أُناساً همّوا أن يتزوّجوا منهنّ فنهاهم الله عن ذلك وكره ذلك لهم[٢].

وقيل: الخبيثات والطّيبات من الأقوال والكلم[٣].

والقمّي: يقول: الخبيثات من الكلام والعمل: للخبيثين من الرجال والنّساء يسلّمونهم ويصدّق عليهم من قال: والطيّبون من الرّجال والنّساء: للطّيبات من الكلام والعمل[٤].

وقد مرّ ما يقرب من هذا في سورة الأنفال في تفسير هذه الآية[٥].

وفي الإحتجاج: عن الحسن المجتبى عليه السلام، وقد قام من مجلس معاوية وأصحابه وقد ألقمهم الحجر «ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ»: هم والله يا معاوية أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك «وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ» إلى آخر الآية هم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه وشيعته[٦].

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾: يعني الطيّبين والطيّبات على الأوّل والطيّبين على الأخير.

﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: فيهم أو من أن يقولوا مثل قولهم.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ

---

١ ـ النور: ٣.
٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٣٥، س١٨.
٣ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص١٢٣، س٢.
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠١، س١.
٥ ـ ذيل الآية: ٣٧، راجع ج ٣، ص ٣٣٧ من كتابنا تفسير الصافي.
٦ ـ الإحتجاج: ج١، ص٤١٥، إحتجاج الإمام الحسن عليه السلام على جماعة من منكري فضله وفضل أبيه.

بُيُوتِكُمْ﴾: الّتي تسكنونها.

﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾: تستأذنوا من الإستيناس بمعنى الإستعلام، من آنس الشيء إذا أبصره، فإنّ المستأذن مستعلم للحال مستكشف هل يراد دخوله أو من الإستيناس الّذي هو خلاف الاستيحاش فإن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له.

﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾: بأن تقولوا السّلام عليكم ءأدخل، في المجمع: عن النّبيّ ﷺ إنّ رجلاً إستأذن عليه فتنحنح، فقال ﷺ لإمرأة يقال لها روضة: قومي إلى هذا فعلّميه وقولي له قل: السّلام عليكم، ءأدخل فسمعها الرّجل فقالها: فقلل: أُدخل[1].

وعنه عليه السلام: إنّه سئل ما الإستيناس؟ فقال: يتكلّم الرّجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبيرة ويتنحنح على أهل البيت[2].

وفي المعاني[3]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: الإستيناس وقع النّعل والتسليم[4].

وفي الكافي: عنه عليه السلام يستأذن الرّجل إذا دخل على أبيه، ولا يستأذن الأب على الإبن، ويستأذن الرّجل على إبنته وإخته إذا كانتا متزوجتين[5].

وفي المجمع: إنّ رجلاً قال للنّبيّ ﷺ: أستأذن على أُمّي؟ قال: نعم، قال: إنّها ليس لها خادم غيري أفأستأذن عليها كلّما دخلت؟ قال: أتحبّ أن تراها عريانة؟ قال الرّجل: لا، قال: فاستأذن عليها[6].

وفي الفقيه: عنه عليه السلام إنّما الإذن على البيوت ليس على الدّار إذن[7].

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي الإستيذان والتسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٣٦، س٢. ٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٣٥، س٢٨.

٣ ـ معاني الأخبار: ص١٦٣، ح١، باب معنى الإستيناس.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠١، س٦.

٥ ـ الكافي: ج٥، ص٥٢٨، ح٣، باب الدخول على النساء.

٦ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٣٥، س٣١.

٧ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص١٥٤، ح٦٧٧/١٤، باب ٧٢ ـ إحياء الموات والأرضين.

فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَارْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: قيل: لكُم هذا إرادة أن تذكروا وتعملوا بما هو أصلح لكم[1].

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَداً﴾: يأذن لكم.

﴿فَلَاتَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَارْجِعُواْ﴾: ولا تلّحوا.

﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ﴾: إستمتاع لكم كالإستكنان من الحرّ والبرد، وإيواء الرّجال والجلوس للمعاملة.

القمّي: عن الصّادق عليه السلام هي الحمّامات والخانات والأرحية تدخلها بغير إذن[2].

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: وعيد لمن دخل مدخلاً لفساد أو تطلّع على عورة.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾: أي ما يكون نحو محرّم.

﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾: أي من النّظر المحرّم.

﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾: أطهر لما فيه من البُعد عن الريّبة.

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٢٣، س ١٧.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٠١، س ١٠.

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾: القمّي: عن الصّادق عليه السلام كلّ آية في القرآن في ذكر الفُروج فهي من الزّنا إلّا هذه الآية فإنّها من النظر، فلا يحلّ لرجل مؤمن أن ينظر إلى فرج أخيه، ولا يحلّ للمرأة أن تنظر إلى فرج أُختها(١).

وفي الكافي: عنه عليه السلام في حديث يذكر فيه فرض الإيمان على الجوارح، وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرّم الله عليه وأن يعرض عمّا نهى الله عنه ممّا لا يحلّ له وهو عمله وهو من الإيمان، فقال تبارك وتعالى: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ» فنهاهم عن أن ينظروا إلى عوراتهم، وأن ينظر المرء إلى فرج أخيه، ويحفظ فرجه أن ينظر إليه، وقال: «وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ» من أن تنظر إحداهنّ إلى

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠١، س١٤.

فرج أختها، وتحفظ فرجها من أن ينظر إليها، وقال: كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزّنا إلّا هذه الآية فإنّها من النظر[١].

وعن الباقر عليه السلام: قال: إستقبل شابّ من الأنصار إمرأة بالمدينة، وكانت النّساء يتقنّعن خلف آذانهنّ فنظر إليها وهي مقبلة، فلمّا جازت نظر إليها ودخل في زقاق قد سمّاه ببني فلان فجعل ينظر خلفها، واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشقّ وجهه، فلمّا مضت المرأة نظر فإذا الدّماء تسيل على ثوبه وصدره فقال: والله لآتينّ رسول الله صلى الله عليه وآله ولأخبرنّه، قال: فأتاه فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: ما هذا؟ فأخبره، فهبط جبرئيل بهذه الآية[٢][٣].

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام في قوله تعالى: «إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» قال: الزّينة الظاهرة: الكحل، والخاتم[٤].

وفي رواية الخاتم والمسكة[٥] وهي القلب[٦][٧].

أقول: القلب بالضّم السّوار.

وفي الجوامع: عنهم عليهم السلام الكفّان والأصابع[٨].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: هي الثّياب والكحل والخاتم، وخضاب الكفّ، والسّوار، والزّينة ثلاث: زينة للنّاس، وزينة للمحرم، وزينة للزّوج، فأمّا زينة النّاس:

---

١ ـ الكافي: ج٢، ص٣٥ ـ ٣٦، قطعة من ح١، باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها.

٢ ـ الكافي: ج٥، ص٥٢١، ح٥، باب ما يحل النظر إليه من المرأة.

٣ ـ هكذا في الأصل، والظاهر أنّ المقصود من قوله رحمه الله: «فهبط جبرئيل بهذه الآية» هو قوله تعالى: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ...» كما جاء في الكافي فراجع نفس المصدر، وكان الأنسب أن يذكر الماتن رحمه الله هذا الحديث في ذيل تلك الآية.

٤ ـ الكافي: ج٥، ص٥٢١، ح٣، باب ما يحل النظر إليه من المرأة.

٥ ـ المَسَكُ ـ بالتحريك ـ: الأسورة والخلاخيل من القرون، والعاج الواحد بهاء، وبالكسر طيب، والقطعة منه مسكة. القاموس المحيط: ج٣، ص٣١٨، مادة «مسك».

٦ ـ القلب ـ بالضم ـ سوار المرأة: القاموس المحيط: ج١، ص١١٩.

٧ ـ الكافي: ج٥، ص٥٢١، ح٤، باب ما يحل النظر إليه من المرأة.

٨ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص١٠٣، س١٩.

فقد ذكرناها، وأمّا زينة المحرم: فموضع القلادة فما فوقها، والدملج[١] وما دونه، والخلخال وما أسفل منه، وأمّا زينة الزوج: فالجسد كلّه[٢].

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: للزّوج ما تحت الدّرع، وللأخ والإبن ما فوق الدّرع، ولغير ذي محرم أربعة أثواب درع وخمار وجلباب[٣] وإزار[٤].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل ما يحلّ للرّجل أن يرى من المرأة إذا لم يكن محرماً؟ قال: الوجه والكفّان، والقدمان[٥].

وعنه عليه السلام: لا بأس بالنّظر إلى رؤوس أهل تهامة[٦] والأعراب، وأهل السّواد، والعلوج[٧] لأنّهم إذا نهوا لا ينتهون، قال: والمجنونة، والمغلوب على عقلها، ولا بأس بالنظر إلى شعرها وجسدها مالم يتعمّد ذلك[٨].

وعنه عليه السلام: قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله لا حرمة لنساء أهل الذمّة أن ينظر إلى شعورهنّ وأيديهنّ[٩].

وعنه عليه السلام: إنّه سئل عن الرّجل يريد أن يتزوّج المرأة يتأمّلها وينظر إلى خلفها وإلى وجهها؟ قال: لا بأس[١٠].

---

١ ـ الدملج ـ بضم الدال واللام، وإسكان الميم كقنفذ ـ: شيء يشبه السوار تلبسه المرأة في عضدها. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣١٠، مادة «دمج».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٠١، س ١٧.

٣ ـ الجلْبَاب: وهو ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها، وقيل: الجِلْبَاب الملحَفة كلّما يستتر به من كساء أو غيره. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٣، مادة «جلب».

٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٥٥.

٥ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٢١، ح ٢، باب مايحل النظر إليه من المرأة.

٦ ـ تهامة ـ بكسر الفوقانيّة ـ: إسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز. وفي المجمع هي مشتقّة من التهم وهي الحر وسكون الريح، وهي أرض أولها ذات عرق من قبل نجد إلى مكة وما وراها بمرحلتين أو أكثر وتأخذ إلى البحر. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٤. مادة «تهم».

٧ ـ العلج ـ بالكسر فالسكون وجيم في الآخر ـ: الرجل الضخم من كفار العجم وبعضهم يطلقه على الكافر مطلقاً والجمع علوج وأعلاج. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣١٩، مادة «علج».

٨ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٢٤، ح ١، باب النظر إلى نساء الأعراب وأهل السواد.

٩ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٢٤، ح ١، باب النظر إلى نساء أهل الذمة.

١٠ ـ الكافي: ج ٥، ص ٣٦٥، ح ٣، باب النظر لمن أراد التزويج.

وفي رواية لا بأس أن ينظر إلى وجهها ومعاصمها إذا أراد أن يتزوّجها[١].

أقول: المعصم: كمنبر بكسر الميم موضع السّوار، وفي رواية أُخرى: ينظر إلى شعرها ومحاسنها إذا لم يكن متلذّذاً[٢].

وفي رواية أُخرى: إنّما يشتريها بأغلا الثمن[٣].

وفي الخصال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: يا عليّ أوّل نظرة لك، والثانية عليك لا لك[٤].

وفي رواية: لكم أوّل نظرة من المرأة فلا تنسجوها بنظرة أُخرى، واحذروا الفتنة[٥].

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: ستراً لأعناقهنّ.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: كرّره لبيان من يحلّ له الأبد أو من لا يحلّ.

﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: لأنّهم[٦] المقصودون بالزّينة ولهم أن ينظروا إلى جميع جسدهنَ كما مرّ.

﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾: قد سبق ماهم أن ينظروا إليه منها، وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن الذراعين من المرأة هما من الزينة الّتي قال الله تعالى: «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ»؟ قال: نعم، وما دون الخمار من الزّينة، وما دون السوارين[٧][٨].

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾: يعني النساء المؤمنات، في الكافي[٩]، والفقيه: عن الصّادق عليه السلام قال:

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص٣٦٥، ح٢، باب النظر لمن أراد التزويج.

٢ ـ الكافي: ج٥، ص٣٦٥، ح٥، باب النظر لمن أراد التزويج.

٣ ـ الكافي: ج٥، ص٣٦٥، ح١، باب النظر لمن أراد التزويج.

٤ ـ الخصال: ص٣٠٦، س٧، ح٨٤، باب الخمسة ـ الكلمات التي إبتلى إبراهيم ربّه بهنّ فأتمهنّ خمس.

٥ ـ الخصال: ص٦٣٢، س٢، ح١٠، حديث أربعمائة.

٦ ـ وفي نسخة: [فإنّهم المقصودون].

٧ ـ الكافي: ج٥، ص٥٢٠ ـ ٥٢١، ح١، باب ما يحل النظر إليه من المرأة.

٨ ـ يعني ما ستر الخمار من الرأس والرقبة وهو ما سوى الوجه منهما، وما دون السوارين: يعني اليدين، وهو ما عدا الكفّين منهما. منه قدس سره.

٩ ـ الكافي: ج٥، ص٥١٩، ح٥، باب التستر.

لا ينبغي للمرأة أن تنكشف بين يدي اليهوديّة والنصرانيّة فإنهنّ يصفن ذلك لأزواجهنّ[١].

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾: يعني العبيد والإماء، كذا في المجمع، عن الصّادق عليه السلام[٢].

وفي الكافي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: لا بأس أن يرى المملوك الشّعر والسّاق[٣].

وفي رواية: شعر مولاته وساقها[٤].

في أخرى: لا بأس أن ينظر إلى شعرها إذا كان مأموناً[٥].

وعنه عليه السلام: لا يحلّ للمرأة أن ينظر عبدها إلى شيء من جسدها إلّا إلى شعرها غير متعمّد لذلك[٦].

﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ﴾: أي أولي الحاجة إلى النّساء والإربة: العقل، وجودة الرأي، وقرئ غير بالنّصب.

﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾: القمّي: هو الشيخ الفاني الّذي لا حاجة له إلى النّساء[٧].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: هو الأحمق الّذي لا يأتي النساء[٨].

وعن الصّادق عليه السلام: الأحمق الأبله المولّى عليه الّذي لا يأتي النساء[٩].

وفي المجمع: عنه عليه السلام إنّ التابع الّذي يتبعك لينال من طعامك ولا حاجة له في النّساء وهو الأبله المولى عليه[١٠].

وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام إنّه سئل عن الرّجل يكون له الخصّي يدخل على نسائه فيناولهنّ الوضوء فيرى شعورهنّ، قال: لا[١١].

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٣٦٦، ح١٧٤٢/٣١، باب ١٧٨ ـ النوادر من كتاب الطلاق.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٣٨، س٢٣.

٣ ـ الكافي: ج٥، ص٥٣١، ذيل ح٢، باب ما يحل للمملوك النظر إليه من مولاته.

٤ ـ الكافي: ج٥، ص٥٣١، ح٣، باب ما يحل للمملوك النظر إليه من مولاته.

٥ ـ الكافي: ج٥، ص٥٣١، ذيل ح٤، باب ما يحل للمملوك النظر إليه من مولاته.

٦ ـ الكافي: ج٥، ص٥٣١، ح٤، باب ما يحل للمملوك النّظر إليه من مولاته.

٧ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠٢، س١.

٨ و ٩ ـ الكافي: ج٥، ص٥٢٣، ح١ و ٢، باب أولي الإربة من الرجال.

١٠ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٣٨، س٢٥.

١١ ـ الكافي: ج٥، ص٥٣٢، ح٢، باب الخصيان.

وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾: لعدم تميزهم من الظّهور بمعنى الإطّلاع أو لعدم بلوغهم حدّ الشهوة من الظّهور بمعنى الغلبة.

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾: ليتقعقع خلخالها فيعلم إنّها ذات خلخال فإنّ ذلك يورث ميلاً في الرّجال.

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: إذ لا يكاد يخلو أحد منكم من تفريط سيّما في الكفّ عن الشهوات، وقرئ أيُّهُ بضمّ الهاء.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: بسعادة الدّارين.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾: هي مقلوب أيايم جمع أيم وهو العزب ذكراً كان أو أُنثى بكراً كان أو ثيّبا.

﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾: قيل: خصّ الصّالحين لأنّ إحصان دينهم أهم(١).

وقيل بل المراد الصّالحون للنّكاح(٢).

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾: ردّ لما عسى أن يمنع من النّكاح.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: ذو سعة لا تنفد نعمه.

﴿عَلِيمٌ﴾: يبسط الرّزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته، في الكافي: عن الصّادق، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ترك التزويج مخـافة العيلة، فقد أساء ظنّه

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٢٥، س١٧.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص١٢٥، س١٧.

وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾

بالله عزّوجلّ إنّ الله عزّوجلّ يقول: «إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ»[١].

وعنه عليه السلام: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فشكا إليه الحاجة، فقال: تزوّج فتزوّج فوسّع عليه[٢].

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً﴾: أسبابه.

﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾: المشهور في تفسيرها ليجتهدوا في قمع الشّهوة وطلب العفّة بالرّياضة لتسكين شهوتهم كما قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: يا معشر الشبّان من استطاع منكم الباه فليتزوّج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم فإنّه له وجاء[٣].

أقول: الباه: الجماع، والوجاء، إن تُرضَّ أنثيا الفحل رضّاً شديداً يذهب بشهوة الجماع، أراد أن الصّوم يقطع النّكاح كما يقطعه الوجاء.

قيل: الآية الأُولى وردت للنّهي عن ردّ المؤمن وترك تزويج المؤمنة، والثانية لأمر الفقير بالصبر على ترك النكاح حذراً من تعبه حالة الزّواج فلا تناقض.

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١، ح٥، باب إن التزويج يزيد في الرزق.

٢ ـ الكافي: ج٥، ص ٣٣٠، ح٢، باب إن التزويج يزيد في الرزق.

٣ ـ مستدرك الوسائل: ج٧، ص٥٠٦ ـ ٥٠٧، ح١/٨٧٦٢ ـ باب ٣ ـ إستحباب الصوم عند غلبة شهوة الباه وتعذره حلالاً. وفيه: «ومن لم يقدر».

أقول: بل الأولى حمل الأُولى على عموم النّهي عن تركه مخافة الفقر اللّاحق كما دلّ عليه حديث مخافة العيلة، وحمل الثانية على الأمر بالإستعفاف للفقر الحاضر المانع خاصّة.

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام: في الآية الثانية قال: يتزوّجون حتّى يغنيهم الله من فضله[1].

ولعلّ معناه إنّهم يطلبون العفّة بالتزويج والإحصان ليصيروا أغنياء وعلى هذا فالآيتان متوافقتان في المعنى، إلّا أنّ هذا التفسير لا يلائم عدم الوجدان إلّا بتكلّف، ويمكن أن يكون لفظة «لا» سقطت من صدر الحديث والعلم عند الله.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: المكاتبة وهي أن يقول الرّجل لمملوكه: كاتبتك على كذا، أي كتبت على نفسي عتقك إذا أدّيت كذا من المال.

﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾: عبداً كان أو أمة.

﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً﴾: في الكافي[2]، والتهذيب: عن الصّادق عليه السلام: إنّ علمتم لهم مالاً[3].

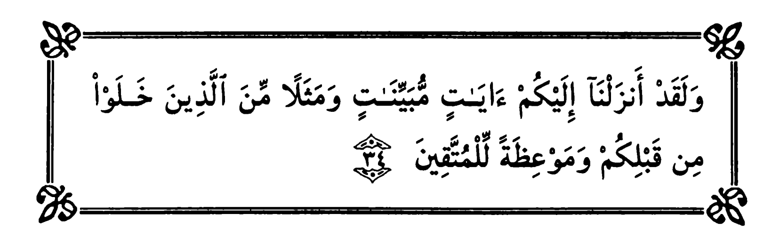
وفي رواية: ديناً ومالاً[4].

وفي الفقيه: عنه عليه السلام والخير: أن يشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، ويكون بيده عمل يكتسب به أو يكون له حرفة[5].

وفي الكافي: عنه عليه السلام سئل عن العبد يكاتبه مولاه وهو يعلم أنّه ليس له قليل ولا كثير، قال: يكاتبه وإن كان يسأل النّاس ولا يمنعه المكاتبة من أجل أن ليس له مال، فإنّ الله يرزق العباد بعضهم من بعض، والمؤمن معان[6].

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص٣٣١، ح٧، باب إن التزويج يزيد في الرزق.
٢ ـ الكافي: ج٦، ص١٨٧، ذيل ح٩، باب المكاتب.
٣ ـ تهذيب الأحكام: ج٨، ص٢٦٨، ذيل ح٩٧٥/٨، باب ٣ ـ المكاتب.
٤ ـ الكافي: ج٦، ص١٨٧، ح١٠، باب المكاتب.
٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٧٨، ح٢٧٨/٢٣، باب ٥٠ ـ المكاتبة.
٦ ـ الكافي: ج٦، ص١٨٧، ح١١، باب المكاتب، بتفاوت.



﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَـٰكُمْ﴾: أعطوهم ممّا كاتبتموهم به شيئاً.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام تضع من نجومه الّتي لم تكن تريد أن تنقصه ولا تزيد فوق ما في نفسك، فقيل: كم، فقال: وضع أبو جعفر عليه السلام عن مملوك ألفاً من ستّة آلاف[1].

وعنه عليه السلام: لا تقول أُكاتبه بخمسة آلاف وأترك له ألفاً، ولكن أُنظر إلى الّذي أضمرت عليه فأعطه[2].

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾: على الزّنا.

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾: تعفّفاً شرط للإكراه فإنّه لا يوجد بدونه، وإن جعل شرطاً للنّهي لم يلزمه من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون إرتفاع النّهي بإمتناع المنهّي عنه.

﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: القمّي: كانت العرب وقريش يشترون الإماء ويضعون عليهم الضّريبة الثقيلة، ويقولون: إذهبوا وازنوا واكتسبوا فنهاهم الله عن ذلك[3].

﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: وقرئ من بعد إكراههنّ لهنّ غفور رحيم، ونسبه في المجمع: إلى الصّادق عليه السلام[4].

القمّي: أي لا يؤاخذهنّ الله بذلك إذا أُكرهن عليه[5].

وعن الباقر عليه السلام: هذه الآية منسوخة نسختها: «فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ»[6][7].

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ﴾: وقرئ بالكسر.

---

١ و ٢ ـ الكافي: ج٦، ص١٨٩ و١٨٦ ـ ١٨٧، ح١٧ و٧، باب المكاتب. ٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠٢.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٣٩، في القراءة. ٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠٢، س١٥.

٦ ـ النساء: ٢٥. ٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٠٢، س ١٦.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَمَثَلًا﴾: وقصّة عجيبة.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ﴾: من أمثال الّذين.

﴿خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: خصّهم بها لأنّهم المنتفعون.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: الظاهر[1] بنفسه المظهر لهما بما فيهما.

في التّوحيد: عن الرضا عليه السلام: هاد لأهل السماء، وهاد لأهل الأرض[2]، قال: وفي رواية البرقي هدى من في السّماوات، وهدى من في الأرض[3].

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾: صفة نوره العجيبة الشّأن.

﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾: كصفة مشكاة، وهي الكوة غير النافذة فيها.

﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: سراج ضخم ثاقب.

﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾: في قنديل من الزجاج.

﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾: مضيء متلألأ منسوب إلى الدرّ، وقرئ بالهمزة

---

١ ـ قيل: أصل الظهور: هو الوجود، كما أن أصل الخفاء هو العدم، والله سبحانه موجود بذاته موجد لما عداه. منه رحمه الله. والقائل هو البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٢٧، س ٦.

٢ و٣ ـ التّوحيد: ص١٥٥، ح١، باب ١٥ ـ تفسير قول الله عزّوجلّ: «ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...».

وبضمّ الدّال وكسرها، من الدّرء كأنّه يدفع الظلام بضوئه.

﴿يُوقَدُ﴾: المصباح، وقرئ بالتّاء على إسناده إلى الزّجاجة بحذف المضاف أي مصباحها، وبفتح التّاء والدال وتشديد القاف.

﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾: إبتداء ثقوب المصباح من شجرة الزّيتون المتكاثر نفعه بأن رويت ذبالته[1] بزيتها.

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: تقع الشمس عليها حيناً دون حين بل بحيث تقع عليها طول النّهار فإنّ ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: أي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط وميضه[2].

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: نوره متضاعف فإنّ نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزّيت وزهرة القنديل، وضبط المشكاة لأشعّته.

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: أي لهذا النّور الثاقب.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ﴾: تقريباً للمعقول إلى المحسوس توضيحاً وبياناً.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: معقولاً كان أو محسوساً.

في التّوحيد: عن الصّادق عليه السلام هو مثل ضربه الله تعالى لنا[3].

وعنه عليه السلام: «ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ» قال: كذلك الله عزّوجلّ: «مَثَلُ نُورِهِۦ» قال: محمّد صلى الله عليه وآله: «كَمِشْكَوٰةٍ» قال: صدر محمّد صلى الله عليه وآله: «فِيهَا مِصْبَاحٌ» قال: فيه نور العلم، يعني النّبوة: «ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ» قال: علم رسول الله صلى الله عليه وآله صدر إلى قلب عليّ عليه السلام: «ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا» قال: كأنّه «كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ» قال: ذاك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا يهودي ولا نصراني: «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ»

---

١ ـ الذُّبالة: الفتيلة التي تُسْرج، والجمع ذبال، ويقال للفتيلة التي يصبح بها السراج: ذبالة وذبَّالة، وجمعها ذبال وذُبّال. لسان العرب: ج ٥، ص ٢٦، مادة «ذبل».

٢ ـ ومض إيماضاً ومضاً ووميضاً: إذا لمع لمعاً خفيّاً ولم يعترض. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٣٣، مادة «ومض».

٣ ـ التّوحيد: ص١٥٧، ح٢، باب ١٥ ـ تفسير قول الله عزّوجلّ: «ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...».

قال: يكاد العلم يخرج من فم العالم من آل محمّد صلوات الله عليهم من قبل أن ينطق به «نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ» قال: الإمام في أثر الإمام[١].

وفي معناه أخبار أُخر[٢].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث يقول: أنا هادي السّماوات والأرض مثل العلم الّذي أعطيته، وهو نوري الّذي يهتدي به مثل المشكاة فيها المصباح، فالمشكاة: قلب محمّد صلى الله عليه وآله، والمصباح: نوره الّذي فيه العلم، وقوله: «ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ» يقول: إنّي أُريد أن أقبضك فأجعل الذي عندك عند الوصي كما يجعل المصباح في الزجاجة: «كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ» فأعلمهم فضل الوصّي: «يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ» فأصل الشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام وهو قول الله عزّوجلّ «رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ»[٣] وهو قول الله: «إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»[٤] «لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ» يقول: لستم بيهود فتصلّوا قبل المغرب ولا نصارى فتصلّوا قبل المشرق، وأنتم على ملّة إبراهيم عليه السلام وقد قال الله عزّوجلّ: «مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ»[٥] وقوله: «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ» يقول: مثل أولادكم الّذين يولدون منكم، مثل الزيّت الّذي يعصر من الزّيتون، يكادون أن يتكلّموا بالنّبوة ولو لم ينزل عليهم ملك[٦].

والقمّي: عن الصّادق، عن أبيه عليهما السلام: في هذه الآية: «ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ» قال: بدأ بنور نفسه: «مَثَلُ نُورِهِۦ» مثل هداه في قلب المؤمن، «كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ» المشكاة جوف المؤمن، والقنديل: قلبه والمصباح: النّور والّذي جعله الله فيه «يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ» قال: الشجّرة: المؤمن «زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ» قال: على سواء، الجبل لا غربيّة أي لا شرق لها، ولا شرقيّة أي لا غرب لها، إذا طلعت الشمس طلعت عليها، وإذا غربت غربت

---

١ ـ التّوحيد: ص١٥٧، ح٣، باب ١٥ ـ تفسير قول الله عزّوجلّ الله نور السماوات والأرض.

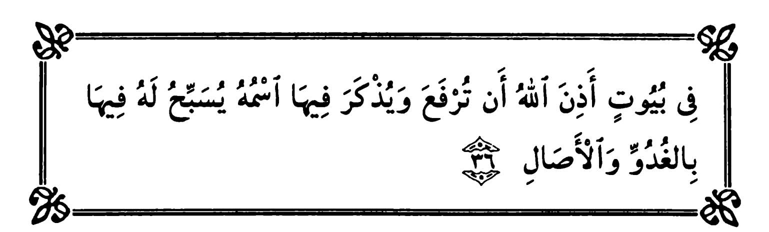
٢ ـ التّوحيد: ص١٥٨، ح٤، باب ١٥ ـ تفسير قول الله عزّوجلّ الله نور السماوات والأرض.

٣ ـ هود: ٧٣.

٤ ـ آل عمران: ٣٣ و ٣٤.

٥ ـ آل عمران: ٦٧.

٦ ـ الكافي: ج٨، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١، ذيل ح٥٧٤.



عليها، «يَكَادُ زَيْتُهَا» يعني يكاد النّور الّذي جعله الله في قلبه يضيء وإن لم يتكلّم «نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ» فريضة على فريضة، وسنّة على سنّة، «يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ» قال: يهدي الله لفرائضه وسننه من يشاء، «ويضرب الله الأمثال للنّاس» قال: فهذا مثل ضربه الله للمؤمن، قال: فالمؤمن يتقلّب في خمسة من النّور، مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومصيره يوم القيامة إلى الجنّة نور، قال الرّاوي، قلت لجعفر عليه السلام: إنّهم يقولون: مثل نور الربّ؟ قال: سبحان الله ليس لله مثل، أما قال: «فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ»؟[١][٢].

﴿فِي بُيُوتٍ﴾: أي كمشكاة في بعض بيوت أو توقد في بيوت.

﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾: بالتّعظيم.

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام هي بيوت النّبيّ صلى الله عليه وآله[٣].

وفيه[٤]، وفي الإكمال: عن الباقر عليه السلام: هي بيوتات الأنبياء والرّسل، والحكماء، وأئمّة الهدى[٥].

والقمّي: عنه عليه السلام هي بيوت الأنبياء، وبيت عليّ عليه السلام منها[٦].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّ قتادة قال له: والله لقد جلست بين يدي فقهاء وقدّامهم فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما إضطرب قدّامك، فقال له: أتدري أين أنت؟ بين يدي

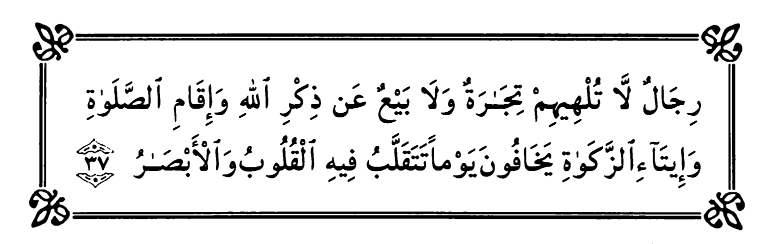
١ـ النحل: ٧٤. ٢ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠٣، س١٠.

٣ـ الكافي: ج٨، ص٣٣١، ح٥١٠.

٤ـ الكافي: ج٨، ص١١٩، س٨، قطعة من ح٩٢، حديث آدم عليه السلام مع الشجرة.

٥ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٢١٨، س٢٠، ح٢، باب ٢٢ـ إتصال الوصيّة من لدن آدم عليه السلام وأن الأرض لا تخلو من حجّة لله عزّوجلّ على خلقه إلى يوم القيامة.

٦ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠٤، س٢.



بيوت: «أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ» إلى آخر الآية فأنت ثمّة، ونحن أولئك، فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجارة ولا طين[١].

﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَٱلْآَصَالِ﴾: وقرئ بفتح الباء.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾: في الفقيه: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية، قال: كانوا أصحاب تجارة فإذا حضرت الصلاة تركوا التّجارة، وإنطلقوا إلى الصّلاة وهم أعظم أجراً ممّن لا يتجر[٢].

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام مثله[٣].

وفي الكافي: رفعه قال: هم التجّار الّذين «لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ» إذا دخل مواقيت الصلاة أدّوا إلى الله حقّه فيها[٤].

وعن الصّادق عليه السلام: إنّه سئل عن تاجر ما فعل؟ فقيل صالح ولكنّه قد ترك التجارة، فقال: عمل الشيطان ثلاثاً أمّا علم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إشترى عيراً أتت من الشّام فاستفضل فيها ما قضى دينه وقسّم في قرابته، يقول الله عزّوجلّ: «رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ» الآية يقول: القصّاص إنّ القوم لم يكونوا يتجرون كذبوا، ولكنّهم لم يكونوا يدعون الصلاة في ميقاتها وهو أفضل ممّن حضر الصلاة ولم يتجر[٥].

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾: مع ما هم عليه من الذكر[٦] والطاعة.

---

١ ـ الكافي: ج٦، ص٢٥٦، ح١، باب ما ينتفع به من الميتة وما لا ينتفع به منها.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص١١٩، ح٤، باب ٦١ ـ التجارة وآدابها وفضلها وفقهها.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٤٥، س٦. ٤ ـ الكافي: ج٥، ص١٥٤، ح٢١، باب آداب التجارة.

٥ ـ الكافي: ج٥، ص٧٥، ح٨، باب ما يجب من الإقتداء بالأئمة عليهم السلام في التعرض للرزق.

٦ ـ وفي نسخة: [من الشكر].

لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾: تضطرب وتتغيّر من الهول.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: أشياء لم يعدهم على أعمالهم ولا يخطر ببالهم.

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: تقرير للزّيادة، وتنبيه على كمال القدرة، ونفاذ المشيئة، وسعة الإحسان.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾: بأرض مستوية.

﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾: ممّا ظنّه.

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾: محاسباً إيّاه.

﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: لا يشغله حساب عن حساب وقد سبق معناه، روي أنّها نزلت في عتبة بن ربيعة بن أُميّة تعبّد في الجاهليّة والتمس الدّين فلمّا جاء الإسلام كفر[1].

﴿أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ﴾: عطف على كسراب و«أو» للتخيير فإنّ أعمالهم لكونها لاغية لا

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٤٦، س٢٢.

منفعة لها كالسّراب، ولكونها خالية عن نور الحقّ كالظّلمات المتراكمة من لجّ البحر والأمواج والسّحاب، أو للتّنويع فإنّ أعمالهم إنّ كانت حسنة فكالسّراب، وإن كانت قبيحة فكالظّلمات.

﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾: عميق منسوب إلى اللّجج وهو معظم البحر[1].

﴿يَغْشَـٰهُ﴾: يغشى البحر.

﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾: أي أمواج مترادفة متراكمة.

﴿مِّن فَوْقِهِ﴾: من فوق الموج الثّاني.

﴿سَحَابٌ﴾: غطّى النّجوم وحجب أنوارها.

﴿ظُلُمَـٰتٌ﴾: هذه ظلمات، وقرئ بالجرّ على إبدالها من الأُولى أو بـإضافة سـحاب إليها.

﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ﴾: يعني من كان هناك.

﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰـهَا﴾: لم يقرب أن يراها فضلاً أن يُريها.

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُ نُوراً﴾: ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفّقه لأسبابها.

﴿فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾: خلاف الموفّق الّذي له نورٌ على نور، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام: «أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ» قال: الأوّل وصاحبه «يَغْشَـٰهُ مَوْجٌ» الثّالث من فوقه موج ظلمات الثّاني «بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ» معاوية لعنه الله وفتن بني أُميّة «إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ» المؤمن في ظلمة فتنتهم «لَمْ يَكَدْ يَرَىٰـهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُ نُوراً» إماماً من ولد فاطمة عليها السلام «فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ» إمام يوم القيامة[2].

والقمّي: عنه عليه السلام «أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ» فلان وفلان، «فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَـٰهُ مَوْجٌ» يعني نعثل[3]

---

١ ـ وفي نسخة: [معظم الماء].

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ١٩٥، ح ٥، باب إن الأئمة عليهم السلام نور الله عزّوجلّ.

٣ ـ النعثل ـ كجعفر ـ الذكر من الضباع، والشيخ الأحمق، ويهودي كان بالمدينة، ورجل لحيانيّ كـان يُشـبَّهُ بـه عثمان بن عفّان عنه إذا نيل منه. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٥٩، مادة «نعل».

وفي كتاب الصراط المستقيم: ج ٣، ص ٣٠: «في حديث شريك أنّ عائشة وحفصة قالتا له: سمّاك رسول الله نعثلاً تشبيهاً بكر يهودي. وجاء فيه أيضاً: قال الواقدي: إنّما شبّه بالضبع لأنّه إذا صاد صيداً قاربه ثمّ أكله، وأنّـه أُتي بالمرأة لتحدّ فقاربها ثمّ أمر برجمها. ⇦

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾

«مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ» طلحة والزّبير «ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ» معاوية ويزيد لعنهما الله وفتن بني أُمّية «إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ» في ظلمة فتنتهم «لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً» يعني إماماً من ولد فاطمة عليها السلام «فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ» فماله من إمام يوم القيامة يمشي بنوره كما في قوله تعالى: «يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم»[1] قال: إنّما المؤمنون يوم القيامة «نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ»[2] حتّى ينزلوا منازلهم من الجنان[3].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ﴾: أيضاً.

﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: واقفات في الجوّ مصطفّات الأجنحة في الهواء.

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: قال بعض أهل المعرفة خلق الله الخلق ليسبّحوه فنطقهم بالتسبيح له والثّناء عليه والسّجود له فقال: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ» الآية وقال أيضاً: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ»[4] الآية وخاطب بهاتين الآيتين نبيّه الّذي أشهده ذلك وأراه فقال: «ألم تر» ولم يقل الم تروا فإنّا ما رأيناه فهو لنا إيمان ولمحمّد صلى الله عليه وآله عيان فأشهده سجود كلّ شيء وتواضعه لله وكلّ من أشهده الله ذلك ورآه دخل تحت هذا

⇐ وقال ابن منظور في كتابه لسان العرب: ج ١، ص ١٨٩: نعثل: رجل من أهل مصر كان طويل اللحية، قيل: إنّه كان يشبه عثمان. وفي حديث عائشة: اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً تعني عثمان، وكان هذا منها لمّا غاضبته وذهبت إلى مكّة، وكان عثمان إذا نيل منه وعيب شبّه بهذا الرجل المصري لطول لحيته.

١ ـ الحديد: ١٢.
٢ ـ التحريم: ٨.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٠٦، س ٤.
٤ ـ الحج: ١٨.

الخطاب، وهذا تسبيح فطريّ وسجود ذاتي ينشأ عن تجل تجلّى لهم فأحبّوه فانبعثوا إلى الثناء عليه من غير تكليف، بل إقتضاء ذاتي، وهذه هي العبادة الذّاتيّة الّتي أقامهم الله فيها بحكم الإستحقاق الّذي يستحقّه، قال: وليس هذا التّسبيح بلسان الحال كما يقوله أهل النّظر ممّن لا كشف له قال: ونحن زدنا مع الايمان بالأخبار الكشف فقد سمعنا الأحجار تذكر الله رؤية عين بلسان تسمعه آذاننا منها وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله ممّا ليس يدركه كلّ إنسان.

أقول: قد سبق في سورتي النّحل وبني إسرائيل زيادة بيان لهذا المعنى.

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام ما من طير يصاد في برّ ولا بحر، ولا يصاد شيء من الوحش إلّا بتضييعه التسبيح[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ لله ملكاً في صورة الديك الأملح[٢] الأشهب[٣] براثنه[٤] في الأرضين السّابعة، وعرفه تحت العرش، له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، فأمّا الجناح الّذي في المشرق فمن ثلج، وأمّا الجناح الّذي في المغرب فمن نار فكلّما حضر وقت الصلاة قام على براثنه ورفع عرفه تحت العرش، ثم أمال أحد جناحيه إلى الآخر يصفق بهما كما يصفق الديك في منازلكم فلا الّذي من الثلج يطفي النّار، ولا الّذي من النّار يذيب الثلج، ثمّ ينادي بأعلا صوته أشهد أنّ لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله خاتم النّبيّين، وأنّ وصيّه خير الوصّيين، سبّوح قدوس ربّ الملائكة والرّوح، فلا يبقى في الأرض ديك إلّا أجابه وذلك قوله عزّوجلّ: «وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ»[٥].

وفي التّوحيد: عنه عليه السلام مثله[٦].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٠٧، س ٤.

٢ ـ الملحة أيضاً من الألوان: بياض يخالطه سواد. يقال كبش أملح وتيس أملح. الصحاح: ج ١، ص ٤٠٧، مادة «ملح».

٣ ـ الأشهب: الأسد، والأمر الصعب. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٩٤، مادة «شهب».

٤ ـ البراثن ـ بالثاء المثلثة ـ: جمع برثن كقنفذ: الكف مع الأصابع والبرثن من السباع والطير الذي لا يصيد، بمنزلة الظفر من الإنسان. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢١٣، مادة «برث».

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٠٦، س ١٣.

٦ ـ التّوحيد: ص ٢٧٩، ح ٤، باب ٣٨ ـ ذكر عظمة الله جل جلاله.

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَابَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٣﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: مرجع الجميع.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى﴾: يسوق.

﴿سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾: بأن يكون قطعاً فيضم بعضه إلى بعض.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً﴾: متراكباً بعضه فوق بعض.

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: المطر.

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِ﴾: من فتوقه جمع خلل.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من الغمام فإنّ كلّ ما علاك فهو سماء.

﴿مِن جِبَالٍ﴾: من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها وجمودها.

﴿فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾: بيان للجبال.

﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾: بالبرد.

﴿مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَآءُ﴾: في الكافي: عن الصّادق، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّوجلّ جعل السّحاب غرابيل للمطر هي تذيب البرد ماءاً لكيلا يضّر شيئاً يصيبه، والّذي ترون فيه من البرد والصّواعق نقمة من الله عزّوجلّ يصيب بها من يشاء من عباده[1].

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٢٣٩ ـ ٢٤٠، ذيل ح٣٢٦.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾

وفيه: عنه عليه السلام قال: البرد لا يؤكل لأنّ الله تعالى يقول «يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ»[1][2].

وفي الإهليلجية: عنه عليه السلام في حديث يذكر فيه الرّياح قال: وبها يتألّف المفترق، وبها يفترق الغمام المطبّق حتّى ينبسط في السّماء كيف يشاء مدبّره، فيجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله بقدر معلوم، لمعاش مفهوم، وأرزاق مقسومة، وآجال مكتوبة[3].

وفي الفقيه: عن الباقر عليه السلام في حديث يذكر فيه أنواع الرّياح، قال: ومنها: رياح تحبس السحاب بين السماء والأرض، ورياح تعصر السحاب فتمطر بإذن الله، ورياح تفرّق السحاب[4].

﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾: ضوء برقه.

﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾: بأبصار النّاظرين إليه من فرط الإضاءة.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: بالمعاقبة بينهما، ونقص أحدهما، وزيادة الآخر، وتغيير أحوالهما بالحرّ والبرد والظّلمة والنّور.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: فيما تقدّم ذكره.

﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ * وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾: كلّ حيوان يدبّ على الأرض، وقرئ خالق بالإضافة.

---

١ ـ يونس: ١٠٧.

٢ ـ الكافي: ج٦، ص٣٨٨، ح٣، باب ماء السماء.

٣ ـ لا يوجد لدينا هذا الكتاب. وجاء في تفسير نور الثقلين نقلاً عنه: ج٣، ص٦١٤، ح٢٠٤.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه: ج١، ص٣٤٥، قطعة من ح١٥٢٥/١٧، باب ٨١ ـ صلاة الكسوف والزلازل والرياح والظلم وعلتها.

لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

﴿مِّن مَّآءٍ﴾: القمّي: من منيّ[١].

وقيل: من الماء الّذي جزء مادّته إذ من الحيوانات ما يتولّد لا عن النّطفة[٢].

﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾: كالحيّة.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾: كالإنس والطّير.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾: كالنّعم والوحش، وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام[٣]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام ومنهم من يمشي على أكثر من ذلك[٤].

﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: ممّا ذكر وممّا لم يذكر بمقتضى مشيئته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ﴾: للحقائق بأنواع الدّلائل.

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: بالتوفيق للنّظر فيها، والتّدبّر لمعانيها.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الموصل إلى درك الحقّ والفوز بالجنّة.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾: لهما.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾: بالإمتناع عن قبول حكمه.

﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: بعد قولهم هذا.

﴿وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: الذين عرفتهم، وهم المخلصون في الإيمان الثّابتون عليه.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٠٧، وفيه «من مياه» وليس فيه كلمة «مني».

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٣١، س ١٣.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٤٨، س ٣٢.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٠٧، س ١٢.

وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: أي ليحكم النّبيّ صلى الله عليه وآله فإنّه الحاكم ظاهراً والمدعوّ إليه، وذكر الله لتعظيمه والدلالة على أنّ حكمه في الحقيقة حكم الله.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾: فاجأ فريق منهم الإعراض إذا كان الحقّ عليهم لعلمهم بأنّه لا يحكم لهم وهو شرح للتّولّي ومبالغة فيه.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: لا عليهم.

﴿يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾: منقادين لعلمهم بأنّه يحكم لهم.

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: كفر وميل إلى الظلم.

﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾: بأنّ رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم بك.

﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾: في الحكومة.

﴿بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: إضراب عن القسمين الأخيرين لتحقيق القسم الأوّل، والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيّما المدعّو إلى حكمه.

القمّي: عن الصّادق عليه السلام نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان، وذلك أنّه كان بينهما منازعة في حديقة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: نرضى برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عبد الرّحمن بن عوف لعثمان: لا تحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّه يحكم له عليك، ولكن حاكمه إلى ابن شيبة اليهوديّ، فقال عثمان لأمير المؤمنين عليه السلام: لا نرضى إلّا بإبن شيبة اليهوديّ، فقال: ابن شيبة لعثمان: تأتمنون رسول الله صلى الله عليه وآله على وحي السّماء وتتهّمونه في الأحكام، فأنزل الله عزّوجلّ على

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾

رسوله: «وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ» الآيات[١].

وفي المجمع: حكى البلخي إنّه كانت بين عليّ وعثمان منازعة في أرض اشتراها من علي عليه السلام فخرجت فيها أحجار فأراد ردّه بالعيب فلم يأخذها فقال بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الحكم بن أبي العاص: إنّ حاكمته إلى ابن عمّه حكم له فلا تحاكمه إليه فيه، فنزلت الآيات، قال: وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام أو قريب منه[٢].

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: في المجمع: عن عليّ عليه السلام: إنّه قرأ «قول المؤمنين» بالرّفع[٣].

﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام[٤]، والقمّي: أنّ المعنّي بالآية أمير المؤمنين عليه السلام[٥].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ﴾: وقرئ بغير الإشباع، وبسكون الهاء، وبسكون القاف.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾: بالنّعيم المقيم.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٠٧، س ١٤.
٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٥٠، في شأن النزول.
٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٤٩، في القراءة.
٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٥٠، س ٢٧
٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٠٧، س ٢٠.

وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾

﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾: بالخروج عن ديارهم وأموالهم.

﴿لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ﴾: على الكذب.

﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾: المطلوب منكم طاعة ومعروفة لا اليمين على الطّاعة النّفاقيّة المنكرة.

﴿إِنَّ ٱللهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فلا يخفى عليه سرائركم.

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾: أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾: على محمّد صلّى الله عليه وآله.

﴿مَا حُمِّلَ﴾: من التبليغ.

﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾: من الإمتثال.

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾: إلى الحقّ.

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: التبليغ الواضح لما كلّفتم، وقد أدّى وإنّما بقي ما حمّلتم فإنّ أدّيتم فلكم وإن تولّيتم فعليكم، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام في خطبة في وصف النّبيّ صلّى الله عليه وآله، قال: وأدّى ما حمّل من أثقال النبوّة[1].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥، ذيل ١٧، باب مولد النّبيّ صلّى الله عليه وآله ووفاته.

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

وعن الباقر عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر قرّاء القرآن إتّقوا الله عزّوجلّ فيما حملكم من كتابه فإنّي مسؤول وإنّكم مسؤولون، إني مسؤول عن تبليغ الرسالة، وأمّا أنتم فتسألون عمّا حملتم من كتاب الله وسنّتي[1].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ليجعلنّهم خلفاء بعد نبيّكم صلى الله عليه وآله.

﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: يعني وصاة الأنبياء عليهم السلام بعدهم، وقرئ بضّم التّاء وكسر اللّام.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾: وهو الإسلام.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾: من الأعداء، وقرئ بالتّخفيف.

﴿أَمْناً﴾: منهم.

﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَمَن كَفَرَ﴾: إرتدّ، أو كفر هذه النّعمة.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعد حصوله.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: الكاملون في فسقهم حيث إرتدّوا بعد وضوح الأمر وكفروا تلك النعمة.

---

١ ـ الكافي: ج٢، ص٦٠٦: ح٩، باب فضل حامل القرآن. وفيه: «يامعاشر قرّاء القرآن»، كما جاء في نسخة أُخرى.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية فقال: هم الأئمّة عليهم السلام[١].

وعن الباقر عليه السلام: ولقد قال الله في كتابه لولاة الأمر من بعد محمّد صلى الله عليه وآله خاصّة: «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ» إلى قوله: «فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ» يقول: إستخلفكم لعلمي وديني وعبادتي بعد نبيّكم كما استخلف وصاة آدم عليه السلام من بعده حتّى يبعث النّبيّ صلى الله عليه وآله الّذي يليه «يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً» يقول: «يَعْبُدُونَنِى» بإيمان لا نبيّ بعد محمّد صلى الله عليه وآله فمن قال غير ذلك: «فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ» فقد مكّن ولاة الأمر بعد محمّد صلى الله عليه وآله بالعلم، ونحن هم فاسألونا فإنّ صدقناكم فأقرّوا وما أنتم بفاعلين[٢].

والقمّي: نزلت في القائم من آل محمّد عليهم السلام[٣].

أقول: تبديل خوفهم بالأمن يكون بالقائم عليه السلام أو مجموع ذلك معاً يكون به فلا ينافي الخبر السّابق.

وفي المجمع: المروّي عن أهل البيت عليهم السلام إنّها في المهّدي من آل محمّد عليهم السلام[٤].

قال وروى العيّاشي: بإسناده عن عليّ بن الحسين عليهما السلام، إنّه قرأ الآية وقال: هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل ذلك بهم على يدي رجل منّا وهو مهدي هذه الأُمّة، وهو الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو لم يبق من الدّنيا يوم لطّول الله ذلك اليوم حتّى يلي رجل من عترتي إسمه إسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً[٥].

قال: وروى مثل ذلك عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام: قال: فعلى هذا يكون المراد: بـ «ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ» النّبيّ وأهل بيته[٦].

أقول: فقوله عليه السلام: «هم والله شيعتنا يفعل ذلك بهم» يعني تبديل الخوف بالأمن إنّما يكون لهم.

وفي الإكمال: عن الصّادق عليه السلام في قصّة نوح وذكر إنتظار المؤمنين من قومه الفرج حتّى

---

١ ـ الكافي: ج١، ص١٩٣ ـ ١٩٤، ح٣، باب إن الأئمّة عليهم السلام خلفاء الله عزّوجلّ في أرضه «وأبوابه التي منها يؤتى».

٢ ـ الكافي: ج١، ص٢٥٠ ـ ٢٥١، ح٧، باب في شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها.

٣ ـ تفسير القمّي: ج١، ص١٤، س٢١.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٥٢، س٢٥.

٥ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٥٢، س٢٥.

٦ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٥٢، س ٢٨.

أراهم الله الإستخلاف والتمكين، قال: وكذلك القائم عليه السلام فإنّه تمتدّ أيّام غيبته ليصرح الحقّ عن محضه، ويصفو الإيمان عن الكدر بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثة من الشيعة الّذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسّوا بالإستخلاف والتمكين والأمر المنتشر في عهد القائم عليه السلام.

قال الرّاوي: فقلت يابن رسول الله فإنّ هذه النّواصب تزعم أنّ هذه الآية نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فقال: لا، لا يهدي الله قلوب الناصبة، متى كان الدّين الّذي إرتضاه الله ورسوله متمكناً بإنتشار الأمر في الأمّة وذهاب الخوف من قلوبها، وارتفاع الشكّ من صدورها في عهد واحد من هؤلاء وفي عهد علي عليه السلام مع ارتداد المسلمين والفتن الّتي كانت تثور في أيّامهم والحروب الّتي كانت تنشب[1] بين الكفار وبينهم[2].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث ذكر فيه مثالب[3] الثلاثة وإمهال الله إيّاهم، قال: كلّ ذلك لتتم النّظرة الّتي أوجبها الله لعدوّه إبليس إلى أن يبلغ الكتاب أجله، ويحقّ القول على الكافرين، ويقرب الوعد الحقّ الّذي بيّنه الله في كتابه بقوله: «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» وذلك إذا لم يبق من الإسلام إلّا إسمه، ومن القرآن إلّا رسمه، وغاب صاحب الأمر بإيضاح العذر له في ذلك لاشتمال الفتنة على القلوب حتّى يكون أقرب النّاس إليه أشدّ عداوة له، وعند ذلك يؤيّده الله بجنود لم تروها، ويظهر دين نبيّه على يديه، ويظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون[4].

وفي الجوامع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال زويت[5] لي الأرض فأُريت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أُمّتي ما زوى لي منها[6].

---

١ ـ نشب الشيء: علق فيه، يقال نشبت الحرب بينهم. منه رحمه الله.

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٣٥٦ ـ ٣٥٧، ح ٥٠، باب ٣٣ ـ ما روي عن الصّادق عليه السلام من النص على القائم عليه السلام وذكر غيبته.

٣ ـ ثلبه ثلباً من باب ضرب: أعابه ونقّصه، والمثالب: العيوب. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٩، مادة «ثلب».

٤ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٨٢، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٥ ـ زويته أزويه زَوْياً: يريد تقريب البعيد منها حتّى يطلع عليه إطلاعه على القريب منها. مجمع البحرين: ج ١، ص ٢٠٩، مادة «زوا».

٦ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ١١٧، س ٩.

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

قال: وروى المقداد، عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال: لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر إلّا أدخله الله كلمة الإسلام بعزّ عزيز، وذلّ ذليل، إمّا أن يعزّهم الله فيجعلهم من أهلها، وإمّا أن يذلّهم فيدينون بها[1].

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: معجزين الله عن إدراكهم وإهلاكهم، وقرئ بالياء.

﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام هي خاصّة في الرّجال دون النّساء، قيل: فالنّساء يستأذن في هذه الثلاث ساعات؟ قال: لا، ولكن يدخلن ويخرجن[2].

وفي رواية أُخرى هم المملوكون من الرّجال والنّساء والصّبيان الّذين لم يبلغوا[3].

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ١١٧، س ١٠؛ وراجع مسند أحمد بن حنبل: ج ٦، ص ٤، س ٢.

٢ ـ الكافي: ج٥، ص٥٢٩ ـ ٥٣٠، ح٢، باب آخر منه.

٣ ـ الكافي: ج٥، ص٥٣٠، ح٤، باب آخر منه.

﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾: الصّبيان من الأحرار، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: من أنفسكم؟ قال: عليكم إستيذان كاستيذان من قد بلغ في هذه الثلاث ساعات[١].

﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾: يعني في اليوم واللّيلة.

﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾: لأنّه وقت القيام من المضاجع، وطرح ثياب النّوم ولبس ثياب اليقظة.

﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾: يعني للقيلولة.

﴿مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾: بيان للحين أي وقت الظهر.

﴿وَمِن بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾: لأنّه وقت التجرّد عن اللّباس والإلتحاف باللّحاف.

﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾: أي ثلاث أوقات لكم يختلّ فيها تستّركم، وأصل العورة الخلل، وقرئ ثلاث بالنّصب.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحُۢ بَعْدَهُنَّ﴾: بعد هذه الأوقات في ترك الإستيذان.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام، ويدخل مملوككم وغلمانكم من بعد هذه الثلاث عورات بغير إذن إن شاؤوا[٢].

﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾: أي هم طوّافون إستيناف لبيان العذر المرخّص في ترك الإستيدان، وهو المخالطة وكثرة المداخلة.

﴿بَعْضُكُمْ﴾: طائف.

﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: هؤلاء للخدمة وهؤلاء للإستخدام، فإنّ الخادم إذا غاب أُحتيج إلى الطّلب، وكذا الأطفال للتربية.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾: أي الأحكام.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بأحوالكم.

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص٥٢٩ ـ ٥٣٠، ح٢، باب آخر منه.

٢ ـ الكافي: ج٥، ص٥٣٠، ذيل ح٤، باب آخر منه.

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما شرع لكم، في الكافي[1]: عن الصّادق عليه السلام قال: ليستأذن الّذين ملكت إيمانكم والّذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات كما أمركم الله، قال: ومن بلغ الحلم منكم فلا يلج على اُمّه ولا على اُخته، ولا على خالته، ولا على من سوى ذلك، إلّا بإذن ولا تأذنوا حتّى يسلّم، فإنّ السّلام طاعة لله عزّوجلّ، وقال: وليستأذن عليك خادمك إذا بلغ الحلم في ثلاث عورات إذا دخل في شيء منهنّ، ولو كان بيته في بيتك، قال: وليستأذن عليك بعد العشاء الّتي تسمّى العتمة، وحين تصبح وحين تضعون ثيابكم من الظّهيرة إنّما أمر الله عزّوجلّ بذلك للخلوة فإنّها ساعة غرّة[2] وخلوة[3].

والقمّي: قال: إنّ الله تعالى نهى أن يدخل أحد في هذه الثلاثة الأوقات على أحد لا أب ولا اُخت ولا اُمّ ولا خادم إلّا بالإذن[4].

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ﴾: أيّها الأحرار.

﴿ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾: أي في جميع الأوقات.

﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: الّذين بلغوا من قبلهم من الأحرار المستأذنين في الأوقات كلّها، وإنّما خوطب به الأحرار لأنّ بلوغ الأحرار يوجب رفع الحكم المذكور في تخصيص الإستيذان بالأوقات الثلاثة، بخلاف بلوغ المماليك فإنّ الحكم باق معه في التخصيص للإحتياج إلى الخدمة والإستخدام، وقد مضى ما يدلّ عليه من النّصر.

---

١ ـ وعن الباقر عليه السلام مثله إلّا أنّه ذكر مكان الخالة الإبنة. منه قدّس سرّه. راجع الكافي: ج٥، ص٥٣٠، ح٣، باب آخر منه.

٢ ـ الغِرّة ـ بالكسر ـ: الغفلة. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٢٢، مادة «غرر».

٣ ـ الكافي: ج٥، ص٥٢٩، ح١، باب آخر منه.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠٨، س٨.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: كرّره تأكيداً ومبالغة في الأمر بالإستيذان.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: العجائز اللّاتي قعدن من الحيض والنّكاح.

﴿ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً﴾: لا يطمعن فيه لكبرهنّ.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾: أي الثّياب الظّاهرة.

وفي المجمع: قرأ الباقر والصّادق عليهما السلام يضعن من ثيابهنّ[١].

القمّي: قال: نزلت في العجائز اللّاتي يئسن من المحيض والترويج أن يضعن الثياب[٢].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه قرأها فقال: الجلباب والخمار إذا كانت المرأة مسنّة[٣].

وعنه عليه السلام: قال: الخمار، والجلباب، قيل: بين يدي من كان؟ قال: بين يدي من كان[٤].

وفي رواية قال: تضع الجلباب وحده[٥].

وفي أُخرى: إلّا أن تكون أمة ليس عليها جناح أن تضع خمارها رواها في التهذيب[٦].

وفي العيون: عن الرّضا عليه السلام في هذه الآية قال عني الجلباب، قال: فلا بأس بالنظر إلى شعور مثلهنّ[٧].

﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾: غير مظهرات زينة ممّا أمرن بإخفائه في قوله تعالى: «وَلَا

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٥٣، في القراءة. ٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠٨، س١٣.

٣ و٤ و٥ ـ الكافي: ج٥، ص٥٢٢، ح٤و١ و٢، باب القواعد من السناء.

٦ ـ تهذيب الأحكام: ج٧، ص٤٨٠، ح١٩٢٨/١٣٦، باب ٤١ ـ من الزيادات في فقه النكاح.

٧ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٩٨، ذيل ح١، باب ٣٣ ـ في ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمّد بن سنان في جواب مسائلة في العلل.

لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا»[١]، كما رواه في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: والزّينة الّتي يبدين لهنّ شيء في الآية الأُخرى[٢].

أقول: وهو الوجه، والكفّان، والقدمان، كما مضى، وما سوى ذلك داخل في النّهي عن التبرّج بها وأصل التبرّج التكلّف في إظهار ما يخفى.

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾: من الوضع، القمّي: قال: أي لا يظهرن للرّجال[٣].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: فإنّ لم تفعل فهو خير لها[٤].

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لمقالهنّ للرّجال.

﴿عَلِيمٌ﴾: بمقصودهنّ.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ

---

١ ـ النور: ٣١. ٢ ـ الكافي: ج٥، ص٥٢٢، ذيل ح١، باب القواعد من النساء.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠٨، س١٤.

٤ ـ الكافي: ج٥، ص٥٢٢، قطعة من ح١، باب القواعد من النساء.

حَرَجٌ﴾: نفي لما كانوا يتحرّجون من مؤاكلة الأصحّاء حذراً من إستقذارهم، أو أكلهم من بيت من يدفع إليهم المفتاح ويبيح لهم التبسّط فيه إذا خرج إلى الغزو وخلفّهم على المنازل مخافة أن لا يكون ذلك من طيبة قلب، أو من إجابة من يدعوهم إلى بيوت آبائهم وأولادهم وأقاربهم فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كلّا عليهم.

القمّي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: وذلك إنّ أهل المدينة قبل أن يسلموا كانوا يعتزلون الأعمى والأعرج والمريض، وكانوا لا يأكلون معهم، وكانت الأنصار فيهم تيه[1] وتكرمة فقالوا: إنّ الأعمى لا يبصر الطّعام، والأعرج لا يستطيع الزّحام على الطّعام، والمريض لا يأكل كما يأكل الصّحيح فعزلوا لهم طعامهم على ناحية، وكانوا يرون عليهم في مواكلتهم جناح وكان الأعمى والأعرج والمريض يقولون: لعلّنا نؤذيهم إذا أكلنا معهم فاعتزلوا من مواكلتهم فلمّا قدم النّبيّ صلى الله عليه وآله سألوه عن ذلك فأنزل الله عزّوجلّ: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً»[2].

﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾: قيل: يعني من البيوت الّتي فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد لأنّ بيت الولد كبيته لقوله صلى الله عليه وآله: أنت ومالك لأبيك[3].

وقوله: إنّ أطيب ما يأكل المرء من كسبه وأنّ ولده من كسبه[4].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل ما يحلّ للرّجل من مال ولده قال: قوت بغير سرف إذا إضطرّ إليه، قيل: فقول رسول الله صلى الله عليه وآله للرّجل الّذي قدّم أباه أنت ومالك لأبيك؟ فقال: إنّما جاء بأبيه إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله هذا أبي وقد ظلمني ميراثي من أُمّي فأخبره الأب أنّه قد أنفقه عليه وعلى نفسه، فقال: أنت ومالك لأبيك، ولم يكن عند الرّجل شيء، أوكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبس الأب للإبن[5].

---

١ ـ تاه أي تكبّر. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٣٤٤، مادة «تيه».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٠٨، س١٦.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص١٣٥، س ١٠، وراجع مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٥٦.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٥٦، س١٤، وأنوار التنزيل: ج ٢، ص١٣٥، س١١.

٥ ـ الكافي: ج٥، ص١٣٦، ح٦، باب الرجل يأخذ من مال ولده والولد يأخذ من مال أبيه. وفيه: «أفكان».

﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: الرّجل له وكيل يقوم فيما له فيأكل بغير إذنه[1].

وعن أحدهما عليهما السلام: ليس عليك جناح فيما أطعمت وأكلت أو ممّا ملكت مفاتحه مالم تفسده[2].

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾: في المجمع: عن أئمّة الهُدى عليهم السلام إنّهم قالوا لا بأس بالأكل لهؤلاء من بيوت من ذكره الله قدر حاجتهم من غير إسراف[3].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل ما يعني بقوله: «أَوْ صَدِيقِكُمْ» قال: هو والله الرّجل يدخل بيت صديقه: فيأكل بغير إذنه[4].

وعنه عليه السلام هؤلاء الّذين سمّى الله عزّوجلّ في هذه الآية يأكل بغير إذنهم من التمر والمأدوم، وكذلك تطعم المرأة من منزل زوجها بغير إذنه، فأمّا ما خلا ذلك من الطعام فلا[5].

وعنه عليه السلام: قال: للمرأة أن تأكل وأن تتصدّق وللصديق أن يأكل من منزل أخيه ويتصدّق[6].

وفي الجوامع: عنه عليه السلام من عظم حرمة الصديق: أن جعله الله من الأُنس والثقة والإنبساط وترك الحشمة[7] بمنزلة النّفس والأب والأخ والإبن[8].

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾: مجتمعين أو متفرّقين.

القمّي: لمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة وآخى بين المسلمين من المهاجرين والأنصار، قال: فكان بعد ذلك إذا بعث أحداً من أصحابه في غزاة أو سرّية يدفع الرّجل

---

١ و٢ ـ الكافي: ج٦، ص٢٧٧، ح٥ و٤، باب أكل الرجل في منزل أخيه بغير إذنه.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٥٦، س١٨.

٤ و٥ و٦ ـ الكافي: ج٦، ص٢٧٧، ح١ و٢ و٣، باب أكل الرجل في منزل أخيه بغير إذنه.

٧ ـ الحشمة ـ بالكسر ـ: بمعنى الإنقباض والإستحياء. مجمع البحرين: ج٦، ص٤١، مادة «حشم».

٨ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص١٢١، س ١١.

مفتاح بيته إلى أخيه في الدّين، ويقول له: خذ ما شئت، وكل ما شئت، فكانوا يمتنعون من ذلك حتّى ربما فسد الطعام في البيت فأنزل الله: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً» يعني إن حضر صاحبه أو لم يحضر إذا ملكتم مفاتحه[١].

وفي المحاسن: عن الصّادق عليه السلام في قوله تعالى: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» قال: بإذن وبغير إذن[٢].

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾: في المعاني: عن الباقر عليه السلام قال: هو تسليم الرّجل على أهل البيت حين يدخل، ثمّ يردّون عليه فهو سلامكم على أنفسكم[٣].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام مثله[٤].

والقمّي: قال: هو سلامكم على أهل البيت، وردّهم عليكم فهو سلامك على نفسك[٥].

وعن الباقر عليه السلام: قال: إذا دخل الرّجل منكم بيته فإن كان فيه أحد يسلم عليهم وإن لم يكن فيه أحد فليقل السّلام علينا من عند ربّنا يقول الله: «تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً»[٦].

وفي الجوامع: وصفها بالبركة والطيب لأنّها دعوة مؤمن لمؤمن يرجو بها من الله زيادة

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠٩، س٤. وفي الحديث حذف في وسطه، وإليك نصّه: لمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة وآخى بين المسلمين من المهاجرين والأنصار وآخى بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبدالرحمان بن عوف، وبين طلحة والزبير، وبين سلمان وأبي ذر، وبين مقداد وعمّار، وترك أمير المؤمنين عليه السلام فاغتمّ من ذلك غمّاً شديداً، فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي لِمَ لا تؤاخي بيني وبين أحد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والله يا علي ما حبستك إلّا لنفسي أما ترضى أن تكون أخي وأنا أخوك؟ وأنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت وصيي ووزيري وخليفتي في أُمّتي تقضي ديني وتنجز عداتي وتتولّى على غسلي، ولا يليه غيرك، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، فاستبشر أمير المؤمنين عليه السلام بذلك فكان بعد ذلك... الحديث كما في المتن.

٢ ـ المحاسن: ج٢، ص١٨٧، ح١٥٤٠/١٧٦، باب ٢١ ـ أكل الرجل في بيت أخيه بغير إذنه.

٣ ـ معاني الأخبار: ص١٦٢ ـ ١٦٣، ح١، باب معنى تسليم الرجل على نفسه.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٥٧، س٧.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠١، س ٨. وفيه: «هو سلامك على أهل البيت».

٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٠٩، س١٧.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَئْذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَئْذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا ٱسْتَئْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللهَ إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ ﴿٦٢﴾

الخير وطيب الرّزق[١].

ومنه: قوله عليه السلام سلّم على أهل بيتك تكثر خير بيتك[٢].

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾: مزيد تأكيد وتفخيم للأحكام المختتمة به.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: الخير في الأمور.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: الكاملون في الإيمان.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾: من صميم قلوبهم.

﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾: كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة في الأمور.

﴿لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَئْذِنُوهُ﴾: يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله فيأذن لهم، القمّي: نزلت في قوم كانوا إذا جمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر من الأُمور أو في بعث يبعثه أو في حرب قد حضرت يتفرّقون بغير إذنه فنهاهم الله عن ذلك[٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَئْذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾: أعاده مؤكّداً على أُسلوب أبلغ فإنّه يفيد أنّ المستأذن مؤمن لا محالة وإنّ الذّاهب بغير إذن ليس كذلك تنبيهاً على كونه مصداقاً لصحّة الإيمان، ومميّزاً للمخلص عن المنافق، وتعظيماً للمجرم.

---

١ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص١٢١ ـ ١٢٢، وفيه: «يرجى بها من الله».

٢ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ١٢٢، س ٢.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص ١١٠، س ١.

لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

﴿فَإِذَا ٱسْتَئْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: ما يعرض لهم من المهام، وفيه أيضاً مبالغة وتضييق للأمر.

﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾: تفويض للأمر إلى رسول الله ﷺ.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ﴾: بعد الإذن فإنّ الإستيذان ولو لعذر قصور لأنّه تقديم لأمر الدّنيا على أمر الدّين.

﴿ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لفرطات العباد.

﴿رَّحِيمٌ﴾: بالتيسير، القمّي: نزلت في حنظلة بن أبي عيّاش، وذلك أنّه تزوّج في اللّيلة الّتي كان في صبيحتها حرب اُحد فأستأذن رسول الله ﷺ أن يقيم عند أهله فأنزل الله عزّوجلّ هذه الآية: «فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ» فأقام عند أهله، ثمّ أصبح وهو جنب فحضر القتال واستشهد فقال رسول الله ﷺ: رأيت الملائكة تغسل الحنظلة بماء المزن[1] في صحائف فضّة بين السّماء والأرض فكان يسمّي غسيل الملائكة[2].

﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾: القمّي: قال: لا تدعوا رسول الله كما يدعون بعضكم بعضاً[3].

وعن الباقر عليه السلام: قال: يقول: لا تقولوا: يا محمّد ولا يا أبا القاسم لكن قولوا: يا نبيّ الله، ويا رسول الله[4].

وفي المناقب: عن الصّادق عليه السلام قالت فاطمة عليها السلام لمّا نزلت هذه الآية هبت رسول

---

١ ـ المُزْنَة: السحابة البيضاء، والجمع مُزن. والمُزْنَة: المطرة. الصحاح: ج ٦، ص ٢٢٠٣، مادة «مزن».

٢ و ٣ و ٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٠، س ٤ و ٩ و ١٢.

أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

الله ﷺ أن أقول: له يا أبة، فكنت أقول: يا رسول الله، فأعرض عنّي مرّة أو ثنتين أو ثلاثاً، ثمّ أقبل عليّ فقال: يا فاطمة إنّها لم تنزل فيك، ولا في أهلك، ولا في نسلك أنت مني وأنا منك، إنّما نزلت في أهل الجفاء، والغلظة من قريش أصحاب البذخ[1] والكبر، قولي: يا أبة فإنّها أحيى للقلب وأرضى للرّب[2].

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ﴾: يخرجون قليلاً قليلاً من الجماعة.

﴿لِوَاذاً﴾: ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج أو يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كأنّه تابعه.

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾: القمّي: أي يعصون أمره[3].

﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: محنة في الدّنيا، القمّي: بليّة[4].

﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: قال: قال: القتل[5].

وفي الجوامع: عن الصادق عليه السلام قال: يسلّط عليهم سلطان جائر أو عذاب أليم في الآخرة[6].

وفي الكافي: عنه عليه السلام فتنة في دينه أو جراحة لا يأجرها الله عليها[7].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: من المخالفة.

---

١ ـ البَذَخ ـ بالتحريك ـ: الفخر والتطاول، وَبَذِخ ـ بالكسر ـ وتبَذَّخَ: أي تكبّر وعلا. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٢٩، مادة «بذخ».

٢ ـ المناقب لإبن شهرآشوب: ج ٣، ص ٣٢٠، باب مناقب فاطمة الزهراء عليها السلام، فصل في تفضيلها على النساء.

٣ و ٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٠، س ١٤ و ١٠. ٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٠، س ١١.

٦ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ١٢٣، س ١١. ٧ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٢٣، ح ٢٨١.

والموافقة، والنّفاق، والإخلاص، وإنّما أكدّ علمه بـ «قد» لتأكيد الوعيد.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يرجع المنافقون إليه للجزاء أو الإلتفات أو الكلّ مراد.

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾: لا يخفى عليه خافية.

في ثواب الأعمال[1]، والمجمع: عن الصّادق عليه السلام: قال: حصّنوا أموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النّور، وحصّنوا بها نساءكم فإنّ من أدمن قراءتها في كلّ يوم أو في كلّ ليلة لم يزن أحد من أهل بيته أبداً حتّى يموت فإذا هو مات شيّعه إلى قبره سبعون ألف ملك كلّهم يدعون ويستغفرون الله له حتّى يدخل في قبره[2].

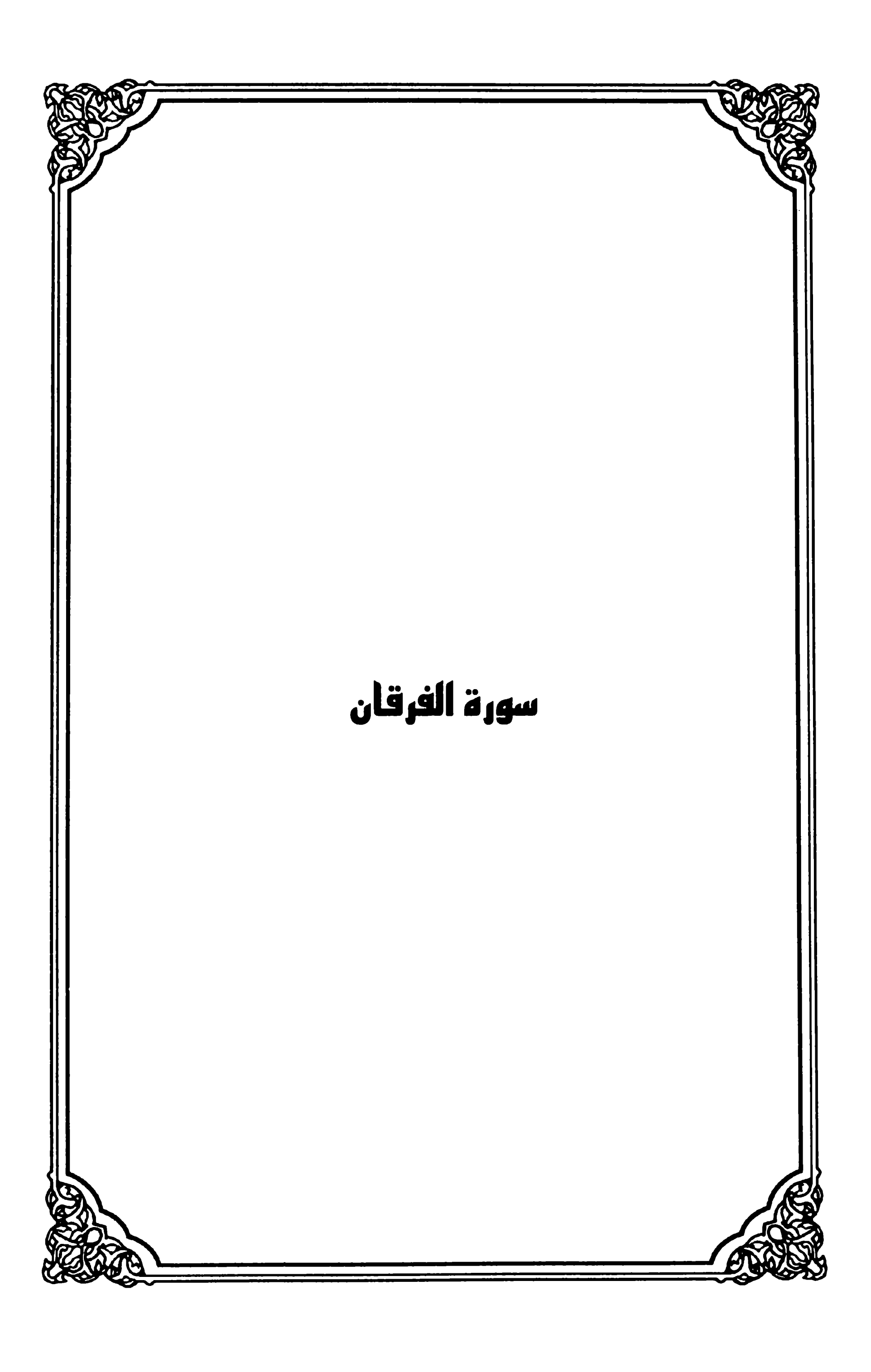
وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تنزلوا النّساء بالغرف ولا تعلّموهنّ الكتابة وعلّموهنّ المغزل وسورة النّور[3].

* * *

١ ـ ثواب الأعمال: ص١٠٩، ثواب من قرأ سورة النور.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٢٢، في فضلها.

٣ ـ الكافي: ج٥، ص٥١٦، ح١، باب في تأديب النّساء.



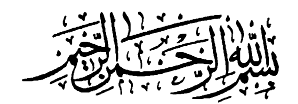
سورة الفرقان

[illegible]

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيراً ﴿١﴾
ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُـلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴿٢﴾

سورة الفرقان: مكيّة كلّها، وقال ابن عباس: إلّا ثلاث آيات منها نزلت بالمدنية من قوله: «وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ» إلى قوله: «غَفُوراً رَّحِيماً»[١] عدد آيها سبع وسبعون آية بلا خلاف.



﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾: تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير، وقد سبق تفسير الفرقان في سورة آل عمران[٢].

﴿لِيَكُونَ﴾: العبد أو الفرقان.

﴿لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيراً﴾: للجنّ والإنس منذراً أو إنذاراً كالنكير بمعنى الإنكار.

﴿ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾: كما زعمه النّصارى.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُـلْكِ﴾: كقول الثنويّة.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾: القمّي: عن الرّضا عليه السلام قال: تدري ما التقدير؟

---

١ ـ الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠.

٢ ـ ذيل الآية: ٤.

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُوراً ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْماً وَزُوراً ﴿٤﴾

قيل: لا، قال: هو وضع الحدود من الآجال والأرزاق، والبقاء والفناء، تدري ما القضاء؟ قيل: لا، قال: هو إقامة العين[1].

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: لأنّ عبدتهم ينحتونهم ويصوّرونهم.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾: ولا يستطيعون.

﴿لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً﴾: دفع ضرّ.

﴿وَلَا نَفْعاً﴾: ولا جلب نفع.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُوراً﴾: ولا يملكون إماتة أحد وإحيائه أوّلاً وبعثه ثانياً، ومن كان كذلك فبمعزل عن الألوهيّة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ﴾: يعنون القرآن.

﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾: كذب مصروف عن وجهه.

﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: إختلقه.

﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾: القمّي: قالوا: هذا الّذي يقرأه رسول الله صلى الله عليه وآله ويخبرنا به إنّما يتعلّمه من اليهود ويكتبه من علماء النّصارى، ويكتب عن رجل يقال له إبن قبيطة ينقله عنه بالغداة والعشيّ فحكى سبحانه وتعالى قولهم فردّ عليهم[2].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٢٤، س١٣.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١١، س٢.

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ۝٦ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيراً ۝٧﴾

وعن الباقر عليه السلام: الإفك: الكذب، وقوم آخرون: يعنون أبا فكيهة، وحبراً، وعداساً، وعابساً مولى حويطب[١].

﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْماً وَزُوراً * وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ما سطره المتقدّمون.

﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾: كتبها بنفسه أو إستكتبها.

﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾: القمّي: قول النّضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة[٢].

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لأنّه أعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمّن أخباراً عن مغيبات مستقبلة وأشياء مكنونة لا يعلمها إلّا عالم الأسرار فكيف تجعلونه أساطير الأولين.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾: فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته واستحقاقكم ان يصبّ عليكم العذاب صبّاً.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾: ما هذا الّذي يزعم الرّسالة، وفيه إستهانة وتهكّم.

﴿يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾: كما نأكل.

﴿وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾: لطلب المعاش كما نمشي، والمعنى إنّ صحّ دعواه فما باله لم

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١١، س٧.
٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١١، س٩.

أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴿٩﴾

يخالف حاله حالنا، وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فإنّ تميز الرّسل ممّن عداهم ليس بأمور جسمانيّة وإنّما هو بأحوال نفسانية كما أشار إليه بقوله: «قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ»[١].

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيراً﴾: ليعلم صدقه بتصديق الملك.

﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾: فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش.

﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾: على سبيل التنزل، أي إنّ لم يلق إليه كنز فلا أقلّ أن يكون له بستان كما للدّهاقين والمياسير فيتعيّش بريعه[٢]، وقرئ نأكل بالنون.

﴿وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ﴾: ما تتّبعون.

﴿إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾: سحر فغلب على عقله، قيل: وضع الظّالمون موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظّلم فيما قالوا[٣].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الآية هكذا: «وقال الظالمون لآل محمّد عليهم السّلام حقّهم إن تتبعون إلّا رجلاً مسحوراً»[٤].

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ﴾: قالوا فيك الأقوال الشاذّة، واخترعوا لك

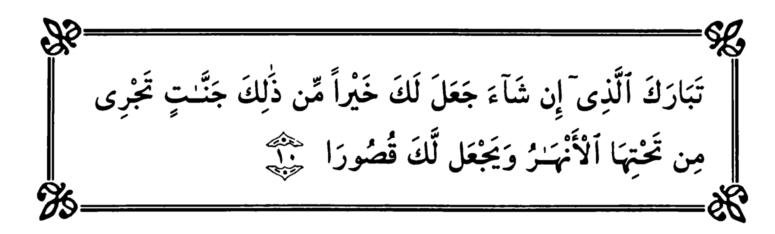
---

١ ـ الكهف: ١١٠.

٢ ـ الريع ـ بالفتح والسكون: النماء والزيادة، وراعت الحنطة وغيرها ريعاً من باب باع: إذا زكت، وأرض مريعة بفتح الميم: أي مخصبة. مجمع البحرين: ج٤، ص٣٤١، مادة «ريع».

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٣٩، س٢.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١١، س١٨.



الأحوال النادرة.

﴿فَضَلُّواْ﴾: عن الطّريق الموصل إلى معرفة خواص النّبيّ ﷺ، والتميز بينه وبين المتنبّي فخبطوا خبط عشواء[1].

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾: إلى القدح في نبوّتك أو إلى الرّشد والهدى.

والقمّي: عن الباقر عليه السلام إلى ولاية عليّ عليه السلام، وعليّ هو السّبيل[2].

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾: في الدّنيا.

﴿خَيْراً مِّن ذَٰلِكَ﴾: ممّا قالوه، ولكن أخرّه إلى الآخرة لأنّه خير وأبقى.

﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورَا﴾: وقرئ يجعل بالرّفع.

في الإحتجاج[3]: وتفسير الإمام عليه السلام: في سورة البقرة عند قوله: سبحانه: «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ»[4] قال الإمام عليه السلام: قلت لأبي عليّ بن محمّد عليهما السلام: هل كان رسول الله ﷺ يناظر اليهود والمشركين إذا عاتبوه ويحاجّهم؟ قال: مراراً كثيرة، وذلك أنّ رسول الله ﷺ كان قاعداً ذات يوم بمكّة بفناء الكعبة فابتدأ عبد الله بن أبي أُميّة المخزوميّ فقال: يا محمّد لقد أدّعيت دعوىً عظيمة وقلت مقالاً هائلاً زعمت أنّك رسول ربّ العالمين، وما ينبغي لربّ العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله بشراً مثلنا يأكل كما نأكل، ويمشي في الأسواق كما نمشي، وهذا ملك الرّوم، وهذا ملك الفرس، لا يبعثان

---

١ ـ العشواء: الناقة التي لا تبصر أمامها فهي تخبط بيديها كل شيء، وركب فلان العشواء: إذا خبط أمره على غير بصيرة: وفلان خابط خبط عشواء. الصحاح: ج٦، ص٢٤٢٧، مادة «عشا».

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١١، س٢١.

٣ ـ الإحتجاج: ج١، ص٢٦، إحتجاج النّبيّ ﷺ على جماعة من المشركين.

٤ ـ البقرة: ١٠٨.

رسولاً إلّا كثير مال عظيم خطير، له قصور ودُور وفساطيط وخيام وعبيد وخدّام، وربّ العالمين فوق هؤلاء كلّهم فهم عبيده، ولو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيّاً لكان إنّما يبعث إلينا ملكاً لا بشراً مثلنا، ما أنت يا محمّد إلّا مسحوراً، ولست بنبيّ، ثمّ إقترحوا أشياء كثيرة مضى ذكرها في سورة بني إسرائيل[1] ويأتي ذكر بعضها في سورة الزخرف[2] إن شاء الله.

فقال رسول الله ﷺ: اللّهُمَّ أنت السّامع لكلّ صوت والعالم بكلّ شيء تعلم ما قاله عبادك فأنزل الله عليه يا محمّد: «وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ» إلى قوله: «قُصُورَا» مع آيات أُخر قد مضت، قال: فقال رسول الله ﷺ: يا عبدالله أمّا ماذكرت من إنّي آكل الطّعام كما تأكلون، وزعمت أنّه لا يجوز لأجل هذه أن أكون لله رسولاً، فإنّما الأمر لله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو محمود وليس لي ولا لأحد الإعتراض بلِمَ وكيف، ألا ترى أنّ الله كيف أفقر بعضاً وأغنى بعضاً، وأعزّ بعضاً وأذلّ بعضاً، وأصحّ بعضاً وأسقم بعضاً، وشرّف بعضاً ووضع بعضاً؟ كلّهم ممّن يأكل الطّعام، ثمّ ليس للفقراء أن يقولوا: لِمَ أفقرتنا وأغنيتهم؟ ولا للوضعاء أن يقولوا: لِمَ وضعتنا وشرّفتهم؟ ولا للزّمناء والضّعفاء أن يقولوا: لِمَ أزمنتنا وأضعفتنا وصحّحتهم؟ ولا للأذلّاء أن يقولوا: لِمَ أذللتنا وأعززتهم؟ ولا لقباح الصّور أن يقولوا: لِمَ أقبحتنا وجمّلتهم؟ بل إن قالوا ذلك كانوا على ربّهم رادّين، وله في أحكامه منازعين، وبه كافرين، ولكن جوابه لهم أنا الملك الخافض الرافع المغني المفقر المعزّ المذل المصّحح المسقم، وأنتم العبيد ليس لكم إلّا التّسليم لي والإنقياد لحكمي فإن سلّمتم كنتم عباداً مؤمنين وإن أبيتم كنتم بي كافرين وبعقوباتي من الهالكين، ثمّ أنزل الله عليه يا محمّد: «قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» يعني آكل الطّعام: «يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ»[3] يعني قل لهم: أنا في البشريّة مثلكم ولكن ربّي خصّني بالنبوّة كما يخصّ بعض البشر بالغنى والصّحة والجمال دون بعض من البشر، فلا تنكروا أن يخصّني أيضاً بالنبوّة.

---

١ ـ ذيل الآية: ٩٣. أُنظر ج ٤، ص ٤٥٠ ـ ٤٥٧ من كتابنا تفسير الصافي.

٢ ـ ذيل الآية: ٣٢.

٣ ـ الكهف: ١١٠.

بَلْ كَذَّبُواْ بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴿١٣﴾

ثمّ أجاب عن مقترحاتهم الأخر بما سبق ذكره في سورتي بني إسرائيل[1] والأنعام[2].

ثم قال رسول الله ﷺ: وأمّا قولك: ما أنت إلّا رجلٌ مسحور فكيف أكون كذلك وقد تعلمون إنّي في صحّة التميّز والعقل فوقكم فهل جرّبتم عليّ مُذ نشأت إلى أن استكملت أربعين سنة خزية أو ذلّة أو كذبة أو خيانة أو خطأ من القول أو سفهاً من الرّأي؟ أتظنّون أنّ رجلاً يعتصم طول هذه المدّة بحول نفسه وقوّتها أو بحول الله وقوّته، وذلك ما قال الله «ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً»[3] إلى أن يثبتوا عليك عميً بحجّة أكثر دعاويهم الباطلة الّتي تبيّن عند التحصيل بطلانها[4].

﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِالسَّاعَةِ﴾: فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيويّة فظنّوا أنّ الكرامة إنّما هي بالمال وطعنوا فيك بفقرك.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً﴾: ناراً شديدة الإسعار.

﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾: إذا كانت بمرئ منهم.

﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: في المجمع: عن الصّادق عليه السلام[5]، والقمّي: قال: من مسيرة سنة[6].

﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾: صوت تغيّظ.

﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُّقَرَّنِينَ﴾: القمّي: قال: مقيدين بعضهم مع بعض[7].

---

١ ـ ذيل الآية: ٩٣، أُنظر ج٤، ص ٤٥٠ ـ ٤٥٧ من كتابنا تفسير الصافي.

٢ ـ ذيل الآية: ٩، أُنظر ج٣، ص١٢ من كتابنا تفسير الصافي.

٣ ـ الفرقان: ٩.

٤ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٥٠٠ ـ ٥٠٦. وفيه: «بحجّة أكثر من دعاويهم الباطلة التي تبيّن عليك تحصيل بطلانها.

٥ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٦٣، س٢٤.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١١٢، س٧.

٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٢، س٩.

لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُوراً وَٰحِداً وَٱدْعُواْ ثُبُوراً كَثِيراً ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيراً ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْداً مَسْئُولاً ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْماً بُوراً ﴿١٨﴾

﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾: هلاكاً أي يتمنّون هلاكاً وينادونه.

﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُوراً وَٰحِداً﴾: أي يقال لهم ذلك.

﴿وَٱدْعُواْ ثُبُوراً كَثِيراً﴾: لأنّ عذابكم أنواع كثيرة.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيراً * لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْداً مَسْئُولاً﴾: كان ما يشاؤون موعوداً حقيقاً بأن يسئل ويطلب أو سأله النّاس بقولهم: «رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ»[1] أو الملائكة بقولهم: «وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ»[2].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللهِ﴾: يعمّ كلّ معبود سواه.

﴿فَيَقُولُ﴾: أي للمعبودين، وقرئ بالنّون فيهما.

﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾: لإخلالهم بالنّظر الصحيح، وإعراضهم عن المرشد النّصيح، وهو إستفهام تقريع، وتبكيت للعبدة.

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾: تعجباً ممّا قيل لهم، لأنّهم إمّا ملائكة وأنبياء معصومون أو

---

١ ـ آل عمران: ١٩٤.
٢ ـ غافر: ٨.

فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلَا نَصْراً وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴿٢٠﴾

جمادات لا تقدر على شيء أو إشعاراً بأنّهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم إضلال عبيده أو تنزيهاً لله عن الأنداد.

﴿مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَآ﴾: ما يصح.

﴿أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام إنّه قرأ نتّخذ بضّم النون وفتح الخاء[1].

﴿وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾: بأنواع النّعم واستغرقوا في الشهوات.

﴿حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ﴾: حتّى غفلوا عن ذكرك، والتذكّر لآلائك، والتدبّر في آياتك.

﴿وَكَانُواْ قَوْماً بُوراً﴾: هالكين.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾: التفات إلى العبدة بالإحتجاج والإلزام على حذف القول والمعنى فقد كذّبكم المعبودون.

﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾: في قولكم إنّهم آلهة وهؤلاء أضلّونا، وقرئ بالياء أي كذّبوكم بقولهم: «سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَآ».

﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾: أي المعبودون، وقرئ بالتّاء على خطاب العابدين.

﴿صَرْفاً﴾: دفعاً للعذاب عنكم.

﴿وَلَا نَصْراً﴾: فيعينكم عليه.

﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً﴾: وهو النار.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٦٢، في القراءة.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾: جواب لقولهم: «مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ»[1].

في المجمع: عن عليّ عليه السلام إنّه قرأ يمشون بضمّ الياء وبفتح الشّين المشدّدة[2] أي يمشيهم حوائجهم أو النّاس.

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾: أيها النّاس.

﴿لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: إبتلاءاً كابتلاء الفقراء بالأغنياء[3]، والمرسلين بالمرسل إليهم، ومناصبتهم لهم العداوة، وإيذاؤهم لهم وهو تسلية للنّبيّ صلى الله عليه وآله على ما قالوه بعد نقضه.

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾: علّة للجعل أي لنعلم أيّكم يصبر، وحثّ على الصبر على ماافتتنوا به.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾: بمن يصبر وبمن لا يصبر.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: بالخير لكفرهم بالبعث، وأصل اللّقاء الوصول.

﴿لَوْلَآ﴾: هلّا.

﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: فيخبروننا بصدق محمّد أو يكونون رسلاً إلينا.

﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾: فيأمرنا بتصديقه واتّباعه.

﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: في شأنها.

﴿وَعَتَوْ﴾: وتجاوزوا الحدّ في الظّلم.

﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾: بالغاً أحصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها، واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سدّت دونه مطامح النفوس القدسيّة.

---

١ ـ الفرقان: ٧.
٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٦٢، في القراءة.
٣ ـ وفي نسخة: [ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء].

يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُوراً ﴿٢٣﴾

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾: ملائكة الموت أو العذاب.

﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً﴾: يستعيذون منهم ويطلبون من الله أن يمنع لقاءهم وهي ممّا كانوا يقولون عند لقاء عدوّ أو هجوم مكروه.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُوراً﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية فقال: إن كانت أعمالهم لأشدّ بياضاً من القباطيّ[1] فيقول الله عزّوجلّ لها: كوني هباءاً منثوراً، وذلك أنّهم كانوا إذا شرّع لهم الحرام أخذوه[2].

وفي رواية لم يدعوه[3].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام، قال: يبعث الله يوم القيامة قوماً بين أيديهم نور كالقباطيّ ثمّ يقول له: كن هباءاً منثوراً، ثمّ قال: أما والله أنّهم كانوا يصومون ويصلّون ولكن كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه، وإذا ذكر لهم شيء من فضل أمير المؤمنين عليه السلام أنكروه، قال: والهباء المنثور: هو الّذي تراه يدخل البيت في الكوة[4] من شعاع الشمس[5].

وفي البصائر: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل أعمال من هذه؟ فقال: أعمال مبغضينا ومبغضي

---

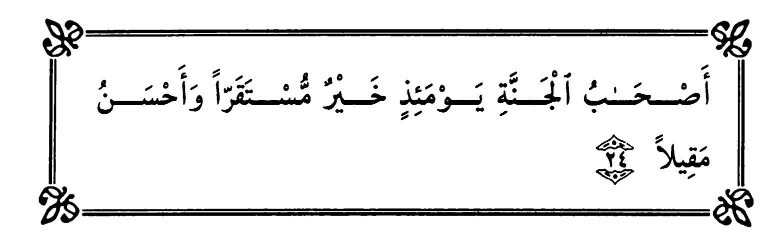
١ ـ القباطي ـ بفتح القاف وتخفيف الموحدة قبل الألف، وتشديد الباء بعد الطاء المهملة ثياب بيض رقيقة تجلب من مصر واحدها قبطي. مجمع البحرين: ج٤، ص٢٦٦، مادة «قبط».

٢ ـ الكافي: ج٥، ص١٢٦، ح١٠، باب المكاسب الحرام.

٣ ـ الكافي: ج٢، ص٨١، ح٥، باب إجتناب المحارم.

٤ ـ الكوة ـ بالضم والفتح والتشديد ـ النقبة في الحائط غير نافذة. مجمع البحرين: ج١، ص٣٦٤، مادة «كوى».

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٢ ـ ١١٣.



شيعتنا(١).

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً﴾: مكاناً يستقرّ فيه في أكثر الأوقات للتجالس والتّحادث.

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾: مكاناً يؤوي إليه للإسترواح، قيل: تجوّز له من مكان القيلولة على التشبيه إذ لا نوم في الجنّة(٢).

وفي الكافي: في حديث سؤال القبر عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ثمّ يفتحان له باباً إلى الجنّة، ثمّ يقولان له: نم قرير العين، نوم الشابّ النّاعم فإنّ الله يقول: «أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً»(٣).

والقمّي: عن الباقر عليه السلام بلغنا والله أعلم أنّه إذا استوى أهل النّار إلى النّار لينطلق بهم قبل أن يدخلوا النّار فيقال لهم: أُدخلوا إلى ظلٍّ ذى ثلاث شعبٍ من دخان النّار فيحسبون أنّها الجنّة، ثمّ يدخلون النّار أفواجاً، وذلك نصف النّهار، وأقبل أهل الجنّة فيما اشتهوا من التّحف حتّى يعطوا منازلهم في الجنّة نصف النّهار، فذلك قول الله عزّوجلّ: «أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ» الآية (٤).

وعن الصّادق عليه السلام: لا ينتصف ذلك اليوم حتّى يقبل أهل الجنّة في الجنّة وأهل النّار في النّار (٥).

---

١ ـ بصائرالدرجات: ص٤٤٦، ح١٥، الجزء التاسع باب٤ ـ الأعمال تعرض على رسول الله صلّى الله عليه وآله والأئمة صلوات الله عليهم.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٤٢، س٢٠.

٣ ـ الكافي: ج٣، ص٢٣١ ـ ٢٣٢، قطعة من ح١، باب أن الميت يمثل له ماله و ولده وعمله قبل موته.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٣، س٩.

٥ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٦٧، س٢٢ وفيه عن ابن عباس وابن مسعود.

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِالْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيراً ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾: تتشقق، وقرئ بتشديد الشين.

﴿بِالْغَمَـٰمِ﴾: بسبب طلوع الغمام منها، قيل: هو الغمام المذكور في قوله تعالى: «هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَـٰمِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ»[1][2].

﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً﴾: وقرئ ننزل من الإنزال، ونصب الملائكة، قيل أي في ذلك الغمام بصحائف الأعمال[3].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام الغمام: أمير المؤمنين عليه السلام[4].

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ﴾: الثابت له، لأنّ كلّ ملك يبطل يومئذ، ولا يبقى إلّا ملكه.

﴿وَكَانَ يَوْماً عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيراً﴾: شديداً.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾: من فرط الحسرة، القمّي: قال: الأولّ[5].

﴿يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام علياً وليّاً[6].

---

١ ـ البقرة: ٢١٠.

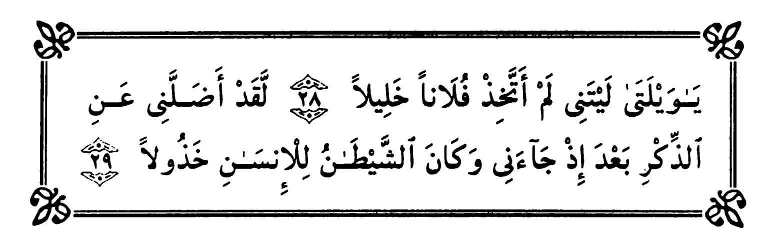
٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٤٣، س ٢.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٤٣، س ٣.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٣، س ١٦.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٣، س ٤.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٣، س ٥.



﴿يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً﴾: قال: يعني الثاني[١].

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾: قال: يعني الولاية[٢].

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾: قال: وهو الثاني[٣].

﴿لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولاً﴾: وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الوسيلة قال: فيّ مناقب لو ذكرتها لعظم بها الإرتفاع، وطال لها الإستماع، ولئن تقمّصها دوني الأشقيان[٤] ونازعاني فيما ليس لهما بحق، وركباها ضلالة، واعتقداها جهالة، فلبئس ما عليه وردا، ولبئس ما لأنفسهما مهّدا، يتلاعنان في دورهما، ويتبرّأ كلّ واحد منهما من صاحبه، يقول لقرينه إذا إلتقيا: «يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ»[٥] فيجيبه الأشقى على وثوبه[٦]: ياليتني لم أتّخذك خليلاً لقد أضللتني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً، فأنا: الذكر الّذي عنه ضلّ، والسّبيل الّذي عنه مال، والإيمان الّذي به كفر، والقرآن الّذي إيّاه هجر، والدّين الذي به كذّب، والصّراط الّذي عنه نكب[٧].

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام في إحتجاجه على بعض الزنادقة، قال: إنّ الله ورّى أسماء من

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٣، س ٦. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٣، س ٧.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٣، س ٧.

٤ ـ أراد عليه السلام بالأشقيين الأوّل والثاني، والبارز في تقمصها يعود إلى الخلافة للعلم بها كقوله تعالى: «حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ» أي جعلها مشتملاً عليها كالقميص. منه رحمه الله. والآية في سورة ص: ٣٢.

٥ ـ الزخرف: ٣٨.

٦ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر على رثوثة. والرث: الشيء البالي وخلق. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٥٤، مادة «رثث».

٧ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٧ ـ ٢٨، قطعة من ح ٤، خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وهي خطبة الوسيلة.

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُوراً ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوّاً مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلاً ﴿٣٢﴾

اغترّ وفتن خلقه وضل وأضلّ وكنّى عن أسمائهم في قوله: «وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّـٰلِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ» الآية[1].

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُوراً﴾: بأن تركوه وصدّوا عنه.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوّاً مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾: لك عليهم، وقد سبق في المقدّمة السّادسة حديث من الإحتجاج فيه بيان لهذه الآية[2].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾: أي أُنزل عليه كخبر بمعنى لئلّا يناقض قوله.

﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾: دفعة واحدة كالكتب الثلاثة.

﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: أي كذلك أنزلناه مفرّقاً لنقوّي بتفريقه فؤادك على

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٥، س ٦، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في أي متشابهة.

٢ ـ لم نعثر عليه في المقدمة السادسة، ولا يوجد في الإحتجاج بيان لهذه الآيـة، والظـاهر أنّـه سهـو مـن قـلمه الشريف، إذ البحث في المقدّمة السادسة، ج ١، ص ٨٠ يدور حول الآية: «يَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّـٰلِمُ...» كـما جـاء في الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٥، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَـنَ تَـفْسِيراً ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَـٰئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيراً ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَـبَآ إِلَى ٱلْـقَوْمِ ٱلَّـذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيراً ﴿٣٦﴾

حفظه وفهمه ولأنّه إذا نزل به جبرئيل حالاً بعد حال يثبت به فؤادك.

﴿وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلاً﴾: وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تؤدة[1] وتمهّل في عشرين سنة.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾: سؤال عجيب كأنّه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوّتك.

﴿إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِالْحَقِّ﴾: الدامغ له في جوابه.

﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾: وبما هو أحسن بياناً أو معنى من سؤالهم.

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَـٰئِكَ شَرٌّ مَّكَـاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾: في المجمع: عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله إنّه سئل كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: إنّ الّذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة[2].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيراً﴾: يوازره في الدّعوة وإعلاء الكلمة.

﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: يعني فرعون وقومه.

﴿فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيراً﴾: أي فذهبا إليهم فكذّبوهما فدمّرناهم، وفي المجمع: عن أمير

---

١ ـ التؤدة ـ بضم التاء كهمزة ـ من الوئيد: وهي السكون، والرزانة، والتأنّي، والمشي بثقل. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٥٣، مادة «وأد».

٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٧٠، س ٧.

وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً ﴿٣٧﴾ وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيراً ﴿٣٨﴾ وَكُلّاً ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ وَكُلّاً تَبَّرْنَا تَتْبِيراً ﴿٣٩﴾

المؤمنين عليه السلام فدمرانهم على التّأكيد بالنّون الثقيلة[1].

وفي رواية فدمّراهم قال: وهذا كأنّه أمر لموسى وهارون أن يدمراهم[2].

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ﴾: بالطّوفان.

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾: عبرة.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً * وَعَاداً وَثَمُودَاْ﴾: وجعلنا عاداً وثمود آية أيضاً.

﴿وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُوناً﴾: وأهل إعصار.

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيراً﴾: لا يعلمها إلّا الله.

﴿وَكُلّاً ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ﴾: بيّنا له القصص العجيبة من قصص الأوّلين إعذاراً وإنذاراً فلمّا أصرّوا أُهلكوا كما قال:

﴿وَكُلّاً تَبَّرْنَا تَتْبِيراً﴾[3]: فتنّاه تفتيناً، ومنه التبر لفتات الذّهب والفضّة.

وفي المعاني[4]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام يعني كسّرنا تكسيراً، وزادالقمّي: قال: هي لفظة بالنبطيّة[5].

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٦٨، في القراءة. ٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٦٩، س١.

٣ ـ تبّرنا: أي هلكناهم، ويقال: تبّره تتبيراً أي كسّره وأهلكه. والتبر ـ بكسر التاء فالسكون ـ: هو ما كان من الذهب غير مضروب فإذا ضرب دنانير، فهو عين، ولا يقال تبر إلّا للذهب. مجمع البحرين: ج٣، ص٢٣٢، مادة «تبر».

٤ ـ معاني الأخبار: ص٢٢٠، ح١، باب معنى التتبير.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٤، س٣.

في العيون[١]، والعلل: عن الرّضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي عليهما السلام، قال: أتى عليّ ابن أبي طالب عليه السلام قبل مقتله ثلاثة أيّام رجل من أشراف بني تميم، يقال له: عمرو، فقال: ياأمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرّس[٢] في أيّ عصر كانوا؟ وأين كانت منازلهم؟ ومن كان ملكهم؟ وهل بعث الله إليهم رسولاً أم لا؟ وبما إذا أُهلكوا[٣] فإنّي أجد في كتاب الله تعالى ذكرهم ولا أجد خبرهم، فقال له علي عليه السلام: لقد سألت عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك، ولا يحدّثك به أحد بعدي إلّا عنّي، وما في كتاب الله تعالى آية إلّا وأنا أعرفها، وأعرف تفسيرها، وفي أيّ مكان نزلت، في سهل أو جبل، وفي أيّ وقت نزلت، من ليل أو نهار، وإنّ هاهنا لعلماً جمّا وأشار إلى صدره، ولكن طلّا به يسير، وعن قليل تندمون لو فقدتموني، كان من قصصهم يا أخا تميم: أنّهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبرة يقال لها: شاه درخت، كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها: روشاب[٤] كانت أنبتت[٥] لنوح عليه السلام بعد الطّوفان، وإنّما سمّوا أصحاب الرس لأنّهم رسوا[٦] نبيّهم في الأرض، وذلك بعد سليمان بن داود عليهما السلام، وكانت لهم إثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له: «الرسّ» من بلاد المشرق وبهم سمّي ذلك النّهر، ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر[٧] منه، ولا أعذب منه، ولا قرى أكثر ولا أعمر منها تسمّى، إحداهن: آبان، والثانية: آذر، والثالثة: دي، والرّابعة: بهمن، والخامسة: إسفندار، والسّادسة: فروردين، والسّابعة: أُرديبهشت، والثامنة: خرداد،

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٠٥ ـ ٢٠٩، ح١، باب ١٦ ـ ماجاء عن الرضا عليه السلام من حديث أصحاب الرس.

٢ ـ الرسّ: البئر القديمة، والرسّ بئر لثمود، وفي الصحاح: بئر لبقيّة من ثمود، وقال الزجّاج: يروى أنّ الرسّ: ديار لطائفة من ثمود. قال: ويروى أنّ الرسّ قرية باليمامة يقال لها: فلج، ويروى أنّهم كذّبوا نبيّهم ورسوه في بئر، أي دسوه فيهاحتّى مات، ويروى أنّ الرسّ: بئر، وكلّ بئر عند العرب رسّ. لسان العرب: ج٥، ص ٢١٠، مادة «رسس».

٣ ـ وفي العيون: هلكوا.

٤ ـ وفي العيون: دو شاب.

٥ ـ وفي العيون: انبسطت، وجاء في العلل: انبعثت.

٦ ـ أي رسّوه وأقبروه حيّاً. منه قدّس سرّه.

٧ ـ غزر الماء ـ بالضم ـ غزاراً وغزارة: كثر فهو غزير أي كثير، والمراد شدّة النفع وعمومه. مجمع البحرين: ج٣، ص ٤٢٤، مادة «غزر».

والتاسعة: مرداد، والعاشرة: تير، والحادية عشر: مهر، والثانية: عشر شهريور، وكانت أعظم مدائنهم إسفندار، وهي الّتي ينزلها ملكهم، وكان يسمّى تركوذ بن غابور بن يارش بن سازن بن نمرود بن كنعان: فرعون إبراهيم ﷺ، وبها العين والصّنوبرة، وقد غرسوا في كلّ قرية منها حبّة من طلع تلك الصّنوبرة فنبتت الحبّة، وصارت شجرة عظيمة وحرّموا ماء العين والأنهار ولا يشربون منها ولا أنعامهم، ومن فعل ذلك قتلوه، ويقولون: هو حياة آلِهَتِنا، فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها، ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرسّ الّذي عليه قراهم، وقد جعلوا في كلّ شهر من السنة في كلّ قرية عيداً يجتمع إليه أهلها، فيضربون على الشجّرة الّتي بها كلّة من حرير فيها من أنواع الصّور، ثمّ يأتون بشاة وبقر فيذبحونها قرباناً للشجرّة، ويشعلون فيها النّيران بالحطب، فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها[1] في الهواء وحال بينهم وبين النظر إلى السّماء خرّوا سجّداً للشجرة يبكون ويتضّرعون إليها أن ترضى عنهم، وكان الشيطان يجيئ فيحرك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصّبي، إنّي قد رضيت عنكم عبادي، فطيبوا نفساً وقرّوا عيناً، فيرفعون رؤوسهم عند ذلك، ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف ويأخذون الدّست بند، فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم، ثمّ ينصرفون وإنّما سمّت العجم شهورها بآبان ماه وآذر ماه وغيرهما إشتقاقاً من أسماء تلك القرى لقول أهلها بعضهم لبعض: هذا عيد شهر كذا وعيد شهر كذا حتّى إذا كان عيد قريتهم العظمى إجتمع إليها صغيرهم وكبيرهم، فضربوا عند الصّنوبرة والعين سرادقاً[2] من ديباج عليه أنواع الصّور، له إثنا عشر باباً كل باب لأهل قرية منهم، ويسجدون للصّنوبرة خارجاً من السّرادق، ويقربون لها الذّبائح أضعاف ما قرّبوا للشجّرة الّتي في قراهم، فيجيء إبليس عند ذلك فيحرّك الصّنوبرة تحريكاً شديداً أو يتكلّم من جوفها كلاماً جهوريّاً ويعدهم ويمنّيهم بأكثر ممّا وعدتهم ومنّتهم الشّياطين كلّها، فيرفعون رؤوسهم من السّجود، وبهم من الفرح والنّشاط ما لا يفيقون ولا

---

١ ـ القترة ـ بالتحريك ـ: الغبار. وفي الغريب «تَرْهَقُهَا قَتَرَة» يعلوها سواد كالدخان. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٤٧، مادة «قتر».

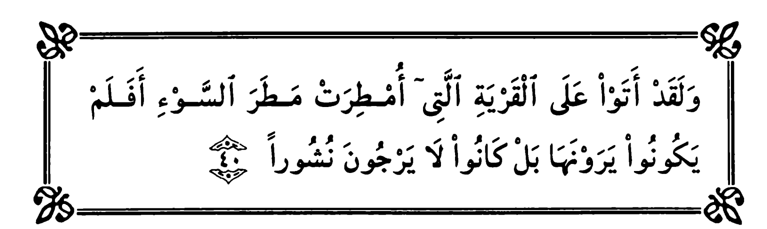
٢ ـ السرادق: الذي يمدّ فوق صحن البيت جمع سرادقات، وبيت مسردق أعلاه وأسفله مشدود كلّه. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٢٤٤.

يتكلّمون من الشرّب والغرف، فيكونون على ذلك إثني عشر يوماً ولياليها بعدد أعيادهم سائر السّنة، ثمّ ينصرفون فلمّا طال كفرهم بالله عزّوجلّ وعبادتهم غيره بعث الله سبحانه إليهم نبيّاً من بني إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب فلبث فيهم زماناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله عزّوجلّ ومعرفته وربوبيّته فلا يتبعونه، فلمّا رأى شدّة تماديهم في الغيّ والضّلال وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرّشد والنّجاح وحضر عيد قريتهم العظمى، قال: يا ربّ: إنّ عبادك أبوا إلّا تكذيبي والكفر بك، وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضّر، فأيبس شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك، فأصبح القوم وقد يبس شجرهم فهالهم ذلك وقطع بهم وصاروا فرقتين: فرقة قالت: سحر آلهتكم هذا الرّجل الّذي يزعم أنّه رسول إلـه السّماء والأرض إليكم ليصرف وجوهكم عن آلِهَتكم إلى إلـهه، وفرقة قالت: لا بل غضبت آلِهَتكم حين رأت هذا الرّجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم إلى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهائها لكي تغضبوا عليه فتنتصروا منه، فأجمع[1] رأيهم على قتله، فاتّخذوا أنابيب طوالاً من رصاص واسعة الأفواه، ثمّ أرسلوها في قرار العين إلى أعلى الماء واحدة فوق الأُخرى مثل اليراع[2] ونزحوا ما فيها من الماء، ثمّ حفروا في قرارها بئراً ضيّقة المدخل عميقة، وأرسلوا فيها نبيّهم، وألقموا فاها صخرة عظيمة، ثمّ أخرجوا الأنابيب من الماء، وقالوا: نرجوا الآن أن ترضى عنّا آلِهتنا إذا رأت أنّا قد قتلنا من كان يقع فيها ويصدّ عن عبادتها ودفنّاه تحت كبيرها يتشفّى منه فيعود لنا نورها ونضرتها كما كان، فبقوا عامّة يومهم يسمعون أنين نبيّهم عليه السلام، وهو يقول: سيّدي قد ترى ضيق مكاني وشدّة كربي، فارحم ضعف ركني وقلّة حيلتي، وعجّل بقبض روحي ولا تؤخّر إجابة دعوتي حتّى مات عليه السلام، فقال الله عزّ وجلّ لجبرئيل: يا جبرئيل أيظنّ عبادي هؤلاء الّذين غرّهم حلمي، وأمنوا مكري، وعبدوا غيري، وقتلوا رسولي، أن يقوموا لغضبي أو يخرجوا من سلطاني؟ كيف وأنا المنتقم ممّن عصاني، ولم يخش عقابي، وإنّي حلفت بعزّتي لأجعلنّهم عبرة ونكالاً للعالمين، فلم يرعهم وهم في عيدهم ذلك إلّا بريح عاصفة شديدة الحمرة، فتحيّروا فيها، وذعروا منها، وتضام بعضهم إلى بعض، ثمّ صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت تتوقّد

---

١ ـ هكذا في الأصل. والصحيح: «فاجتمع»، كما في المصدر.

٢ ـ اليراع: القصب. منه رحمه الله. وفي المصدر: مثل البرابخ.



وأظلّتهم سحابة سوداء فألقت عليهم كالقبّة جمراً، يلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرّصاص في النّار،فنعوذبالله تعالى ذكره من غضبه،ونزول نقمته، ولاحول ولاقوّةإلّا باللهالعلي العظيم(١).

والقمّي: الرّس نهر بناحية آذربايجان(٢).

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه دخل عليه نسوة فسألته إمرأة منهنّ عن السّحق، فقال: حدّها حدّ الزّاني، فقالت المرأة: ما ذكر الله عزّوجلّ ذلك في القرآن؟ فقال: بلى، فقالت: وأين هو؟ قال: هنّ أصحاب الرّس(٣).

والقمّي: عنه عليه السلام قال: دخلت إمرأة مع مولاة لها على أبي عبدالله عليه السلام فقالت: ما تقول في اللّواتي مع اللّواتي؟ قال: هنّ في النّار إذا كان يوم القيامة أُتي بهنّ فألبسن جلباباً من نار، وخفّين من نار، وقناعاً من نار، وأدخل في أجوافهنّ وفروجهنّ أعمدة من نار، وقذف بهنّ في النّار، فقالت: ليس هذا في كتاب الله، قال: نعم، قالت: أين هو؟ قال: قوله: «وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ» فهنّ الرّسيّات(٤).

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام إنّ سحق النّساء كان في أصحاب الرسّ، وبلفظ آخر كان نساؤهم سحّاقات(٥).

﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ﴾: يعني قريشاً مرّوا مراراً في متاجرهم إلى الشّام.

﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام وأمّا القرية

---

١ ـ علل الشرائع: ص ٤٠ ـ ٤٣، ح ١، باب ٣٨، العلّة التي من أجلها سمي أصحاب الرس أصحاب الرس، والعلّة التي من أجلها سميت العجم شهورها بآبان ماه وآذر ماه، وغيرها إلى آخرها.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٢٣، س ٢٠.

٣ ـ الكافي: ج ٧، ص ٢٠٢، ح ١، باب الحد في السحق.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٣ ـ ١١٤.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٧٠، س ٢١.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾

التي أمطرت مطر السّوء فهي سدوم[1] قرية قوم لوط أمطر الله عزّ وجلّ عليهم حجارة من سجّيل يقول: من طين[2].

﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا﴾: في مرار مرورهم فيتّعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله.

﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُوراً﴾: بل كانوا كفرة لا يتوقّعون نشوراً ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتّعظوا فمرّوا بها كما مرّت ركابهم.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً﴾: ما يتخذونك إلّا موضع هزءٍ.

﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللهُ رَسُولاً﴾: أي يقولون ذلك، تهكّما وإستهزاءاً.

﴿إِن كَادَ﴾: إنّه كاد.

﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾: ليصرفنا عن عبادتها بفرط إجتهاده في الدّعاء إلى التّوحيد، وكثرة ما يورد ممّا يسبق إلى الذّهن إنّها حجج ومعجزات.

﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾: ثبتنا عليها وإستمسكنا بعبادتها.

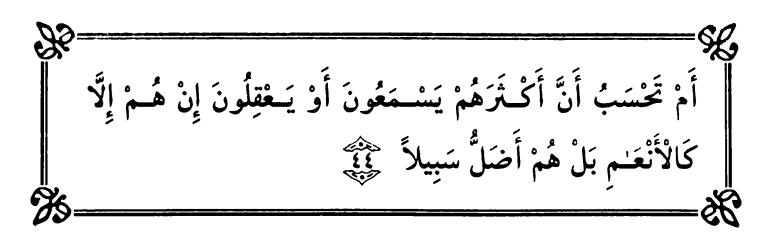
﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾: فيه وعيد ودلالة على أنّه لا يهملهم وإن أمهلهم.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَىٰهُ﴾: بأن أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجّة،

---

١ ـ سدوم: بفتح السين: مدينة بحمص، ويقال لقاضيها: قاضي سدوم، ويقال: هي مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له: سدوم، وقيل: سدوم اسم رجل وكان ملكاً فسميّت المدينة باسمه، وكان من أجور الملوك. لسان العرب: ج ٦، ص ٢٢٠، مادة «سدم».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٤، س ٤.



ولا يتبصّر دليلاً.

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾: حفيظاً تمنعه عن الشّرك والمعاصي وحاله هذا فالإستفهام الأوّل: للتقرير والتعجّب، والثّاني: للإنكار.

﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾: بل أتحسب.

﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾: فتجدي لهم الآيات والحجج فتهتّم بشأنهم وتطمع في إيمانهم وهو أشدّ مذمّة ممّا قبله حتّى حقّ بالإضراب عنه إليه وتخصيص الأكثر لأنّه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحقّ وكابر إستكباراً وخوفاً على الرّياسة.

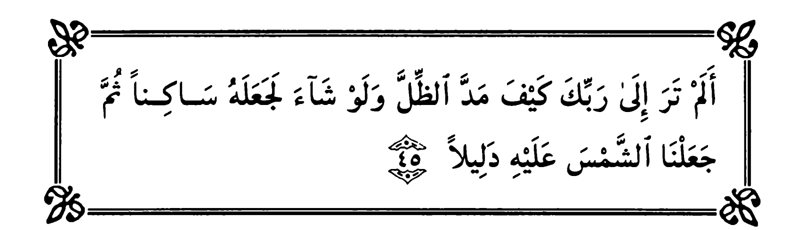
﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾: في عدم إنتفاعهم بقرع الآيات، وعدم تدبّرهم فيما شاهدوا من الدّلائل والمعجزات.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1]: من الأنعام لأنّها تنقاد من يتعهّدها، وتميز من يحس إليها ممّن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرّها، وهؤلاء لا ينقادون لربّهم، ولا يعرفون إحسان الرحمان من إساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الّذي هو أعظم المنافع، ولا يتّقون العقاب الّذي هو أشدّ المضارّ، ولأنّها لو لم تعتقد حقّاً ولم تكتسب خيراً لم تعتقد باطلاً ولم تكتسب شرّاً بخلاف هؤلاء، ولأنّ جهالتها لا تضرّ بأحد، وجهالة هؤلاء تؤدّي إلى هيج الفتن، وصدّ النّاس عن الحقّ، ولأنّها غير متمكّنة من تحصيل الكمال فلا تقصير منها ولا ذمّ، وهؤلاء مقصّرون مستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم.

القمّي: قال: نزلت في قريش، وذلك أنّه ضاق عليهم المعاش فخرجوا من مكّة وتفرّقوا، وكان الرّجل إذا رأى شجرة حسنة أو حجراً حسناً هواه فعبده وكانوا ينحرون لها

---

١ ـ قد مضت هذه الآية في سورة الأعراف. منه ﷺ. الأعراف: ١٧٩.



النعم، ويلطّخونها بالدّم ويسمّونها سعد صخرة، وكان إذا أصابهم داء في إبلهم وأغنامهم جاؤوا إلى الصّخرة فيتمسّحون بها الغنم والإبل، فجاء رجل من العرب بابل له يريد أن يتمسّح بالصّخرة إبله ويتبارك عليها فنفرت إبله وتفرّقت فقال الرّجل:

أتيت إلى سعد ليجمع شملنا ... فشتّتنا سعد فما نحن من سعد

وما صخر إلّا صخرة مسودّة[1] ... من الأرض لا تهدي لغيّ ولا رشد

ومرّ به رجل من العرب، والثعلب يبول عليه، فقال:

وربّ يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب[2]

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: ألم تنظر إلى صنعه.

﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾: كيف بسطه، القمّي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: الظّلّ: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس[3].

قيل: وهو أطيب الأحوال فإنّ الظّلمة الخالصة تنفر الطبع، وتسدّ النظر، وشعاع الشمس يسخن الهواء ويبهر البصر، ولذلك وصف به الجنّة فقال: «وظلّ ممدود»[4][5].

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾: ثابتاً من السّكنى أو غير متقلّص من السّكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾: فإنّه لا يظهر للحسّ حتّى تطلع فيقع ضوؤها

---

١ ـ هكذا في الأصل، والظاهر هنا تصحيف. والصحيح كما في المصدر: وما سعد إلّا صخرة مستوية.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٤، س٧.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٥، س٤.

٤ ـ الواقعة: ٣٠.

٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٤٦، س١٧.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُـمُ ٱلَّيْلَ لِبَاساً وَٱلنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُوراً ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَأَنـزَلْنَا مِـنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً ﴿٤٨﴾﴾

على بعض الإجرام فلولاها لما عرف الظّلّ ولا يتفاوت إلّا بسبب حركتها.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا﴾: أي أزلناه بإيقاع الشعاع موقعه لمّا عبّر عن إحداثه بالمدّ، بمعنى التسيير، عبّر عن إزالته بالقبض إلى نفسه الّذي هو في معنى الكفّ.

﴿قَبْضاً يَسِيراً﴾: قليلاً قليلاً حسبما ترتفع الشّمس لتـنتظم بـذلك مـصالح الكـون ويتحصّل به مالا يحصى من منافع الخلق.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاساً﴾: شبّه ظلامه باللباس في ستره.

﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتاً﴾: راحة للأبدان بقطع المشاغل واصل السّبت القطع.

﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُوراً﴾: ذا نشور أي إنتشار ينتشر فيه النّاس للـمعاش، وفـيه إشارة إلى أنّ النّوم واليقظة إنموذج للموت والنشور.

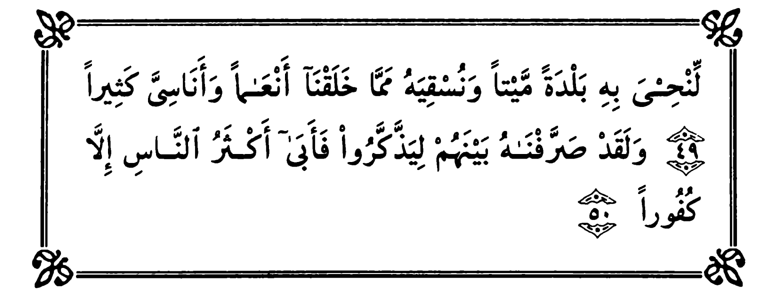
وفي الحديث النّبوي: كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تبعثون[1].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْراً﴾: أي ناشرات للسّحاب أو مـبشّرات عـلى اختلاف القراءة كما مضى في سورة الأعراف[2].

---

١ ـ رياض السالكين: ج٢، ص٢٣، وقد تقدم هذا الحديث سابقاً ذيل الآية: ٢١ من سورة الكهف وقلنا وردت أخبار متعددة بهذا المضمون، راجع بحار الأنوار: ج٧، ص٤٧، ح٣١، وسيرة الحلبية: ج١، ص٢٨٥ «لتموتن كما تنامون وتبعثن كما تستيقظون» وجاء في بحار الأنوار: ج١٨، ص١٩٧، ح٣٠ «لتموتون كما تنامون وتبعثون كما تستيقظون» وجاء في تفسير القرآن الكريم: ج٤، ص٢٨٤ «كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تبعثون.

٢ ـ ذيل الآية ٥٧، راجع كتابنا تفسير الصافي: ج٣، ص ١٩٠.


لِّنُحْـيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰماً وَأَنَاسِىَّ كَثِيراً ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْـثَرُ ٱلنَّـاسِ إِلَّا كُفُوراً ﴿٥٠﴾

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾: يعني قدّام المطر.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً﴾: مطهّراً أو بليغاً في الطّهارة وصفه به إشعاراً بالنّعمة فيه وتتميماً للمنّة فيما بعده فإنّ الماء الطّهور أهنأ وأنفع ممّا خالطه ما يزيل طهوريّته.

﴿لِّنُحْـيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً﴾: بالنّبات وتذكير ميتاً لأنّ البلدة في معنى البلد.

﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰماً وَأَنَاسِىَّ كَثِيراً * وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ﴾: قيل: صرّفنا هذا القول بين النّاس في القرآن وسائر الكتب أو المطر بينهم في البلدان المختلفة في الأوقات المتغايرة، والصّفات المتفاوتة من وابل[1] وطل[2] وغيرهما[3].

وفي الفقيه: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: ما أتى على أهل الدّنيا يوم واحد منذ خلقها الله عزّوجلّ إلّا والسّماء فيها تمطر فيجعل الله ذلك حيث يشاء[4].

﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾: ليتفكرّوا ويعرفوا كمال القدرة وحقّ النعمة في ذلك ويقوموا بشكره ويعتبروا بالصّرف عنهم وإليهم.

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾: إلّا كفران النّعمة وقلّة الإكتراث لها وجحودها بأن يقولوا أمطرنا بنوء[5] كذا من غير أن يروه من الله ويجعلوا الأنواء وسائط مسخّرات.

---

١ ـ الوابل: المطر الشديد. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٩٠، مادة «وبل».

٢ ـ الطل: المطر الضعيف القطر. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤١٢، مادة «طلل».

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٤٧، س ٢٢.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٣٣٣، ح ١٤٩٦/٦، باب ٨٠ ـ صلاة الاستسقاء.

٥ ـ النوء ـ بفتح النون وسكون الواو فهمزة وهو النجم. قال أبو عبيدة نقلاً عنه ـ: هي ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف يسقط منها في كل ثلاث عشر ليلة ⇦

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴿٥٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً ﴿٥٣﴾

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً﴾: نبيّاً ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوّة لكن قصرنا الأمر عليك إجلالاً لك وتعظيماً لشأنك، وتفضيلاً لك على سائر الرّسل، فقابل ذلك بالثبات، والإجتهاد في الدّعوة، وإظهار الحق.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: فيما يريدونك عليه، وهو تهييج له وللمؤمنين.

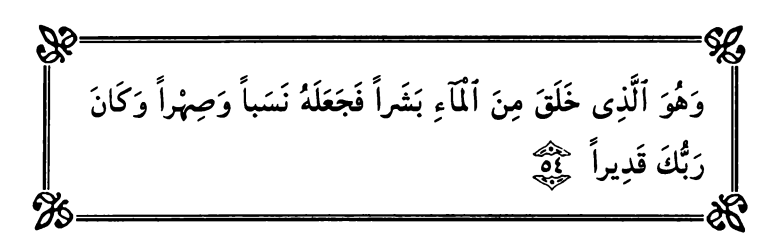
﴿وَجَـٰهِدْهُمْ بِهِ﴾: بالقرآن أو بترك طاعتهم.

﴿جِهَاداً كَبِيراً﴾: يعني أنّهم يجتهدون في إبطال حقّك فقابلهم بالإجتهاد في مخالفتهم وإزاحة باطلهم، فإنّ مجاهدة السّفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسّيف.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابتّه إذا خلاها.

﴿هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: بليغ العذوبة.

⇦ نجم في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته وكلاهما معلوم مسمى وإنقضاء هذه الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة [ثم يرجع الأمر إلى النجم الأوّل مع إستئناف السنة المقبلة] وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع الآخر قالوا: لابد أن يكون عند ذلك رياح ومطر، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى النجم الذي يسقط حينئذٍ فيقولون: «مطرنا بنوءِ كذا»... قال: ويسمى نَوْءاً لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق بالطلوع وذلك النهوض هو النَّوء فسمي النّجم به... قالوا: وقد يكون النوء السقوط وإنّما غلظ النّبيّ القول فيمن يقول: «مطرنا بنَوء كذا» لأن العرب كانت تقول إنّما هو فعل النّجم ولا يجعلونه سقياً من الله تعالى: وأمّا من جعل المطر من فعل الله تعالى وأراد «مطرنا بنوء» كذا أي في هذا الوقت فلا بأس به. مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣، مادة «نوا».



﴿وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: بليغ الملوحة، في الكافي: عنهما عليهما السلام إنّ الله جلّ وعزّ عرض ولايتنا على المياه فما قبل ولايتنا عذب وطاب، وما جحد ولايتنا جعله الله عزّ وجلّ مرّاً وملحاً أُجاجا.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً﴾: حاجزاً من قدرته.

﴿وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾: قيل: تنافراً بليغاً أو حدّاً محدوداً وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقّه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغيّر طعمها[١].

والقمّي: يقول حراماً محرّماً أن يغيّر واحد منها طعم الآخر[٢].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَراً﴾: قيل: يعني الّذي خمّر به طينة آدم عليه السلام، ثمّ جعله جزءاً من مادّة البشر ليجتمع ويسلسل، ويقبل الإشكال بسهولة أو النّطفة[٣].

﴿فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً﴾: فقسّمه قسمين ذوي نسب، أي ذكوراً ينسب إليهم، وذوات صهر أي أُناثاً يصاهر بهنّ.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾: حيث خلق من مادّة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة، وجعله قسمين متقابلين.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام[٤]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم من الماء العذب، وخلق زوجته من سنخه، فبرأها من أسفل

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٤٨، س ١٢.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٥، س ٧.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٤٨، س ١٦.

٤ ـ الكافي: ج ٥، ص ٤٤٢، ح ٩، باب صفة لبن الفحل.

أضلاعه، فجرى بذلك الضّلع بينهما سبب ونسب، ثمّ زوجها إيّاه، فجرى بينهما بسبب ذلك صهر فذلك قوله: «نَسَباً وَصِهْراً» فالنسب: ما كان بسبب الرّجال، والصّهر: ما كان بسبب النساء[١].

وفي المجمع: عن ابن سيرين، نزلت في النّبيّ صلى الله عليه وآله، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، زوّج فاطمة عليّاً عليهما السلام وهو ابن عمّه، وزوج ابنته فكان نسباً وصهراً[٢].

وفي المعاني: عن الباقر، عن أمير المؤمنين عليهما السلام: قال: ألا وإني مخصوص في القرآن بأسماء احذروا أن تغلبوا عليها فتضلّوا في دينكم أنا الصّهر، يقول الله عزّوجلّ: «وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً»[٣].

وفي الأمالي: بإسناده إلى أنس بن مالك عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: قال: قلت له: يا رسول الله عليّ أخوك؟ قال: نعم عليّ أخي، قلت: يا رسول الله صف لي كيف عليّ أخوك، قال: إنّ الله عزّوجلّ خلق ماءاً تحت العرش قبل أن يخلق آدم بثلاثة آلاف عام وأسكنه في لؤلؤة خضراء في غامض علمه إلى أن خلق آدم، فلمّا خلق آدم نقل ذلك الماء من اللّؤلؤة فأجراه في صلب آدم إلى أن قبضه الله تعالى، ثمّ نقله إلى صلب شيث، فلم يزل ذلك الماء ينقل من ظهر إلى ظهر حتّى صار في عبد المطلّب، ثمّ شقّه عزّوجلّ نصفين فصار نصفه في أبي عبد الله بن عبد المطلّب، ونصفه في أبي طالب فأنا من نصف الماء، وعليّ من النصّف الآخر، فعليّ أخي في الدّنيا والآخرة، ثمّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: «وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَراً» الآية[٤].

وفي روضة الواعظين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلق الله عزّوجلّ نطفة بيضاء مكنونة فنقلها من صلب إلى صلب حتّى نقلت النّطفة إلى صلب عبد المطلب فجعل نصفين فصار نصفها في عبدالله، ونصفها في أبي طالب فأنا من عبدالله، وعليّ من أبي طالب، وذلك: قول الله عزّوجلّ: «وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ» الآية[٥].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٤، س٢٠. ٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٧٥، س١٨.

٣ ـ معاني الأخبار: ص٥٩، س٦، ح٩، باب معاني أسماء محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام.

٤ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٣١٣، ح ٦٣٧/ ٨٤، المجلس الحادي عشر.

٥ ـ روضة الواعظين: ص٧١، س١، مجلس في مولد النبي صلى الله عليه وآله.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴿٥٧﴾

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً﴾: يظاهر الشيطان في العداوة والشّرك، في البصائر: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عنها؟ فقال: تفسيرها في بطن القرآن: عليّ هو ربّه في الولاية، والربّ: هو الخالق الّذي لا يوصف[١].

أقول: يعني إنّ الربّ على الإطلاق الغير المقيّد بالولاية هو الله الخالق جلّ ذكره.

والقمّي: قد يسمّى الإنسان ربّاً كقوله تعالى: «ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ»[٢] وكلّ مالك لشيء يسمّى ربّه وقوله تعالى: «وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً» فقال: الكافر: الثاني، وكان على أمير المؤمنين عليه السلام ظهيراً[٣].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً﴾: للمؤمنين.

﴿وَنَذِيراً﴾: للكافرين.

﴿قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الرّسالة الّذي يدلّ عليه إلّا مبشّراً ونذيراً.

﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ﴾: إلّا فعل من شاء.

﴿أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾: أن يتقرّب إليه ويطلب الزّلفى عنده بالإيمان والطّاعة فصوّر ذلك في صورة الأجر من حيث أنّه مقصود فعله، وإستثناء منه قطعاً لشبهة الطّمع وإظهاراً لغاية الشفقة.

---

١ ـ بصائر الدرجات: ص٩٧، ح٥، من النوادر من الأبواب في الولاية، من الجزء الثاني.

٢ ـ يوسف: ٤٢.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٥، س٩.

وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً ﴿٥٩﴾

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾: في إستكفاء شرورهم والإغناء عن أُجورهم فإنّه الحقيق بأن يتوكّل عليه دون الأحياء الّذين يموتون فإنّهم إذا ماتوا ضاع من توكّل عليهم.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾: ونزهّه عن صفات النقصان، مثنيا عليه بأوصاف الكمال، طالباً لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه.

﴿وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً﴾: ماظهر منها ومابطن فلاعليك إن آمنوا أو كفروا.

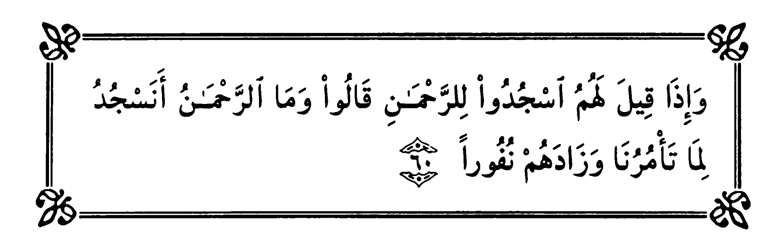
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: قد سبق الكلام فيه في سورة الأعراف[1]، ولعلّ ذكره لزيادة تقرير لكونه حقيقاً بأن يتوكّل عليه من حيث أنّه الخالق للكلّ، والمتصّرف فيه، وتحريص على الثبات، والتأنّي في الأمر فإنّه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره خلق الأشياء على تؤدة وتدرّج، وقد مضى هذا المعنى في كلامهم عليهم السلام.

﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾: خبر لـ «الّذى» إن جعلته مبتدأ، ولمحذوف إن جعلته صفة للحيّ، أو بدل من المستكن في استوى.

﴿فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾: فاسئل عمّا ذكر من الخلق والإستواء أو عن أنّه هو الرّحمان. وفي المجمع: روي إنّ اليهود حكوا عن إبتداء خلق الأشياء بخلاف ما أخبر الله تعالى

---

١ ـ الآية ٥٤، راجع كتابنا تفسير الصافي: ج ٣، ص ١٨٤ ـ ١٨٧.



عنه، فقال سبحانه: «فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً»[١].

والسّؤال كما يعدّي بعن لتضمّنه معنى التفتيش يعديّ بالباء لتضمّنه معنى الإعتناء، ويجوز أن يكون صلة خبيراً، والخبير: هو الله سبحانه، أو جبرئيل، أو من وجده في الكتب المتقدّمة، ليصدّقك فيه كذا قيل[٢].

أقول: ويحتمل أن يكون المراد بها الرّسل المتقدّمة، فيكون السّؤال في عالم الأرواح كقوله تعالى: «وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ»[٣].

وقيل: الضمّير لـ«ٱلرَّحْمَـٰنُ» والمعنى إن أنكروا إطلاقه على الله فسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب لتعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم[٤].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾: قيل: لأنّهم ما كانوا يطلقونه على الله أو لأنّهم ظنّوا أنّه أراد به غيره تعالى.

القمّي: قال: جوابه «ٱلرَّحْمَـٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ»[٥][٦].

﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾: وقرئ بالياء.

﴿وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾: عن الإيمان، يعني الأمر بسجود الرّحمان.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٧٦، س١٢.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٤٩، س١٣.

٣ ـ الزخرف: ٤٥.

٤ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص١٤٩، س١٤.

٥ ـ الرحمٰن: ١ ـ ٥.

٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٥، س١٢.

تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجاً وَقَمَراً مُّنِيراً ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴿٦٢﴾

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجاً﴾: يعني البروج الإثنى عشر، وقد سبق بيانها في سورة الحجر(١).

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجاً﴾: يعني الشّمس لقوله «وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَٰجاً»(٢)، وقرئ سُرُجاً بضمّتين فيشمل الكواكب الكبار.

وفي الجوامع: عنهم عليهم السلام لا تقرأ سُرُجاً، وإنّما هي «سِرَٰجاً» وهي الشّمس(٣).

﴿وَقَمَراً مُّنِيراً﴾: مضيئاً باللّيل، في الإهليلجة: عن الصّادق عليه السلام: في كلام له، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً يسبحان في فلك يدور بهما دائبين يطلعهما تارة ويوفلهما أُخرى حتّى تعرف عدّة الأيّام والشهور والسّنين، وما يستأنف من الصّيف والرّبيع والشّتاء والخريف أزمنة مختلفة باختلاف اللّيل والنّهار(٤).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾: يخلف كلّ منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يفعل فيه.

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾: وقرئ بالتخفيف.

﴿أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾: في الفقيه: عن الصّادق عليه السلام: كلّ ما فاتك باللّيل فاقضه بالنّهار، قال الله تبارك وتعالى وتلا هذه الآية، ثمّ قال: يعني أن يقضي الرّجل ما فاته باللّيل بالنّهار، وما

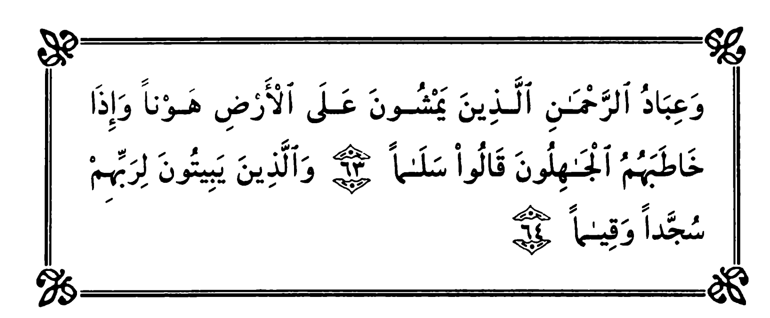
---

١ ـ ذيل الآية: ١٦، راجع كتابنا تفسير الصافي: ج ٤، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

٢ ـ نوح: ١٦.

٣ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ١٤٤، س ١٨.

٤ ـ لا يوجد لدينا هذا الكتاب ولكن ورد في نور الثقلين: ج٤، ص٢٥، ح٨٦، نقلاً عنه.



فاته بالنّهار باللّيل(١).

وفي التهذيب(٢)، والقمّي: عنه عليه السلام ما يقرب منه، وزاد القمّي وهو من سرّ آل محمّد المكنون(٣).

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّـذِينَ يَمْشُـونَ عَـلَى ٱلْأَرْضِ هَـوْناً﴾: في المجمع: عن الصّادق عليه السلام هو الرّجل يمشي بسجيّته الّتي جبل عليها لا يتكلّف ولا يتبختر(٤).

والقمّي: عن الباقر عليه السلام إنّه قال في هذه الآية: الأئمّة عليهم السلام «يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْناً»: خوفاً من عدوّهم(٥).

وعن الكاظم عليه السلام: إنّه سئل عنه؟ فقال: هم الأئمّة عليهم السلام يتقون في مشيهم(٦).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عنه قال: هم الأوصياء مخافة من عدوّهم(٧).

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰماً﴾: تسليماً منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شرّ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَـٰماً﴾: في الصّلاة وتخصيص البيتوتة لأنّ العبادة بالليل أحمز وأبعد من الرياء.

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٣١٥، ح ١، باب ٧٦ ـ قضاء صلاة اللّيل.

٢ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ١٧٣، ح ٦٨٩/١٤٧، باب ٩ ـ تفضيل ما تقدم ذكره في الصلاة من المفروض والمسنون وما يجوز فيها وما لا يجوز.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٦، س ٩.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٧٩، س ١.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٦، س ١٣.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٦، س ١٥.

٧ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢٧، ح ٧٨، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً ﴿٦٧﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾: لازماً ومنه الغريم لملازمته، القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول: ملازماً لا يفارق[1].

أقول: وهو إيذان بأنّهم مع حُسن مخالفتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحقّ وجلون من العذاب، مبتهلون[2] إلى الله في صرفه عنهم، لعدم إعتدادهم بأعمالهم، ولا وثوقهم على إستمرار أحوالهم.

﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾: الجملتان يحتملان الحكاية والإبتداء من الله.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾: وقرئ بكسر التّاء من اقتر.

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً﴾: القمّي: الإسراف: الإنفاق في المعصية في غير حقّ، «وَلَمْ يَقْتُرُواْ»: لم ينجلوا عن حقّ الله عزّوجلّ، والقوام: العدل، والإنفاق فيما أمر الله به[3].

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: من أعطى في غير حق فقد أسرف، ومن منع من حقّ فقد قتر[4].

وعن عليّ عليه السلام: ليس في المأكول والمشروب سرف وإن كثر[5].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّما الإسراف فيما أفسد المال وأضرّ بالبدن، قيل: فما

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٦، س١٨.

٢ ـ الإبتهال بالدعاء: رفع اليدين ومدّهما تلقاء الوجه، وذلك عند الدمعة ثمّ الدعاء، وفي حديث آخر الإبتهال: أن تبسط يديك وذراعيك إلى السماء تجاوز بهما رأسك. مجمع البحرين ج ٥، ص ٣٢٧، مادة «بهل». وجاء في النهاية لابن الأثير: ج ١، ص ١٦٧، الإبتهال: أن تمدّ يديك جميعاً وأصله التضرّع في السؤال.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٧، س٣.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٧٩، س١٣.

٥ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٧٩، س١٥.

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَـٰلِحاً فَأُوْلَـٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ وَكَانَ ٱللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٧٠﴾

الإقتار؟ قال: أكل الخبز والملح وأنت تقدر على غيره، قيل: فما القصد؟ قال: الخبز واللّحم واللّبن والخلّ والسّمن مرّة هذا ومرّة هذا[١].

وعنه عليه السلام: إنّه تلا هذه الآية فأخذ قبضة من حصى وقبضها بيده، فقال: هذا الإقتار الّذي ذكره الله في كتابه، ثمّ قبض قبضة أُخرى فأرخى كفّه كلّها، ثمّ قال: هذا الإسراف، ثمّ أخذ قبضة أُخرى فأرخى بعضها وأمسك بعضها، وقال: هذا القوام[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللهُ﴾: أي حرّمها بمعنى حرّم قتلها.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾: جزاء اثم.

﴿يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾: وقرئ يضاعف بالرّفع وبحذف الألف والتّشديد مرفوعاً ومجزوماً ويتبعه يخلد في الرّفع والجزم.

القمّي: آثام: واد من أودية جهنّم من صفر مذاب قدّامها حدّة في جهنّم يكون فيه من عبد غير الله، ومن قتل النّفس الّتي حرّم الله، ويكون فيه الزّناة ويضاعف لهم فيه العذاب[٣].

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَـٰلِحاً فَأُوْلَـٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللهُ سَيِّئَاتِهِمْ

---

١ ـ الكافي: ج٤، ص٥٣ ـ ٥٤، ح١٠، باب فضل القصد.

٢ ـ الكافي: ج٤، ص٥٤ ـ ٥٥، ح١، باب كراهيّة السرف والتقتير.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٦، س٢٠.

حَسَنَـٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾: في الأمالي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عن قول الله عزّوجلّ: «فَأُوْلَـٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ» فقال عليه السلام: يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتّى يوقف بموقف الحساب، فيكون الله تعالى هو الّذي يتولّى حسابه، لا يطّلع على حسابه أحداً من النّاس، فيعرّفه ذنوبه حتّى إذا أقرّ بسيّئاته، قال الله عزّوجلّ للكتبة: بدّلوها حسنات وأظهروها للنّاس فيقول النّاس حينئذ: ما كان لهذا العبد سيّئة واحدة، ثمّ يأمر الله تعالى به إلى الجنّة فهذا تأويل الآية، وهي في المذنبين من شيعتنا خاصّة[1].

وعن الرّضا: عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حبّنا أهل البيت يكفّر الذّنوب، ويضاعف الحسنات، وإنّ الله ليتحمّل من محبّينا أهل البيت ما عليهم من مظالم العباد إلّا ما كان منهم على إضرار، وظلم للمؤمنين، فيقال للسيّئات: كوني حسنات[2].

وفي العيون: عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة تجلّى الله عزّوجلّ لعبده المؤمن، فيقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً، ثمّ يغفر له لا يطّلع الله على ذلك ملكاً مقرّباً، ولا نبيّاً مرسلاً، ويستر عليه ما يكره أن يقف عليه أحد، ثمّ يقول لسّيئاته: كوني حسنات[3].

والقمّي: عنه عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة أوقف الله عزّوجلّ المؤمن بين يديه وعرض عليه عمله فينظر في صحيفته فأوّل ما يرى سيّئاته فيتغيّر لذلك لونه، وترتعد فرائضه، ثمّ تعرض عليه حسناته فتفرح لذلك نفسه فيقول الله عزّوجلّ: بدّلوا سيّئاته حسنات وأظهروها للنّاس، فيبدّل الله لهم، فيقول النّاس: أما كان لهؤلاء سيّئة واحدة وهو قوله تعالى: «يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ»[4].

والأخبار في هذا المعنى كثيرة، وفي حديث أبي إسحاق الليثي عن الباقر عليه السلام الّذي ورد في طينة المؤمن، وطينة الكافر، ما معناه أنّ الله سبحانه يأمر يوم القيامة بأن تؤخذ حسنات

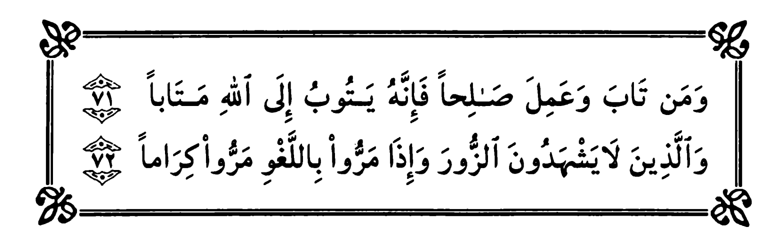
---

١ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص٧٢ ـ ٧٣، ح١٠٥/١٤، المجلس الثالث.

٢ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص١٦٤، ح٢٧٤/٢٦، المجلس السادس. وفيه: «إلّا ما كان منهم فيها على إصرار وظلم للمؤمنين فيقول للسيئات».

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٣٣، ح٥٧، باب ٣١ ـ فيما جاء عن الرّضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٧، س٨.



أعدائنا فتردّ على شيعتنا، وتؤخذ سيّئات محبيّنا فتردّ على مبغضينا، قال: وهو قول الله تعالى: «فَأُوْلَـٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ» يُبدّل الله سيّئات شيعتنا حسنات، ويبدّل الله حسنات أعدائنا سيّئات[1].

وفي روضة الواعظين: عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ما جلس قوم يذكرون الله إلّا نادى بهم منادٍ من السماء قوموا فقد بدّل الله سيّئاتكم حسنات[2].

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى ٱللهِ﴾: يرجع إليه.

﴿مَتَاباً﴾: القمّي: يقول لا يعود إلى شيء من ذلك باخلاص ونيّة صادقة[3].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: هو الغناء[4].

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام مثله[5].

والقمّي: قال: الغناء ومجالس اللّهو[6].

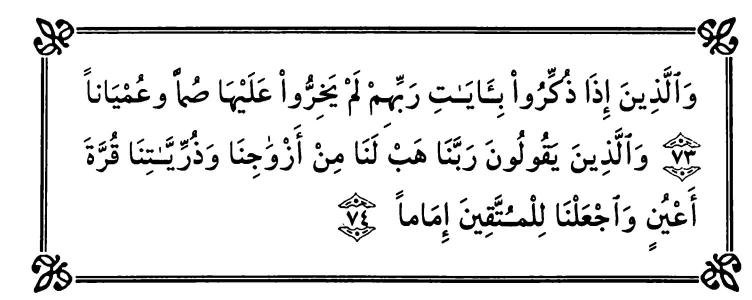
﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَاماً﴾: معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه، ومن ذلك الإغضاء عن الفحشاء والصّفح عن الذّنوب، والكناية عمّا يستهجن التّصريح به.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام هم الّذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنّوا عنه[7].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه قال لبعض أصحابه: أين نزلتم؟ قالوا: على فلان

---

١ ـ علل الشرائع: ص٦٠٦ ـ ٦١٠، ذيل ح٨١، باب ٣٨٥ ـ نوادر العلل.
٢ ـ روضة الواعظين: ص٣٩١، س٣، مجلس في فضل الذكر والذاكرين والمذكرين.
٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٧، س١.
٤ ـ الكافي: ج٦، ص٤٣١، ح٦، باب الغناء.
٥ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٨١، س١٦.
٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٧، س٢.
٧ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٨١، س٢٢.



صاحب القيان، فقال: كونوا كراماً، ثمّ قال: أما سمعتم قول الله عزّوجلّ في كتابه: «وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَاماً»[١].

وفي العيون: عن محمّد بن أبي عباد، وكان مشتهراً بالسّماع، وبشرب النّبيذ، قال سألت الرّضا عليه السلام عن السّماع؟ فقال: لأهل الحجاز رأي فيه، وهو في حيّز الباطل واللّهو أما سمعت الله عزّوجلّ يقول: «وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَاماً»[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمّاً وعُمْيَاناً﴾: لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصّرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل أكبّوا عليها سامعين بآذان واعية ومبصرين بعيون راعية.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: مستبصرين ليسوا بشكّاك[٣].

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا﴾: وقرئ وذرّيتنا.

﴿قُرَّةَأَعْيُنٍ﴾: بتوفيقهم للطّاعة وحيازة الفضائل فإنّ المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله سرّ به قلبه وقرّ بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدّين وتوقّع لحوقهم به في الجنّة.

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾[٤]: في الجوامع: عن الصّادق عليه السلام إيّانا عنى[٥].

---

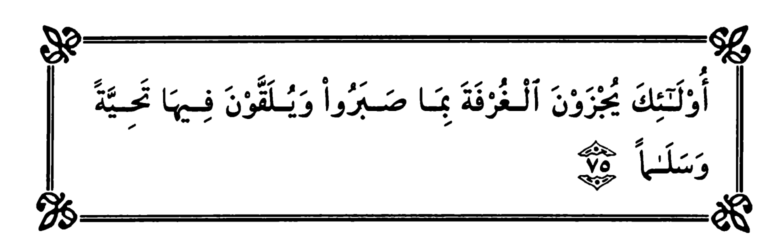
١ ـ الكافي: ج٦، ص٤٣٢، ح٩، باب الغناء.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص١٢٨، ح٥، باب من أخبار الرضا عليه السلام.

٣ ـ الكافي: ج٨، ص١٧٨، ح١٩٩.

٤ ـ وقيل: الإمام هاهنا جمع آمّ كصيام جمع صائم، ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم. منه رحمه الله. راجع أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٥٢، س٥.

٥ ـ جوامع الجامع: ج ٤، ص ١٤٨، س ٨.



وفي رواية هي فينا[١].

وفي المناقب: عن سعيد بن جبير قال: هذه الآية والله خاصّة في أمير المؤمنين عليه السلام كان أكثر دعائه يقول: «رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا» يعني فاطمة «وَذُرِّيَّـٰتِنَا» الحسن والحسين عليهما السلام «قُرَّةَ أَعْيُنٍ» قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما سألت ربّي ولداً نضير الوجه، ولا سألته ولداً حسن القامة، ولكن سألت ربّي ولداً مطيعين لله خائفين وجلين منه حتّى إذا نظرت إليه وهو مطيع لله قرّت به عيني قال: «وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً» نقتدي بمن قبلنا من المتقّين فيقتدي المتقون بنا من بعدنا[٢].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: نحن هم أهل البيت[٣].

قال: وروي أنّ «أَزْوَٰجِنَا»، خديجة و«ذُرِّيَّـٰتِنَا» فاطمة، و«قُرَّةَ أَعْيُنٍ» الحسن والحسين، «وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً» عليّ بن أبي طالب، والأئمّة عليهم السلام[٤].

قال وقرئ عنده هذه الآية فقال: قد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتّقين أئمّة؟ فقيل له: كيف هذا يابن رسول الله؟ قال: إنّما أنزل الله «واجعل لنا من المتقين إماماً»[٥].

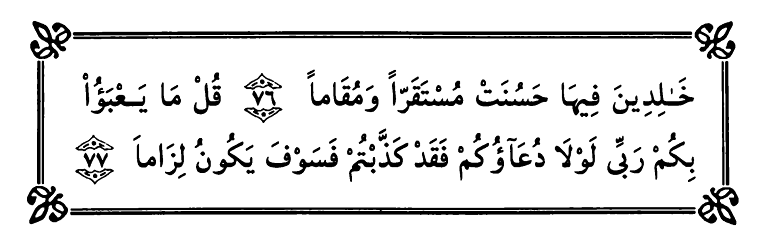
وفي الجوامع: عنه عليه السلام ما يقرب منه[٦].

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾: أعلى مواضع الجنّة.

﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾: وقرئ بفتح الياء والتخفيف.

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٤، ص ١٤٨، س ٩، وفيه: «هذه فينا».
٢ ـ المناقب لابن شهرآشوب: ج ٣، ص ٣٨٠.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٧، س ١٩.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٧، س ٢٠.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٧، س ١٣.
٦ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ١٤٨، س ١٠.



﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰماً﴾: يحيّيهم الملائكة ويسلّمون عليهم، أو يحيّي بعضهم بعضاً ويسلّم عليه.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: لا يموتون ولا يخرجون.

﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً * قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام، يقول: ما يفعل ربّي بكم[١].

﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾: في المجمع: عن العيّاشي عن الباقر عليه السلام إنّه سئل كثرة القراءة أفضل أو كثرة الدّعاء؟ قال: كثرة الدّعاء أفضل، وقرأ هذه الآية[٢].

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾: بما أخبرتكم به حيث خالفتموه.

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾: يكون جزاء التّكذيب لازماً يحيق بكم لا محالة، في ثواب الأعمال[٣]، والمجمع: عن الكاظم عليه السلام من قرأ هذه السّورة في كلّ ليلة لم يعذّبه الله أبداً ولم يحاسبه، وكان منزله في الفردوس الأعلى[٤].

* * *

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٧، س ٢٢. ٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٨٢، س ١٥.

٣ ـ ثواب الأعمال: ص ١٠٩، ثواب من قرأ سورة الفرقان.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٥٩، في فضلها.



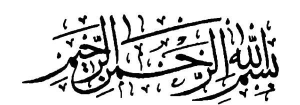
سورة الشعراء

[illegible]

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمْ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴿٤﴾

سورة الشعراء: مكيَّة كُلّها غير قوله: «وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوۥنَ الآيات إلى آخر السّورة[1] فإنّها نزلت بالمدينة عدد آيها مائتان وسبع وعشرون آية.



﴿طسٓمٓ﴾: في المجمع: عن عليّ عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أُنزلت طسٓمٓ قال: الطّاء: طور سينا، والسّين: إسكندرية، والميم: مكّة، وقال: الطّاء، شجرة طوبى، والسّين: سدرة المنتهى، والميم: محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله[2].

والقمّي: قال: طسٓمٓ: هو من حروف اسم الله الأعظم[3].

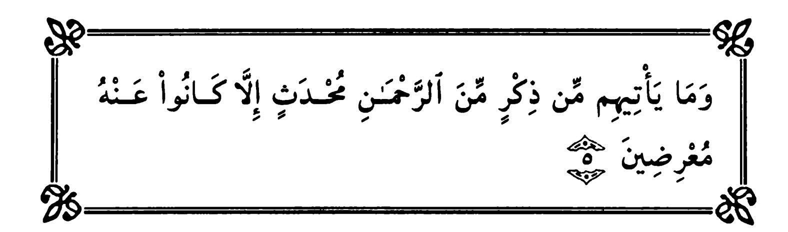
وفي المعاني: عن الصّادق عليه السلام: وأمّا طسٓمٓ فمعناه أنا الطالب السّميع المبدئ المعيد[4].

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ * لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾: قاتل نفسك.

﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ * إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَـةً﴾: دلالة

---

١ ـ الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧.
٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٨٤، س٦.
٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٨، س٤.
٤ ـ معاني الأخبار: ص٢٢، ح١، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن.



ملجئة إلى الإيمان وبليّة قاسرة عليه.

﴿فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾: منقادين، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ القائم عليه السلام لا يقوم حتّى ينادي مناد من السّماء تسمع الفتاة في خدرها، ويسمع أهل المشرق والمغرب، وفيه نزلت هذه الآية «إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ» الآية[١].

والقمّي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: تخضع رقابهم يعني بني اُمّية وهي الصّيحة من السّماء باسم صاحب الأمر عليه السلام[٢].

وفي إرشاد المفيد: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: سيفعل الله ذلك بهم، قيل: من هم؟ قال: بنو اُمّية وشيعتهم، قيل: وما الآية؟ قال: ركود الشّمس ما بين زوال الشمس إلى وقت العصر، وخروج صدر ووجه في عين الشمس يعرف بحسبه ونسبه، وذلك في زمان السّفياني، وعندها يكون بواره[٣] وبوار قومه[٤].

وفي الإكمال: عن الرّضا عليه السلام في حديث يصف فيه القائم عليه السلام، قال: وهو الّذي ينادي مناد من السّماء يسمعه جميع أهل الأرض بالدّعاء إليه، يقول: ألا أنّ حجّة الله قد ظهرت عند بيت الله فاتبّعوه، فإنّ الحقّ معه وفيه، وهو قول الله عزّوجلّ: «إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم» الآية[٥].

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾: بوحيه إلى نبيّه صلى الله عليه وآله.

---

١ ـ لم نعثر عليه في الكافي والظاهر إنّه سهو من قلمه الشريف نعم ذكره الشيخ في كتابه الغيبة: ص١١١.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٨، س٨.

٣ ـ البوار ـ بفتح الباء ـ: أي الهلاك. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٣١، مادة «بور».

٤ ـ الإرشاد للشيخ المفيد: ص٣٥٩.

٥ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٣٧١ ـ ٣٧٢، ح٥، باب ماروي عن الرضا عليه السلام في النص على القائم عليه السلام وفي غيبته وإنّه الثاني عشر.

فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾

﴿مُحْدَثٍ﴾: مجدّد إنزاله.

﴿إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾: إلّا جدّدوا إعراضاً وإصراراً على ما كانوا عليه.

﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ﴾: أي بالذّكر بعد إعراضهم، وامعنوا في تكذيبه بحيث أدّى بهم إلى الإستهزاء.

﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: من أنّه كان حقّاً أم باطلاً، وكان حقيقاً بأن يصدّق ويعظم قدره أو يكذّب فيستخف أمره.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: أولم ينظروا إلى عجائبها.

﴿كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنف.

﴿كَرِيمٍ﴾: محمود كثير المنفعة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾: على أنّ منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النّعمة والرّحمة.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب القادر على الإنتقام من الكفرة.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: حيث أمهلهم.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: بالكفر والإستعباد بني إسرائيل وذبح أولادهم.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: لعلّ الإقتصار على القوم للعلم بإنّ فرعون أولى بذلك.

قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾

﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾: تعجيب من إفراطهم في الظّلم وإجترائهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ﴾: ليقوى به قلبي وينوب منابي إذا اعتراني الحبسة في اللّسان.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾: تبعة ذنب وهو قتل القبطي سمّاه ذنباً على زعمهم.

﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾: به قبل أداء الرّسالة.

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا﴾: إجابةً له إلى الطّلبتين: يعني ارتدع يا موسى عمّا تظنّ فاذهب انت والّذي طلبته.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم﴾: يعني موسى وهارون وفرعون.

﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾: لما يجري بينكما وبينه فاظهر كما عليه.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: أفرد الرّسول لأنّه مصدر وصف به فإنّه مشترك بين المرسل والرّسالة.

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: خلّهم يذهبوا معنا إلى الشّام.

﴿قَالَ﴾: أي فرعون لموسى بعد أن أتياه وقالا له ذلك.

﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾: في منازلنا.

وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذاً وَأَنَاْ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾

﴿وَلِيداً﴾: طفلاً.

﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾: يعني قتل القبطي، وبخه به معظماً إيّاه بعدما عدّد عليه نعمه.

﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: بنعمتي، القمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: لمّا بعث الله موسى إلى فرعون أتى بابه فاستأذن عليه فلم يأذن له، فضرب بعصاه الباب فاصطكّت الأبواب مفتّحة، ثمّ دخل على فرعون فأخبره أنّه رسول ربّ العالمين، وسأله أن يرسل معه بني إسرائيل فقال له فرعون كما حكى الله: «أَلَمْ نُرَبِّكَ» إلى قوله «وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ» يعني قتلت الرّجل «وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ» يعني كفرت نعمتي[1].

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذاً وَأَنَاْ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: قيل: من الجاهلين[2].

وفي العيون: عن الرّضا عليه السلام إنّه سئل عن ذلك مع أنّ الأنبياء معصومون، فقال: «وَأَنَاْ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ» عن الطّريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك[3].

أقول: لعل المراد أنّه ورّى لفرعون فقصد الضّلال عن الطّريق، وفرعون إنّما فهم منه الجهل والضلال عن الحقّ، فإنّ الضلال عن الطّريق لا يصلح عذراً للقتل.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً﴾: حكمة.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٨، س١١.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٥٥، س١٢.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص١١٩، ح١، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾

﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أي: وتلك التربية نعمة تمنّها عليّ بها ظاهراً وهي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل، وقصدهم بذبح أبنائهم، فإنّه السّبب في وقوعي إليك وحصولي في تربيتك، ويحتمل تقدير همزة الإنكار، أي أوتلك نعمة تمنّها عليّ وهي أن عبّدت.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: لمّا سمع جواب ما طعن به فيه، ورأى أنّه لم يرعوا[١] بذلك شرع في الإعتراض على دعواه فبدأ بالإستفسار عن حقيقة المرسل.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: عرّفه باظهر خواصّه وآثاره، في الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة جوامع التّوحيد: قال: الّذي سئلت الأنبياء عنه فلم تصفه بحدّ ولا بنقص، بل وصفته بفعاله ودلّت عليه بآياته[٢].

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾: علمتم ذلك.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾: جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله.

القمّي: في الحديث السّابق قال: وإنّما سأله عن كيفيّة الله فقال موسى: «رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ» فقال فرعون متعجبّاً لأصحابه: «أَلَا تَسْتَمِعُونَ» أسأله عن الكيفيّة فيجيبني عن الحقّ[٣].

---

١ ـ رعا يرعو: أي كفّ عن الأمر، وقد ارعوى عن القبيح: إرتدع. مجمع البحرين: ج ١، ص ١٩١، مادة «رعا».

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ١٤١، ح ٧، باب جوامع التّوحيد. وفيه: «فلم تصفه بحدّ ولا ببعض».

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٩، س ٢.

قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

أقول: يعني عن الثّبوت.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: عدل إلى ما لا يشّك في إفتقاره إلى مصوّر حكيم، وخالق عليم، ويكون أقرب إلى النّاظر، وأوضح عند المتأمّل.

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾: أسأله عن شيء ويجيبني عن آخر، وسمّاه رسولاً على السخريّة.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: تشاهدون كلّ يوم إنّه يأتي بالشّمس من المشرق، ويذهب بها إلى المغرب على وجه نافع ينتظم به أُمور الخلق.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: إن كان لكم عقل علمتم أن لا جواب لكم فوق ذلك، لا ينهم[1] أوّلاً، ثمّ لمّا رأى شدّة شكيمتهم[2] خاشنهم وعارضهم بمثل مقالتهم.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾: عدل إلى التّهديد على المحاجّة بعد الإنقطاع، وهكذا ديدن المعاند المحجوج.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾: أي أتفعل ذلك ولو جئتك بشيءٍ مُبين على

---

١ ـ نَهَمَ في الشيء ينهم ـ بفتحتين ـ: بلغ همّته فيه، فهو نهم. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٨٢، مادّة «نهم».

٢ ـ فلان شديد الشكيمة: إذا كان لا ينقاد لأحد، لما فيه من الصلابة والصعوبة على العدو وغيره. مجمع البحرين: ج٦، ص٩٩، مادة «شكم».

قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾

صدق دعواي، يعني المعجزة فإنّها الجامعة بين الدّلالة على وجود الصّانع وحكمته، والدّلالة على صدق مدّعي نبوّته.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر الثعبانية، في المجمع: عن الباقر عليه السلام: فالتقمت الأيوان[1] بلحييها فدعاه أن يا موسى أقلني إلى غد، ثمّ كان من أمره ما كان[2].

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾: قال: قد حال شعاعها بينه وبين وجهه، والقمّي: في الحديث السّابق قال عليه السلام: «فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ» فلم يبق أحد من جلساء فرعون إلّا هرب، ودخل فرعون من الرّعب مالم يملك نفسه، فقال فرعون: يا موسى أنشدك بالله وبالرضاع إلّا ما كففتها عنّي فكفّها، ثمّ نزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين، فلمّا أخذ موسى العصاء رجعت إلى فرعون نفسه وهمّ بتصديقه، فقام إليه هامان فقال له: بينا[3] أنت إلـه تعبد إذ صرت تابعاً لعبد[4].

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾: فائق في علم السّحر.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: بهره سلطان

---

١ ـ الأيوان بالكسر الصفة العظيمة جمع إيوانات وأواوين. القاموس المحيط: ج ٤، ص ١٩٩، مادة «أون».

٢ ـ مجمع البيان: ج٣ ـ ٤، ص٤٥٨.

٣ ـ بينا وبينما من حروف الإبتداء. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٠٤، مادة «بين».

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١١٩، س٧. وفيه: «بينما أنت».

قَالُوٓاْ أَرْجِه وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾

المعجزة حتّى حطّه عن دعوى الربوبيّة إلى مؤامرة القوم وإيتمارهم.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِه وَأَخَاهُ﴾: أخّر أمرهما.

﴿وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾: شرطاً يحشرون السّحرة.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾: يفضلون عليه في هذا الفنّ.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾: لما وقّت به من ساعات يوم معيّن وهو وقت الضّحى يوم الزّينة كما سبق في سورة طه[1].

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾: فيه إستبطاء لهم في الإجتماع حثّاً على مبادرتهم إليه.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾: لعلّنا نتبعهم في دينهم إن غلبوا كأنّ مقصودهم الأصلي أن لا يتبعوا موسى، لا أن يتّبعوا السّحرة فساقوا الكلام مساق الكناية.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: التزم لهم الأجر والقربة عنده زيادة عليه إن غلبوا.

---

١ ـ ذيل الآية: ٥٩، راجع ص ٢٦ من هذا الجزء.

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾: أي بعدما قالوا له إمّا أن تلق وإمّا أن نكون نحن الملقين.

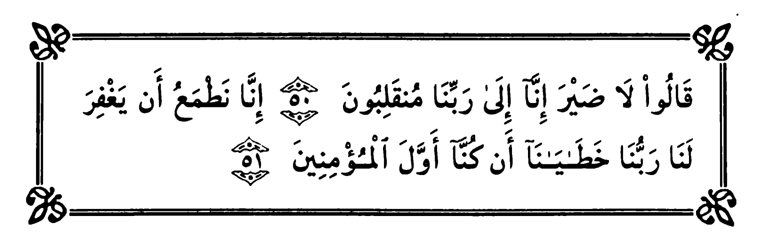
﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: أقسموا بعزّته على أنّ الغلبة لهم لفرط إعتقادهم في أنفسهم وإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السّحر، وهي من أقسام الجاهليّة، وفي الإسلام لا يصحّ الحلف إلّا بالله عزّوجلّ.

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾: تبتلع، وقرئ بالتّخفيف.

﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: ما يقلّبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيّلون حبالهم وعصيهم إنّها حيّات تسعى.

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾: لعلمهم بأنّ مثله لا يتأتّى بالسّحر وإنّما عبّر عن الخرور بالإلقاء ليشاكل ما قبله، ويدلّ على أنّهم لمّا رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أنفسهم وكأنّهم أخذوا فطرحوا على وجوههم وأنّه تعالى ألقاهم بما خوّلهم من التوّفيق.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾: إبدال للتوضيح، ودفع للتوهّم، والإشعار على أنّ الموجب لإيمانهم ما أجراه على أيديهما.



﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾: وقرئ بهمزتين.

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾: فعلّمكم شيئاً دون شيء، ولذلك غلبكم أو فواعدكم ذلك تواطأتم عليه أراد به التّلبيس على قومه كي لا يعتقدوا أنّهم آمنوا على بصيرة وظهور حقّ.

﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: وبال ما فعلتم.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾: لا ضرر علينا في ذلك.

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾: بما توعدنا إليه، فإنّ الصّبر عليه ممحاة للذّنوب موجب للثّواب والقرب من الله.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ﴾: لأن كنّا.

﴿أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من أهل المشهد، وقرئ إن بكسر الهمزة.

القمّي: في الحديث السّابق قال عليه السلام: وكان فرعون وهامان قد تعلّما السّحر، وإنّما غلبا النّاس بالسّحر، وادّعى فرعون الربوبيّة بالسحرّ فلمّا أصبح بعث في المدائن حاشرين مدائن مصر كلّها، وجمعوا ألف ساحر، واختاروا من الألف مائة ومن المائة ثمانين، فقال السّحرة لفرعون: قد علمت أنّه ليس في الدّنيا أسحر منّا فإن غلبنا موسى فما يكون لنا عندك قال: «إِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ» عندي أُشارككم في ملكي، قالوا فإن غلبنا موسى وأبطل سحرنا علمنا إنّ ما جاء به ليس من قبل[1] السّحر، ولا من قبل[2] الحيلة آمنّا به وصدّقناه، قال فرعون: إن غلبكم موسى صدّقته أنا أيضاً معكم، ولكن أجمعوا كيدكم أي حيلتكم، قال:

---

١ ـ وفي نسخة: [من قبيل].   ٢ ـ وفي نسخة: [من قبيل].

وكان موعدهم يوم عيد لهم، فلمّا إرتفع النّهار وجمع فرعون الخلق، والسّحرة، وكانت له قبّة طولها في السّماء ثمانون ذراعاً وقد كانت ألبست الحديد والفولاد المصقول، وكانت إذا وقعت الشمس عليها لم يقدر أحد أن ينظر إليها من لمع الحديد ووهج[1] الشمس، وجاء فرعون وهامان وقعدا عليها ينظران، وأقبل موسى ينظر إلى السّماء، فقالت السّحرة لفرعون: إنّا نرى رجلاً ينظر إلى السّماء ولم يبلغ سحرنا السّماء، وضمنت السّحرة من في الأرض، فقالوا لموسى: «إِمَّآ أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ»[2] «قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ * فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ» فأقبلت تضطرب مثل الحيّات فقالوا: «بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ» «فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ»[3] فنودي: «لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَـٰحِرٍ»[4] فألقى موسى العصا فذابت في الأرض مثل الرّصاص، ثمّ طلع رأسها، وفتحت فاها، ووضعت شدقها[5] العليا على رأس قبّة فرعون، ثمّ دارت وأرخت شفتها السّفلى، والتقمت عصا السّحرة وحبالهم، وغلبت كلّهم، وانهزم النّاس حين رأوها وعظمها وهولها ممّا لم تر العين، ولا وصف الواصفون مثله، فقتل في الهزيمة من وطئ النّاس بعضهم بعضاً عشرة آلاف رجل وإمرأة وصبي، ودارت على قبّة فرعون قال: فأحدث فرعون وهامان في ثيابهما، وشاب رأسهما من الفزع، ومرّ موسى عليه السلام في الهزيمة مع النّاس فناداه الله عزّوجلّ «خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ»[6] فرجع موسى ولفّ على يده عباءاً وكانت عليه، ثمّ أدخل يده في فمها فإذا هي عصاً كما كانت وكان كما قال الله عزّوجلّ: «فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ» لمّا رأوا ذلك «قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ» فغضب فرعون عند ذلك غضباً شديداً وقال: «ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ» يعني موسى عليه السلام «ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ» الآية فقالوا له كما حكى الله عزّوجلّ: «لَا ضَيْرَ» الآيتين فحبس فرعون من آمن بموسى عليه السلام في السجن حتّى أنزل الله عزّوجلّ عليهم الطوفان،

---

١ ـ الوهج ـ بالتسكين ـ: مصدر وهجت النار تهج وهجاً ووهجاناً إذا اتّقدت. مجمع البحرين: ج ٢، ص٣٣٥، مادة «وهج».

٢ ـ الأعراف: ١١٥.

٣ و ٤ ـ طه: ٦٧ و ٦٨ ـ ٦٩.

٥ ـ الشدق: جانب الفم بالفتح والكسر، قاله الأزهري. المصباح المنير: ص ٣٠٧، مادة «شدق».

٦ ـ طه: ٢١.

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾

والجراد، والقمّل، والضّفادع، والدّم، فاطلق عنهم[١].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾: قيل: وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحقّ، ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا إلّا عتوّا وفساداً[٢].

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يتبعكم فرعون وجنوده.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾: حين أخبر بسراه.

﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾: العساكر ليتّبعوهم.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾: على إرادة القول.

القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول عصبة قليلة[٣].

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾: لفاعلون ما يغيظنا.

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾: وإنّا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الأُمور، وقرئ بحذف الألف.

القمّي: في الحديث السّابق: فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل ليقطع بهم البحر، وجمع فرعون أصحابه وبعث في المدائن حاشرين، وحشر النّاس وقدم مقدّمته في ستّمائة ألف، وركب هو في ألف ألف وخرج كما حكى الله[٤].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١١٩ ـ ١٢١.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٥٨، س ٩.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٢، س ١٩.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢١، س ١١.

فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾

﴿فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: يعني المنازل الحسنة والمجالس البهيّة.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الإخراج.

﴿وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾: داخلين في وقت شروق الشمس.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾: تقاربا بحيث رأى كلّ منهما الآخر.

﴿قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾: لملحقون.

﴿قَالَ كَلَّآ﴾: لن يدركوكم فإنّ الله وعدكم الخلاص منهم.

﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾: بالحفظ والنّصرة.

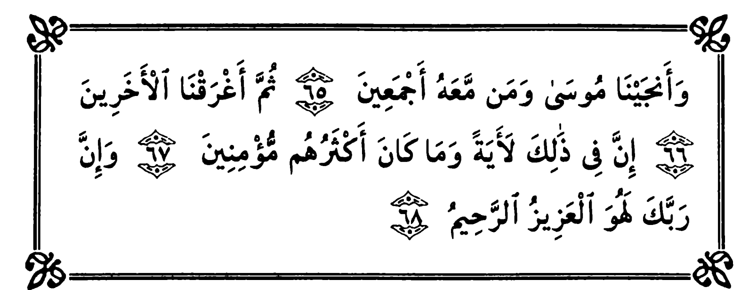
﴿سَيَهْدِينِ﴾: طريق النّجاة منهم.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾: أي فضربه فانفلق.

﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾: كالجبل المنيف الثابت في مقرّه فدخلوا في شعابها.

﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: وقرّبنا.

﴿ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ﴾: فرعون وقومه حتّى دخلوا على أثرهم مداخلهم.



﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾: بحفظ البحر على تلك الهيئة حتّى عبروا.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ﴾: باطباقه عليهم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً﴾: وأيّة آية.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: وما تنبّه عليها أكثرهم إذ لم يؤمن بها أحد ممّن بقي في مصر من القبط وبنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتّخذوا العجل وقالوا: «لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً»[١].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: المنتقم من أعدائه.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: بأوليائه، القمّي: في الحديث السّابق فلمّا قرب موسى عليه السلام من البحر وقرب فرعون من موسى قال أصحاب موسى: «إِنَّا لَمُدْرَكُونَ» قال موسى «كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ» أي سينجين فدنا موسى من البحر فقال له: أنفرق فقال البحر استكبرت[٢] يا موسى أن أنفرق لك ولم أعص الله عزّوجلّ طرفة عين، وقد كان فيكم العاصي فقال له موسى: فاحذر أن تعصي وقد علمت أنّ آدم عليه السلام أُخرج من الجنّة بمعصيته، وإنّما لعن إبليس بمعصيته، فقال البحر: ربّي عظيم مطاع أمره، ولا ينبغي لشيء أن يعصيه، فقام يوشع بن نون، فقال لموسى عليه السلام: يا نبيّ الله ما أمرك ربّك؟ قال: بعبور البحر، فاقحم[٣] يوشع فرسه في الماء،

---

١ ـ البقرة: ٥٥.

٢ ـ الإستفهام في استكبرت للإنكار يعني إنّي لا أستكبر عن أن أنفرق لك، وكيف استكبر عن ذلك وأنا مأمور به من الله عزّوجلّ وإنّي لم أعص الله أبداً. منه قدس سره.

٣ ـ قحم في الأمر ـ كنصر ـ قحوماً: رمى بنفسه فيه فجأة بلا رويّة. القاموس المحيط: ج ٤، ص ١٦١، مادة «قحم».

فأوحى الله عزّوجلّ إلى موسى عليه السلام «أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ» فضربه «فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ» أي كالجبل العظيم، فضرب له في البحر إثني عشر طريقاً فأخذ كلّ سبط منهم في طريق، فكان الماء قد ارتفع وبقيت الأرض يابسة طلعت فيها الشمس فيبست كما حكى الله عزّوجلّ: «فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي ٱلْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَىٰ»[1] ودخل موسى عليه السلام وأصحابه البحر، وكان أصحابه إثني عشر سبطاً فضرب الله عزّوجلّ لهم في البحر إثني عشر طريقاً فأخذ كلّ سبط في طريق وكان الماء قد ارتفع على رؤوسهم مثل الجبال فجزعت الفرقة الّتي كانت مع موسى عليه السلام في طريقه فقالوا: يا موسى أين إخواننا؟ فقال لهم: معكم في البحر، فلم يصدّقوه فأمر الله عزّوجلّ البحر فصار طاقات حتّى كان ينظر بعضهم إلى بعض، ويتحدّثون، وأقبل فرعون وجنوده فلمّا إنتهى إلى البحر قال لأصحابه: ألا تعلمون أنّي ربّكم الأعلى قد فُرج لي البحر فلم يجسر أحد أن يدخل البحر، وامتنعت الخيل منه لهول الماء فتقدم فرعون حتّى جاء إلى ساحل البحر فقال له منجّمه: لا تدخل البحر، وعارضه فلم يقبل منه، وأقبل على فرس حصان[2] فامتنع الحصان أن يدخل الماء، فعطف عليه جبرئيل عليه السلام وهو على ماذيانة فتقدّمه فدخل، فنزل الفرس إلى الرّمكة فطلبها ودخل البحر واقتحم أصحابه خلفه فلمّا دخلوا كلّهم حتّى كان آخر من دخل من أصحابه وآخر من خرج أصحاب موسى أمر الله عزّوجلّ الرّياح فضربت البحر بعضه ببعض فأقبل الماء يقع عليهم مثل الجبال فقال فرعون عند ذلك: «ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّـذِى ءَامَـنَتْ بِـهِ بَـنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيـلَ وَأَنَـا مِـنَ ٱلْمُسْلِمِينَ»[3] فأخذ جبرئيل كفّاً من حماة فدسّها في فيه، ثم قال: «ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ»[4][5]. وقد مرّ بعض هذه القصّة في سورة يونس[6] وآخر في سورة طه[7].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام: قال إنّ قوماً ممّن آمن بموسى عليه السلام قالوا لو أتينا عسكر

---

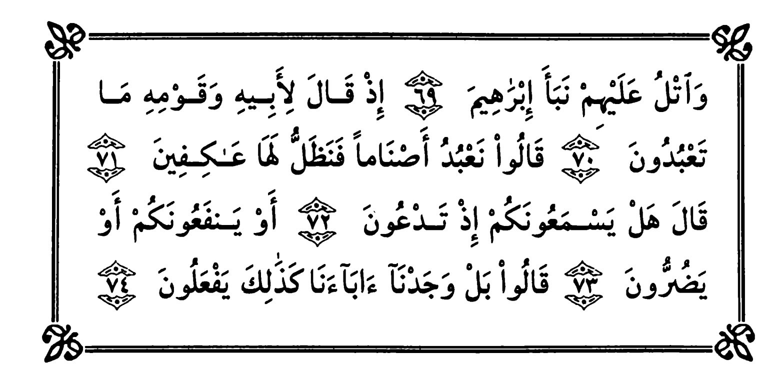
١ ـ طه: ٧٧.

٢ ـ الحصان: بالكسر ـ: الذكر من الخيل، والرمكة الأُنثى من البراذين. منه رحمه الله.

٣ و٤ ـ يونس: ٩٠ و٩١.   ٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ١٢١ ـ ١٢٢.

٦ ـ ذيل الآية: ٩٠ ـ ٩١، أنظر كتابنا تفسير الصافي: ج ٣، ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠.

٧ ـ ذيل الآية: ٧٧، راجع ص ٣١ من هذا الجزء.



وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾

فرعون وكنّا فيه ونلنا من دنياه فإذا كان الّذي ترجوه من ظهور موسى عليه السلام صرنا إليه ففعلوا فلمّا توجّه موسى عليه السلام ومن معه هاربين من فرعون ركبوا دوابهم وأسرعوا في السير ليلحقوا بموسى عليه السلام وعسكره فيكونوا معهم فبعث الله عزّوجلّ ملكاً فضرب وجوه دوابّهم فردّهم إلى عسكر فرعون فكانوا فيمن غرق مع فرعون[١].

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾: على مشركي العرب.

﴿نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ * إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾: سألهم ليريهم إنّ ما يعبدونه لا يستحقّ العبادة.

﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾: أطالوا جوابهم تبجّحاً[٢] وافتخاراً.

﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ﴾: يسمعون دعاءكم.

﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ﴾: على عبادتكم لها.

﴿أَوۡ يَضُرُّونَ﴾: من أعرض عنها.

﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾: أضربوا عن جوابه والتجئوا إلى التقليد.

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص١٠٩، ح١٣، باب عمل السلطان وجوائرهم.

٢ ـ البجح: الفرح، يقال: بجح بالشيء بالكسر وبالفتح ـ لغة ضعيفة وبجّحته فتبجّح: أي فرّحته ففرح. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٤١، مادة «بجح».

قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ﴾: يريد عدوّ لكم ولكنّه صوّر الأمر في نفسه تعريضاً لهم فإنّه أنفع في النّصح من التصريح، والبدأة بنفسه في النّصيحة أدعى للقبول.

﴿لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: إستثناء منقطع أو متصل على أنّ الضّمير لكلّ معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾: لأنّه يهدي كلّ مخلوق لما خلق له من أُمور المعاش والمعاد كما قال: «ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ»[١] ثمّ هدى هداية مدرجة من مبدأ الإيجاد إلى منتهى أجله.

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾: إنّما لم ينسب المرض إليه لأنّ مقصوده تعديد النّعم، ولأنّه في غالب الأمر إنّما يحدث بتفريط الإنسان في مطاعمه ومشاربه، وفي أوامر الله ونواهيه كما قال الله سبحانه «مَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ»[٢].

﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾: عدّ الموت من جملة النّعم وأضافه إلى الله لأنّه لأهل الكمال، وصلة إلى نيل المحابّ الّتي يستحقر دونها الحياة الدّنيويّة، وخلاص من أنواع المحن والبليّة.

﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾: في الآخرة.

---

١ ـ السجدة: ٧. ٢ ـ الشورى: ٣٠.

وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾

﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: ذكر ذلك هضماً لنفسه، وتعليماً للأُمّة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لأن يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفاراً لما عسى أن يندر منه من خلاف الأُولى وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث إنّي سقيم، بل فعله كبيرهم وقوله: هي أُختي لا وجه له لأنّها معاريض وليست بخطايا.

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾: كمالاً في العلم والعمل، إستعدّ به لخلافة الحقّ ورياسة الخلق.

﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: ووفّقني للكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في الصّلاح.

﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾: جاهاً وحسن صيت في الدّنيا يبقى أثره إلى يوم الدّين ولذلك ما من أُمّة إلّا وهم محبّون له مثنون عليه.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: لسان الصّدق للمرأ يجعله الله في النّاس خير له من المال يأكله ويورثه[1].

أو المراد: واجعل صادقاً من ذرّيتي يجدّد أصل ديني ويدعو النّاس إلى ما كنت أدعوهم إليه، وهو محمّد، وعليّ، والأئمّة عليهم السلام من ذرّيتهما.

القمّي: قال: هو أمير المؤمنين صلوات الله عليه[2].

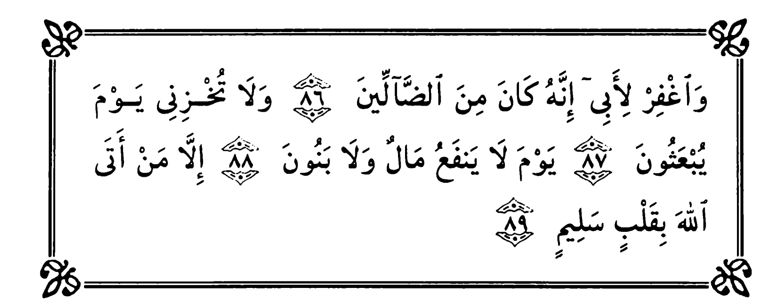
﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾: في الآخرة، وقد سبق معنى الوراثة فيها في سورة المؤمنون[3].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٥٤، ح ١٩، باب صلة الرحم.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٣، س ٣.

٣ ـ ذيل الآية: ١١.



﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ﴾: بالهداية والتوفيق للإيمان.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: طريق الحقّ وإنّما دعا له بالمغفرة لمّا وعده بأنّه سيؤمن كما قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ»[(١)].

﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾: بمعاتبتي على ما فرّطت، من الخزي، بمعنى الهوان أو من الخزاية بمعنى الحياء.

﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾: الضّمير للعباد لأنّهم معلومون.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: أي لا ينفعان أحداً إلّا مخلصاً سليم القلب.

في المجمع: عن الصّادق عليه السلام قال: هو القلب الّذي سلم من حبّ الدّنيا[(٢)].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: القلب السّليم الّذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه، قال: وكلّ قلب فيه شرك أو شكّ فهو ساقط وإنّما أرادوا بالزّهد في الدّنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة[(٣)].

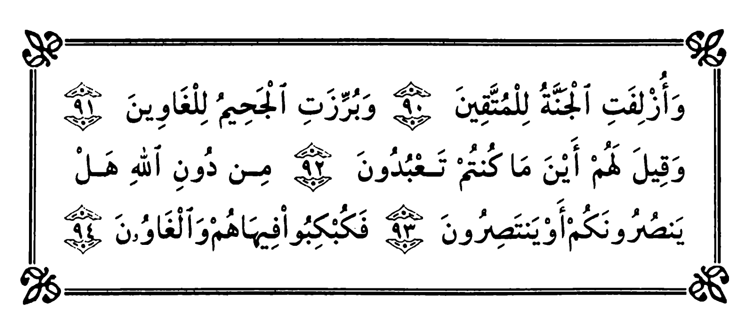
وفي مصباح الشّريعة: قال الصّادق عليه السلام: صاحب النيّة الصّادقة: صاحب القلب السّليم، لأنّ سلامة القلب من هواجس[(٤)] المذكورات تخلص النيّة لله في الأمور كلّها، ثمّ تلا

---

١ ـ التوبة: ١١٤. ٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ١٩٤، س ٢٠.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٦، ح ٥، باب الإخلاص.

٤ ـ هجس الأمر من باب ـ قتل وقطع ـ: خطر في باله. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٢٤، مادة «هجس».



هذه الآية[١].

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: بحيث يرونها من الموقف فيتبجّحون[٢] بأنّهم المحشورون إليها.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾: فيرونها مكشوفة ويتحسّرون على أنّهم المسوقون إليها، وفي إختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أين آلهتكم الّذين تزعمون أنّهم شفعاؤكم.

﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾: بدفع العذاب عنكم.

﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾: بدفعه عن أنفسهم لأنّهم وآلهتهم يدخلون النّار.

﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾: أي الآلهة وعبدتهم، والكبكبة: تكرير الكبّ لتكرير معناه، كأنّ من اُلقي في النّار ينكب مرّة بعد اُخرى حتّى يستقرّ في قعرها.

في الكافي[٣]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام: هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم، ثمّ خالفوه إلى غيره[٤].

القمّي: وفي خبر آخر: هم بنو اُميّة، والغاون بني العبّاس[٥].

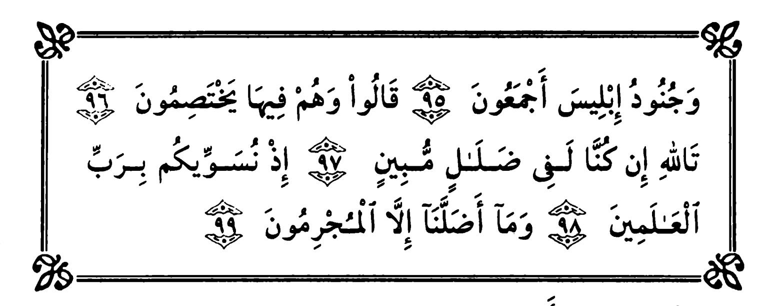
---

١ ـ مصباح الشريعة: ص٥٣، الباب ٢٣ ـ في النية. وفيه: «لأنّ سلامة القلب من هواجس المحذورات بتخليص النيّة لله تعالى في الأمور كلّها».

٢ ـ البجح: الفرح، وبجّحته فتبجّح: أي فرّحته ففرح. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٤١، مادة «بجح».

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٠٠، ح ٤، باب من وصف عدلاً وعمل بغيره.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٣، س ٦.   ٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٣، س ٧.



﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام جنود ابليس ذرّيته من الشّياطين[١].

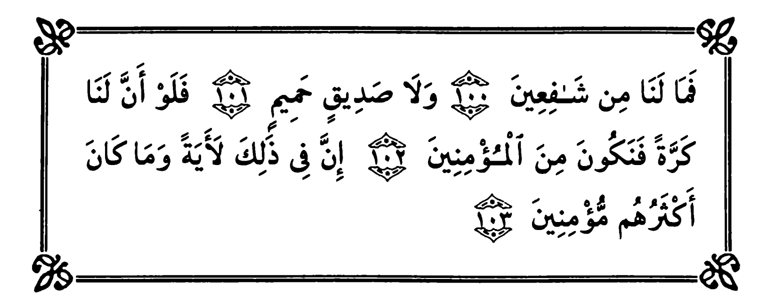
﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِن كُنَّا﴾: أنّه كنّا.

﴿لَفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: القمّي: يقولون: لمن تبعوهم أطعناكم كما أطعنا الله فصرتم أرباباً[٢].

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام يعني المشركين الّذين إقتدوا بهم هؤلاء فاتّبعوهم على شركهم، وهم قوم محمّد صلى الله عليه وآله ليس فيهم من اليهود والنّصارى أحد، وتصديق ذلك قول الله عزّوجلّ: «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ»[٣]، «كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لَئيْكَةِ»[٤]، «كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ»[٥]، ليس هم اليهود الّذين قالوا: «عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ»[٦]، ولا النصارى الذين قالوا: «ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ»[٧] سيدخل الله اليهود والنّصارى النّار، ويدخل كلّ قوم بأعمالهم، وقولهم: «وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ» إذ دعونا إلى سبيلهم ذلك قول الله عزّوجلّ فيهم حين جمعهم إلى النّار: «قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَـٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ ٱلنَّارِ»[٨] وقوله: «كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا»[٩]، برئ بعضهم من بعض ولعن بعضهم بعضاً يريد بعضهم أن يحجّ بعضاً رجاء الفلج فيفشلوا من عظم ما نزل بهم وليس بأوان بلوى ولا إختبار، ولا قبول معذرة ولا حين نجاة[١٠].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣١، س ١، ح ١، باب ١. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٣، س ٩.
٣ ـ ص: ١٢. ٤ و٥ ـ الشعراء: ١٧٦ و ١٦٠.
٦ و٧ ـ التوبة: ٣٠. ٨ و ٩ ـ الأعراف: ٣٨.
١٠ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣١، قطعة من ح ١، باب ١.



﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾: في المحاسن: عن الصّادق عليه السلام: الشافعون: الأئمّة عليهم السلام، والصّديق من المؤمنين[١].

والقمّي: عنهما عليهما السلام والله لنشفعنّ في المذنبين من شيعتنا حتّى يقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك: «فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»[٢].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّ الشفاعة لمقبولة، وما تقبل في ناصب، وأنّ المؤمن ليشفع لجاره وماله حسنة فيقول: يا ربّ جاري كان يكفّ عنّي الأذى فيشفّع فيه، فيقول الله تبارك وتعالى أنا ربّك وأنا أحقّ من كافى عنك فيدخله الله الجنّة، وماله من حسنة، وإنّ أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً فعند ذلك يقول أهل النّار «فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»[٣].

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّ الرّجل يقول في الجنّة: ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنّة، فيقول من بقي في النّار: «فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»[٤].

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: القمّي: قال: من المهتدين؟ قال: لأنّ الإيمان قد لزمهم بالإقرار[٥].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾: لحجّة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر.

---

١ ـ المحاسن: ج١، ص٢٩٣، ح٥٨٤/١٨٩، باب ٤٥ ـ الشفاعة كتاب الصفوة.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٣، س١١.

٣ ـ الكافي: ج٨، ص١٠١، ح٧٢، حديث أبي بصير مع المرأة.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٩٥، س١.   ٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٣، س١٣.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: به.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: القادر على تعجيل الإنتقام.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: بالإمهال لكي يؤمنوا هم أو واحد من ذرّيتهم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: قد مرّ الكلام في تكذيبهم، وفي الإكمال: عن الباقر عليه السلام إنّه قدّم على قوم مكذّبين للأنبياء الّذين كانوا بينه وبين آدم عليه السلام، وذلك قوله تعالى: «كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ» يعني من كان بينه وبين آدم عليه السلام[1].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾: لأنّه كان منهم.

﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾: الله، فتتركوا عبادة غيره.

﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: مشهور بالأمانة فيكم.

﴿فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: فيما آمركم به من التّوحيد والطّاعة لله.

﴿وَمَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على ما أنا عليه من الدّعاء والنّصح.

﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: كرّره للتأكيد والتنبيه على دلالة كلّ واحد من أمانته وحسم طمعه لوجوب طاعته فيما يدعوهم إليه

---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٢١٥، ح٢، باب ٢٢ ـ إتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام وأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله عزّوجلّ على خلقه إلى يوم القيامة.

قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

فكيف إذا إجتمعا.

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾: القمّي: قال: الفقراء[1].

أقول: أشاروا بذلك إلى أنّ إتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وإنّما هو لتوقع مال ورفعة.

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: إنّهم عملوه إخلاصاً أو طمعاً في طعمة وما عليّ إلّا إعتبار الظاهر.

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى﴾: فإنّه المطلع على البواطن.

﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾: لعلمتم ذلك ولكنّكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون.

﴿وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: جواب لما أوهم، قولهم من إستدعاء طردهم وتوقيف إيمانهم عليه حيث جعلوا إتّباعهم المانع عنه.

﴿إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: لا يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ﴾: عمّا تقول.

﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾: من المشتومين أو المضروبين بالحجارة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ * فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً﴾: فاحكم بيني وبينهم.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٣، س١٤.

فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوّ، القمّي: عن الباقر عليه السلام المشحون: المجهّز الّذي قد فرغ منه ولم يبق إلّا دفعه[1].

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾: أي بعد إنجائه.

﴿ٱلْبَاقِينَ﴾: من قومه.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً﴾: شاعت وتواترت.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ عَادٌ﴾: قبيلة عاد، وهو اسم أبيهم.

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: بكلّ مكان مرتفع.

﴿ءَايَةً﴾: قيل: أي علماً للمارّة أو بناء لا تحتاجون إليه[2].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٥، س١٤.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٦٣، س١١.

وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

﴿تَعْبَثُونَ﴾: ببنائه لإستغنائكم عنه بالنّجوم للإهتداء أو بمنازلكم للسّكنى، في المجمع: عن النّبيّ ﷺ إنّ كلّ بناء يبنى وبال على صاحبه يوم القيامة إلّا ما لابدّ منه[1].

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾: قيل: مآخذ الماء، أو قصوراً مشيّدة وحصوناً[2].

﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾: فتحكمون بنيانها.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾: بسوط أو سيف.

﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾: متسلّطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة. القمّي: قال: يقتلون بالغضب من غير استحقاق[3].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: بترك هذه الأشياء.

﴿وَأَطِيعُونِ﴾: فيما أدعوكم إليه.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾: كرره مرتّباً على إمداد الله إيّاهم بما يعرفونه من أنواع النّعم تعليلاً وتنبيهاً على الوعد عليه بدوام الإمداد والوعيد على تركه بالإنقطاع.

﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾: فإنّا لا نرعوي

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٩٨، س٩.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٦٣، س١٣.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٣، س١٥.

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾

عمّا نحن عليه.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي ما هذا الّذي جئت به إلّا عادة الأوّلين كانوا يلفّقون مثله أو ما هذا الّذي نحن عليه من الدّين إلّا خلق الأوّلين وعادتهم، ونحن بهم مقتدون، وقرئ بفتح الخاء، أي ما هذا الّذي جئتنا به إلّا كذب الأوّلين، أو ما خلقنا هذا إلّا خلقهم نحيى ونموت مثلهم، ولا بعث ولا حساب، كذا قيل(١).

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: على ما نحن عليه.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾: بريح صرصر.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ * فِى جَنَّٰتٍ

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٦٤، س ١.

وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً فَـٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾

وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾: لطيف ليّن أو متدلّي منكسر من كثرة الحمل.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً فَـٰرِهِينَ﴾: حاذقين،وقرئ بحذف الألف أي بطرين[1].

﴿فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ * ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: فيه دلالة على خلوص فسادهم.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾: قيل: أي من الذين سحروا كثيراً حتّى غلب على عقلهم، أو من ذوي السّحر، وهي الرئة أي من الأناسي[2].

القمّي: يقول: أجوف مثل خلق النّاس، ولو كنت رسولاً ما كنت مثلنا[3].

﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: تأكيد على المعنى الثاني.

﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: في دعواك.

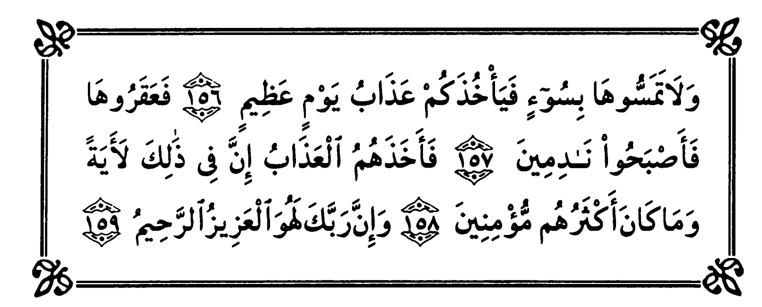
﴿قَالَ هَـٰذِهِ نَاقَةٌ﴾: أي بعدما أخرجها الله من الصّخرة بدعائه كما إقترحوها على ما سبق حديثه.

---

١ ـ البطر ـ محركة ـ: النشاط والأشر، وقلة إحتمال النعمة والدهش والحيرة. أو الطغيان بالنعمة. وبطر الحق أن يتكبر عنه فلا يقبله. القاموس المحيط: ج ١، ص ٣٧٤. مادة «بطر».

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٦٤، س ١٦.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٥، س ١٦.



﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾: نصيب من الماء.

﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾: فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها.

في المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أوّل عين نبعت في الأرض هي الّتي فجّرها الله لصالح فقال: «لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ»[1].

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: كضرب وعقر.

﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: عظم اليوم لعظم ما يحلّ به وهو أبلغ من تعظيم العذاب.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾: أسند العقر إلى كلّهم لأنّ عاقرها إنّما عقر برضاهم ولذلك أُخذوا جميعاً.

﴿فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ﴾: على عقرها عند معاينة العذاب.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: العذاب الموعود، في نهج البلاغة: إنّما يجمع النّاس الرّضا والسخط، وإنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لمّا عمّوه بالرّضا، فقال سبحانه: «فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ» فما كان إلّا أن خارت[2] أرضهم بالخسفة خوار السّكة المحماة[3] في الأرض الخوارة[4][5].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّـؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُـوَ ٱلْـعَزِيزُ

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص ٢٠٠، س٥.
٢ ـ خارت: صوّتت كخوار الثور.
٣ ـ السكّة المحماة: حديدة المحراث إذا أُحميت في النار فهي أسرع غوراً في الأرض.
٤ ـ الأرض الخوّارة: السهلة الليّنة. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٩٣، مادة «خور».
٥ ـ نهج البلاغة: ص٣١٩، الخطبة: ٢٠١.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾

ٱلرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم﴾: لأجل إستمتاعكم.

﴿مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾: متجاوزون عن حدّ الشهوة، أو مفرطون في المعاصي.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾: من المنفيّين من بين أظهرنا.

﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾: من المبغضين غاية البغض.

﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾: أي من شؤمه وعذابه.

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾: أهل بيته والمتبعين له على دينه بإخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم.

إِلَّا عَجُوزاً فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لَئَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾

﴿إِلَّا عَجُوزاً﴾: هي إمرأة لوط.

﴿فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾: مقدّرة في الباقين في العذاب.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْأَخَرِينَ﴾: أهلكناهم.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً﴾: حجارة.

﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنْذَرِينَ﴾: قد سبق قصّتهم في سورة الأعراف[١].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ * كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لَئَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: الأيكة: غيضة تنبت ناعم الشّجر.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾: في الجوامع: في الحديث إنّ شعيباً أخا مدين أُرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة[٢].

﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾: أتمّوه.

---

١ ـ ذيل الآية: ٨٤، أنظر ج ٣، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ من كتابنا تفسير الصافي.

٢ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص١٦٩، س١٠.

وَزِنُواْ بِالْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾

﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾: حقوق النّاس بالتّطفيف.

﴿وَزِنُواْ بِالْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: بالميزان السّوي.

﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: ولا تنقصوا شيئاً من حقوقهم.

﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: بالقتل والغارة وقطع الطّريق.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: وذوي الجبلّة الأوّلين يعني من تقدّمهم من الخلائق، القمّي: قال: الخلق الأوّلين[١].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ * وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: قيل: أتوا بالواو للدّلالة على أنّه جامع بين وصفين منافيين للرّسالة مبالغة في تكذيبه[٢].

﴿وَإِن﴾: وإنّه.

﴿نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: في دعواك.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: قطعة منها، وقرئ بفتح السّين.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: في دعواك.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٣، س١٩.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٦٦، س٨.

قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾

﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: وبعذابه منزل عليكم ما أوجبه في وقته المقدّر له.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾: القمّي: يوم حرّ وسمائم[١].

قال[٢]: فبلغنا والله أعلم أنّه أصابهم حرّ وهم في بيوتهم، فخرجوا يلتمسون الرّوح من قبل السّحابة الّتي بعث الله عزّوجلّ فيها العذاب، فلمّا غشيتهم أخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين[٣].

وقيل: سلّط الله عليهم الحرّ سبعة أيّام حتّى غلت أنهارهم فأظلّتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا[٤].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ * وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾: أي جبرئيل فإنّه أمين الله على وحيه، وقرئ بتشديد الزّاي ونصب الرّوح والأمين.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾: في الكافي[٥]، والبصائر: عن الباقر عليه السلام:

---

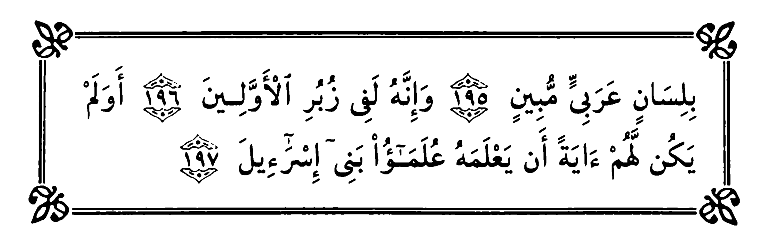
١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٤، س ١.

٢ ـ أي أبو جعفر محمّد بن علي الباقر عليهما السلام.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٥.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٦٦.

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٢، ح ١، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.



هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام[1].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام الولاية الّتي نزلت لأمير المؤمنين صلوات الله عليه يوم الغدير[2].

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾: واضح المعنى، في الكافي: عن أحدهما عليهما السلام إنّه سئل عنه؟ فقال: يبيّن الألسن ولاتبيّنه الألسن[3][4].

وفي العلل: عن الصّادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: ما أنزل الله تبارك وتعالى كتاباً ولا وحياً إلّا بالعربيّة فكان يقع في مسامع الأنبياء عليهم السلام بألسنة قومهم، وكان يقع في مسامع نبيّنا صلى الله عليه وآله بالعربيّة فإذا كلّم به قومه كلّمهم بالعربيّة فيقع في مسامعهم بلسانهم، وكان أحد لا يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله بأيّ لسان خاطبه إلّا وقع في مسامعه بالعربيّة، كلّ ذلك يترجم جبرئيل عنه تشريفاً من الله له صلى الله عليه وآله[5].

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾: وإنّ معناه أو ذكره لفي كتب الأنبياء الأوّلين.

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾: على صحّة القرآن، ونبوّة محمّد صلى الله عليه وآله، وقرئ «تكن» بالتّاء، و«آية» بالرّفع.

﴿أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أن يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم.

---

١ ـ بصائر الدرجات: ص٩٣، ح٦، باب ٨ ـ ما خص الله به الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله من ولاية الأنبياء لهم في الميثاق وغيره وما أعلموا من ذلك، الجزء الثاني.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٤، س٣.

٣ ـ قال العلّامة المجلسي رحمه الله في كتابه مرآة العقول: ج ١٢، ص ٥٢٢: إنّ القرآن أفصح الكلام، وقد أذعن به جميع الأنام. فلا حاجة للإستشهاد بأشعار العرب وكلامهم.

٤ ـ الكافي: ج٢، ص٦٣٢، ح٢٠، باب النوادر.

٥ ـ علل الشرائع: ص١٢٦، ح٨، باب ١٠٥ ـ العلة التي من أجلها سمي النبيّ صلى الله عليه وآله الأمي.

وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾: لفرط عنادهم واستنكافهم من إتّباع العجم، القمّي: عن الصّادق عليه السلام لو نـزّلنا القـرآن عـلى العجم ما آمنت به العرب، وقد نزل على العرب فآمنت به العجم فهذه في فضيلة العجم[١].

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ﴾: أدخلنا معانيه.

﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: ثمّ لم يؤمنوا به عناداً.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: الملجئ إلى الايمان.

﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بإتيانه.

﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾: تحسّراً وتأسّفاً.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: فيقولون: «فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ»[٢]، «فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ»[٣] وحالهم عند نزول العذاب طلب النّظرة.

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾: لم يغن عنهم تمتّعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٤، س٥.
٢ ـ الأنفال: ٣٢.
٣ ـ الأعراف: ٧٠.

وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام، قال: أُري رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه بني أُمّية يصعدون منبره من بعده، يضلّون النّاس عن الصّراط القهقري، فأصبح كئيباً حزيناً فهبط جبرئيل عليه السلام، فقال: يارسول الله مالي أراك كئيباً حزيناً؟ قال: يا جبرئيل إنّي رأيت بني أُمّية في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي يضلّون النّاس عن الصّراط القهقري، فقال: والّذي بعثك بالحق نبيّاً إنّ هذا شيء ما اطّلعت عليه، فعرج إلى السّماء فلم يلبث أن نزل عليه بأي من القرآن يؤنسه بها قال: «أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ» الآيات وأنزل عليه: «إِنَّا أَنزَلْنَـٰهُ» قال: جعل الله عزّوجلّ «لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ»[1] لنبيّه خيراً من ألف شهر ملك بني أُمّية[2].

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾: أنذروا أهلها إلزاماً للحجّة.

﴿ذِكْرَىٰ﴾: تذكرة.

﴿وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾: فنهلك قبل الإنذار.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾: كما زعم المشركون أنّه من قبيل ما يلقي به الشيّاطين على الكهنة.

﴿وَمَا يَنبَغِى لَهُمْ﴾: وما يصحّ لهم أن ينزلوا به.

﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: وما يقدرون.

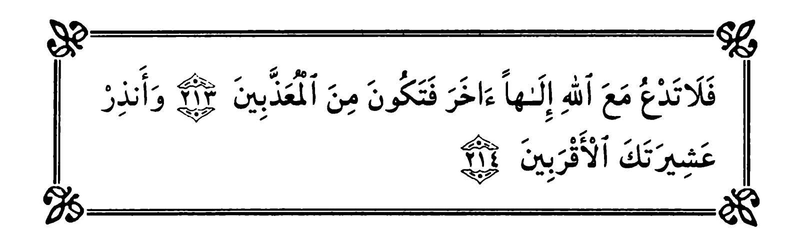
﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾: لكلام الملائكة.

﴿لَمَعْزُولُونَ﴾: أي مصروفون عن إستماع القرآن من السّماء قد حيل بينهم وبين السّمع بالملائكة والشّهب.

---

١ ـ القدر: ١ و٣.

٢ ـ الكافي: ج٤، ص١٥٩، ح١٠، باب في ليلة القدر.



قيل: وذلك لأنّه مشروط بمشاركة في صفاء الذّات، وقبول فيضان الحقّ ونفوسهم خبيثة ظلمانيّة شريرة[1].

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾: من قبيل إيّاك أعني واسمعي يا جارة فإنّه صلى الله عليه وآله كان منزّهاً عن أن يشرك بالله طرفة عين.

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾: فإنّ الإهتمام بشأنهم أهمّ.

في العيون[2]، وفي المجالس: عن الرّضا عليه السلام وأنذر عشيرتك الأقربين، ورهطك المخلصين، قال: هكذا في قرأة أُبّي بن كعب، وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود، قال: وهذه منزلة رفيعة، وفضل عظيم، وشرف عال حين عنى الله عزّوجلّ بذلك الآل، فذكره لرسول الله صلى الله عليه وآله[3].

وفي المجمع: نسب القراءة إلى الصّادق عليه السلام، وابن مسعود[4].

والقمّي: قال نزلت ورهطك منهم المخلصين، قال: نزلت بمكّة فجمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني هاشم، وهم أربعون رجلاً كلّ واحد منهم يأكل الجذع ويشرب القربة، فأتّخذ لهم طعاماً يسيراً بحسب ما أمكن فأكلوا حتّى شبعوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من يكون وصيّي ووزيري وخليفتي؟ فقال: أبو لهب: جزماً سحركم محمّد صلى الله عليه وآله فتفرّقوا، فلمّا كان اليوم الثاني: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ففعل بهم مثل ذلك، ثمّ سقاهم اللّبن حتّى رووا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّكم يكون وصيي ووزيري وخليفتي؟ فقال أبو لهب: جزماً سحركم محمّد فتفرقوا، فلمّا كان اليوم الثّالث:

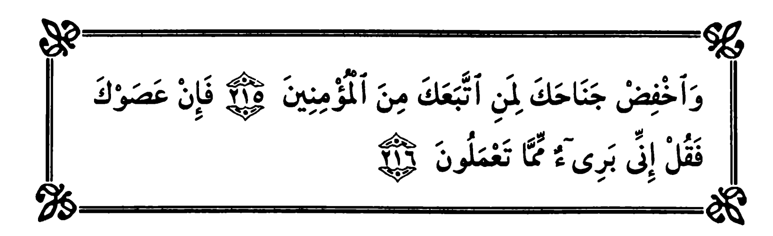
---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٦٧، س ١٧.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٣١، ح ١، باب ٢٣، ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمّة.

٣ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٤٢٣، س ٩، ح ١، باب المجلس ٧٩.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢٠٦، س ٢٩.



أمر رسول الله ﷺ ففعل بهم مثل ذلك، ثمّ سقاهم اللّبن فقال لهم رسول الله ﷺ: أيّكم يكون وصيّي ووزيري وينجز عداتي ويقضي ديني؟ فقام عليّ، وكان أصغرهم سنّاً، وأحمشهم[1] ساقاً، وأقلّهم مالاً فقال: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: أنت هو[2].

وفي المجمع: من طريق العامّة ما يقرب منه، وزاد في آخره فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب أطع إبنك فقد أُمر عليك[3] وأورده في العلل باختصار: مع هذه الزّيادة[4].

والقمّي: وقوله: ورهطك منهم المخلصين، قال: عليّ بن أبي طالب، وحمزة، وجعفر، والحسن، والحسين، والأئمّة من آل محمّد صلوات الله عليهم[5].

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: ليّن جانبك لهم مستعار من خفض الطّائر جناحه إذا أراد أن ينحط.

في مصباح الشّريعة: قال الصّادق عليه السلام قد أمر الله أعزّ خلقه، وسيّد بريّته محمّداً ﷺ بالتّواضع، فقال: «وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ» والتّواضع مزرعة الخشوع والخشية والحياء، وإنّهنّ لا يتبيّن إلّا منها وفيها، ولا يسلم الشرف التّام الحقيقي إلّا للمتواضع في ذات الله[6].

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: القمّي: «فَإِنْ عَصَوْكَ»: يعني من

---

١ ـ رجل أحمش الساقين: دقيقهما. وحمش الساقين أيضاً بالتسكين، وقد حمشت قوائمه: أي دقّت. الصحاح: ج ٣، ص ١٠٠٢، مادة «حمش».

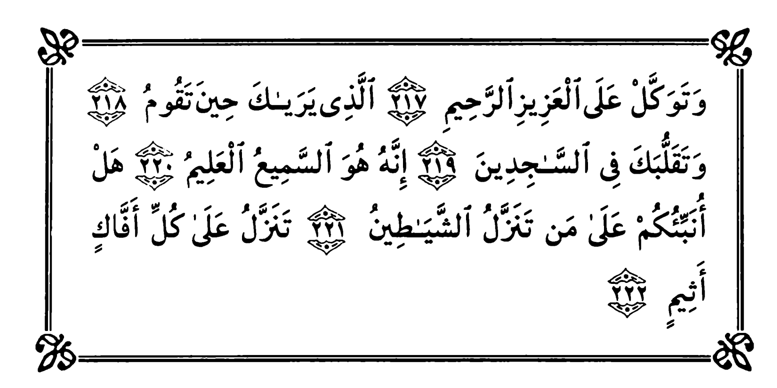
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٤، س ٧.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢٠٦، س ١٨.

٤ ـ علل الشرائع: ص ١٧٠، ح ٢، باب ١٣٣ ـ العلة التي من أجلها ورث علي بن أبي طالب عليه السلام رسول الله ﷺ دون غيره.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٦، س ١.

٦ ـ مصباح الشريعة: ص ٧٤، باب ٣٢ ـ في التواضع.



بعدك في ولاية عليّ عليه السلام والأئمّة عليهم السلام، قال: ومعصية رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو ميّت كمعصيته وهو حيّ[1].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾: الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه، يكفك شرّ من يعصيك، وقرئ فتوكّل.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: الّذي يراك حين تقوم في النّبوة، «وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ» قال: في أصلاب النبيّين صلوات الله عليهم[2].

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام قالا: في أصلاب النبيّين: نبيّ بعد نبيّ حتّى أخرجه من صلب أبيه عن نكاح غير سفاح، من لدن آدم عليه السلام[3].

وعن الباقر عليه السلام: قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لا ترفعوا قبلي، ولا تضعوا قبلي، فإنّي أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي ثمّ تلا هذه الآية[4].

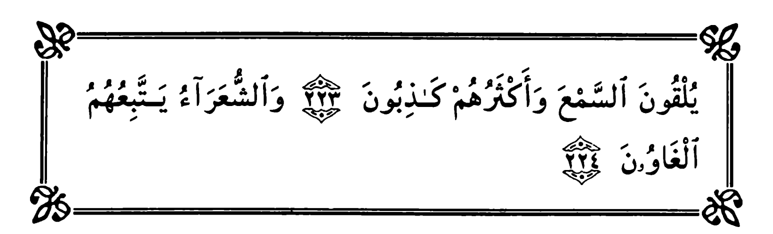
أقول: يعني رؤوسكم في الصّلاة.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: لمّا بيّن أنّ القرآن لا يصحّ أن يكون ممّا تنزّلت به الشّياطين أكد ذلك ببيان من تنزّلت عليه.

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: كذّاب شديد الإثم.

---

١ و ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٦ و ١٢٥. ٣ و ٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢٠٧.



﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ﴾: أي الأفّاكون، يلقون السّمع إلى الشياطين فيتلقّون منهم ظنوناً وإمارات لنقصان علمهم فيضمّون إليها على حسب تخّيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام، ليس من يوم ولا ليلة إلّا وجميع الجنّ والشياطين تزور أئمّة الضّلالة، ويزور أئمّة الهدى عددهم من الملائكة حتّى إذا أتت ليلة القدر، فيهبط فيها من الملائكة إلى وليّ الأمر، خلق الله أو قال: قيّض الله عزّوجلّ من الشياطين بعددهم، ثمّ زاروا ولي الضّلالة فأتوه بالإفك والكذب حتّى لعلّه يصبح فيقول: رأيت كذا وكذا، فلو سئل وليّ الأمر عن ذلك لقال: رأيت شيطاناً أخبرك بكذا وكذا حتّى يفسّر له تفسيراً ويعلمه الضّلالة الّتي هو عليها[١].

وفي الخصال: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال: هم سبعة المغيرة، وبنان، وصايد، وحمزة بن عمارة البربرّي والحارث الشّاميّ، وعبدالله بن الحارث، وأبو الخطّاب[٢].

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾: وقرئ بالتّخفيف قيل: هو استيناف أبطل به كونه صلى الله عليه وآله شاعراً كما زعمه المشركون يعني إنّ إتباع محمّد صلى الله عليه وآله ليسُوا ابغاوين فكيف يكون شاعراً[٣].

والقمّي: قال: نزلت في الّذين غيّروا دين الله، وخالفوا أمر الله عزّوجلّ هل رأيتم شاعراً قطّ يتبعه أحد، وإنّما عنى بذلك الّذين وضعوا ديناً بآرائهم فيتّبعهم النّاس على ذلك[٤].

وفي المعاني: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: هل رأيت شاعراً يتبعه أحد إنّما هم قوم

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣، ح ٩، باب في شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها.

٢ ـ الخصال: ص ٤٠٢، ح ١١١، باب ٧ ـ تنزلت الشياطين على سبعة من الغلاة.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٦٩، س ١. مع تقديم وتأخير.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٥، س ٤.

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

تفقّهوا لغير الله فضلّوا وأضلّوا[١].

وفي المجمع عن العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام، هم قوم تعلّموا وتفقّهوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا[٢].

وفي الإعتقادات: عنه عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية فقال: هم القصّاص[٣].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾: قيل: وذلك لأنّ أكثر كلمات الشّعراء خيالات لا حقيقة لها[٤].

القمّي: يعني يناظرون بالأباطيل ويجادلون بالحجج المضلّين، وفي كلّ مذهب يذهبون يعني بهم المغيّرين دين الله[٥].

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾: قال: يعظون النّاس ولا يتّعظون، وينهون عن المنكر ولا ينتهون، ويأمرون بالمعروف ولا يعملون[٦].

قال: وهم الّذين غصبوا آل محمّد صلوات الله عليهم حقّهم[٧].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِن

---

١ ـ معاني الأخبار: ص٣٨٥، ح١٩، باب نوادر المعاني.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٠٨، س١٩.

٣ ـ الإعتقادات في دين الإماميّة: ص٨٤، باب ٣٩ ـ الإعتقاد في التقيّة.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٦٩، س٢.

٥ و٦ و٧ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٥، س٦ و٧ و٩.

﴿بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾: قيل: هو استثناء للشّعراء المؤمنين الصّالحين الّذين يكثرون ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم في التّوحيد والثّناء على الله تعالى والحث على طاعته، ولو قالوا هجواً أرادوا به الإنتصار ممّن هجاهم من الكفّار، ومكافحة هجاء المسلمين كحسّان بن ثابت، وكعب ابن مالك، وكعب بن زبير[١].

والقمّي: ثمّ ذكر آل محمّد صلوات الله عليهم وشيعتهم المهتدين فقال: «إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ» الآية[٢].

أقول: يمكن التّوفيق بين التفّسيرين بإرادة كلا المعنيين فإنّ حجج المبطلين من أهل الجدل أيضاً أكثرها خيالات شعريّة لا حقيقة لها، وتمويهات لا طائل تحتها، كأقاويل الشّعراء، فكلا الفريقين سيّان في أنّهم في كلّ واد يهيمون، وأنّهم يقُولُون ما لا يفعلون، إلّا أنّ ذكر إتّباع الغاوين إنّما هو بالنظر إلى من له رئاسة في الإضلال من أهل المذاهب الباطلة فإنكار أحد المعنيين، في الحديث: يرجع إلى إنكار الحصر فيه، ثمّ ليس المراد بالشّعر المذموم: الكلام المنظوم بإعتبار نظمه كيف وإنّ من الشعر لحكمة يعني من المنظوم، وإنّ منه لموعظة، وإنّ منه لثناء على الله، وعلى أوليائه بل باعتبار التّشبيب بالحرام، وتمزيق الأعراض، ومدح من لا يستحقّ، ونحو ذلك.

وفي العيون: عن الصّادق عليه السلام قال: من قال فينا بيت شعر بني الله له بيتاً في الجنّة[٣].

وقال: ما قال فينا قائل شعراً حتّى يؤيّد بروح القدس[٤].

وفي المجمع: عن كعب بن مالك أنّه قال: يا رسول الله ماذا تقول في الشّعراء؟ قال: إنّ المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه، والّذي نفسي بيده لكأنّما يرضخونهم بالنّبل، قال: وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: لحسّان بن ثابت إهجهم أوهاجهم وروح القدس معك[٥].

وفي الجوامع: قال صلى الله عليه وآله: لكعب بن مالك: أهجهم فوالّذي نفسي بيده لهو أشدّ عليهم من النّبل[٦].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزل: ج٢، ص١٦٩، س٨.
٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٥، س١٠.
٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٧، ح١.
٤ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٧، ح٢.
٥ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٠٨، س٢٧.
٦ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص١٧٥، س٩.

وفي الكتاب الكشي: عن الصّادق عليه السلام يا معشر الشيّعة علّموا أولادكم شعر العبدي فإنّه على دين الله[١].

وفي المعاني: عنه عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ ما هذا الذكر الكثير؟ قال: من سبّح تسبيح فاطمة الزّهراء عليها السلام فقد ذكر الله كثيراً[٢].

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام من ذكر الله عزّوجلّ في السّر، فقد ذكر الله كثيراً، إنّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السّر، فقال الله تعالى: «يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً»[٣][٤].

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾: القمّي: ثمّ ذكر أعدائهم ومن ظلمهم فقال جلّ ذكره «وسيعلم الّذين ظلموا آل محمّدٍ حقّهم أيَّ منقلب ينقلبون» هكذا والله نزلت[٥].

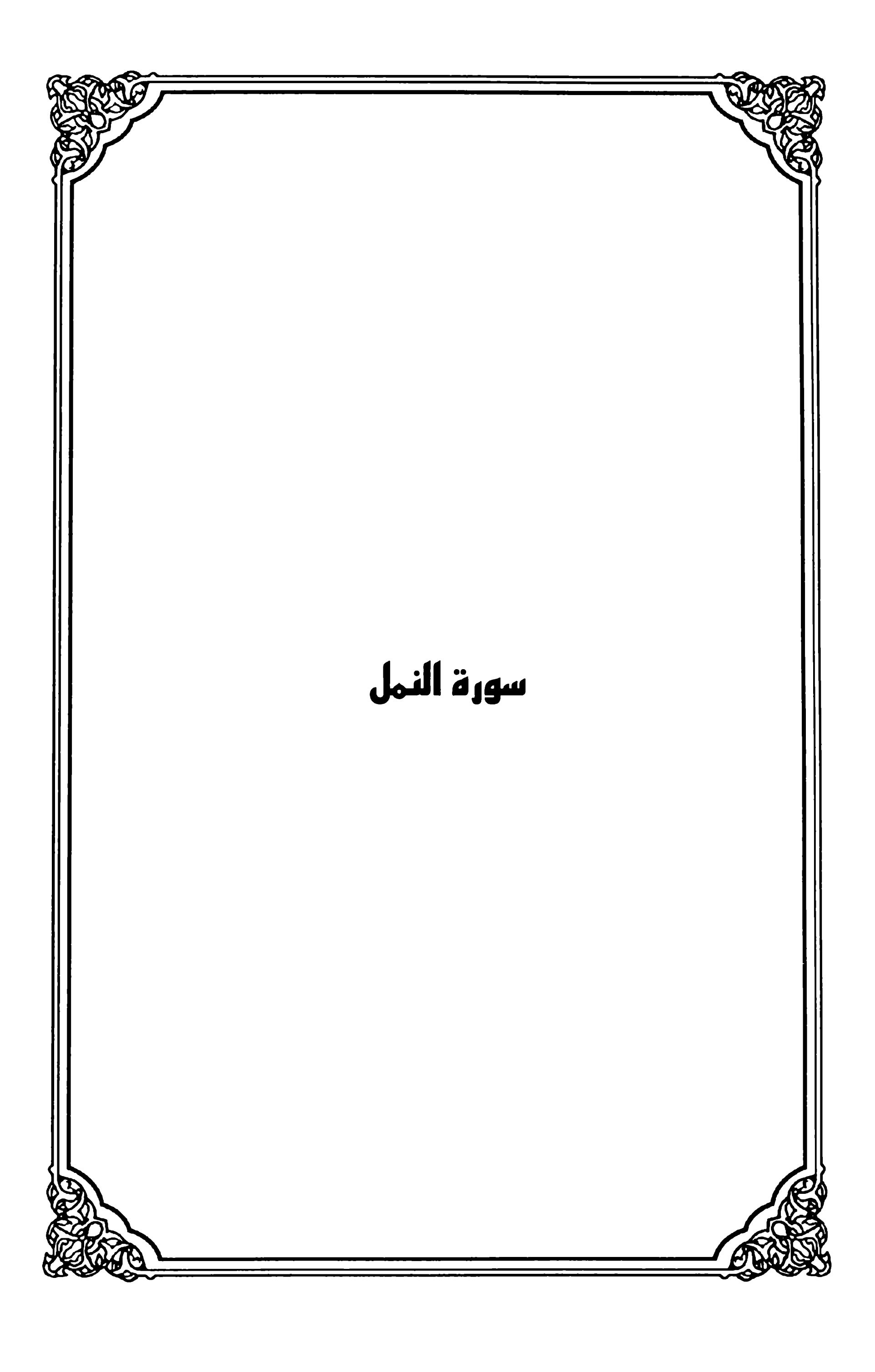
وفي الجوامع: نسب هذه القراءة إلى الصّادق عليه السلام[٦].

في ثواب الأعمال[٧]، والمجمع: عن الصّادق عليه السلام من قرأ سور الطّواسين الثلاث في ليلة الجمعة كان من أولياء الله، وفي جواره وكنفه ولم يصبه في الدّنيا بؤس أبداً وأُعطي في الآخرة من الجنّة حتّى يرضى وفوق رضاه، وزوّجه الله مائة زوجة من الحور العين، وزاد في المجمع: واسكنه الله في جنّة عدن وسط الجنّة مع النبيّين والمرسلين والوصيّين الرّاشدين[٨].

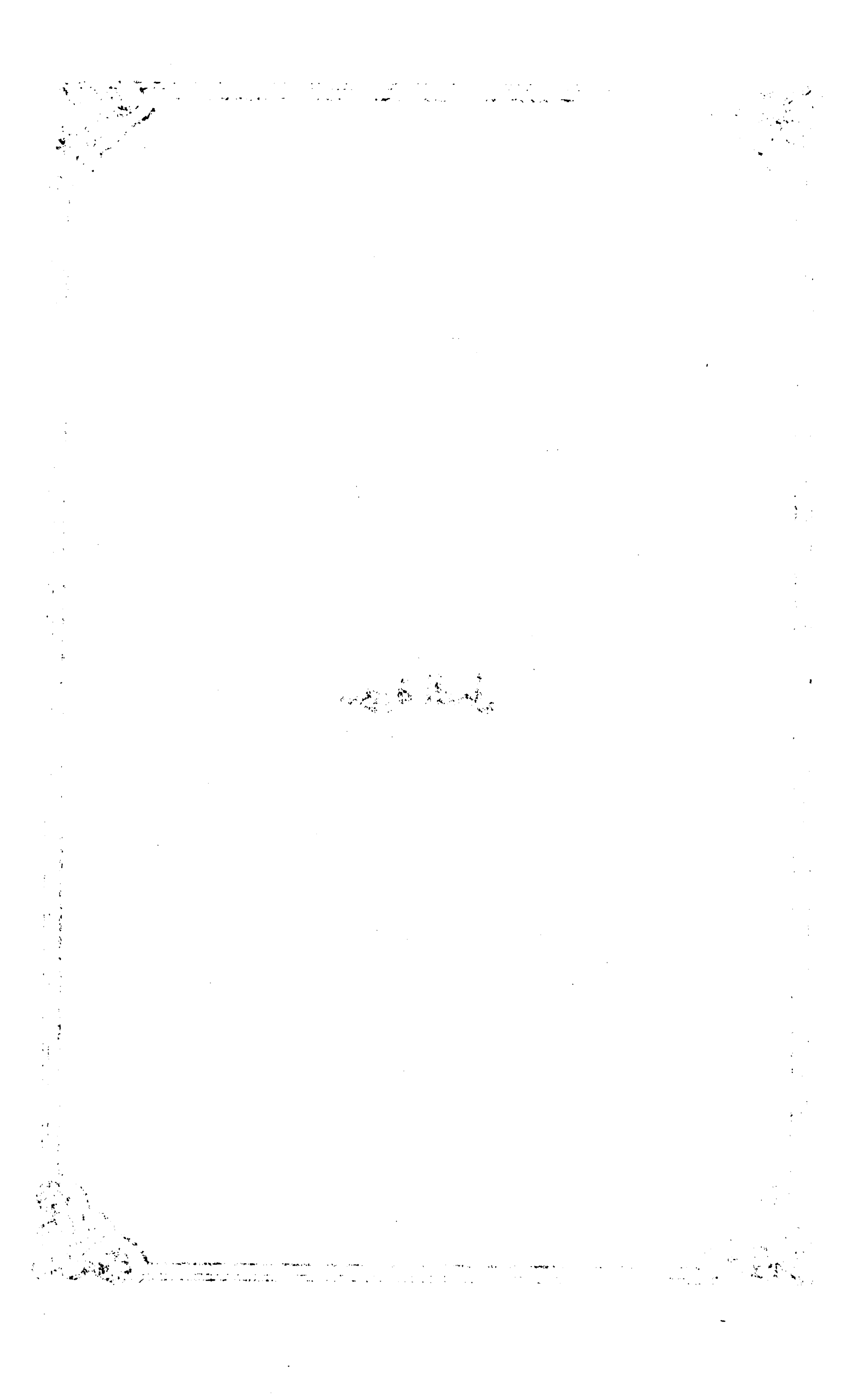
* * *

---

١ ـ اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي: ج ٢، ص ٧٠٤، رقم ٧٤٨.
٢ ـ معاني الأخبار: ص١٩٣، ح٥، باب معنى ذكر الله كثيراً.
٣ ـ النساء: ١٤٢.
٤ ـ الكافي: ج٢، ص٥٠١، ح٢، باب ذكر الله عزّوجلّ في السّر.
٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٥، س١١.
٦ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص١٧٥، س١٢.
٧ ـ ثواب الأعمال: ص١٠٩، ثواب من قرأ سورة الطواسين الثلاثة.
٨ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص١٨٣، في فضل السورة.



سورة النمل



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾

سورة النمل: مكيّة عدد آيها خمس وتسعون آيةً حجازي،أربع بصريّ شامي[١]، ثلاث كوفي[٢] إختلافها آيتان «وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ»[٣] حجازي «مِّن قَوَارِيرَ»[٤] غير الكوفيّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓ﴾: في المعاني: عن الصّادق عليه السلام، وأمّا طسّ فمعناه أنا الطّالب السّميع[٥].

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِـالْأَخِرَةِ هُـمْ يُـوقِنُونَ * إِنَّ ٱلَّـذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾: بأن جعلناها مشتهاة لطبائعهم محبوبة لأنفسهم.

﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾: عنها لا يدركون ما يتبعها.

---

١ ـ أي أربع وتسعون آية بصري وشامي.
٢ ـ أي ثلاث وتسعون آية كوفي.
٣ ـ النمل: ٣٣.
٤ ـ النمل: ٤٤.
٥ ـ معاني الأخبار: ص٢٢، ح١، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن.

أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّك لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَاراً سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَن بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: كالقتل والأسر يوم بدر.

﴿وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: أشدّ النّاس خسراناً لفوات المثوبة، واستحقاق العقوبة.

﴿وَإِنَّك لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾: لتؤتاه.

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾: أيّ حكيم وأيّ عليم.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَاراً سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾: أي عن حال الطّريق لأنّه قد ضلّه.

﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾: شعلة نار مقبوسة، وقرئ بتنوينها، والعدتان على سبيل الظنّ ولذلك عبّر عنهما في طه[1] بصيغة الترجي، والتّرديد للدّلالة على أنّه إن لم يظفر بهما جميعاً ظفر بأحدهما بناء على ظاهر الأمر وثقة بالله.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: رجاء أن تستدفئوا بها.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَن بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾: من في مكان النّار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: «نُودِىَ مِن شَـٰطِىءِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ»[2].

---

١ ـ طه: ١٠.

٢ ـ القصص: ٣٠.

يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنَا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: ومن حول مكانها.

﴿وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: من تمام ما نودي به لئلّا يتوهّم من سماع كلامه تشبيهاً، وللتعجّب من عظمة ذلك الأمر.

﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: أنا القويّ القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حيّة، الفاعل كلّ ما يفعله بحكمة وتدبير.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾: ونودي أن ألق عصاك.

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾: تتحرّك بإضطراب.

﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: حيّة خفيفة سريعة.

﴿وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: ولم يرجع، من عقّب المقاتل إذ كرّ بعد ما فرّ.

﴿يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾: من غيري ثقة بي.

﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنَا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: قيل: فيه تعريض لموسى بوكزه القبطيّ، والإستثناء منقطع أو متّصل، و«ثُمَّ بَدَّلَ» مستأنف معطوف على محذوف، أي من ظلم ثمّ بدّل ذنبه بالتّوبة[١].

والقمّي: معنى «إِلَّا مَن ظَلَمَ» ولا من ظلم فوضع حرف مكان حرف[٢].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٧١، س١٤.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٦، س١١.

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: آفة، في المعاني: عن الصّادق عليه السلام قال: من غير برص[١].

﴿فِي تِسْعِ ءَايَـٰتٍ﴾: في جملتها أو معها على أنّ التسع هي: الفلق، والطّوفان، والجراد، والقمّل، والضّفادع، والدّم، والطّمسة، والجدب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم، ولمن عدّ العصا واليد من التّسع، أن يعدّ الأخيرين واحداً، ولا يعدّ الفلق لأنّه لم يبعث به إلى فرعون، كذا قيل[٢].

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَـٰسِقِينَ﴾: تعليل للإرسال.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا﴾: بأن جاءهم موسى بها.

﴿مُبْصِرَةً﴾: بيّنة إسم فاعل أُطلق للمفعول إشعاراً بأنّها لفرط إجتلائها للأبصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت ممّا تبصر، وفي المجمع: عن السّجاد عليه السلام أنّه قرأ مبصرة بفتح الميم، والصّاد[٣]، أي مكاناً يكثر فيه التبصّر.

﴿قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: واضح سحريّته.

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾: وكذّبوا بها.

---

١ ـ معاني الأخبار: ص ١٧٢ ـ ١٧٣، ح ١، باب معنى السوء.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٧١، س ١٨.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢١٢، في القراءة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْماً وَقَالَا ٱلْحَـمْدُ لِـلَّهِ ٱلَّـذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِـن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُـبِينُ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾: وقد استيقنتها.

﴿ظُلْماً﴾: لأنفسهم.

﴿وَعُلُوّاً﴾: ترفّعاً من الإيمان والإنقياد.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: وهو الغرق في الدّنيا والحرق في الآخرة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْماً﴾: طائفة من العلم أو علما أيّ علم.

﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: ففعلا شكراً له ما فعلا وقالا الحمد لله.

﴿ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: يعمّ من لم يؤت علماً أو مثل علمهما، وفيه دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه وما أُوتيا من المُلك الّذي لم يؤت غيرهما، وتحريض للعالم على أن يحمد الله على ما أتاهُ من فضله وأن يتواضع ويعتقد أنّه وإن فضّل على كثير فقد فضّل عليه كثير.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُدَ﴾: الملك والنّبوّة، في الكافي: عن الجواد عليه السلام، إنّه قيل له: إنّهم يقولون في حداثة سنّك؟ فقال: إنّ الله أوحى إلى داود أن يستخلف سليمان عليه السلام وهو صبيّ يرعى الغنم، فأنكر ذلك عبّاد بني إسرائيل وعلماؤهم، فأوحى الله إلى داود أن خذ عصا المتكلّمين وعصا سليمان واجعلهما في بيت، واختم عليهما بخواتيم القوم، فإذا كان من الغد فمن كانت عصاه قد أورقت وأثمرت فهو الخليفة، فأخبرهم داود عليه السلام فقالوا: قد رضينا وسلّمنا[١].

---

١ ـ الكافي: ج١، ص٣٨٣، ح٣، باب حالات الأئمة عليهم السلام في السن.

﴿وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: تشهيراً لنعمة الله، وتنويهاً بها، ودعاءاً للنّاس إلى التّصديق بذكر المعجزة.

في البصائر: عن الصّادق عليه السلام إنّه تلا رجل عنده هذه الآية فقال عليه السلام: ليس فيها «من» وإنّما هي «وأوتينا كل شيءٍ»[١].

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾: الّذي لا يخفى على أحد، في الجوامع: عن الصّادق عليه السلام يعني الملك والنبوّة[٢].

والقمّي: عنه عليه السلام أُعطي سُليمان بن داود مع علمه: معرفة المنطق بكلّ لسان، ومعرفة اللّغات، ومنطق الطّير، والبهائم والسّباع، وكان إذا شاهد الحروب تكلّم بالفارسّية، وإذا قعد لعمّاله وجنوده وأهل مملكته تكلّم بالرّوميّة، وإذا خلا بنسائه تكلّم بالسّريانية والنبطيّة، وإذا قام في محرابه لمناجاة ربّه تكلّم بالعربيّة، وإذا جلس للوفود والخصماء تكلّم بالعبرانيّة[٣].

وفي المجمع: عنه، عن أبيه عليهما السلام، قال: أُعطي سليمان بن داود ملك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سبعمأة سنة وستّة أشهر، ملك أهل الدّنيا كلّهم من الجنّ والإنس والشياطين والدّوابّ والطّير والسّباع، وأُعطي علم كلّ شيء، ومنطق كلّ شيء، وفي زمانه صنعت للصّنايع العجيبة الّتي سمع بها النّاس وذلك قوله: «عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ»[٤][٥].

وفي البصائر: عنه عليه السلام: قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لابن عبّاس: إنّ الله علّمنا منطق الطّير كما علّم سليمان بن داود عليه السلام، ومنطق كلّ دابّة في برّ وبحر[٦].

---

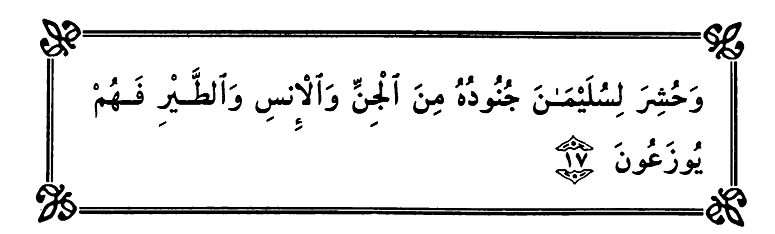
١ ـ بصائر الدرجات: ص٣٦٢، ح٣، باب ١٤ ـ في الأئمة أنّهم يعرفون منطق الطير، الجزء السابع.

٢ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص١٨٢، س٦.　　　٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٦، س١٣.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢١٤، س٢٥.

٥ ـ وفي الجوامع: يروى أنّه خرج من بيت المقدس مع ستمائة ألف كرسي عن يمينه ويساره، وأمر الطير فأظلّتهم وأمر الريح فحملتهم حتّى وردت بهم المدائن، ثمّ رجع فبات في اصطخر. فقال بعضهم لبعض: هل رأيتم ملكاً قط أعظم من هذا؟ أو سمعتم؟ قالوا: لا، فنادى ملك من السماء: لثواب تسبيحة واحدة في الله أعظم ممّا رأيتم. والقمّي عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يقرب منه في سورة صٓ. منه قدّس سرّه. راجع جوامع الجامع: ج ٣، ص ١٨٢، وتفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٣٨.

٦ ـ بصائر الدرجات: ص٣٦٣ ـ ٣٦٤، ح١٢، باب ١٤ ـ في الأئمة إنّهم يعرفون منطق الطير الجزء السابع.



وعنه عليه السلام: إنّ سليمان بن داود عليه السلام قال: «عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ» قد والله علّمنا منطق الطّير وعلم كلّ شيء[1].

وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام قال: إنّ الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من النّاس، ولا طير، ولا بهيمة، ولا شيء فيه الرّوح، فمن لم تكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام[2].

وعن الباقر عليه السلام: إنّه وقع عنده زوج ورشان[3] على الحائط وهدلا هديلهما[4] فردّ عليه السلام عليهما كلامهما، فمكثا ساعة، ثمّ نهضا، فلمّا طارا على الحائط هدل الذكر على الأُنثى ساعة، ثمّ نهضا فسئل عليه السلام ما هذا الطّير؟ فقال: كل شيء خلقه الله من طير أو بهيمة أو شيء فيه روح فهو أسمع لنا وأطوع من ابن آدم، إنّ هذا الورشان ظنّ بإمرأته فحلفت له ما فعلت، فقالت: ترضى بمحمّد بن عليّ عليه السلام فرضيا بي فأخبرته أنّه لها ظالم فصدّقها[5].

والأخبار في هذا المعنى عنهم عليهم السلام كثيرة[6].

﴿وَحُشِرَ﴾: وجمع.

---

١ ـ بصائر الدرجات: ص٣٦٤، ح١٧، باب ١٤ ـ في الأئمّة أنّهم يعرفون منطق الطّير. الجزء السّابع.

٢ ـ الكافي: ج١، ص٢٨٥، ح٧، باب الأُمور التي توجب حجيّة الإمام عليه السلام.

٣ ـ الورشان: الحمام الأبيض، وقيل: طائر يتولّد من الفاختة والحمامة. وقال بعض الأعلام: الورشان: الحمام الأبيض، والقماري الأزرق، الدباسي الأحمر، والجمع وراشين، ويجمع على ورشان بكسر الواو. وقيل: الورشان: ساق حر، وهو ذكر القماري. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٥٧ ـ ١٥٨، مادة «ورش».

٤ ـ الهديل: صوت الحمام أو خاص بوحشها، يقال: هل القمري يهدل هديلاً مثل يهدر. مجمع البحرين: ج ٥، ص٤٩٧، مادة «هدل».

٥ ـ الكافي: ج١، ص٤٧٠ ـ ٤٧١، ح٤، باب مولد أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام.

٦ ـ انظر بصائر الدرجات: ص ٣٦١، أحاديث باب ١٤ ـ في الأئمّة أنّهم يعرفون منطق الطير.

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾

﴿لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يحبسون[١].
القمّي: عن الباقر عليه السلام يحبس أوّلهم على آخرهم يعني ليتلاحقوا[٢].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾: القمّي: قعد على كرسيّه وحملته الرّيح فمرّت به على وادي النّمل وهو واد ينبت فيه الذّهب والفضّة وقد وكّل به النمل، وهو قول الصّادق عليه السلام إنّ لله وادياً ينبت الذّهب والفضّة وقد حماه الله باضعف خلقه وهو النمل لو رامته البخاتي ما قدرت عليه[٣].

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ

---

١ ـ وفي المجمع: عن محمّد بن كعب، قال: بلغنا أنّ سليمان بن داود كان معسكره مائة فرسخ، خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سريّة، فيأمر الريح العاصف فترفعه، ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إنّي قد زدت في ملكك أنّه لا يتكلّم أحد من الخلائق بشيء إلّا جاءت به الريح فأخبرتك، وقال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في ابريسم، وكان يوضع فيه منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضّة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضّة، وحولهم الناس وحول الناس الجنّ والشياطين تظلّه الطير بأجنحتها حتّى لا تقع عليه الشمس، وترفع الريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح، ومن الرواح إلى الصباح. أُنظر مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢١٥.

أقول: وروي ذلك كلّه في عدّة الداعي وزاد في آخره: فيحكى أنّه مرّ بحرّاث فقال: لقد أُوتي ابن داود ملكاً عظيماً، فألقاه الريح في أُذنه فنزل ومشى إلى الحرّاث وقال: إنّما مشيت إليك لئلّا تتمنّى ما لا تقدر عليه، ثمّ قال: لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير ممّا أُوتي آل داود، وفي حديث آخر: لأنّ ثواب التسبيحة يبقى وملك سليمان يفنى. راجع عدّة الداعي: ص ١٩١ ـ ١٩٢، وفيه: كان معسكره مائة فرسخ في مائة فرسخ، وفيه أيضاً: وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضّة.

٢ و ٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٩ و ١٢٦.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحاً تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: إنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يفعلوا.

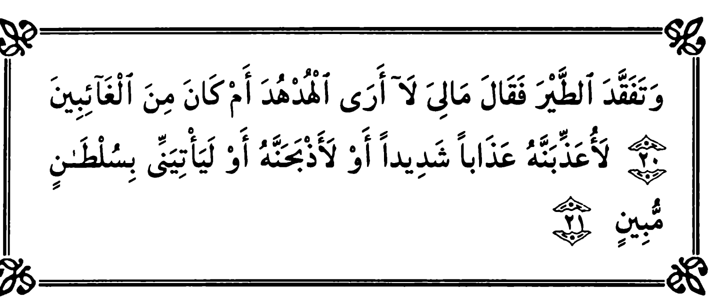
﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا﴾: في العيون: عن الرّضا، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام في قوله عزّوجلّ: «فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا» قال: لمّا قالت النملة: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُ» حملت الرّيح صوت النّملة إلى سُليمان، وهو مارّ في الهواء والرّيح قد حملته، فوقف وقال: عليَّ بالنّملة، فلمّا أُتي بها، قال سليمان: يا أيّتها النّملة أما علمت إنّي نبي الله وأنّي لا أظلم أحداً؟ قالت النّملة: بلىٰ، قال سليمان: فلم تحذرينهم ظلمي؟ وقلت: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمْ»؟ قالت النّملة: خشيت أن ينظروا إلى زينتك فيفتتنوا بها فيعبدون غير الله عزّوجلّ[1]، ثمّ قالت النّملة: أنت أكبر أم أبوك داود؟ قال سليمان: بل أبي داود، قالت النّملة: فلم زيد في حروف إسمك حرف على حروف إسم أبيك داود عليه السلام؟ قال سليمان: مالي بهذا علم، قالت النّملة: لأنّ أباك داود عليه السلام داوى جرحه بودّ فسمّي داود وأنت يا سليمان أرجو أن تلحق بأبيك، ثمّ قالت النّملة: هل تدري لم سخّرت لك الرّيح من بين سائر المملكة؟ قال سُليمان: مالي بهذا علم، قالت النّملة: يعني عزّوجلّ بذلك لو سخّرت لك جميع المملكة كما سخّرت لك هذه الرّيح لكان زوالها من بين يديك كزوال الرّيح فحينئذٍ تبسّم ضاحكاً من قولها[2].

أقول: ولعلّ النّملة أرادت بقولها لأنّ أباك داود عليه السلام داوى جرحه بودّ أنّ إسم أبيك كان ذلك فخفّف وإنّما عبّرت عنه بهذه العبارة إشارة إلى علّة التّسمية وعلى هذا يزيد حروف

---

١ ـ وفي نسخة: [فيبعدون عن الله عزّ وجلّ].

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٧٨، ح٨، باب ٣٢ ـ في ذكر ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلل.



إسم أبيه على إسمه.

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾: إجعلني أزع[1] شكر نعمتك عندي أي أكفّه وارتبطه بحيث لا ينفلت عنّي ولا أنفك عنه.

﴿ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾: أدرج فيه ذكر والديه تكثيراً للنّعمة.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحاً تَرْضَـٰهُ﴾: إتماماً للشكر واستدامة للنّعمة.

﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: في عدادهم في الجنّة. في البصائر: عن الصّادق عليه السلام كان سليمان عنده إسم الله الأكبر الّذي إذا سئل به أُعطي، وإذا دعي أجاب، ولو كان اليوم إحتاج إلينا[2].

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾: وتعرّف الطّير فلم يجد فيها الهدهد.

﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾: القمّي: وكان سليمان إذا قعد على كرسيّه جاءت جميع الطير التي سخّرها الله له فتظلّ الكرسيّ والبساط بجميع من عليه عن حرّ الشمس، فغاب عنه الهدهد من بين الطير فوقع الشمس من موضعه في حجر سليمان فرفع رأسه وقال كما حكى الله عزّوجلّ[3].

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً﴾: كنتف ريشه أو جعله مع ضدّه في قفص.

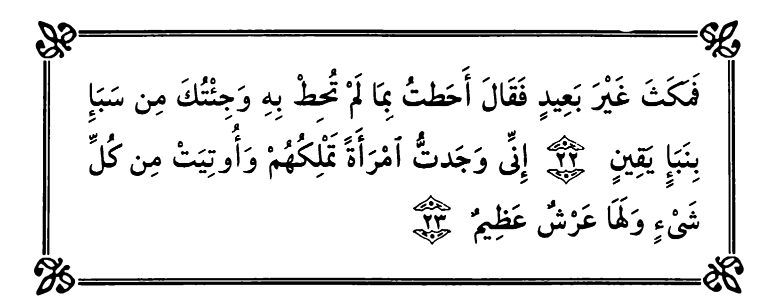
﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُ﴾: ليعتبر به أبناء جنسه.

---

١ ـ الإيزاع لشكرك: أي الإلهام له. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٤٠٢، مادة «وزع».

٢ ـ بصائر الدرجات: ص ٢٣١، ح ٢، باب نادر الجزء الرابع. وفيه: «إذا سأله أُعطي وإذا دعا به أجاب».

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٧، س ٤.



﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾: وقرئ بنونين أوّلهما مفتوحة مشدّدة.

﴿بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحجّة تبيّن عذره، والحلف في الحقيقة على الأوّلين بتقدير عدم الثالث.

في الكافي: عن الكاظم عليه السلام وإنّما غضب عليه لأنّه كان يدلّه على الماء، قال: فهذا وهو طائر قد أُعطي مالم يعط سليمان، وقد كانت الرّيح والنّمل والجنّ والإنس والشياطين المردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكان الطّير يعرفه، وأنّ الله يقول في كتابه: «وَلَوْ أَنَّ قُرْءَاناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ»[1] وقد ورثنا نحن هذا القرآن الّذي فيه ما تسيّر به الجبال، وتقطّع به البلدان، وتحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء الحديث[2].

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: زماناً غير مديد يريد به الدّلالة على سرعة رجوعه وقرئ بضمّ الكاف.

﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾: يعني حال سبأ، وفي مخاطبته إيّاه بذلك تنبيه له على أنّ في أدنى خلق الله من أحاط علماً بمالم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر لديه علمه.

﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾: بخبر محقّق، وقرئ سبأ بفتح الهمزة وبدونها.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾: يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريّان.

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه الملوك.

---

١ ـ الرعد: ٣٠.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٢٦، ح ٧، باب أن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم.

وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: سبيل الحقّ والصّواب.

﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾: إليه.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾: فصدّهم لأن لا يسجدوا أو زيّن لهم أن لا يسجدوا أولا يهتدون إلى أن يسجدوا بزيادة «لا» كقوله: «مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ»[1] وقرئ بالتخفيف على أنّها للتنبيه و«يا» للنّداء ومناداه محذوف أي ألا يا قوم إسجدوا.

﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: وقرئ بالتاء، وصف له بما يوجب إختصاصه بإستحقاق السّجود من التفرّد بكمال القدرة والعلم حثّاً على سجوده وردّاً على من يسجد لغيره، والخبأ: ما خفي في غيره وإخراجه إظهاره، وهو يعم إشراق الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النّبات، بل الإنشاء فإنّه إخراج ما في الشّيء بالقوّة إلى الفعل، والإبداع فإنّه إخراج ما في العدم إلى الوجود ومعلوم إنّه يختصّ بالله سبحانه، والقمّي: في السّماوات المطر وفي الأرض النّبات[2].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾: الشّامل للمخلوقات كلّها.

﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾: سنتعرّف من النظر بمعنى التأمّل.

---

١ ـ الأعراف: ١٢.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٧، س ١٣.

ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ * ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: ثمّ تنحّ عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه.

﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول، القمّي: قال الهدهد: إنّها في حصن منيع، قال: سليمان ألق كتابي على قبّتها، فجاء الهُدهد فألق الكتاب في حجرها فارتاعت من ذلك وجمعت جنودها، وقالت لهم: كما حكى الله عزّوجلّ[1].

﴿قَالَتْ﴾: أي بعد ما اُلقي إليها.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ﴾: القمّي: أي مختوم[2].

وفي الجوامع: عن النبيّ ﷺ قال: كرم الكتاب ختمه[3].

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ﴾: استيناف كأنّه قيل لها: ممّن هو وما هو؟ فقالت: إنّه أي إنّ الكتاب أو العنوان من سليمان.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: وإنّ المكتوب.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾: مؤمنين أو منقادين، وهذا الكلام في غاية الوجازة مع كمال الدّلالة على المقصود، لإشتماله على البسملة الدالّة على ذات الصّانع وصفاته، والنّهي عن الترفّع الّذي هو أمّ الرّذائل والأمر بالإسلام

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٧، س ١٦.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٧، س ١٩.

٣ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ١٨٨، س ٤.

قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾

الجامع لأمّهات الفضائل، وليس الأمر فيه بالأنقياد قبل إقامة الحجّة على رسالته حتّى يكون إستدعاءاً للتقليد فإنّ إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الأدلّة.

﴿قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾: أذكروا ما تستصوبون فيه.

﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾: إلّا بمحضركم كأنّها استعطفتهم بذلك ليمالؤها على الإجابة.

﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ﴾: بالأجساد والعدد. في الإكمال: عن الصّادق عليه السلام ما يخرج القائم عليه السلام إلّا في أُولي قوّة، وما يكون أُولو قوّة إلّا عشرة آلاف[1].

﴿وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: نجدة وشجاعة.

﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾: موكول.

﴿فَانظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: من المقاتلة والصّلح نطعك ونتبّع رأيك.

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾: بنهب الأموال وتخريب الدّيار.

﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾: بالإهانة والأسر.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾: القمّي: فقال الله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ»[2].

---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٦٥٤، ح٢٠، باب ٥٧ ـ ما روى في علامات خروج القائم عليه السلام.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٨، س١.

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ﴾: منتظرة، كذا في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام[1].

﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾: من حاله حتّى أعمل بحسب ذلك.

والقمّي: قالت: إن كان هذا نبيّاً من عند الله كما يدّعي فلا طاقة لنا به، فإنّ الله عزّوجلّ لا يغلب، ولكن سأبعث إليه بهديّة فإن كان ملكاً يميل إلى الدّنيا قبلها، وعلمت أنّه لا يقدر علينا فبعثت حقّة فيها جوهرة عظيمة، وقالت للرّسول: قل له: يثقب هذه الجوهرة بلا حديد ولا نار فأتاه الرّسول بذلك فأمر سليمان عليه السلام بعض جنوده من الدّيدان فأخذ خيطاً في فمه ثمّ ثقبها وأخرج الخيط من الجانب الآخر[2].

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾: أي الرّسول وما أهدت إليه.

﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾: وقرئ بنون واحدة مشدّدة على الإدغام.

﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ﴾: من النبوّة والملك الّذي لا مزيد عليه.

﴿خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم﴾: فلا حاجة لي إلى هديّتكم ولا وقع لها عندي.

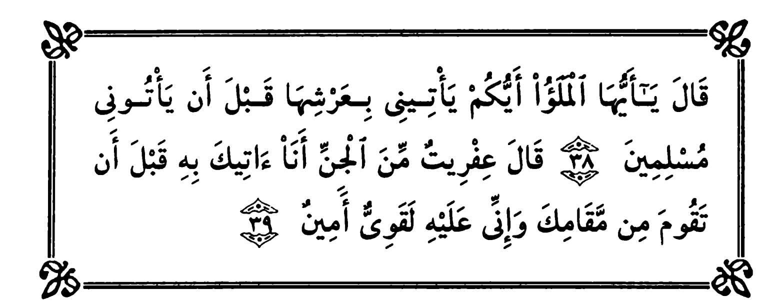
﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾: لأنّكم لا تعلمون إلّا ظاهراً من الحياة الدّنيا.

﴿ارْجِعْ﴾: أيّها الرّسول.

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٢، س ٤، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلّاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٨، س ٢.



﴿إِلَيْهِمْ﴾: إلى بلقيس وقومها.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾: لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة بهم على مقاتلتها.

﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾: من سبأ.

﴿أَذِلَّةً﴾: بذهاب ما كانوا فيه من العزّ.

﴿وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾: أسراء مهانون، القمّي: فرجع إليها الرّسول فأخبرها بذلك وبقوّة سليمان فعلمت أنّه لا محيص لها فخرجت وإرتحلت نحو سليمان[١].

﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾: القمّي: لمّا علم سليمان بإقبالها نحوه قال ذلك[٢].

قيل: أراد بذلك أن يريها بعض ما خصّه الله تعالى به من العجائب الدّالّة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبّوة ويختبر عقلها بأن ينكّر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره؟[٣].

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾: خبيث مارد.

﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾: مجلسك للحكومة.

قيل: وكان يجلس إلى نصف النّهار[٤].

﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ﴾: على حمله.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٢٨، س ٩.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٢٨، س ١٠.
٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص١٧٦، س١٤.
٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص١٧٦، س١٨.

قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾: لا اختزل منه شيئاً ولا أُبدّله.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾: القمّي: قال سليمان يعني بعد مقالة العفريت: أُريد أسرع من ذلك فقال آصف بن برخيا: «أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» فدعا الله عزّوجلّ بالإسم الأعظم فخرج السّرير من تحت كرسيّ سليمان[1].

وفي روضة الواعظين: عن النّبيّ ﷺ إنّه سئل عن الّذي عنده علم من الكتاب؟ قال: ذلك وصيّ أخي سليمان بن داود[2].

وفي البصائر[3]، والكافي: عن الباقر عليه السلام إنّ إسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتّى تناول السّرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الإسم الأعظم إثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله إستأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم[4].

وفي رواية أُخرى: من البصائر فتكلّم به فانخسفت الأرض ما بينه وبين السّرير،

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٨، س١٢.   ٢ ـ روضة الواعظين: ص١١١، س٤.

٣ ـ بصائر الدرجات: ص٢٢٨، ح١، باب ١٢ ـ في الأئمّة عليهم السلام إنّهم أُعطوا إسم الله الأعظم وكم حرف هو؟

٤ ـ الكافي: ج١، ص٢٣٠، ح١، باب ما أُعطي الأئمة عليهم السلام من إسم الله الأعظم.

والتقت القطعتان وحوّل من هذه إلى هذه[١].

وفي اُخرى من الكافي: عن الهادي عليه السلام قال: فتكلّم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتّى صيّره إلى سليمان، ثمّ انبسطت الأرض في أقلّ من طرفة عين[٢].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام قال: إنّ الأرض طويت له[٣].

وعن العيّاشي: عن الهادي عليه السلام قال: الّذي عنده علم من الكتاب فهو آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرفه آصف لكنّه عليه السلام أحبّ أن يعرّف الجنّ والإنس أنّه الحجّة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله ففهّمه الله ذلك لئلّا يختلف في إمامته ودلالته كما فهّم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام لتعرف إمامته ونبوّته من بعده لتأكيد الحجّة على الخلق[٤].

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾: رأى العرش.

﴿مُسْتَقِرّاً عِندَهُ﴾: حاصلاً بين يديه.

﴿قَالَ﴾: تلقياً للنّعمة بالشّكر على شاكلة المخلصين من عباد الله.

﴿هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾: تفضّل به عليّ من غير إستحقاق.

﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ﴾: بأن أراه فضلاً من الله بلا حول منّي ولا قوّة وأقوم بحقّه.

﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾: بأن أجد نفسي في البين أو اُقصّر في أداء مواجبه.

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: فإنّه به يستجلب لها دوام النّعمة ومزيدها.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾: عن شكره.

﴿كَرِيمٌ﴾: بالإنعام عليه ثانياً.

---

١ ـ بصائر الدرجات: ص٢٢٩، ح٦، باب ١٢ ـ في الأئمّة عليهم السلام إنّهم اُعطوا إسم الله الأعظم، وكم حرف هو؟

٢ ـ الكافي: ج١، ص ٢٣٠، ح٣، باب ما اُعطي الأئمّة عليهم السلام من إسم الله الأعظم.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٢٣، س٣٤.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٢٥، نقلاً عن العيّاشي: س١٣.

قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾: بتغيير هيئته وشكله.

﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾: إلى معرفته.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾: تشبيهاً عليها زيادة في إمتحان عقلها.

﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾: ولم تقل هو هو لإحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها.

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: قيل: هو من تتمّة كلامها كأنّها ظنّت أنّه أراد بذلك إختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت: وأوتينا العلم بكمال قدرة الله، وصحّة نبوّتك قبل هذه الحالة[1].

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي وصدّها عبادتها الشمس عن التقدّم إلى الاسلام.

﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾: وقرئ بفتح الهمزة على البدل أي صدّها نشوها بين أظهر الكفّار أو على التعليل.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾: القصر، وقيل: عرصة الدّار[2].

---

١ و ٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٧٧ و ١٧٨، س ١٧ و ٤.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ﴾: إنّ ما تظنّينه ماء.

﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾: مملس.

﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾: من الزّجاج.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾: بعبادتي الشمس، وقيل: بظنّي بسليمان فإنّها حسبت أنّه يغرقها في اللجة[1].

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: فيما أمر به عباده، روي أنّه أمر قبل قدومها فبنى قصر[2] صحنه من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، فلمّا أبصرته ظنّت أنّه ماء راكداً[3] فكشفت عن ساقيها[4].

والقمّي: كان سليمان عليه‌السلام قد أمر أن يتخّذ لها بيتاً من قوارير ووضعه على الماء، ثمّ «قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ» وظنّت أنّه ماء فرفعت ثوبها وأبدت ساقيها فإذا عليها شعر كثير فقيل لها: «إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ» الآية فتزوجها سليمان وهي بلقيس بنت الشرح الحميريّة، وقال سليمان عليه‌السلام للشّياطين: إتّخذوا لها شيئاً يذهب هذا الشّعر عنها، فعملوا الحمامات، وطبخوا النّورة فالحمامات والنّورة ممّا إتّخذته الشّياطين لبلقيس، وكذا الأرحية الّتي تدور على الماء[5].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٧٨، س ٨.

٢ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: «روي أنّه أمر قبل قدومها ببناء قصر».

٣ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: «ظننته ماءاً راكداً».

٤ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٧٨، س ٦.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٨، س ١٦.

قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾

يَخْتَصِمُونَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: يقول مصدّق ومكذّب، قال الكافرون منهم: «أتشهدون أنّ صالحاً مرسل من ربّه»[١]، قال المؤمنون: «إنّا بالذي أُرسل به مؤمنون»[٢]، قال الكافرون منهم: «إنّنا بالّذي آمنتُم به كافرون»[٣]، وقالوا: «يا صالحُ إئتنا بآيةٍ إن كُنتَ مِنَ الصّادقين»[٤] فجاءهم بناقة: «فعقروها» وكان الّذي عقرها أزرق أحمر ولد زنا[٥].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾: بالعقوبة قبل التّوبة فإنّهم كانوا يقولون: إن صدق إيعاده تبنا.

القمّي: إنّهم سألوه قبل أن تأتيهم النّاقة أن يأتيهم بعذاب أليم فأرادوا بذلك إمتحانه، فقال: «يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ» يقول: بالعذاب قبل الرّحمة[٦].

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾: قبل نزوله.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: بقبولها فإنّها لا تقبل حينئذ.

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾: تشأمنا إذ تتابعت علينا الشّدائد، وأوقع بيننا الإفتراق منذ إخترعتم دينكم، القمّي: أصابهم جوع شديد، فقالوا: هذا من شومك، وشوم الّذين معك أصابنا هذا وهي الطّيرة[٧].

---

١ و ٢ ـ اقتباس من قوله تعالى: «أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ» الأعراف: ٧٥.

٣ ـ اقتباس من قوله تعالى: «إِنَّا بِالَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ»، الأعراف: ٧٦.

٤ ـ اقتباس من قوله تعالى: «وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ»، الأعراف: ٧٧.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٢، س ٥.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٢، س ١٠.

٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٢، س ١٣.

وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللهِ﴾: قال: يقول: خيركم وشرّكم من عند الله[1].

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: تختبرون بتعاقب السرّاء والضرّاء.

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾: تسعة نفر.

﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: أي شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الصّلاح، القمّي: كانوا يعملون في الأرض بالمعاصي[2].

﴿قَالُواْ﴾: قال بعضهم لبعض.

﴿تَقَاسَمُواْ بِاللهِ﴾: أي تحالفوا أمر مقول أو خبر وقع بدلاً.

﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾: لنباغتن صالحاً وأهله ليلاً.

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾: لوليّ دمه، وقرئ لنبيّتنه، ولتقولنّ بالتّاء، وصيغة الجمع على خطاب بعضهم لبعض.

﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾: فضلاً أن تولّينا إهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزّمان والمكان، وقرئ بفتح اللّام مع فتح الميم وضمّها.

﴿وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾: ونحلف إنّا لصادقون أو والحال إنّا لصادقون يعنون نُورَّى. والقمّي يقول: لنفعلنّ[3].

﴿وَمَكَرُواْ مَكْراً﴾: بهذه المواضعة.

---

١ و ٢ و ٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٢، س ١٤ و ١٧ و ١٩.

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾

﴿وَمَكَرْنَا مَكْراً﴾: بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بذلك، روي أنّه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلّي فيه، فقالوا: زعم أنّه يفرغ منّا إلى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا إلى الشّعب ليقتلوه، فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشّعب فهلكوا ثمّة، وهلك الباقون في أماكنهم بالصّيحة[1].

والقمّي: فأتوا صالحاً ليلاً ليقتلوه، وعند صالح ملائكة يحرسونه، فلمّا أتوه قاتلتهم الملائكة في دار صالح رجماً بالحجارة فأصبحوا في داره مقتّلين وأخذت قومه الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين[2].

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ﴾: وقرئ بفتح الهمزة.

﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾: خالية من خوي البطن إذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوي النّجم إذا سقط.

﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾: بسبب ظلمهم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: فيتعظون.

﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: صالحاً ومن معه.

﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾: الكفر والمعاصي فلذلك خصّوا بالنجاة.

﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: تعلمون خبثها أو

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٧٩، س ٩. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٢، س ١٩.

أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

يبصرها بعضكم من بعض وكانوا يعلنون.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾: اللّاتي خلقن لذلك.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: سفهاء.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: يتنزهون عن أفعالنا.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: قدّرنا كونها من الباقين في العذاب، وقرئ قدرناها بالتّخفيف.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: مضى مثله.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾: في الجوامع عنهم عليهم السلام[١]، والقمّي: قال: هم آل محمّد صلوات الله عليه وعليهم[٢].

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣]: وقرئ بالياء إلزام لهم، وتهكّم به وتسفيه لرأيهم.

---

١ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص١٩٦، س١، وفيه: «محمّد وآله عليه وعليهم السلام».

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٢٩، س١١.

٣ ـ و«أَمْ» في «أَمَّا يُشْرِكُونَ» متّصلة، والمعنى أيّهما خير؟ وهي في «أَمَّنْ خَلَقَ» منقطعة، والمعنى: بل «أَمَّنْ ⇦

أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَآ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

﴿أَمَّنْ﴾: بل أم من.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: عدل به عن الغيبة إلى التكلّم لتأكيد إختصاص الفعل بذاته كما قال:

﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾: شجر الحدائق.

﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: أغيره يقرن به ويجعل له شريكاً وهو المتفرّد بالخلق والتّكوين.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾: عن الحقّ وهو التّوحيد.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰراً﴾: جارية.

﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾: جبالاً يتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: العذب والمالح.

﴿حَاجِزاً﴾: برزخاً، وقد مرّ بيانه في سورة الفرقان[1].

﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الحقّ فيشركون.

⇐ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ» خير، وفيه تقرير لهم بأنّ من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء. وقوله سبحانه: «أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً» وما بعده بدل من «أَمَّنْ خَلَقَ» وحكمها حكمه. كذا في تفسير جوامع الجامع. منه ﴿رحمه الله﴾. راجع جوامع الجامع: ج ٣، ص ١٩٦، س ٤.

١ ـ ذيل الآية: ٥٣، راجع ص ٢٩٨ من هذا الجزء.

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾: الّذي أحوجه شدّة ما به إلى اللّجأ إلى الله.

﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾: خلفاء فيها بأن ورثكم سكناها والتصرّف فيها ممّن كان قبلكم.

﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: الّذي متّعكم بهذه النعم.

﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: أي تذكرون آلاءه تذكّراً قليلاً «وما» مزيدة، وقرئ بتشديد الذّال والياء معه.

القمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: نزلت في القائم من آل محمّد صلى الله عليه وآله، هو والله المضطرّ إذا صلّى في المقام: ركعتين، ودعاالله عزّوجلّ فأجابه ويكشف السّوء، ويجعله خليفة في الأرض[1].

وفي رواية فيكون أوّل من يبايعه جبرئيل ثمّ الثّلاثمائة والثلاثة عشر رجلاً[2].

وقد سبق كلام آخر في هذه الآية في سورة البقرة عند قوله تعالى: «أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ»[3].

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: بالنّجوم وعلامات الأرض.

﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾: يعني المطر.

﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: يقدر على شيء من ذلك.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٢٩، س ١٩.   ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٠٥، س ٩.

٣ ـ البقرة: ١٨٦، راجع ج ١، ص ٣٤١ من كتابنا تفسير الصافي.

أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾

﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي بأسباب سماويّة وأرضيّة.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: يفعل ذلك.

﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: على أنّ غيره يقدر على شيء من ذلك.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: في إشراككم.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: في نهج البلاغة: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أخبر يوماً ببعض الأمور الّتي لم تأت بعد، فقيل له: أُعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السلام وقال: ليس هو بعلم غيب، وإنّما هو تعلّم من ذي علم، وإنّما علم الغيب علم السّاعة، وما عدّده الله سبحانه بقوله: «إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ» الآية[1] فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر، أو أُنثى، وقبيح أو جميل، وسخيّ أو بخيل، وشقيّ أو سعيد، ومن يكون للنّار حطباً، أوفي الجنّان، للنبيّين مرافقاً. فهذا علم الغيب الّذي لا يعلمه أحدٌ إلّا الله، وما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيّه فعلّمنيه ودعا لي أن يعيه[2] صدري وتضم عليه جوارحي[3].

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾: متى ينشرون.

---

١ ـ لقمان: ٣٤. ٢ ـ وفي نسخة: [بأن يعيه].

٣ ـ نهج البلاغة: ص١٨٦، الخطبة ١٢٨. فيه: «تَضْطَّم علَيْهِ جوانحى» تضطَمَّ: هو إفتعال من الضم، أي وتنضمّ عليه جوانحي. والجوانح: الأضلاع تحت الترائب ممّا يلي الصدر وإنضمامها عليه إشتمالها على قلب يعيها.

بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾: تتابع حتّى إستحكم.

﴿عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: القمّي: يقول: علموا ما كانوا جهلوا في الدّنيا[1].

وقرئ بدون الألف مع تخفيف الدّال وتشديدها.

﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَا﴾: في حيرة.

﴿بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾: لإختلال بصيرتهم، قيل: الإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم[2].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ﴾: من الأجداث أو من الفناء إلى الحياة وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار.

وقرئ بحذف الأولى وبحذفها وإنّنا بالنّونين.

﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبهم الّتي هي كالإسمار.

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن ينزل عليهم مثل ما نزل بالمكذّبين قبلهم، والتعبير عنهم بالمجرمين

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٢، س ٢٣.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٨٢، س ٤.

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾

ليكون لطفاً للمجرمين في ترك الجرائم.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: على تكذيبهم وإعراضهم.

﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾: في حرج صدر، وقرئ بكسر الضّاد.

﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾: من مكرهم فإنّ الله يعصمك من النّاس.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: أي العذاب الموعود.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾: تبعكم ولحقكم.

والقمّي: أي قد قرب من خلفكم[١].

﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾: حلوله قيل: هو عذاب يوم بدر[٢].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: بتأخيره عقوبتهم على المعاصي.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لا يعرفون حقّ النّعمة فيه فلا يشكرونه، بل يستعجلون بجهلهم وقوعه.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: ما تخفيه.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: من عداوتك فيجازيهم عليه.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٠، س ٥.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٨٢، س ٢٣.

وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خافية فيهما.

﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾: في الكافي: عن الكاظم عليه السلام في حديث وإنّ في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلّا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله ممّا كتبه الماضون جعله الله لنا في أُمّ الكتاب، إنّ الله يقول: «وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ» الآية، ثمّ قال: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا»[1] فنحن الذين إصطفانا الله وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كلّ شيء[2].

﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: كالتشبيه، والتنزيه، وأحوال الجنّة والنّار، وعزير، والمسيح.

﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: فإنّهم المشفعون به.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾: بين بني إسرائيل.

﴿بِحُكْمِهِۦ﴾: أي بحكمته، أو بما يحكم به وهو الحقّ.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: فلا يردّ قضائه[3].

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بحقيقة ما يقضي فيه وحكمته.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ولا تبال بمعاداتهم.

---

١ ـ فاطر: ٣٢.

٢ ـ الكافي: ج١، ص٢٢٦، ح٧، باب أن الأئمّة ورثوا علم النبيّ وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم.

٣ ـ وفي نسخة: [لا يردّ قضائه].

إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾: وصاحب الحقّ حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصرته.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾: وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصّم.

﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾: شبّهوا بالموتى والصمّ، لعدم إنتفاعهم بما يتلى عليهم.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾: وقرئ تهدى العُمى.

﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾: حيث أنّ الهداية لا تحصل إلّا بالبصر.

﴿إِن تُسْمِعُ﴾: ما يجدي إسماعك.

﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: من هو في علم الله كذلك.

﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: مخلصون.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: وهو ما وعدوا به من الرّجعة عند قيام المهديّ عليه السلام كما يأتي بيانه عن قريب.

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾: وقرئ تكلمهم بالتّخفيف من الكلم بمعنى الجرح .

وفي الجوامع: عن الباقر عليه السلام قال: كلم الله من قرأ تكلمهم، ولكن تكلّمهم بالتّشديد(١).

---

١ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص٢٠٢، س١٢.

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: إنتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو نائم في المسجد قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه فحركه برجله، ثمّ قال له: قم يا دابّة الأرض، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله أيسمّى بعضنا بعضاً بهذا الأسم؟ فقال: لا والله ما هو إلّا له خاصّة، وهو الدّابّة الّذي ذكره الله في كتابه فقال عزّوجلّ: «وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ» الآية، ثمّ قال: يا عليّ إذا كان آخر الزّمان أخرجك الله في أحسن صورة ومعك ميسم[١] تسم به أعداءك، فقال رجل لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ العامّة يقولون[٢]: إنّ هذه الدّابّة إنّما تكلّمهم، فقال أبو عبدالله عليه السلام: كلمهم الله في نار جهنّم، إنّما هو يكلّمهم من الكلام[٣].

وعنه عليه السلام: قال: قال رجل لعمّار بن ياسر: يا أبا اليقظان إنّ آية في كتاب الله قد أفسدت قلبي وشكّكتني، فقال: وأيّة آية هي؟ قال: قوله عزّوجلّ: «وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ» الآية فأيّة دابّة هذه؟ قال عمّار: والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتّى أُريكها فجاء عمّار مع الرّجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل تمراً وزبداً، فقال: يا أبا اليقظان هلّم فأقبل عمّار وجلس يأكل معه، فتعجّب الرّجل منه فلمّا قام عمّار، قال الرّجل: سبحان الله إنّك حلفت أن لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتى تريني الدابّة، قال عمّار: قد أريتكها إن كنت تعقل[٤].

وفي المجمع: إنّه روى العيّاشي هذه القصّة بعينها عن أبي ذرّ أيضاً[٥].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ولقد أُعطيت الست: علم المنايا، والبلايا، والوصايا، وفصل الخطاب، وإنّي لصاحب الكرّات[٦]، ودولة الدّول[٧]، وإنّي لصاحب العصا، والميسم، والدّابة الّتي تكلّم النّاس[٨].

---

١ ـ الميسم ـ بكسر الميم ـ: إسم الآلة التي يكوى بها، ويعلَّم، وأصله الواو، وجمعه مياسم ومواسم، الأُولى على اللفظ والثانية على الأصل. مجمع البحرين: ج٦، ص١٨٣، مادة وسم».

٢ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: «إنّ العامّة تقول»، وفي المصدر: إنّ الناس يقولون.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٣٠، س٩. وفيه: «يا دابّة الله».

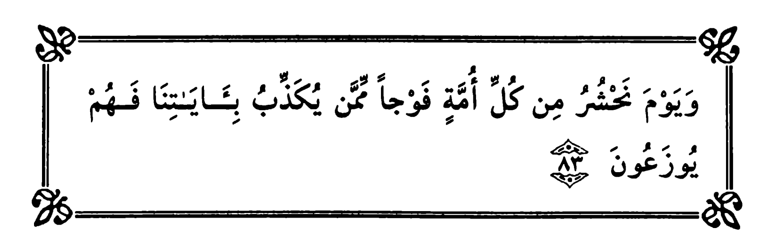
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٣١، س٥.

٥ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٣٤، س٢٠.

٦ ـ أي الرجعات إلى الدنيا.

٧ ـ أي غلبة الغلبات.

٨ ـ الكافي: ج١، ص١٩٨، ذيل ح٣، باب أن الأئمة هم أركان الأرض.



في الإكمال: عن أمير المؤمنين عليه‌السلام في حديث بعد أن ذكر الدجّال ومن يقتله قال: ألا إنّ بعد ذلك الطّامة الكبرى، قيل: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: خروج دابّة الأرض من عند الصّفا، ومعها خاتم سليمان عليه‌السلام، وعصا موسى عليه‌السلام، تضع الخاتم على وجه كلّ مؤمن فينطبع فيه هذا مؤمن حقّاً، وتضعه على وجه كلّ كافر فيكتب هذا كافر حقّاً، حتّى أنّ المؤمن لينادي الويل لك حقّاً يا كافر، وإنّ الكافر ينادي طوبى لك يا مؤمن، وددت أنّي كنت مثلك فأفوز فوزاً عظيماً، ثمّ ترفع الدّابّة رأسها من بين الخافقين بإذن الله جلّ جلاله، وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها فعند ذلك ترفع التوبة، فلا تقبل توبة ولا عمل يرفع و«لَا يَنْفَعُ نَفْسَاً إِيْمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَـٰنِهَا خَيْراً»[١]، ثمّ قال عليه‌السلام: لا تسألوني عمّا يكون بعد هذا فإنّه عهد إليّ حبيبي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أن لا أُخبر به غير عترتي[٢].

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: دابّة الأرض طولها ستّون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب، فتسم المؤمن بين عينيه، ويكتب بين عينيه مؤمن، وتسم الكافر بين عينيه، ويكتب بين عينيه كافر، ومعها عصا موسى عليه‌السلام، وخاتم سليمان عليه‌السلام، فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم حتّى يقال: يا مؤمن ويا كافر[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه‌السلام: إنّه سئل عن الدّابّة فقال: أما والله ما لها ذنب وأنّ لها للحية[٤].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾: يعني يوم الرّجعة.

﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: يعني بالأئمّة عليهم‌السلام.

---

١ ـ الأنعام: ١٥٨.

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٥٢٧، ح١، باب ٤٧ ـ حديث الدجال وما يتصل به من أمر القائم عليه‌السلام.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٣٤، س٣. ٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٣٤، س١.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾: إلى المحشر.

﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أم أي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتّبكيت، إذ لم يفعلوا غير التّكذيب.

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾: حلّ بهم العذاب الموعود.

﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾: بسبب ظلمهم وهو التّكذيب بآيات الله.

﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾: بالإعتذار لشغلهم بالعذاب، القمّي: عن الصّادق عليه السلام في الحديث الّذي مضى في تفسير الدّابّة أولاً قال: والدّليل على أن هذا في الرّجعة قوله: «وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً» الآية قال: الآيات: أمير المؤمنين، والأئمّة عليهم السلام. فقال الرّجل: إنّ العامّة تزعم إنّ قوله عزّوجلّ: «وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً» عنى في يوم القيامة، فقال عليه السلام: فيحشر الله عزّوجلّ يوم القيامة من كلّ أُمّة فوجاً، ويدع الباقين؟ لا ولكنّه في الرّجعة، وأمّا آية القيامة فهي «وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً»(١)(٢).

وعنه عليه السلام: ليس أحد من المؤمنين قتل إلّا ويرجع حتّى يموت، ولا يرجع إلّا من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً(٣).

وفي الكافي: عنه عليه السلام في قوله تعالى: «بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ»(٤) إنّهم قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون وترا لآل محمّد صلوات الله عليهم إلّا قتلوه(٥).

---

١ ـ الكهف: ٤٧. ٢ و ٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٠ و ١٣١.
٤ ـ الإسراء: ٥. ٥ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٠٦، ح ٢٥٠.

وقد سبق تمام الحديث في سورة بني إسرائيل[١] فلا حاجة بنا إلى إعادته.

قال في المجمع: وقد تظاهرت الأخبار عن أئمّة الهدى من آل محمّد صلوات الله عليهم في أنّ الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي عليه السلام قوماً ممّن تقدّم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويتبهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقّونه من العقاب في القتل على أيدي شيعته، أو الذلّ والخزي ممّا يشاهدون من علوّ كلمته، ولا يشكّ عاقل أنّ هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، وقد فعل الله ذلك في الأُمم الخالية، ونطق القرآن بذلك في عدّة مواضع، مثل قصّة عزير، وغيره على ما فسرّناه في موضعه، وصحّ عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: سيكون في أُمتي كلّ ما كان في بني إسرائيل حذو[٢] النّعل بالنّعل والقذّة[٣] بالقذّة حتّى لو أنّ أحدهم دخل حجر ضب لدخلتموه[٤].

أقول: وقد صنّف الحسن بن سليمان الحلّي طاب ثراه كتاباً في فضائل أهل البيت عليهم السلام، أورد فيه أخباراً كثيرة في إثبات الرّجعة وتفاصيل أحوالها، وذكر فيه أنّ الدّابّة أمير المؤمنين عليه السلام في أخبار كثيرة متوافقة المعاني، ونقل أكثرها من كتاب سعد بن عبدالله المسمّى بمختصر البصائر[٥]، ولنورد هنا من كتابه حديثاً واحداً ومن أراد سائرها فليراجع إليه، وهو

---

١ ـ ذيل الآية: ٥.

٢ ـ حذوت النعل بالنعل: إذا قدّرت كل واحدة من طاقاتها على صاحبتها ليكونا على سواء، وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله لتركبنّ سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل أي تشابهونهم وتعملون مثل أعمالهم على السواء. مجمع البحرين: ج ١، ص ٩٧، مادة «حذا».

٣ ـ القذَّة بالضم والتشديد ـ: ريش السهم، والجمع قُذَذٌ، «وحذو القُذَّةِ بالقُذَة» أي كما يقدّر كل واحدة منها على قدر صاحبتها وتقطع، ضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان. وفي الحديث: وتركبون قُذَّتَهم أي طريقتهم. والقذّة: الطريقة. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٨٦، مادة «قذذ».

٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢٣٤.

٥ ـ اعلم أنّ كتاب بصائر الدرجات ينسب تارة إلى أبي جعفر محمّد بن الحسن بن فروخ الصفّار القمّي المتوفّى بها سنة ٢٩٠ هـ كما جاء في الذريعة: ج ٣، ص ١٢٤، تحت رقم ٤١٦، وتارة ينسب إلى شيخ الطائفة أبي القاسم سعد ابن عبدالله بن أبي خلف الأشعري القمّي المتوفى سنة ٢٩٩ أو سنة ٣٠١ كما جاء في نفس المصدر السابق. وأضاف صاحب الذريعة قائلاً: وقد اختصر هذا الكتاب الشيخ حسن بن سليمان بن محمّد بن خالد الحلّي تلميذ الشيخ الشهيد، وصاحب اثبات الرجعة. وجاء في مقدّمة كتاب مختصر بصائر الدرجات للشيخ الجليل حسن بن سليمان الحلّي: ص ذ «وفي كتاب صحيفة الأبرار إنّ المختصر وأسماه المنتخب كتاب معروف معتبر. وأمّا أصل هذا ⇦

ما رواه عن الاصبغ بن نباته أنّ عبدالله بن الكواء اليشكريّ قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّ أُناساً من أصحابك يزعمون أنّهم يردّون بعد الموت، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: نعم تكلّم بما سمعت ولا تزد في الكلام فما قلت لهم؟ قال: قلت: لا اؤمن بشيء ممّا قلتم، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك إنّ الله عزّوجلّ إبتلى قوماً بما كان من ذنوبهم فأماتهم قبل آجالهم الّتي سمّيت لهم، ثمّ ردّهم إلى الدّنيا ليستوفوا أرزاقهم، ثمّ أماتهم بعد ذلك قال: فكبر على ابن الكوّاء ولم يهتد له، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك تعلم أنّ الله عزّوجلّ قال في كتابه: «وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَـٰتِنَا»[1] فإنطلق بهم معه ليشهدوا له إذا رجعوا عند الملأ من بني إسرائيل إنّ ربّي قد كلّمني فلو أنّهم سلّموا ذلك وصدّقوا به لكان خيراً لهم، ولكنّهم قالوا لموسى: «لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً»[2] قال الله تعالى: «فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ»[3] يعني الموت «وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»[4] أفترا يابن الكوّاء إنّ هؤلاء قد رجعوا إلى منازلهم بعد ما ماتوا؟ فقال ابن الكوّاء: وماذاك؟ ثمّ أماتهم مكانهم، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك أوليس قد أخبرك في كتابه حيث يقول: «وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ»[5] فهذا بعد الموت إذ بعثهم، وأيضاً مثلهم يا ابن الكوّاء الملأ من بني إسرائيل حيث يقول الله عزّوجلّ: «أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ»[6] وقوله عزّوجلّ في عزير حيث أخبر الله فقال: «أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا» فقال «أَنَّىٰ يُحْيِى هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ» وأخذه بذلك الذّنب مأة عام ثمّ بعثه وردّه إلى الدّنيا فقال: «كَمْ لَبِثْتَ» فقال: «لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ»[7] فلا تشكّ يا ابن الكوّاء في قدرة الله عزّوجلّ[8].

⇐ الكتاب فهو كتاب بصائر الدرجات لأبي القاسم سعد بن عبدالله بن أبي خلف الأشعري، انتهى كلامه. فعلى هذا إنّ ما ذكره الماتن رحمه الله من أنّ مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبدالله غير صحيح، بل هو لحسن بن سليمان الحلّي فتدبّر.

١ ـ الأعراف: ١٥٥.

٢ و٣ و٤ و٥ و٦ ـ البقرة: ٥٥ و٥٥ و٥٦ و٥٧ و٢٤٣.

٧ ـ البقرة: ٢٥٩. ٨ ـ مختصر بصائر الدرجات: ص ٢٢ ـ ٢٣.

أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ﴾: بالنّوم والقرار.

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِراً﴾: قيل: أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الإبصار حالاً من أحواله المجبول عليها[١].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: في القرن.

روي أنّ النبيّ ﷺ سُئل عنه فقال: قرن من نور إلتقمه إسرافيل[٢].

فوصف بالسعة والضّيق، واختلف في أنّ أعلاه ضيّق وأسفله واسع أو بالعكس، ولكلّ وجه، وورد أنّ فيه ثقباً بعدد كلّ إنسان ثقبة فيها روحه[٣].

﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾: من الهول وعبّر عنه بالماضي لتحقق وقوعه.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أن لا يفزع بأن يثبت قلبه.

﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾: صاغرين، وقرئ بقصر الهمزة وفتح التّاء.

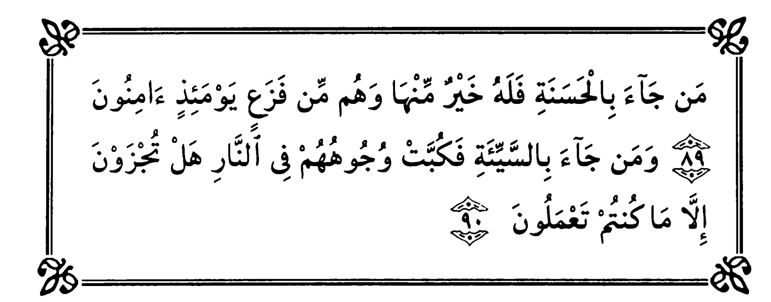
﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾: ثابتة في مكانها.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٨٤، س١٧.

٢ ـ أنظر تفسير أبي السعود: ج٦، ص٣٠٣. ومجمع البيان: ج٣ ـ ٤، ص٣٢١، وج٥ ـ ٦، ص٤٩٦. والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ج١٣، ص٢٣٩ ـ ٢٤٠. وتفسير (الآلوسي) روح المعاني: ج٢٠، ص٣٠.

٣ ـ بحار الأنوار: ج ٥٩، ص ٢٦١، والدر المنثور: ج ٥، ص ٢٣٨، س١٨.



﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾: في السّرعة، قيل: وذلك لأنّ إجرام الكبار إذا تحرّكت في سمت واحد لا تكاد تتبيّن حركتها[١].

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾: أحكم خلقه وسوّاه على ما ينبغي.

﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾: عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيهم عليها، وقرئ بالتّاء.

﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾: وقرئ بالإضافة.

﴿وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾: فكبّوا فيها على وجوههم.

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: على إرادة القول، القمّي: قال: الحسنة والله: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، والسيّئة والله: إتّباع أعدائه[٢].

وفي الكافي: عن الصّادق، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية: قال: الحسنة: معرفة الولاية، وحبّنا أهل البيت، والسّيئة: إنكار الولاية، وبغضنا أهل البيت، ثمّ قرأ الآية[٣].

وعن الباقر عليه السلام: في قوله تعالى: «وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً»[٤] قال: من تولّى الأوصياء من آل محمّد صلوات الله عليهم، واتّبع آثارهم فذاك يزيده ولاية من مضى من النبيّين والمؤمنين الأولين حتى تصل ولايتهم إلى آدم عليه السلام وهو قول الله: «مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا» ندخله الجنّة[٥].

---

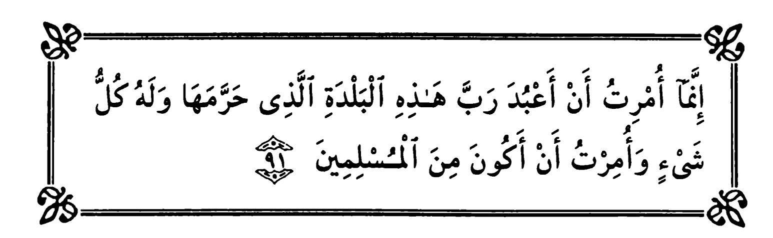
١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٨٥، س ٤.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣١، س ١٦.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ١٨٥، ح ١٤، باب معرفة الإمام والرد إليه.

٤ ـ الشورى: ٢٣.

٥ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٧٩، ح ٥٧٤.



وفي روضة الواعظين: عنه عليه السلام في هذه، قال: الحسنة: ولاية عليّ وحبّه، والسيئة: عداوته وبغضه، ولا يرفع معهما عمل[١]. وقد مضى في آخر سورة الأنعام[٢] حديث في صدر الآيتين.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾: القمّي: يعني مكّة شرّفها الله تعالى[٣].

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ قريشاً لمّا هدموا الكعبة وجدوا في قواعده حجراً فيه كتاب لم يحسنوا قراءته حتّى دعوا رجلاً فقرأه فإذا فيه أنا الله ذو بكّة حرّمتها يوم خلقت السّماوات والأرض، ووضعتها بين هذين الجبلين، وحففتها بسبعة أملاك حفّاً[٤].

وعنه عليه السلام: لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة يوم إفتتحها فتح باب الكعبة فأمر بصور في الكعبة فطمست فأخذ بعضادتي الباب فقال: ألا إنّ الله قد حرّم مكّة يوم خلق السّماوات والأرض فهي حرام بحرام الله عزّوجلّ إلى يوم القيامة لا ينفر[٥] صيدها ولا يعضد[٦] شجرها ولا يختلي[٧] خلاها ولا تحلّ لقطتها إلّا لمنشد، فقال العبّاس: يا رسول الله إلّا الإذخر

---

١ ـ روضة الواعظين: ص١٠٦، س٢٠.

٢ ـ ذيل الآية ١٦٠، راجع: ج٢، ص١٣٢ ـ ١٣٣ من كتابنا تفسير الصافي.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٣١، س١٩.

٤ ـ الكافي: ج٤، ص٢٢٥، ح١، باب أن الله عزّوجلّ حرّم مكة حين خلق السماوات والأرض.

٥ ـ نفرت الدابة تنفر نفوراً ونِفَاراً: جزعت وتباعدت، والأسم النفار بالكسر. مجمع البحرين: ج٣، ص٥٠٠، مادة «نفر».

٦ ـ عَضَدْتُ الشجرة عضداً ـ من باب ضرب ـ: قطعتها. وفي الحديث «مكة لا يعضد شجرها» أي لا يقطع شجرها، من العَضْد ـ بإسكان الضاد ـ أي القطع. مجمع البحرين: ج٣، ص١٠٢، مادة «عضد».

٧ ـ إختليته: إقتطعته، ومنه حديث مكة: «لا يختلى خلاها» بضم أوّله وفتح اللام ـ أي لا يجزّ نبتها الرقيق ولا يقطع ما دام رطباً وإذا ييبس فهو حشيش. مجمع البحرين: ج١، ص١٣١، مادة «خلا».

وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

فإنّه للقبر والبيوت، فقال رسول الله: إلّا الإذخر[١].

﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾: خلقاً وملكاً.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾: وأن أواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: باتّباعه إيّاي في ذلك.

﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ﴾: فإنّ منافعه عائدة إليه.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾: بمخالفتي.

﴿فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾: فلا عليّ من وبال ضلالته شيء، إذ ما على الرّسول إلّا البلاغ، وقد بلّغت.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على نعمة النبوّة، وعلى ما علّمني ربّي، ووفّقني للعمل به.

﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾: إذا رجعتم إلى الدنيا، ورجعوا.

﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾: فتعرفون إنّها آيات الله حين لا تنفعكم المعرفة.

القمّي: قال: الآيات: أمير المؤمنين، والأئمّة عليهم السلام إذا رجعوا إلى الدّنيا يعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم في الدّنيا، قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ماالله آية أكبر منّي[٢].

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: فلا تحسبوا أنّ تأخير عذابكم لغفلته من أعمالكم، وقرئ بالياء، وقد مضى ثواب قراءة الطّواسين الثلاث.

---

١ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦، ح ٣.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٢، س ٢.



سورة القصص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾

سورة القصص: عدد آيها ثمان وثمانون آيةً إختلافها آيتان: «طسٓمٓ» كوفي «يَسْقُوْنَ»[1] غير الكوفي.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ * تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ * نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾: بعض نبأهما.

﴿بِالْحَقِّ﴾: محقين.

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: لأنّهم المنتفعون به.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً﴾: فرقاً يشيعون.

﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾: وهم بنو إسرائيل.

---

١ ـ القصص: ٢٣.

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَآءَهُمْ﴾: وذلك لأنّ كاهناً قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يكون ذهاب ملكك على يده[1]، وذلك كان من غاية حمقه فإنّه لو صدق لم يندفع بالقتل وإن كذب فما وجهه.

﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: فلذلك إجترأ على قتل خلق كثير من أولاد الأنبياء لتخيل فاسد.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أن نتفضّل عليهم حال من يستضعف، أو حكاية حال ماضية.

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: نسلّطهم فيها.

﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾: من ذهاب ملكهم وهلاكهم، وقرئ ويرى بالياء ورفع الأسماء، في الغيبة: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: هم آل محمّد صلوات الله عليهم، يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزّهم ويذلّ أعداءهم[2].

وفي نهج البلاغة: قال عليه السلام لتعطفنّ الدّنيا علينا بعد شماسها[3] عطف الضّروس[4] على ولدها وتلا عقيب ذلك: «وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ» الآية[5].

وفي الكافي: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبد الله عليه السلام يمشي فقال: أترى هذا؟ هذا من

---

١ ـ وفي نسخة: [يذهب ملكك على يده].
٢ ـ الغيبة للشيخ الطوسي: ص١١٣.
٣ ـ الشِماس ـ بالكسر ـ: إمتناع ظهر الفرس من الركوب.
٤ ـ الضَروس: الناقة السّيئة الخلق تعض حالبها، أي أن الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها وتلين بعد خشونتها. كما تنعطف الناقة على ولدها وإن أبت على الحالب.
٥ ـ نهج البلاغة: ص٥٠٦، قصار الحكم ٢٠٩.

الّذين قال الله عزّوجلّ: «وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ» الآية[١].

وفي المعاني: عن الصّادق عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نظر إلى عليّ والحسن والحسين عليهم السلام فبكى، وقال: أنتم المستضعفون بعدي إنّ الله عزّوجلّ يقول: «ونُريدُ» الآية فقيل: للصّادق عليه السلام ما معنى ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: معناه إنّكم الأئمّة بعدي أنّ الله عزّوجلّ يقول: «وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً» الآية، ثمّ قال: فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة[٢].

وفي المجالس: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: هي لنا أو فينا[٣].

وفي الإكمال[٤]، والغيبة: إنّ القائم عليه السلام لمّا تولّد نطق بهذه الآية [٥].

والقمّي: أخبر الله نبيّه صلى الله عليه وآله بما لقي موسى عليه السلام وأصحابه من فرعون من القتل والظّلم ليكون تعزية له فيما يصيبه في أهل بيته صلوات الله عليهم من اُمّته، ثمّ بشّره بعد تعزيته أنّه يتفضّل عليهم بعد ذلك، ويجعلهم خلفاء في الأرض وأئمّة على اُمّته ويردّهم إلى الدّنيا مع أعدائهم حتّى ينتصفوا منهم، فقال: «وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ» الآية قال: قوله: «وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا» يعني الذين غصبوا آل محمّد عليه السلام حقّهم وقوله: «مِنْهُمْ» أي من آل محمّد «مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ» أي من القتل والعذاب.

قال[٦]: ولو كانت هذه الآية نزلت في موسى عليه السلام وفرعون لقال: ونرى فرعون وهامان وجنودهما منه ما كانوا يحذرون، أي من موسى ولم يقل منهم فلمّا تقدّم قوله: «وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً» علمنا أن المخاطبة للنّبي صلى الله عليه وآله[٧].

---

١ ـ الكافي: ج١، ص٣٠٦، ح١، باب الإشارة والنص على أبي عبدالله جعفربن محمدالصادق صلوات الله عليهما.

٢ ـ معاني الأخبار: ص٧٩، ح١، باب معنى قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي والحسن والحسين عليهم السلام «أنتم المستضعفون بعدي».

٣ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص٣٨٧، ح٢٦، المجلس ٧٢.

٤ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٤٢٥، ح١، باب ٤٢ ـ ما روي في ميلاد القائم صاحب الزمان حجة الله إبن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم.

٥ ـ الغيبة للشيخ الطوسي: ص١٤٢.

٦ ـ أي القمّي رحمه الله.

٧ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٣٣، س٧.

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾

وبالجملة: حمل الأخبار الواردة في ذلك على تفسير الآية بضرب من التكلّف واستشهد له بكلمات لهم عليهم السلام لا دلالة فيها على مطلوبه، والصّواب أن يحمل الأخبار على التّأويل كما في سائر الأخبار الواردة في نظائرهنّ من الآيات، ومعلوم أنّ الضّمير في منهم راجع إلى الّذين استضعفوا يعني بني إسرائيل كسائر الضّمائر.

في الجوامع: عن السّجاد عليه السلام والّذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ونذيراً أنّ الأبرار منّا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وأنّ عدوّنا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه[1].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾: ما أمكنك إخفاءوه.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾: الصّوت.

﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾: في النّيل.

﴿وَلَا تَخَافِى﴾: عليه ضيعة ولا شدّة.

﴿وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾: لفراقه.

﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾: عن قريب بحيث تأمنين عليه.

﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾: تعليل لالتقاطهم إيّاه بما هو عاقبته ومؤدّاه تشبيهاً له بالغرض الحامل عليه. وقرئ بضمّ الحاء والتسكين.

---

١ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص٢٠٨، س١١.

وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَـٰنُواْ خَـٰطِئِينَ * وَقَـٰلَتِ ٱمْـرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾: أي لفرعون حين أخرجته من التّابوت.

﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾: هو قرّة عين لنا، في المجمع: عن ابن عبّاس قال فرعون: قرّة عين لك، فأمّا لي فلا، قال رسول الله ﷺ: والّذي يُحْلَف به لو أقرّ فرعون بأنّ يكون له قرّة عين كما أقرّت إمرأته لهداه الله به كما هداها، ولكنّه أبى للشّقاء الّذي كتبه الله عليه[1].

﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾: فيه مخايل اليمن ودلائل النّفع.

﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾: أو نتبناه فإنّه أهل له.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: إنّه الّذي ذهاب ملكهم على يديه.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغاً﴾: صفراً من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة.

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ﴾: به إنّها كادت لتظهر بأمره وقصتّه، القمّي: عن الباقر عليه السلام كادت تخبر بخبره أو تموت، ثمّ حفظت نفسها[2].

﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾: بالصّبر والثبات.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من المصدّقين بوعد الله أو الواثقين بحفظه، في الإكمال: عن الباقر عليه السلام في حديث: في بيان هذه القصّة، قال: فلمّا خافت عليه الصّوت أوحى الله تعالى إليها

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٤١، س٢٥.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٣٦، س٤، وفيه: «ثمّ ضبطت».

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

أن اعملي التّابوت، ثمّ اجعليه فيه، ثمّ أخرجيه ليلاً فاطرحيه في نيل مصر فوضعته في التّابوت، ثمّ دفعته في اليّم فجعل يرجع إليها وجعلت تدفعه في الغمر، وأنّ الرّيح ضربته فإنطلقت به فلمّا رأته قد ذهب به الماء همّت أن تصيح فربط الله على قلبها[1].

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾: إتّبعي أثره، وتتبعي خبره.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ﴾: عن بعد.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: إنّها تقصّ وإنّها اُخته.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾: ومنعناه أن يرتضع من المرضعات.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل قصصها أثره.

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾: لا يقصرون في إرضاعه وتربيته، وفي الجوامع: روي أنّها لمّا قالت: «وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» قال هامان: إنّها لتعرفه وتعرف أهله، قالت: إنّما أرادت وهم للملك ناصحون[2].

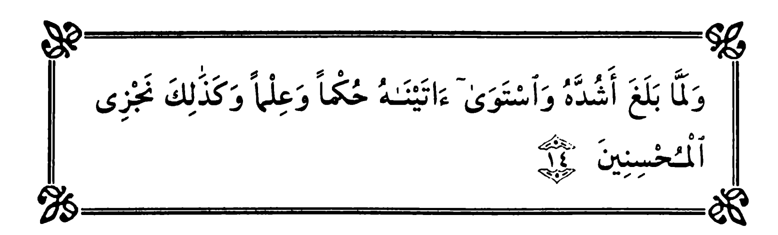
﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: بولدها.

﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾: بفراقه.

---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص١٤٨، ضمن ح١٣، س٧، باب ٦ ـ في غيبة موسى عليه السلام.

٢ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص٢١١، س١٥.



﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: علم مشاهدة.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: قد سبقت هذه القصّة في حديث القمّي: عن الباقر عليه السلام مفصّلة في سورة طه[١].

وأوردها في الإكمال بأبسط منها[٢].

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: في المعاني: عن الصّادق عليه السلام «أَشُدَّهُ» ثمان عشرة سنة[٣].

﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾: إلتحى.

﴿ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام في حديثه الّذي سبق قال: فلم يزل موسى عند فرعون في أكرم كرامة حتّى بلغ مبلغ الرّجال، وكان ينكر عليه ما يتكلّم به موسى من التوحيد حتّى همّ به فخرج موسى من عنده[٤].

وفي الإكمال: عن الباقر عليه السلام قال: وكانت بنو إسرائيل تطلبه وتسأل عنه فعمي عليهم خبره، فبلغ فرعون أنّهم يطلبونه ويسألون عنه، فأرسل إليهم وزاد عليهم في العذاب وفرق بينهم ونهاهم عن الإخبار به والسّؤال عنه، قال: فخرجت بنو إسرائيل ذات ليلة مقمرة إلى شيخ لهم عنده علم، فقالوا: كنّا نستريح إلى الأحاديث فحتّى متى نحن في هذا البلاء؟ قال: والله إنّكم لا تزالون فيه حتّى يجيء الله بغلام من ولد لاوي بن يعقوب إسمه موسى بن عمران، غلام طوال جعد فبيناهم كذلك إذ أقبل موسى يسير على بغلة حتّى وقف عليهم، فرفع الشيخ رأسه

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٥٩، س ١٣؛ وراجع ص ١١ من هذا الجزء.

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٤٩، ضمن ح ١٣، باب ٦ ـ في غيبة موسى عليه السلام. وفيه: «فيعمى عليهم خبره».

٣ ـ معاني الأخبار: ص ٢٢٦، ح ١، باب معنى بلوغ الأشد والإستواء.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٧، س ٨.

وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

فعرفه بالصّفة، فقال له: ما اسمك؟ قال: موسى، قال: ابن من؟ قال: ابن عمران، فوثب إليه الشيخ فأخذ بيده فقبّلها، وثاروا إلى رجله فقبّلوها، فعرفهم وعرفوه واتّخذ شيعة، فمكث بعد ذلك ما شاء الله ثمّ خرج[1].

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾: مدينة من مدائن فرعون، كذا في العيون: عن الرّضا عليه السلام[2].

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾: قال: وذلك بين المغرب والعشاء[3].

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾: أحدهما ممّن شايعه على دينه، يعني من بني إسرائيل، والآخر من مخالفيه يعني القبط.

القمّي: في حديثه السّابق قال: أحدهما يقول بقول موسى، والآخر يقول بقول فرعون[4].

﴿فَاسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ﴾: فسأله أن يغيثه بالإعانة، ولذلك عدّى بـ«على»، وقرئ إستعانه، في المجمع: عن الصّادق عليه السلام قال: ليهنّئكم الإسم، قيل: وما الاسم قال: الشّيعة، ثمّ تلا هذه الآية[5].

﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ﴾: فضرب القبطي بجمع كفّه.

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾: قيل: أي فقتله، وأصله أنهى حياته من قوله: «وقضينا إليه ذلك

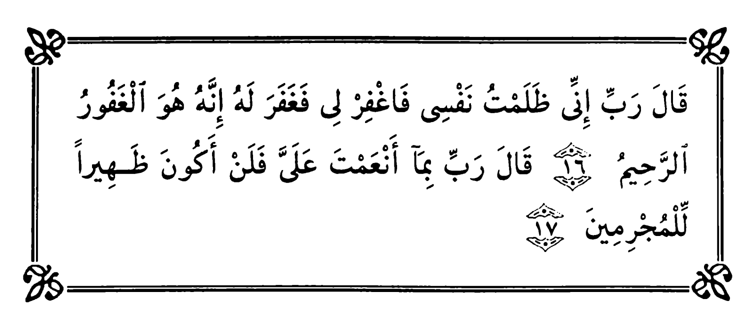
---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص١٤٩، ضمن ح١٣، س١٦، باب ٦ ـ في غيبة موسى عليه السلام.

٢ و٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص١٩٨، س١٥، ح١، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٣٧، س١٠.

٥ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٤٤، س٢.



الأمر»[١][٢].

وفي العيون: سئل الرّضا عليه السلام عن هذه الآية مع أنّ الأنبياء معصومون، فقال عليه السلام: «فَقَضَىٰ عَلَيْهِ» أي على العدوّ بحكم الله تعالى ذكره «فَوَكَزَهُ» فمات[٣].

﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾: قال عليه السلام يعني الإقتتال الّذي كان وقع بين الرّجلين لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله[٤].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: قال عليه السلام: يقول وضعت نفسي غير موضعها بدخول هذه المدينة[٥].

﴿فَاغْفِرْ لِي﴾: قال عليه السلام: يعني استرني من أعدائك لئلّا يظفروا بي فيقتلوني[٦].

﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾: قال عليه السلام: يعني من القوّة حتّى قتلت رجلاً بوكزة[٧].

﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: قال عليه السلام: بل أُجاهدهم في سبيلك بهذه القوة حتّى ترضى[٨].

في الإكمال: في الحديث السّابق قال: وكان موسى عليه السلام قد أُعطي بسطة في الجسم، وشدّة في البطش، قال: فذكره النّاس وشاع أمره، وقالوا: إنّ موسى قتل رجلاً من آل فرعون[٩].

---

١ ـ الحجر: ٦٦. ٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٨٩، س١٢.

٣ و٤ و٥ و٦ و٧ و٨ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص١٩٩، ح١، س١ و٢ و٤ و٥ و٦ و٧، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عن المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٩ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص١٥٠، ضمن ح١٣، س٦، باب ٦ ـ في غيبة موسى عليه السلام.

فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ﴾: يترصّد الإستقادة.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾: يستغيثه على آخر.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾: بيّن الغواية في حديث العيون: قال عليه السلام: قال له: قاتلت رجلاً بالأمس، وتقاتل هذا اليوم لأُوذينّك وأراد أن يبطش به[١].

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾: لموسى وللإسرائيلي لأنّه لم يكن على دينهما، ولأنّ القبط كانوا أعداء لبني إسرائيل.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متطاولاً على النّاس.

﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾: بينهم في حديث العيون قال: قال: وهو من شيعته[٢].

أقول: لعلّ المراد إنّ الإسرائيلي قال ذلك وكأنّه لمّا سمّاه غويّاً ظنّ أنّه يبطش به.

والقمّي: عن الباقر عليه السلام في حديثه السّابق فلمّا كان من الغد جاء آخر فتشبّث بذلك الرّجل الّذي يقول بقول موسى فاستغاث بموسى فلمّا نظر صاحبه إلى موسى قال له: أتريد أن

---

١ و ٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص١٩٩، ح١، س١٠ و ١١، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

تقتلني؟ فخلّى عن صاحبه وهرب[١].

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾: يسرع.

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾: يتشاورون بسببك، وإنّما سّمى التشاور إئتماراً لأنّ كلّاً من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر.

﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾: قيل: هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عمّ موسى[٢].

والقمّي: في حديثه السّابق، وكان خازن فرعون مؤمناً بموسى قد كتم إيمانه ستّ مائة سنة وهو الّذي قال الله عزّوجلّ: «وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُ»[٣].

قال: وبلغ فرعون خبر قتل موسى الرّجل فطلبه ليقتله فبعث المؤمن إلى موسى: «إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ» الآية[٤].

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ﴾: لحوق طالب.

﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: خلّصني منهم واحفظني من لحوقهم.

القمّي في حديثه السّابق قال: يلتفت يمنة ويسرة، ويقول: «رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ» قال: ومرّ ونحو مدين وكان بينه وبين مدين مسيرة ثلاثة أيّام[٥].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٧، س ١٢.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٩٠، س ٦.

٣ ـ غافر: ٢٨.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٧، س ١٤.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٧، س ١٩.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾: قبالة مدين قرية شعيب، قيل: سمّيت بإسم مدين بن إبراهيم ولم يكن في سلطان فرعون[1].

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: في الإكمال: في الحديث السّابق فخرج من مصر بغير ظهر ولا دابّة ولا خادم تخفظه الأرض مرّة وترفعه أُخرى حتّى إنتهى إلى أرض مدين فإنتهى إلى أصل شجرة فنزل فإذا تحتها بئر[2].

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾: أي البئر.

﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: جماعة كثيرة مختلفين.

﴿يَسْقُونَ﴾: مواشيهم.

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾: في مكان أسفل من مكانهم.

﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾: تمنعان أغنامهما عن الماء لئلّا تختلط بأغنامهم.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾: ما شأنكما تذودان.

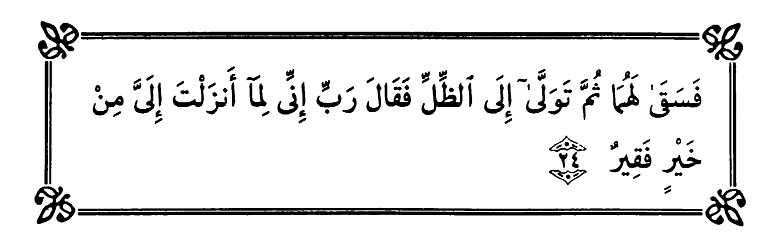
﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾: يصرف الرّعاة مواشيهم عن الماء حذراً عن مزاحمة الرّجال، وقرئ يصدر بفتح الياء وضمّ الدّال أي ينصرف.

﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسّقي فيرسلنا إضطراراً.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٩٠، س١٢.

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص١٥٠، س١٣، ضمن ح١٣، باب ٦ ـ في غيبة موسى عليه السلام



﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾: مواشيهما رحمة عليهما. القمّي: في حديثه فلمّا بلغ ماء مدين رأى بئراً يستقي النّاس منها لأغنامهم ودوابهّم فقعد ناحية ولم يكن أكل منذ ثلاثة أيّام شيئاً فنظر إلى جاريتين في ناحية ومعهما غنيمات لا تدنوان من البئر، فقال لهما: مالكما لا تستقيان؟ فقالتا: كما حكى الله. فرحمهما موسى عليه السلام ودنا من البئر فقال لمن على البئر: أستقي لي دلواً ولكم دلواً وكان الدّلو يمدّه عشرة رجال فاستقى وحده دلواً لمن على البئر ودلواً لبنتي شعيب، وسقى أغنامهما[١].

في الجوامع: روي أنّ الرّعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يقلّه إلّا سبعة رجال. وقيل: عشرة، وقيل: أربعون، فأقلّه وحده، وسألهم دلواً فأعطوه دلواً لا ينزعها إلّا عشرة، فاستقى بها وحده مرّة واحدة فروّى غنمهما وأصدرهما[٢].

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾: في الإكمال: في حديثه: إلى الشّجرة فجلس فيها[٣][٤].

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾: القمّي: في حديثه وكان شديد الجوع[٥].

وفي الكافي[٦]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام سأل الطّعام[٧].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٧، س ٢٠.

٢ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٢١٥، س ٥. وفيه: «فأعطوهم دلوهم».

٣ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: «تحتها» كما في المصدر.

٤ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٥٠، س ١٨، ضمن ح ١٣، باب ٦ ـ في غيبة موسى عليه السلام.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٨، س ٤.

٦ ـ الكافي: ج ٦، ص ٢٨٧، ح ٥، باب إنّ ابن آدم أجوف لابد له من الطعام.

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٣٣٠، ح ٤٤.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ٢٥﴾

وفي نهج البلاغة: والله ماسأل الله عزّوجلّ إلّا خبزاً: يأكله لأنّه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف[١] صفاق[٢] بطنه لهزاله وتشذبّ[٣] لحمه[٤].

وفي الإكمال: روي أنّه قال ذلك وهو محتاج إلى شقّ تمرة[٥].

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ﴾: ليكافئك.

﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾: جزاء سقيك لنا. القمّي: في حديثه فلمّا رجعت إبنتا شعيب عليه السلام إلى شعيب عليه السلام، قال لهما أسرعتما الرّجوع! فأخبرتاه بقصّة موسى عليه السلام ولم تعرفاه، فقال شعيب لواحدة منهنّ: إذهبي إليه فادعيه لنجزيه أجر ما سقى لنا. فجاءت إليه كما حكى الله، فقام موسى عليه السلام معها ومشت أمامه فسفقتها الرّياح، فبان عجزها، فقال موسى عليه السلام تأخري ودلّيني على الطريق بحصاة تلقيها أمامي أتّبعها، فأنا من قوم لا ينظرون في أدبار النّساء[٦].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: يريد فرعون وقومه.

---

١ ـ شفيف: رقيق، يستشفّ ما وراءه.
٢ ـ الصفاق: على وزن ـ كتاب ـ: الجلد الباطن الذي فوقه الجلد الظاهر من البطن.
٣ ـ تشذبُ اللحم: تفرّقه.
٤ ـ نهج البلاغة: ص٢٢٦ ـ ٢٢٧، الخطبة: ١٦٠.
٥ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص١٥٠، س١٩، ضمن ح١٣، باب ٦ ـ في غيبة موسى عليه السلام.
٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٣٨، س٨.

قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾: لرعي الغنم.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾: القمّي: في حديثه فقال لها شعيب: أمّا قوّته فقد عرفتيه بأنّه يستقي الدّلو وحده، فبم عرفت أمانته؟ فقالت: إنّه لمّا قال لي تأخّري عنّي ودلّيني على الطّريق فأنا من قوم لا ينظرون في أدبار النّساء عرفت أنّه ليس من الّذين ينظرون أعجاز النّساء فهذه أمانته[1].

وفي الفقيه: عن الكاظم عليه السلام قال: قال لها شعيب: يا بنيّة هذا قويّ قد عرفتيه برفع الصّخرة، والأمين من أين عرفتيه؟ قالت: يا أبة إنّي مشيت قُدّامه، فقال: امشي من خلفي فإن ضللت فأرشديني إلى الطّريق فأنا من قوم لا ننظر في أدبار النّساء[2].

وفي المجمع: ما يقرب منه عن أمير المؤمنين عليه السلام[3].

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾: فإتمامه من عندك تفضّلاً لا من عندي إلزاماً عليك.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾: بإلزام إتمام العشر.

وقال في المجمع: وما أُريد أن أشق عليك في هذه الثمانية[4].

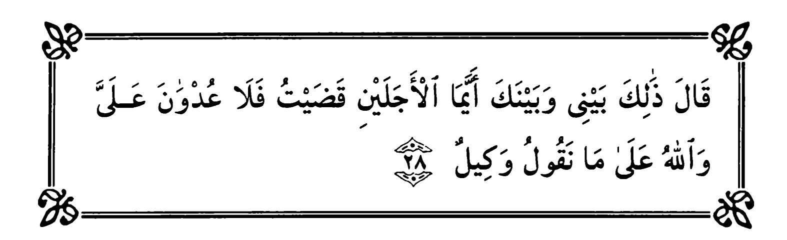
---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٣٨، س١٥.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص١٢، ح٦/٧، باب ٢ ـ ما جاء في النظر إلى النساء.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٤٩، س٢٣. وجاء فيه «قال عمر بن الخطاب».

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٥٠، س١.



﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: في حسن المعاملة، ولين الجانب، والوفاء بالمعاهدة.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾: لا نخرج عنه.

﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾: أطولها أو أقصرهما.

﴿قَضَيْتُ﴾: وفيتك إيّاه.

﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾: فلا تعتدي عليّ بطلب الزّيادة.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾: من المشارطة.

﴿وَكِيلٌ﴾: شاهد حفيظ، في المجمع: عن النبيّ صلى الله عليه وآله إنّه سئل أيّ الأجلين قضى؟ قال: أوفاهما وأبطأهما[١].

وفي رواية وإن سئلت أيّة الأبنتين تزوّج فقل الصّغرى منهما، وهي الّتي جاءت وقالت: يا أبت استأجره[٢].

وعن الصّادق عليه السلام: إنّه سئل أيّتهما الّتي قالت إنّ أبي يدعوك؟ قال: الّتي تزوّج بها، قيل: فأيّ الأجلين قضى؟ قال: أوفاهما وأبعدهما عشر سنين، قيل: فدخل بها قبل أن يمضي الشرط أو بعد إنقضائه؟ قال: قبل أن ينقضي، قيل: فالرّجل يتزوّج المرأة ويشترط لأبيها إجارة شهرين أيجوز ذلك؟ قال: إنّ موسى علم أنّه سيتّم له شرطه، قيل: كيف؟ قال: علم أنّه سيبقى حتّى يفي[٣]. والقمّي: عنه عليه السلام ما يقرب منه[٤].

وفي الكافي[٥]، وفي الفقيه: عنه عليه السلام إنّ علياً عليه السلام قال: لا يحلّ النّكاح اليوم في الإسلام

---

١ و ٢ و ٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢٥٠.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٣٩، س ٤.
٥ ـ الكافي: ج ٥، ص ٩٠، ح ٢، باب كراهيّة إجارة الرجل نفسه.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩﴾

بإجارة بأن يقول أعمل عندك كذا وكذا سنة على أن تزوّجني أُختك أو إبنتك، قال: هو حرام لأنّه ثمن رقبتها وهي أحقّ بمهرها[١].

قال في الفقيه: وفي حديث آخر إنّما كان ذلك لموسى بن عمران لأنّه علم من طريق الوحي هل يموت قبل الوفاء أم لا فوفى بأتّم الأجلين[٢].

وفي الإكمال: عن النّبيّ ﷺ أنّ يوشع بن نون وصّي موسى عليه السلام عاش بعد موسى ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى، فقالت: أنا أحقّ منك بالأمر فقاتلها فقتل مقاتليها وأحسن أسرها[٣].

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾: بإمرأته.

﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾: أبصر من الجهة الّتي تلي الطّور.

القمّي: في حديثه السّابق إنّه قال لشعيب: لابدّ لي أن أرجع إلى وطني وأُمّي وأهل بيتي فمالي عندك؟

فقال شعيب عليه السلام: ما وضعت أغنامي في هذه السنة من غنم بلقٍ[٤] فهو لك، فعمد موسى عليه السلام عندما أراد أن يرسل الفحل على الغنم إلى عصاه فقشّر منه بعضه وترك بعضه،

---

١ ـ من لايحضره الفقيه: ج٣، ص٢٦٨، ح١٢٧١/٥٦، باب ١٢٤ ـ ماأحلّ الله عزّوجلّ من النكاح وماحرم منه.

٢ ـ من لايحضره الفقيه: ج٣، ص٢٦٨، ح١٢٧٢/٥٧، باب ١٢٤ ـ ماأحلّ الله عزّوجلّ من النكاح وما حرّم منه.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص١٥٣ ـ ١٥٤، ح١٧، باب ٧ ـ ذكر مضي موسى عليه السلام ووقوع الغيبة بالأوصياء والحجج من بعده إلى أيّام المسيح عليه السلام، نقلاً بالمعنى.

٤ ـ البلقة ـ بالضم ـ: سواد في بياض، والبَلَق ـ بالتحريك ـ: مثل ذلك، ومنه فرس أبلق وبلقاء. مجمع البحرين: ج٥، ص ١٤٠ مادة «بلق».

فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾

وغرزه في وسط مربض الغنم، وألق عليه كساء أبلق، ثمّ أرسل الفحل على الغنم فلم تضع الغنم في تلك السّنة، إلّا بلقاً، فلمّا حال عليه الحول حمل موسى إمرأته وزوّده شعيب من عنده وساق غنمه فلمّا أراد الخروج قال لشعيب: أبغي عصاً يكون معي وكانت عصي الأنبياء عليهم السلام عنده قد ورثها مجموعة في بيت، فقال له شعيب أُدخل هذا البيت وخذ عصاً من بين العصي فدخل فوثبت إليه عصا نوح وإبراهيم عليهما السلام وصارت في كفّه فأخرجها ونظر إليها شعيب فقال: ردّها وخذ غيرها، فردّها ليأخذ غيرها فوثبت إليه تلك بعينها فردّها حتّى فعل ذلك، ثلاث مرّات فلمّا رأى شعيب عليه السلام ذلك قال له: إذهب فقد خصّك الله عزّوجلّ بها فساق غنمه فخرج يريد مصراً، فلمّا صار في مفازة ومعه أهله أصابهم برد شديد وريح وظلمة وجنّهم اللّيل فنظر موسى إلى نار قد ظهرت كما قال الله تعالى: «فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ» الآية[١].

﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَاراً لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾: بخبر الطريق، في المجمع: عن الباقر عليه السلام لمّا قضى موسى الأجل وسار بأهله نحو بيت المقدس أخطأ الطريق ليلاً فرأى ناراً «قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَاراً»[٢].

﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾: عود غليظ[٣]، وقرئ بالفتح والضّم.

﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تستدفؤون بها.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾: قيل: من الشّاطئ الأيمن لموسى[٤].

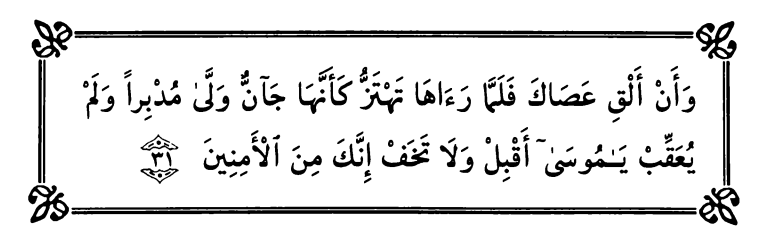
---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٣٩، س١٠.

٢ ـ الجذوة من النار: هي بالحركات الثلاث قطعة غليظة من الحطب فيها نار بغير لهب. مجمع البحرين: ج١، ص٨٢، مادة «جذو».

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٥٠ ـ ٢٥١.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٩٢، س٢٠.



﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ﴾: في التّهذيب: عن الصّادق عليه السلام شاطئ الوادي الأيمن الّذي ذكره الله تعالى في القرآن هو: الفرات، والبقعة المباركة: هي كربلاء[1].

﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: قيل: كانت نابتة على الشّاطئ[2].

﴿أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: هذا، وإن خالف ما في طـٰه، والنّمل، لفظاً فلا يخالفه في المعنى.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾: أي فألقاها فصارت ثعباناً، واهتزّت.

﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: حيّة في الهيئة والجثّة أو في السّرعة.

﴿وَلَّىٰ مُدْبِراً﴾: منهزماً من الخوف.

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: ولم يرجع.

﴿يَـٰمُوسَىٰٓ﴾: نودي يا موسى.

﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ﴾: من المخاوف فإنّه لا يخاف لديّ المرسلون.

القمّي: في الحديث الّذي سبق قال: فأقبل نحو النّار يقتبس فإذا شجرة ونار تـلتهب عليها فلمّا ذهب نحو النّار يقتبس منها أهوت إليه ففزع وعـدا ورجـعت النّـار إلى الشّـجرة فالتفت إليها وقد رجعت إلى الشجرة فرجع الثانية ليقتبس فأهوت نحـوه فـعدا وتـركها، ثمّ التفت وقد رجعت إلى الشجرة فرجع إليها الثالثة فأهوت إليه فعدا. «وَلَمْ يُعَقِّبْ»: أي لم يرجع فناداه الله عزّوجلّ: «أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ»، قال موسى: فما الدّليل على ذلك

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج٦، ص٣٨، ح٨٠/٢٤، باب ١٠ ـ فضل الكوفة والمواضع التي تستحب فيها الصلاة.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص١٩٢، س٢١.

ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾

قال الله عزّوجلّ: ما في يمينك يا موسى[1] «قَالَ هِيَ عَصَايَ»[2] «قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ * فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ»[3] ففزع منها موسى وعدا فناداه الله عزّوجلّ: «خُذْهَا وَلَا تَخَفْ»[4] «إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ»[5].

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: قال: أي من غير علّة وذلك أنّ موسى كانْ شديد السمرة فأخرج يده من جيبه فأضاءت له الدّنيا[6].

﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾: وقرئ بضم الرّاء وبفتحتين ولعلّ ذلك لإخفاء الخوف عن العدو، أو لتسكينه بناء على ما يقال: إنّ الخوف يسكن بوضع اليدعلى الصدر.

﴿فَذَٰنِكَ﴾: وقرئ بتشديد النّون.

﴿بُرْهَٰنَانِ﴾: حجّتان.

﴿مِن رَّبِّكَ﴾: مرسلاً بهما.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً﴾: سوء.

﴿فَٰسِقِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾: بها.

---

١ ـ اقتباس من قوله تعالى: «وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ» طه: ١٧.

٢ ـ طه: ١٨.

٣ ـ طه: ١٩ ـ ٢٠.

٤ ـ طه: ٢١.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٠، س ٢.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٠، س ١٠.

وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾

﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾: معيناً، وقرئ بغير همزة.

﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾: بتخليص الحق وتقرير الحجّة وتزييف الشبّهة، وقرئ مجزوماً.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾: ولساني لا يطاوعني عند المحاجة.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾: سنقوّيك به.

﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا﴾: غلبة.

﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾: باستيلاء.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ * فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَالَ﴾: وقرئ بغير واو.

﴿مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: العاقبة المحمودة لدار الدّنيا الّتي هي الجنّة لأنّها خلقت مجازاً إلى الآخرة وقرئ يكون بالياء.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: لا يفوزون بالهدى في الدّنيا وحسن العاقبة في العقبى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾: نفي علمه بإلـه غيره دون وجوده كأنّه كان شاكّاً فيه ولذا أمر ببناء الصّرح.

قيل: في تفسير الكلبي عن ابن عبّاس إنّ جبرئيل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمّد لو رأيتني وفرعون يدعو بكلمة الإخلاص «ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ»[1]. وأنا أدسّه في الماء والطّين لشدّة غضبي عليه مخافة أن يتوب فيتوب الله عزّوجلّ عليه، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: وما كان شدّة غضبك عليه يا جبرئيل؟ قال: لقوله «أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ»[2] وهي كلمته الآخرة منها وإنّما قالها حين إنتهى إلى البحر، وكلمته الأولى «مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى» فكان بين الأولى والآخرة أربعون سنة[3].

﴿فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾: القمّي: في حديثه السّابق فبنى هامان له في الهواء صرحاً حتّى بلغ مكاناً في الهواء لا يتمكّن الإنسان أن يقوم عليه من الرّياح القائمة في الهواء، فقال لفرعون: لا نقدر أن نزيد على هذا، فبعث الله عزّوجلّ رياحاً فرمت به فإتّخذ فرعون وهامان عند ذلك التّابوت وعمدا إلى أربعة أنسر فأخذا أفراخها وربّياها حتّى إذا بلغت القوّة وكبرت عمدا إلى جوانب التّابوت الأربعة، فغرزا في كلّ جانب منه خشبة، وجعلا على رأس كلّ خشبة لحماً وجوّعا الأنسر وشدّا أرجلها بأصل الخشبة، فنظرت الأنسر إلى اللحم

---

١ ـ يونس: ٩٠. ٢ ـ النازعات: ٢٤.

٣ ـ سعد السعود: ص٢١٨، نقلاً عن تفسير الكلبي.

وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾

فأهوت إليه وصفقت بأجنحتها وإرتفعت بهما في الهواء، وأقبلت تطير يومها، فقال فرعون لهامان: أُنظر إلى السّماء هل بلغناها؟ فنظر هامان فقال: أرى السّماء كما كنت أراها من الأرض في البعد، قال: أنظر إلى الأض، فقال: لا أرى الأرض ولكن أرى البحار والماء، قال: فلم تزل النّسر ترتفع حتّى غابت الشمس وغابت عنهما البحار والماء، فقال فرعون: يا هامان أُنظر إلى السماء، فنظر إلى السّماء فقال: أراها كما كنت أراها من الأرض، فلمّا جنّهم اللّيل نظر هامان إلى السّماء فقال فرعون: هل بلغناها؟ فقال: أرى الكواكب كما كنت أراها من الأرض، ولست أرى من الأرض إلّا الظّلمة، قال: ثمّ جالت الرّياح القائمة في الهواء فأقلبت التّابوت بهما فلم يزل يهوى بهما حتّى وقع على الأرض، وكان فرعون أشد ما كان عتوّا في ذلك الوقت(١).

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: بغير الإستحقاق، قال الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النّار(٢).

﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾: بالنشور، وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم.

﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾: كما مرّ بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشان الآخذ وإستحقار للمأخوذين، كأنّه أخذهم مع كثرتهم في كفّ وطرحهم في اليّم.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ * وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً﴾: قدوة للضلال.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٠، س١٦. وفيه: «ثمّ حالت».

٢ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٢٢١، س٢، ومستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ج ١٢، ص ٣١، ذيل ح ١٣٤٢٩ / ١٧. وفيه: «ألقيته في ناري» وهذا هو الأنسب.

وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾

﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾: بدفع العذاب عنهم.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الأئمّة في كتاب الله إمامان، قال الله تبارك وتعالى: «وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا»[1] لا بأمر النّاس، يقدّمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم، قال: «وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ» يقدّمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عزّوجلّ[2].

﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: طرداً عن الرّحمة.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾: ممّن قبح وجوههم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التوراة.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾: أقوام نوح وهود وصالح ولوط.

في المجمع: عن النّبي صلّى الله عليه وآله ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أُمّة ولا أهل قرية بعذاب من السّماء منذ أُنزل التّوراة على وجه الأرض غير أهل القرية الّتي مسخوا قردة ألم تر أنّ الله تعالى قال: «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ» الآية[3].

﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ

---

١ ـ الأنبياء: ٧٣.

٢ ـ الكافي: ج١، ص٢١٦، ح٢، باب أن الأئمّة في كتاب الله إمامان: إمام يدعو إلى الله، وإمام يدعو إلى النار.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٥٦، س٢٤.

وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَـٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾

ٱلْغَرْبِيِّ﴾: بجانب جبل الطّور الغربيّ حيث كلّم الله فيه موسى.

﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾: وكلمناه.

﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾: لتكليمه.

﴿وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾: فحرّفت الأخبار، وتغيّرت الشّرائع، واندرست العلوم.

﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِياً﴾: مقيماً.

﴿فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: وهم شعيب والمؤمنون به.

﴿تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ﴾: قيل: يعني فتقرأ على أهل مكة[1].

﴿ءَايَـٰتِنَا﴾: الّتي فيها قصّتهم.

﴿وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: إيّاك ومخبرين لك بها.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: ولكن علّمناك رحمة.

﴿لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَـٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: لوقوعهم في فترة بينك وبين من تقدّمك من الأنبياء.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتعظون، في العيون: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله لمّا بعث الله عزّوجلّ موسى ابن عمران عليه السلام واصطفاه نجيّاً وفلق له البحر ونجّى بني إسرائيل وأعطاه التّوراة والألواح رأى

---

١ ـ قاله مقاتل، كما جاء في مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢٥٧ س ٣.

مكانه من الله عزّ وجلّ، فقال: ربّ لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً من قبلي، فقال الله جلّ جلاله يا موسى أما علمت أنّ محمد ﷺ أفضل عندي من جميع ملائكتي، وجميع خلقي، قال موسى: يا ربّ فإن كان محمّد ﷺ أكرم عندك من جميع خلقك فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟ قال الله جلّ جلاله: يا موسى أما علمت أنّ فضل آل محمّد صلوات الله عليهم على جميع آل النّبيّين كفضل محمّد ﷺ على جميع المرسلين؟ فقال موسى: يا ربّ فإن كان آل محمّد صلوات الله عليهم كذلك فهل في أُمم الأنبياء أفضل عندك من أُمّتي ظللت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المنّ والسّلوى، وفلقت لهم البحر؟ فقال الله جلّ جلاله: يا موسى أما علمت أنّ فضل أُمّة محمّد ﷺ على جميع الأُمم كفضله على جميع خلقي؟ قال موسى عليه السلام: يا ربّ ليتني كنت أراهم فأوحى الله عزّوجلّ إليه يا موسى لن تراهم وليس هذا أوان ظهورهم، ولكن سوف تراهم في الجنان جنّات عدن والفردوس بحضرة محمّد ﷺ في نعيمها يتقلّبون وفي حيرانها[١][٢] يتبجحون[٣] أفتحبّ أن أسمعك كلامهم؟ قال: نعم إلهي، قال الله جلّ جلاله: قم بين يدي واشدد مأزرك قيام العبد الذّليل بين يدي الملك الجليل، ففعل ذلك موسى عليه السلام فنادى ربّنا عزّوجلّ يا أُمّة محمّد فأجابوه كلّهم وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أُمّهاتهم لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنّعمة والملك لك لا شريك لك، قال: فجعل الله عزّوجلّ تلك الإجابة شعار الحاج، ثمّ نادى ربّنا عزّوجلّ يا أُمّة محمّد إنّ قضائي عليكم إنّ رحمتي سبقت غضبي وعفوي قبل عقابي، فقد إستجبت لكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم من قبل أن تسألوني، من لقيني بشهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله صادق في أقواله، محقّ في أفعاله، وأنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أخوه ووصيّه من بعده ووليّه، ويلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمّد ﷺ وأنّ أولياءه المصطفين الطّاهرين المطهّرين

---

١ ـ الحائر: مجتمع الماء، وحوض يسيب إليه مسيل ماء الأمطار، والمكان المطمئن والبستان كالحير، والجمع حوران وحيران. القاموس المحيط: ج ٢، ص١٦ مادة «حار».

٢ ـ وفي نسخة: [وفي خيراتها].

٣ ـ البجح: الفرح، وبجّحته فتبجّح: أي فرّحته ففرح، وفي بعض النسخ: [يتبحبحون] بحائين مهملتين بينهما باء موحّدة، كأنّه من التبحبح وهو التمكّن في الحول والمقام. مجمع البحرين: ج ٢، ص٣٤١، مادة «بجح».

وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾

المنبئين[1] بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما أولياؤه أدخله جنّتي وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر، قال: فلمّا بعث الله عزّوجلّ محمّد ﷺ قال: يا محمّد: «وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا» اُمّتك بهذه الكرامة، ثمّ قال عزّوجلّ لمحمّد ﷺ: قل الحمد لله ربّ العالمين على ما إختصّني به من هذه الفضيلة، وقال لأمّته: قولوا: الحمد لله ربّ العالمين على ما اختصنا به من هذه الفضائل[2].

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: جوابه محذوف يعني لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربّنا هلّا أرسلت إلينا رسولاً يبلّغنا آياتك فنتّبعها ونكون من المصدّقين؟ ما أرسلناك أي إنّما ارسلناك قطعاً لعذرهم، وإلزاماً للحجّة عليهم.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾: من الكتاب جملة، واليد، والعصا، وغيرهما إقتراحاً وتعنّتاً.

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾: يعني أبناء جنسهم في الرّأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى.

---

١ ـ وفي نسخة: [المبانين].

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٨٣، ح٣٠، باب٢٨ ـ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليه السلام من الأخبار المتفرقة.

قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

﴿قَالُواْ سِحْرَانِ﴾: قيل: يعني موسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله[١].

والقمّي: قال: موسى وهارون[٢]، وقرئ سحران مبالغة أو يعنون بهما التّوراة والقرآن.

﴿تَظَـٰهَرَا﴾: تعاونا بتوافق الكتابين أو بإظهار تلك الخوارق.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ﴾: منهما أو بكلّ من الأنبياء.

﴿كَـٰفِرُونَ * قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾: ممّا نزل على موسى وعليّ.

﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾: إذ لو إتبّعوا حجّة لأتوا بها.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: إستفهام بمعنى النفي.

﴿بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾: في الكافي: عن الكاظم عليه السلام في هذه الآية قال: يعني من إتّخذ دينه رأيه بغير إمام من أئمّة الهدى[٣].

وفي البصائر: عن الصّادق عليه السلام مثله[٤].

---

١ ـ قاله ابن عبّاس بناءً على قراءة «ساحران»: كما جاء في مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص٢٥٧، س٢٣. وراجع الكشاف: ج٣، ص٤٢٠، س٧.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٤١، س١٤.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص٣٧٤، ح١، باب فيمن دان الله عزّوجلّ بغير إمام من الله جلّ جلاله.

٤ ـ بصائر الدرجات: ص٣٣، ح١، باب ٨ ـ في الضلال الذين ضلوا من أئمّة الحق وإتخذوا الدين رأياً بغير هدى من أئمة الحق.

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الّذين ظلموا أنفسهم بانهماكهم في إتّباع الهوى.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾: أتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال ليتّصل التّذكير أو في النّظم لتقرّر الدّعوة بالحجّة والمواعظ بالمواعيد، والنّصائح بالعبر.

في الكافي: عن الكاظم عليه السلام إمام إلى إمام[1].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام إمام بعد إمام[2].

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: فيطيعون.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾: قيل: نزلت في مؤمني أهل الكتاب[3].

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: أي بأنّه كلام الله.

﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾: لما رأوا ذكره في الكتب المتقدّمة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾:

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: بما صبروا على التقية، وقال: الحسنة التقيّة، والسيّئة الإذاعة[4].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٥، ح ١٨، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤١، س ١٧.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٩٦، س ٢١.

٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢١٧، ح ١، باب التقيّة.

وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

والقمّي: قال: هم الأئمّة عليهم السلام[1].

قال: وقال الصّادق عليه السلام: نحن صُبَّرٌ وشيعتنا أصبر منّا، وذلك إنّا صبرنا على ما نعلم، وهم صبروا على ما لا يعلمون، قال: وقوله: «وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ» أي يدفعون سيّئة من أساء إليهم بحسناتهم[2].

وروي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: إتبع الحسنة السّيئة تمحها[3].

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في سبيل الخير.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾: تكرّماً، القمّي: قال: اللّغو: الكذب، واللّـهو والغناء[4].

قال: وهم الأئمّة عليهم السلام يعرضون عن ذلك كلّه[5].

﴿وَقَالُواْ﴾: للّاغين.

﴿لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾: متاركة لهم وتوديعاً.

﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾: لا نطلب صحبتهم ولا نريدها.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤١، س١٩.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤١ ـ ١٤٢، وفيه: «نحن صبرنا وشيعتنا أصبر منّا»، وجاء في بحار الأنوار: ج٨٢، ص١٣٣، ما يقرب منه، كما جاء مثله في مستدرك الوسائل: ج٢، ص٤٨٠، نقلاً عن دعوات القطب الراوندي.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص١٩٧، س٧.

٤ و٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٢.

بِالْمُهْتَدِينَ﴾: القمّي: قال: نزلت في أبي طالب عليه السلام[1]، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا عمّ قل:

---

١ ـ أبو طالب: اسمه عبدمناف على المشهور، وقيل: اسمه عمران، وقيل: شيبة، واشتهر بكنيته أبو طالب، وكان شقيق عبدالله والد رسول الله صلى الله عليه وآله ولذلك أوصى به عبدالمطلب عند موته إليه فكفله إلى أن كبر واستمرّ على نصرته بعد أن بعث إلى أن وافاه الأجل. وقد ولد قبل النبي صلى الله عليه وآله بخمس وثلاثين سنة، وهذا ممّا لا إشكال فيه ولا خلاف بين المسلمين، نعم وقع الخلاف حول اسلامه جهراً وممّا يثبت من هذا الحديث أنّ العباس قد شهد وسمع أبا طالب قد نطق بالشهادتين عند الموت. وقد ذكر السيّد أحمد زيني دحلان في هامشه على السيرة الحلبيّة: ج١، ص٨٨، نقلاً عن الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الإمام الشعراني والسبكي وجماعة، أنّ ذلك الحديث ـ أعني حديث العبّاس الذي صرّح فيه أنّ أبا طالب نطق بالشهادتين عند وفاته ـ ثبت عند بعض أهل الكشف وصحّ عندهم اسلامه، وأنّ الله تعالى أبهم أمره بحسب ظاهر الشريعة تطييباً لقلوب الصحابة الذين كان آباؤهم كفّاراً، لأنّه لو صرّح لهم بنجاته مع كفر آبائهم وتعذيبهم لنفرت قلوبهم، وتوغرت صدورهم، كما تقدّم نظيره في حديث الذي قال ابن أُبيّ، وأيضاً لو ظهر لهم إسلامه لعادوه وقاتلوه مع النبي صلى الله عليه وآله ولما تمكّن من حمايته والدفع عنه، فجعل الله ظاهر حاله كحال آبائهم وأنجاه في باطن الأمر لكثرة نصرته للنبي صلى الله عليه وآله وحمايته له ومدافعته عنه.

أقول: وقد روى الثعلبي في تفسيره أنّ لأبي طالب أبياتاً من الشعر قد اتّفق على صحّة نقلها، يقول فيها:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتّى أُوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منك عيونا

ودعوتني وعلمت أنّك ناصحي ... ولقد دعوت وكنت ثمّ أمينا

ولقد علمت بأنّ دين محمّد ... من خير أديان البريّة دينا

وقال العسقلاني في فتح الباري: ج٧، ص١٩٤، باب ٤٠ ـ قصّة أبي طالب: وأمّا رسول الله صلى الله عليه وآله فمنعه الله بعمّه، وأخباره في حياطته والذب عنه معروفة مشهورة، وممّا اشتهر من شعره في ذلك قوله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتّى أُوسد في التراب دفينا

كذبتم وبيت الله نبزى محمّداً ... ولما نقاتل حوله ونناضل

وذكر العسقلاني أيضاً في كتابه الإصابة: ج٤، ص١١٦، أنّ أبا طالب قال مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وآله:

ودعوتني وعلمت أنّك صادق ... ولقد صدقت فكنت قبل أمينا

ولقد علمت بأنّ دين محمّد ... من خير أديان البريّة دينا

كما ذكر في ص ١١٥ من كتابه المذكور شعراً لأبي طالب يقول فيه:

وشق له من اسمه ليجله ... فذوا العرش محمود وهذا محمّد

نقول: الإنسان الحرّ الذي ينظر إلى التاريخ بنظرة متجرّدة عن العصبيّة ويسمع هذه الأبيات لا يمكنه أن يلتزم بكفره بعد التصريح منه بأنّ دين محمّد خير الأديان، وعلمه بأنّ الدعوة إلى الإسلام خير نصيحة وأنّ اسمه ⇐

لا إلـه إلّا الله انفعك بها يوم القيامة فيقول يا ابن أخي أنا أعلم بنفسي، فلمّا مات شهد العبّاس ابن عبدالمطلب عند رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه تكلم بها عند الموت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمّا أنا فلم أسمعها منه، وأرجو أن أنفعه يوم القيامة، وقال: لو قمت المقام المحمود لشفعت في اُمّي وأبي وعمّي وأخ كان لي مواخياً في الجاهليّة[1].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشّرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين[2].

أقول: إنّما أسرّ الإيمان وأظهر الشرك ليكون أقدر على نصرة النبيّ صلى الله عليه وآله كما يستفاد من أخبار اُخر.

وعنه عليه السلام: قيل له: إنّهم يزعمون أنّ أبا طالب عليه السلام كان كافراً، فقال: كذبوا كيف يكون كافراً وهو يقول:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً نبيّاً كموسى خطّ في أوّل الكتب[3].

وفي حديث آخر: كيف يكون أبو طالب كافراً؟ وهو يقول:

⇦ مشتق من ذي العرش للتجليل بمقامه المقدّس فهذه الأقوال تدلّ على أسمى مراحل الإيمان لا الإسلام فحسب، مضافاً إلى أنّ الإسلام لا يقرّ ولا يعترف بنكاح مع كون أحد الزوجين كافراً وبالأخص فيما إذا كان الزوج كافراً والزوجة مسلمة «لَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً» النساء ١٤١، ولا إشكال في أنّ فاطمة بنت أسد التي هي من السابقات إلى الإسلام كانت زوجة لأبي طالب إلى أن مات، فلو كان أبو طالب كافراً للزم على الرسول الأعظم طلاقها والحكم بانفصالها عنه كما ثبت هذا الأمر بالنسبة إلى غيره، ومن عدم ذلك يستكشف عدم كفره وهذا واضح.

على أنّه لو صحّ نزول هذه الآية في أبي طالب للزم الإختلاف بين إرادتي المرسِل والرسول لأنّ الله حسب هذه الآية لا يريد إيمان أبي طالب مع أنّ الرسول الأعظم كان يريد إيمانه وهدايته. والإلتزام بذلك غير ممكن لعدم جواز مخالفة الرسول إرادة الله سبحانه وتعالى كما لا يجوز له مخالفة أوامره ونواهيه.

ومن أراد زيادة البحث حول أبي طالب فليراجع كتاب الغدير: ج٧، ص٣٣١.

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٢، س٣. وفيه: «قل لا إلـه إلّا الله بالجهر نفعك بها... فلمّا مات شهد العبّاس بن عبدالمطلب عند رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه تكلّم بها بأعلى صوته عند الموت.... وأرجو أن تنفعه يوم القيامة».

٢ ـ الكافي: ج١، ص٤٤٨، ح٢٨، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته.

٣ ـ الكافي: ج١، ص٤٤٨ ـ ٤٤٩، ح٢٩، باب مولد النبيّ صلى الله عليه وآله ووفاته.

لقد علموا أنّ إبننا لا مكذّب لدينا ولا يعبأ بقول الأباطل
وابيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل[1][2]

أقول: خطّ في أوّل الكتب: أي هذا الحكم مثبت في الكتاب الأوّل، أي اللّوح المحفوظ، والأبيض: الرّجل النقيّ العرض، والثمال ككتاب الغياث الّذي يقوم بأمر قومه، والأرملة: من لا زوج لها من النساء.

وعن الكاظم عليه السلام: إنّه سئل أكان رسول الله صلى الله عليه وآله محجوجاً بأبي طالب؟ فقال: لا، ولكنّه كان مستودعاً للوصايا فدفعها إليه صلى الله عليه وآله، قيل: فدفع إليه الوصايا على أنّه محجوج به؟ فقال: لو كان محجوجاً به ما دفع إليه الوصيّة، قيل: فما كان حال أبي طالب؟ قال: أقرّ بالنّبيّ صلى الله عليه وآله وبما جاء به، ودفع إليه الوصايا ومات من يومه[3][4].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص٤٤٨ ـ ٤٤٩، ح ٢٩، باب مولد النّبيّ صلى الله عليه وآله ووفاته.

٢ ـ وقال الشهرستاني في الملل والنحل: ج ٢، ص ٢٤٩، ومن أشعار أبي طالب شعره اللّامي الذي منه:

وأبيض يستق الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وربّ البيت نبزي محمّداً ولما نطاعن دونه ونناضل
ولا نسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

٣ ـ الكافي: ج ١، ص٤٤٥، ح١٨، باب مولد النّبيّ صلى الله عليه وآله ووفاته.

٤ ـ ذكر العلّامة المجلسي رحمه الله في كتابه مرآة العقول: ج٥، ص٢٢٣، في شرح هذا الحديث وجوهاً خمسة، إليك ثلاثة منها روماً للإختصار:

الوجه الأوّل: وهو أنّ المعنى هل كان أبو طالب عليه السلام حجّة على رسول الله صلى الله عليه وآله إماماً له؟ فأجاب عليه السلام بنفي ذلك معلّلاً بأنّه كان مستودعاً للوصايا دفعها إليه، لا على أنّه أوصى إليه وجعله خليفة له ليكون حجّة عليه، بل كما يوصل المستودع الوديعة إلى صاحبها فلم يفهم السائل ذلك وأعاد السؤال، وقال: دفع الوصايا مستلزم لكونه حجّة عليه، فأجاب عليه السلام بأنّه دفع إليه الوصايا على الوجه المذكور، وهذا لا يستلزم كونه حجّة بل ينافيه، وقوله عليه السلام: ومات من يوم، أي يوم الدفع لا يوم الإقرار، ويحتمل تعلّقه بهما، ويكون المراد به الإقرار الظاهر الذي اطلع عليه غيره صلى الله عليه وآله.

الوجه الثاني: أنّ المعنى هل كان الرسول صلى الله عليه وآله محجوجاً مغلوباً في الحجّة بسبب أبي طالب حيث قصّر في هدايته إلى الإيمان فلم يؤمن؟ فقال عليه السلام: ليس الأمر كذلك لأنّه كان قد آمن وأقرّ وكيف لا يكون كذلك والحال أنّ أبا طلب كان من الأوصياء وكان أميناً على وصايا الأنبياء وحاملاً لها إليه صلى الله عليه وآله فقال السائل: هذا موجب لزيادة الحجّة ⟸

أقول: معنى محجوجاً بأبي طالب أنّ أبا طالب كان حجّة عليه قبل أن يُبعث، وأُريد بالوصايا وصايا الأنبياء عليهم السلام على أنّه محجوج به، يعني على أن يكون النّبيّ صلى الله عليه وآله حجّة عليه، ويعني بقوله: «ماد فع إليه الوصيّة»: إنّ الوصيّة إنّما تنتقل ممّن له التقدّم.

وعن الصّادق عليه السلام: قال: لما توفّى أبو طالب نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد أُخرج من مكّة فليس لك بها ناصر، وثارت قريش بالنّبي صلى الله عليه وآله فخرج هارباً حتّى جاء إلى جبل بمكّة يقال له: الحجون فصار إليه[١].

وعنه عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام على النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد أنّ ربّك يقرؤك السّلام ويقول: إنّي قد حرّمت النّار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فالصّلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطّلب، والبطن الّذي حملك فآمنة بنت وهب، وأمّا حجر كفّلك فحجر أبي طالب[٢]. وزاد في رواية: وفاطمة بنت أسد[٣].

وفي بشارة المصطفى [٤] عنه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان ذات يوم جالساً بالرّحبة [٥] والنّاس مجتمعون، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنّك بالمكان الّذي أنزلك الله به، وأبوك يعذّب بالنّار؟ فقال له: مه فضّ الله فاك، والّذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ نبيّاً لو شفع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفعه الله تعالى فيهم، لأبي يعذّب بالنّار وإبنه قسيم النّار؟ ثمّ قال: والّذي بعث محمّداً بالحقّ أنّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلق إلّا

⇐ عليهما حيث علم نبوّته بذلك ولم يقرّ؟ فأجاب عليه السلام بأنّه لو لم يكن مقرّاً لم يدفع الوصايا إليه.

الوجه الثالث: ما ذكره بعض الأفاضل: أنّ المعنى أنّه لو كان محجوجاً به وتابعاً له لم يدفع الوصيّة إليه، بل كان ينبغي أن يكون عند أبي طالب والوصايا التي ذكرت بعد كأنّها غير الوصيّة الأُولى، واختلاف التعبير يدل عليه، فدفع الوصيّة كان سابقاً على دفع الوصايا، وإظهار الإقرار، وأنّ دفعها كان في غير وقت ممّا يدفعه الحجّة إلى المحجوج بأن كان متقدّماً عليه أو أنّه بعد دفعها اتّفق موته، والحجّة يدفع إلى المحجوج عند العلم بموته أو دفع بقيّة الوصايا، فأكمل الدفع يوم موته.

١ و ٢ و ٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٤٩ و ٤٤٦ و ٤٤٦، ح ٣١ و ٢١ و ٢١، باب مولد النّبيّ صلى الله عليه وآله ووفاته.

٤ ـ بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: من تصانيف محمّد بن أبي القاسم الطبرسي. منه قدّس سرّه.

٥ ـ الرحبة: قرية بحذاء القادسيّة على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة. والرحبة أيضاً: ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادي القرى. معجم البلدان: ج ٣، ص ٣٣.

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً ءَامِناً يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٥٧﴾

خمسة أنوار، نور محمّد، ونوري، ونور فاطمة، ونوري الحسن والحسين، ومن ولده من الأئمّة عليهم السلام، لأنّ نوره من نورنا الّذي خلقه الله عزّوجلّ من قبل خلق آدم بألفي عام(١).

وفي المجمع: قد ذكرنا في سورة الأنعام أنّ أهل البيت عليهم السلام قد أجمعوا على أنّ أبا طالب مات مسلماً وتظاهرت الرّوايات بذلك عنهم عليهم السلام، وأوردنا هناك طرفاً من أشعاره الدالّة على تصديقه للنّبيّ صلى الله عليه وآله وتوحيده فإنّ إستيفاء جميعه لا يسع له الطوامير، وماروي من ذلك في كتب المغازي وغيرها أكثر من أن يحصى يكاشف فيها من كاشف النّبي صلى الله عليه وآله، ويناضل عنه، ويصحّح نبوّته، وقال بعض الثقات: أنّ قصائده في هذا المعنى الّتي تنفث في عقد السّحر وتغبر في وجه شعراءالدّهر تبلغ قدرمجلّد وأكثرمن هذا، ولاشكّ فيأنّه لميختر تمام مجاهرة الأعداء إستصلاحاً لهم وحسن تدبير فيدفع كيادهم لئلّا يلجئوا الرّسول إلى ما ألجأوه إليه بعد موته(٢).

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾: نخرج منها، القمّي: قال نزلت في قريش حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإسلام والهجرة(٣).

ورواه ابن طاووس: عن أمير المؤمنين عليه السلام(٤).

وفي روضة الواعظين: عن السّجاد عليه السلام، إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: والّذي نفسي بيده لأدعونّ إلى هذا الأمر الأبيض والأسود ومن على رؤوس الجبال، ومن في لجج البحار، ولأدعونّ إليه فارس والروم فجبرت قريش، وإستكبرت، وقالت لأبي طالب أما تسمع إلى ابن أخيك ما

---

١ ـ بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ص٢٠٢، س٦. وفيه: «أبي يعذّب بالنار».

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص ٢٦٠، س٨. ٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٤٢، س٩.

٤ ـ كشف المحجّة: ص١٧٥.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

يقول؟ والله لو سمعت بهذا فارس والرّوم لاختطفتنا من أرضنا ولقلعت الكعبة حجراً حجراً فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً ءَامِناً﴾: أولم نجعل مكانهم حرماً ذا أمن بحرمة البيت.

﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾: يحمل إليه ويجمع فيه، وقرئ بالتّاء.

﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من كلّ أوب.

﴿رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا﴾: فإذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام فكيف نعرّضهم للتخوّف والتخطّف إذا كانوا موحّدين.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: جهلة لا يتفطّنون له.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾: وكم من أهل قرية كانت حالهم كحالكم في الأمن، وخفض العيش حتّى أشروا فدمّر الله عليهم وخرّب ديارهم.

﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾: خاوية.

﴿لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: من شوم معاصيهم.

﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾: وما كانت عادته.

﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾: في أصلها لأنّ أهلها تكون أفطن وأنبل.

﴿رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾: لإلزام الحجّة وقطع المعذرة.

---

١ ـ روضة الواعظين: ص٥٤.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾: بتكذيب الرّسل والعتوّ في الكفر.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾: تتمتّعون وتتزيّنون به مدّة حياتكم المنقضية.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: وهو ثوابه.

﴿خَيْرٌ﴾: من ذلك لأنّه لذّة خالصة وبهجة كاملة.

﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾: لأنّه أبديّ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتستبدلون الّذي هو أدنى بالّذي هو خير[1]، وقرئ بالياء.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: الّذي هو مشوب بالآلام، مكدّر بالمتاعب، مستعقب للتحسّر على الإنقطاع.

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾: للحساب أو العذاب، وهذه الآية كالنتيجة للّتي قبلها.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: تزعمونهم شركائي.

---

١ ـ اقتباس من قوله تعالى: «أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ»، البقرة: ٦١.

قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: أي قوله «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[1]، وغيره من آيات الوعيد[2].

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾: أي هؤلاء هم الَّذين أغويناهم.

﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾: منهم وممّا إختاروهم من الكفر.

﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾: بل يعبدون أهواءهم.

﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ﴾: من فرط الحيرة.

﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾: لعجزهم عن الإجابة والنّصرة.

﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾: لوجه من الحيل يدفعون به العَذاب أو «لَوْ» للتمنّي، أي تمنّوا أنّهم كانوا مهتدين.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾: لا تهتدي إليهم وأصله فعموا عن الأنباء لكنّه عكس مبالغة ودلالة على أنّ ما يحضر الذّهن إنّما يرد عليه من خارج فإذا أخطأ لم يكن له حيلة إلى إستحضاره.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب.

---

١ ـ هود: ١١٩، والسجدة: ١٣.
٢ ـ الأعراف: ١٨، وص: ٨٥.

فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾: عسى تحقيق على عادة الكرام أو لترجّي من التّائب بمعنى فليتوقّع أن يفلح.

القمّي: إنّ العامّة قد رووا أنّ ذلك يعني النّداء في القيامة، وأمّا الخاصّة: فعن الصّادق عليه السلام قال: إنّ العبد إذا دخل قبره وفرغ منه يسئل عن النبيّ صلى الله عليه وآله فيقال له: ماذا تقول في هذا الرّجل الّذي كان بين أظهركم فإن كان مؤمناً، قال: أشهد أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله جاء بالحقّ، فيقال له: أرقد رقدة لا حلم فيها، ويتنحّى عنه الشّيطان ويفسح له في قبره سبعة أذرع ويرى مكانه من الجنّة، وإذا كان كافراً قال: ما أدري فيضرب ضربة يسمعها كلّ من خلق الله إلّا الإنسان ويسلّط عليه الشّيطان وله عينان من نحاس أو نار تلمعان كالبرق الخاطف فيقول له: أنا أخوك ويسلّط عليه الحيّات والعقارب، ويظلم عليه قبره، ثمّ يضغطه ضغطة تختلف أضلاعه عليه، ثمّ قال عليه السلام بأصابعه فشرجها[١][٢].

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾: أي التخيّر كالطّيرة بمعنى التطيّر يعني ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه، أو ليس لأحد أن يختار شيئاً إلّا بقدرته بمشيّته وإختياره.

﴿سُبْحَـٰنَ ٱللهِ﴾: تنزيهاً له أن ينازعه أحد أو يزاحم إختياره.

﴿وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عن إشراكهم، القمّي: قال: يختار الله عزّوجلّ الإمام

---

١ ـ شرج اللبن: نضد بعضه إلى بعض، وكلّ ما ضمّ بعضه إلى بعض، فقد شرج. لسان العرب: ج٧، ص ٧٠، مادة «شرج».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٤٣، س٦.

وليس لهم أن يختاروا[١].

وفي الكافي[٢]، والمجالس[٣]، والعيون: عن الرّضا عليه السلام في حديث فضل الإمام وصفته، قال: هل تعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأُمّة فيجوز فيها إختيارهم إلى أن قال: لقد راموا صعباً وقالوا إفكاً، و«ضَلُّواْ ضَلَالاً بَعِيْدَاً»[٤]، ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة، «وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل وما كانوا مستبصرين»[٥]، رغبوا عن اختيار الله، واختيار رسول الله إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» وقال عزّوجلّ: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ»[٦][٧].

وفي الإكمال: عن القائم عليه السلام إنّه سئل عن العلة التي تمنع القوم من إختيار الإمام لأنفسهم، قال: مصلح أم مفسد؟ قيل: مصلح، قال: فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟ قيل: بلى، قال: فهي العلّة، وأوردها لك ببرهان ينقاد له عقلك، ثمّ قال عليه السلام: أخبرني عن الرّسل الّذين اصطفاهم الله عزّوجلّ، وأنزل عليهم الكتب، وأيدّهم بالوحي والعصمة إذ هم أعلام الأُمم وأهدى إلى الإختيار منهم مثل موسى وعيسى عليهما السلام، هل يجوز مع وفور عقلهما إذ همّا بالإختيار أن يقع خيرتهما على المنافق وهما يظنّان أنّه مؤمن؟ قيل: لا، قال: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله، وكمال علمه، ونزول الوحي عليه، إختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه عزّوجلّ سبعين رجلاً ممّن لا يشك في إيمانهم وإخلاصهم فوقعت خيرته على المنافقين قال الله عزّوجلّ: «وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٣، س١٦. أقول: الظاهر أنّ قوله رحمه الله: «القمّي قال: يختار الله.... إلى آخره» يكون محلّه ذيل قوله تعالى: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَآ يَشَآءُ وَيَخْتَارُ...» لا هذا الموضع، فدرجها هنا ربما يكون من سهو النساخ.

٢ ـ الكافي: ج١، ص١٩٨ ـ ٢٠١، ح١، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته.

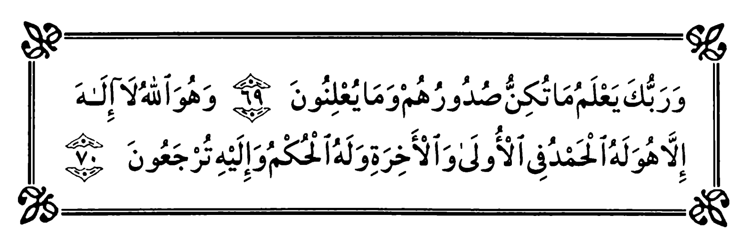
٣ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص٥٣٦ ـ ٥٤٠، ح١، المجلس٩٧.

٤ ـ النساء: ١٦٧.

٥ ـ اقتباس من قوله تعالى في سورة العنكبوت: ٣٨.

٦ ـ الأحزاب: ٣٦.

٧ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص ٢٢٠، ح١، باب ٢٠ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام في وصف الإمامة والإمام، وذكر فضل الإمام ورتبته.



قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَـٰتِنَا»[1] إلى قوله: «لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً»[2] «فَأَخَـذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ»[3] فلمّا وجدنا إختيار من قد اصطفاه الله عزّوجلّ للنبوّة واقعاً على الأفسد دون الأصلح، وهو يظنّ أنّه الأصلح دون الأفسد علمنا أنّ الإختيار لا يجوز أن يقع إلّا ممّن يعلم ما تخفي الصّدور، وتكنّ الضّمائر، وتتصرف إليه السّرائر، وأن لا خطر لإختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لمّا أرادوا أهل الصلاح[4].

أقول: هذه الأخبار تدلّ على التفسير الأوّل للآية، ويدلّ على التفسير الثاني ما روي، في مصباح الشّريعة: عن الصّادق عليه السلام في كلام له قال: وتعلم أنّ نواصي الخلق بيده، فليس لهم نفس ولا لحظة إلّا بقدرته ومشيّته، وهم عاجزون عن إتيان أقلّ شيء في مملكته إلّا بإذنه وإرادته، قال الله تعالى: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ» الآية[5].

﴿**وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾: القمّي: قال: ما عزموا عليه من الإختيار[6].

أقول: وعلى التفسير الأوّل يجوز أن يكون المعنى: وربّك هو الّذي يعلم ما تكنّه الصدور وتخفيه الضّمائر دون غيره، فله أن يختار للنبوّة والإمامة وغيرهما دونهم.

ولعلّه إلى هذا المعنى أُشير في أواخر حديث الإكمال: بقوله: علمنا أنّ الإختيار لا يجوز أن يقع إلّا ممّن يعلم ما تخفي الصّدور وتكنّ الضمائر وتنصرف إليه السّرائر[7].

﴿**وَهُوَ ٱللَّهُ**﴾: المستحق للعبادة.

---

١ ـ الأعراف: ١٥٥. ٢ ـ البقرة: ٥٥. ٣ ـ النساء: ١٥٣.

٤ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٤٦١، ح٢١، باب ٤٣ ـ من شاهد القائم عليه السلام.

٥ ـ مصباح الشريعة: ص٩٣. ٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٣، س١٥.

٧ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٤٦٢، ح٢١، باب ٤٣ ـ من شاهد القائم عليه السلام.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا أحد يستحقّها إلّا هو.

﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْأَخِرَةِ﴾: لأنّه المولى للنعّم كلّها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدّنيا بقولهم: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ»[1] «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ»[2] ابتهاجاً بفضله وإلتذاذاً بحمده.

﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القضاء النّافذ في كلّ شيء.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: بالنّشور.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾: سماع تدبّر وإستبصار.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾: إستراحة عن متاعب الأشغال.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: ولعلّه لم يصف الضّياء بما يقابله لأنّ الضّوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه، ولا كذلك اللّيل، ولأنّ منافع الضّوء أكثر ممّا يقابله ولذلك قرن به «أَفَلَا تَسْمَعُونَ» وباللّيل «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» لأنّ إستفادة العقل من السّمع أكثر من إستفادته من البصر.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾: في اللّيل.

---

١ ـ فاطر: ٣٤. ٢ ـ الزمر: ٧٤.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوٓأُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾

﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ﴾: في النّهار بأنواع المكاسب.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: تقريع بعد تقريع للإشعار بأنّه لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به، ولأنّ الأول لتقرير فساد رأيهم والثاني لبيان أنّه لم يكن عن برهان.

﴿وَنَزَعْنَا﴾: وأخرجنا.

﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾: يشهد عليهم بما كانوا عليه، القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول: من كلّ فرقة من هذه الأُمّة إمامها[1].

﴿فَقُلْنَا﴾: للأمم.

﴿هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾: على صحّة ما تتدينون به.

﴿فَعَلِمُوٓاْ﴾: حينئذ.

﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم﴾: وغاب عنهم غيبة الضائع.

﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: من الباطل.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٣ ـ ١٤٤.

وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾: قيل: كان ابن عمّه يصهر بن قاهث بن لاوي، وكان ممّن آمن به[١]. وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام وهو ابن خالته[٢] ولا تنافي بين الخبرين.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: فطلب الفضل عليهم وتكبّر.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾: من الأموال المدخرة.

﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾: مفاتح صنادقه، جمع مفتح بالكسر.

﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾: لتثقل الجماعة الكثيرة.

﴿أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾: القمّي: العصبة ما بين العشرة إلى تسعة عشرة، قال: كان يحمل مفاتيح خزائنه العصبة أُولوا القوّة[٣].

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾: لا تبطر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾: أي بزخارف الدّنيا. في الخصال: عن الصّادق، عن أبيه عليهما السلام: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام لا تفرح بكثرة المال، ولا تدع ذكري على كلّ حال، فإنّ كثرة المال تنسي الذّنوب، وترك ذكري يقسي القلوب[٤].

وفي التّوحيد: عنه عليه السلام إن كانت العقوبة من الله تعالى حقّاً فالفرح لماذا[٥].

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾: من الغنى.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٠٠، س١٣.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٦٦، س٨.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٤، س٣.

٤ ـ الخصال: ص٣٩، ح٢٣، باب الإثنين ـ خصلتان أحدهما تنسي الذنوب والأُخرى تقسي القلوب.

٥ ـ التّوحيد: ص٣٧٦، ح٢١. والظاهر أن هنا سقط وإليك نصه «ان كانت العقوبة من الله عزّوجلّ النار فالمعصية لماذا، وان كان الموت حقّاً فالفرح لماذا».

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾

﴿ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾: بصرفه فيما يوجبها لك.

﴿وَلَا تَنسَ﴾: ولا تترك.

﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: في المعاني: عنه، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليه السلام: قال: لا تنس صحّتك، وقوّتك، وفراغك، وشبابك، ونشاطك أن تطلب بها الآخرة[1].

﴿وَأَحۡسِن﴾: إلى عباد الله.

﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾: فيما أنعم الله عليك أو أحسن بالشكر والطّاعة كما أحسن الله إليك بالإنعام.

﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: في مصباح الشّريعة: قال الصّادق عليه السلام فساد الظّاهر من فساد الباطن، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن خان الله في السرّ هتك الله سرّه في العلانية، وأعظم الفساد أن يرضى العبد بالغفلة عن الله تعالى، وهذا الفساد يتولّد من طول الأمل والحرص والكبر كما أخبر الله تعالى في قصّة قارون في قوله: «وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ» وكانت هذه الخصال من صنع قارون وإعتقاده، وأصلها من حبّ الدّنيا وجمعها، ومتابعة النّفس وهواها، وإقامة شهواتها وحبّ المحمدة، وموافقة الشيّطان، وإتّباع خطراته، وكلّ ذلك مجتمع تحت الغفلة عن الله ونسيان مننه[2].

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾: القمّي: يعني ماله وكان يعمل الكيميا[3].

---

١ ـ معاني الأخبار: ص٣٢٥، ح١، باب معنى النصيب من الدنيا.

٢ ـ مصباح الشريعة: ص١٠٧.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٤، س٥.

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: القمّي: أي لا يسئل من كان قبلهم عن ذنوب هؤلاء[1].

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾: القمّي: في الثياب المصبغات يجرّها بالأرض[2].

وقيل: أنّه خرج على بغلة شهباء، عليه الأرجوان، وعليها سرج من ذهب، ومعه أربعة آلاف على زيّه[3].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: على ما هو عادة النّاس من الرّغبة فيها.

﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾: تمنّوا مثله لا عينه حذراً من الحسد[4].

﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: من الدّنيا.

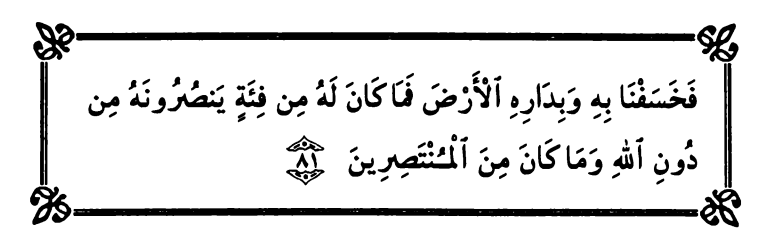
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾: بأحوال الآخرة للمتمنّين. القمّي: قال لهم: الخالص من أصحاب موسى[5].

﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً﴾: ممّا أوتي قارون بل من الدّنيا وما فيها.

﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾: أي هذه الكلمة الّتي تكلّم بها العلماء.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٤، س ٦.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٤، س ٥ و ٦ و ٧.
٣ ـ الكشاف: ج ٣، ص ٤٣٢، وأنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٠١، س ١٧.
٤ ـ وفي نسخة: [عن الحسد].
٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٤، س ١٠.



﴿إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾: على الطّاعات وعن المعاصي.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: في مناهي الفقيه ونهى أن يختال الرّجل في مشيه، وقال: من لبس ثوباً فإختال فيه خسف الله به من شفير جهنّم، وكان قرين قارون لأنّه أوّل من اختال فخسف الله به وبداره الأرض[١].

﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ﴾: أعوان.

﴿يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: فيدفعون عنه عذابه.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾: الممتنعين منه، روي أنّ موسى باهله بأخيه هارون وبنيه فخسف به وبأهله وماله ومن وازره من قومه[٢].

والقمّي: وكان سبب هلاك قارون أنّه لمّا أخرج موسى عليه السلام بني إسرائيل من مصر وأنزلهم البادية أنزل الله عليهم المنّ والسّلوى إلى أن قال ففرض الله عليهم دخول مصر وحرّمها عليهم أربعين سنة، وكانوا يقومون من أوّل اللّيل ويأخذون في قراءة التّوراة والدّعاء والبكاء، وكان قارون منهم، وكان يقرأ التّوراة ولم يكن فيهم أحسن صوتاً منه، وكان يسمّى المنون لحُسن قراءته، وكان يعمل الكيميا، فلمّا طال الأمر على بني إسرائيل في التيه والتّوبة، وكان قارون قد إمتنع من الدّخول معهم في التوبة، وكان موسى عليه السلام يحبه فدخل عليه موسى عليه السلام فقال له: يا قارون قومك في التّوبة وأنت قاعد هاهنا اُدخل معهم وإلّا ينزل بك العذاب فاستهان به واستهزأ بقوله، فخرج موسى من عنده مغتّماً فجلس في فناء قصره وعليه جبّة شعر وفي رجله نعلان من جلد حمار شراكهما من خيوط شعر، بيده العصا فأمر قارون أن

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٧، ح١/١، باب ١ ـ ذكر جمل من مناهي النبيّ صلى الله عليه وآله.

٢ ـ تفسير نور الثقلين: ج٤، ص١٤٢، ح١١٧، نقلاً عن كتاب جعفر بن محمّد الدوريسي.

يصبّ عليه رماد وقد خلط بالماء فصبّ عليه، فغضب موسى عليه السلام غضباً شديداً وكان في كتفه شعرات كان إذا غضب خرجت من ثيابه وقطر منها الدّم، فقال موسى عليه السلام: ياربّ إن لم تغضب لي فلست لك بنبيّ، فأوحى الله عزّوجلّ إليه قد أمرت الأرض أن تطيعك فأمرها بما شئت، وقد كان قارون قد أمر أن يغلق باب القصر، فأقبل موسى عليه السلام فأومى إلى الأبواب فانفرجت ودخل عليه، فلمّا نظر إليه قارون علم أنّه قد اُوتي بالعذاب، فقال: يا موسى أسألك بالرّحم الّذي بيني وبينك، فقال له موسى: يابن لاوي لا تزدني من كلامك يا أرض خذيه، فدخل القصر بما فيه في الأرض، ودخل قارون في الأرض إلى ركبتيه فبكى وحلّفه بالرّحم، فقال له موسى عليه السلام: يابن لاوي لا تزدني من كلامك، يا أرض خذيه فابتلعته بقصره وخزائنه.

وهذا ما قال موسى عليه السلام لقارون يوم أهلكه الله عزّوجلّ، فعيّره الله عزّوجلّ بما قاله لقارون، فعلم موسى عليه السلام أنّ الله تبارك وتعالى قد عيّره بذلك فقال: يا ربّ إنّ قارون دعاني بغيرك، ولو دعاني بك لأجبته، فقال الله عزّوجلّ: يابن لاوي[١] لا تزدني من كلامك، فقال موسى عليه السلام: يا ربّ لو علمت أنّ ذلك لك رضى لأجبته، فقال الله عزّ وجلّ: يا موسى وعزّتي وجلالي وجودي ومجدي وعلوّ مكاني لو أنّ قارون كما دعاك دعاني لأجبته، ولكنّه لمّا دعاك وكّلته إليك، يابن عمران لا تجزع من الموت فإنّي كتبت الموت على كلّ نفس، وقد مهدت لك مهاداً لو قد وردت عليه لقرّت عيناك، فخرج موسى عليه السلام إلى جبل طور سيناء مع وصيّه، وصعد موسى عليه السلام الجبل فنظر إلى رجل قد أقبل ومعه مكتل ومسحاة فقال له موسى عليه السلام: ما تريد؟ قال: إنّ رجلاً من أولياء الله قد توفيّ وأنا أحفر له قبراً، فقال له موسى عليه السلام: أفلا اُعينك عليه؟ قال: بلى قال: فحفرا القبر، فلمّا فرغا أراد الرّجل أن ينزل إلى القبر، فقال له موسى عليه السلام: ما تريد؟ قال: أدخل القبر فأنظر كيف مضجعه؟ فقال له موسى عليه السلام: أنا أكفيك، فدخله موسى فاضطجع فيه، فقبض ملك الموت روحه، وانضم عليه الجبل[٢].

والقمّي: في سورة يونس، وقد سأل بعض اليهود أمير المؤمنين عليه السلام عن سجن طاف

---

١ ـ هكذا في الأصل، والظاهر أنّ هنا سقط، والصحيح أن يقال: «فقال الله عزّ وجلّ: لِمَ قلت يابن لاوي».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

أقطار الأرض بصاحبه، فقال: يا يهوديّ أمّا السّجن الّذي طاف أقطار الأرض بصاحبه: فإنّه الحوت الّذي حبس يُونس في بطنه فدخل في بحر القلزم[١]، ثمّ خرج إلى بحر مصر، ثمّ دخل بحر طبرستان، ثمّ خرج في دجلة الغور، قال: ثمّ مرّت به تحت الأرض حتّى لحقت بـقارون، وكان قارون هلك في أيّام موسى، ووكّل الله به ملكاً يدخله في الأرض كلّ يوم قامة رجـل، وكان يونس في بطن الحوت يسبّح الله ويستغفره، فسمع قارون صوته فقال للملك الموكّل به: أنظرني فإنّي أسمع كلام آدمي، فأوحى الله إلى الملك الموكّل به أنظره فأنظره، ثمّ قال قارون: من أنت؟ قال يونس: أنا المذنب الخاطيء يونس بن متّى، قال فما فعل شديد الغضب لله موسى بن عمران؟ قال: هيهات هيهات هلك، قال: فما فعل الرّؤف الرّحيم على قومه هارون بن عمران؟ قال: هلك، قال فما فعلت كلثم بنت عمران الّتي سمّيت لي قال: هيهات ما بقي مـن آل عـمران أحد، فقال قارون: وا أسفاً على آل عمران، فشكر الله تعالى له ذلك فأمر الملك الموكّل به أن يرفع عنه العذاب أيّام الدّنيا فرفع عنه. الحديث[٢].

ويأتي تمامه في سورة الصّافّات[٣].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال: إنّ يونس عليه السلام لمّا أذاه قومه وساق الحديث إلى أن قال: فألقى نفسه فالتقمه الحوت، فطاف به البحار السبعة حتّى صار إلى البحر المسجور، وبه يعذّب قارون، فسمع قارون دوّياً فسأل الملك عن ذلك، فأخبره أنّه يونس، وأنّ الله حبسه في بطن الحوت، فقال له قارون: أتأذن لي أن أُكلّمه فأذن له، فسأله عن موسى عليه السلام فأخبره أنّه مات، فبكى ثمّ سأله عن هارون عليه السلام فأخبره أنّه مات، فبكى وجزع جزعاً شديداً، وسأله عن أُخته كلثم وكانت مسمّاة له فأخبره أنّها ماتت فبكى وجزع جزعاً شديداً، قـال: فأوحـى الله إلي الملك الموكّل به أن أرفع عنه العذاب بقيّة أيّام الدّنيا لرقّته على قرابته[٤].

---

١ ـ القلزم ـ بالضم، ثم السكون، ثم زاي مضمومة، وميم ـ: إبتلاع الشيء يقال: تقلزمه إذا إبتلعه، وسمـي بحـر القلزم قُلْزُماً لالتهامه من ركبه، وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله. معجم البلدان: ج٤، ص٣٨٧.

٢ ـ تفسير القمّي: ج١، ص٣١٨، س١٤.

٣ ـ ذيل الآية: ١٤٨.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٣٦، ح٤٦.

وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُ﴾: منزلته.

﴿بِٱلْأَمْسِ﴾: منذ زمان قريب.

﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: القمّي: قال: هي لفظة سريانيّة[1].

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾: بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض.

﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: فلم يعطنا ما تمنّينا.

﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾: لتوليده فينا ما ولّده فيه فخسف به لأجله، وقرئ بفتح الخاء والسّين.

﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: لنعمة الله.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ﴾: الّتي سمعت خبرها، وبلغك وصفها.

﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى ٱلْأَرْضِ﴾: غلبة وقهراً.

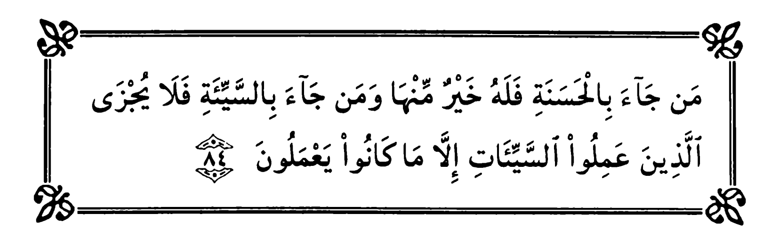
﴿وَلَا فَسَاداً﴾: ظلماً على النّاس.

في المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه كان يمشي في الأسواق وهو وال يرشد الضّالّ، ويعين الضّعيف، ويمرّ بالبيّاع والبقّال فيفتح عليه القرآن ويقرأ هذه الآية، ويقول: نزلت في أهل العدل والتّواضع من الولاة، وأهل القدرة من سائر النّاس[2].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٤، س١٣.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٦٩، س١.



وعنه عليه السلام: قال الرّجل ليعجبه شراك نعله فيدخل في هذه الآيـة[١]. وفي روايـة: أنّ الرّجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها[٢].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام العلوّ: الشّرف، والفساد: النّساء[٣].

وعنه عليه السلام: إنّه قال لحفص بن غياث: يا حفص ما منزلة الدنيا من نفسي إلّا بمنزلة الميتة إذا إضطررت إليها أكلت منها، يا حفص إنّ الله تبارك وتعالى علم ما العباد عاملون وإلى ما هم صائرون فحلم عنهم عند أعمالهم السّيئة لعلمه السابق فيهم فلا يغرنّك حسن الطلب ممّـن لا يخاف الفوت، ثمّ تلا قوله: «تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ» الآية وجعل يبكي ويقول ذهبت والله الأمانيّ عند هذه الآية فاز والله الأبرار، تدري من هم؟ هُم الّذين لا يؤذون الذرّ كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً، الحديث[٤].

﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ﴾: المحمودة.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: من اتقّ ما لا يرضاه الله.

﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: ذاتاً وقدراً ووصفاً، وقد مضى في هذه الآية حديث في آخر سورة الأنعام[٥]، وفي نظيرها في آخر سورة النمل[٦].

﴿وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: وضع فيه الظاهر موضع الضّمير تهجيناً لحالهم بتكرير إسناد السّيئة إليهم.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٦٩، س٤.
٢ ـ سعد السعود: ص٨٨.
٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٧، س٢.
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٦، س٨.
٥ ـ ذيل الآية ١٦٠، راجع ج٣، ص١٣٢ ـ ١٣٣، من كتابنا تفسير الصافي.
٦ ـ ذيل الآية: ٨٩، راجع ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩ من هذا الجزء.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾

﴿إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: مثل ما كانوا يعملون، حذف المثل مبالغة للمماثلة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: أي معاد. القمّي: عن السجاد عليه السلام قال: يرجع إليكم نبيّكم صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين، والأئمّة صلوات الله عليهم[1].

وعن الباقر عليه السلام: إنّه ذكر عنده جابر فقال: رحم الله جابراً لقد بلغ من علمه أنّه كان يعرف تأويل هذه الآية يعني الرّجعة[2].

﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: يعني به نفسه والمشركين.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: ولكن ألقاه رحمة منه.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: قيل: بمداراتهم والتحمّل عنهم والإجابة إلى طلبتهم[3].

والقمّي: قال: المخاطبة للنّبيّ صلى الله عليه وآله والمعنى للنّاس[4].

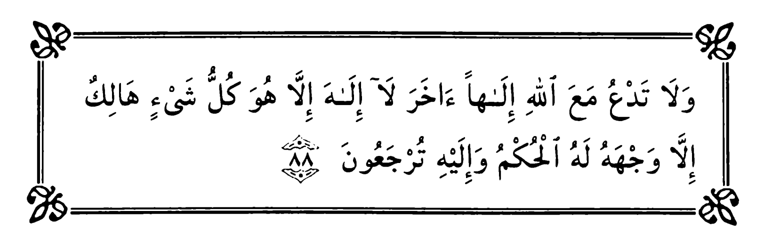
﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: إلى عبادته وتوحيده.

---

١ و ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٧.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٠٣.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٧، س ١٠.



﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾: القمّي: المخاطبة للنّبي صلى الله عليه وآله والمعنى للنّاس، وهو قول الصّادق عليه السلام إنّ الله بعث نبيّه بإيّاك أعني واسمعي ياجارة[١].

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام: إنّما عنى بذلك وجه الله الّذي يؤتى منه[٢]. وفي التّوحيد: عن الباقر عليه السلام إنّ الله عزّوجلّ أعظم من أن يوصف بالوجه، لكن معناه كلّ شيء هالك إلّا دينه، والوجه الّذي يؤتى منه[٣].

أقول: يعني بالوجه الّذي يؤتى منه: الّذي يهدي العباد إلى الله تعالى، وإلى معرفته من نبي أو وصيّ، أو عقل كامل بذلك وفيّ، فإنّه وجه الله الّذي يؤتى الله منه، وذلك لأنّ الوجه ما يواجه به والله سبحانه إنّما يواجه به عباده ويخاطبهم بواسطة نبيّ أو وصيّ أو عقل كامل.

وفي التّوحيد: عن الصّادق عليه السلام قال: كلّ شيء هالك إلّا من أخذ طريق الحقّ[٤][٥].

وعنه عليه السلام من أتى الله بما أمره من طاعة محمّد صلى الله عليه وآله، والأئمّة صلوات الله عليهم من بعده فهو الوجه الّذي لا يهلك، ثمّ قرأ: و«مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ»[٦][٧]. وفي الكافي: عنه عليه السلام ما في معناه[٨]. والمراد: أنّ كلّ مطيع لله ولرسوله متوجّه إلى الله فهو باق في الجنان أبد الآبدين، وهو وجه الله في خلقه، به يواجه الله تعالى عباده، ومن هو بخلافه فهو في النيران مع الهالكين،

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٧، س ١١.　　٢ ـ الكافي: ج ١، ص ١٤٣، ح ١، باب النوادر.

٣ و ٤ ـ التّوحيد: ص ١٤٩، ح ١ و ٢، باب ١٢ ـ تفسير قول الله عزّوجلّ: «كُلُّ شيءٍ هَالِكٌ إلّا وَجْهَهُ». ومثل الحديث الثاني جاء في المحاسن: ج ١، ص ٣٤٤، ح ٧١٤/ ١١٦، باب ٩ ـ الدين.

٥ ـ وفي المحاسن: عن الصادق عليه السلام قال: كلّ شيء هالك إلّا من أخذ الطريق الذي أنتم عليه. منه قدس سره. راجع المحاسن: ج ١، ص ٣١٦، ح ٦٢٨/ ٣٠، باب ٢ ـ المعرفة.　　٦ ـ النساء: ٨٠.

٧ ـ التّوحيد: ص ١٤٩، ح ٣، باب ١٢ ـ تفسير قول الله عزّوجلّ: «كُلُّ شيءٍ هَالِكٌ إلّا وَجْهَهُ».

٨ ـ الكافي: ج ١، ص ١٤٣، ح ٢، باب النوادر.

وقراءته الآية إشارة إلى أنّ إطاعته للرّسول توجّه منه إلى الله وإلى وجهه، وتوجّه من الله تعالى به إلى خلقه وهو السّبب في تسميته وجه الله وإضافته إليه.

وفي التّوحيد: عنه عليه السلام نحن وجه الله الّذي لا يهلك[١]. وعنه عليه السلام: «إلّا وجهه» قال: دينه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام دين الله، ووجهه، وعينه في عباده، ولسانه الّذي ينطق به، ويده على خلقه، ونحن وجه الله الّذي يؤتى منه، لن نزال في عباده ما دامت لله فيهم رويّة، قيل: وما الرويّة؟ قال: الحاجة، فإذا لم تكن لله فيهم حاجة رفعنا إليه وصنع بنا ما أحبّ[٢].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: فيفنى كلّ شيء ويبقى وجه الله أعظم من أن يوصف ولكن معناه كلّ شيّ هالك إلّا دينه، ونحن الوجه الّذي يؤتى منه لم نزل[٣] في عباده[٤]، وذكر مثل ما في التّوحيد[٥].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام: المراد كلّ شيء هالك إلّا دينه لأنّ من المحال أن يهلك منه كلّ شيء ويبقى الوجه هو أجلّ وأعظم من ذلك، وإنّما يهلك من ليس منه ألا ترى أنّه قال: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ»[٦] ففصّل بين خلقه ووجهه[٧].

أقول: وورد في حديث آخر عنهم عليهم السلام[٨] إن الضّمير في وجهه راجع إلى الشّيء وعلى هذا فمعناه أنّ وجه الشّيء لا يهلك وهو ما يقابل منه إلى الله، وهو روحه، وحقيقته، وملكوته، ومحلّ معرفة الله منه الّتي تبقى بعد فناء جسمه، وشخصه، والمعنيان متقاربان، وربّما يفسّر الوجه بالذّات وليس بذلك البعيد.

﴿**لَهُ ٱلْحُكْمُ**﴾: القضاء النّافذ في الخلق.

﴿**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾: للجزاء بالحقّ.

قد سبق ثواب قراءة هذه السّورة في آخر سورة الشّعراء.

---

١ و ٢ ـ التوحيد: ص ١٥٠ و ١٥١، ح ٤ و ٧، باب ١٢ ـ تفسير قول الله عزّوجلّ: «كُلُّ شيءٍ هَـالِكٌ إلَّا وَجَهَهُ».

٣ ـ وفي نسخة: [لن نزال].

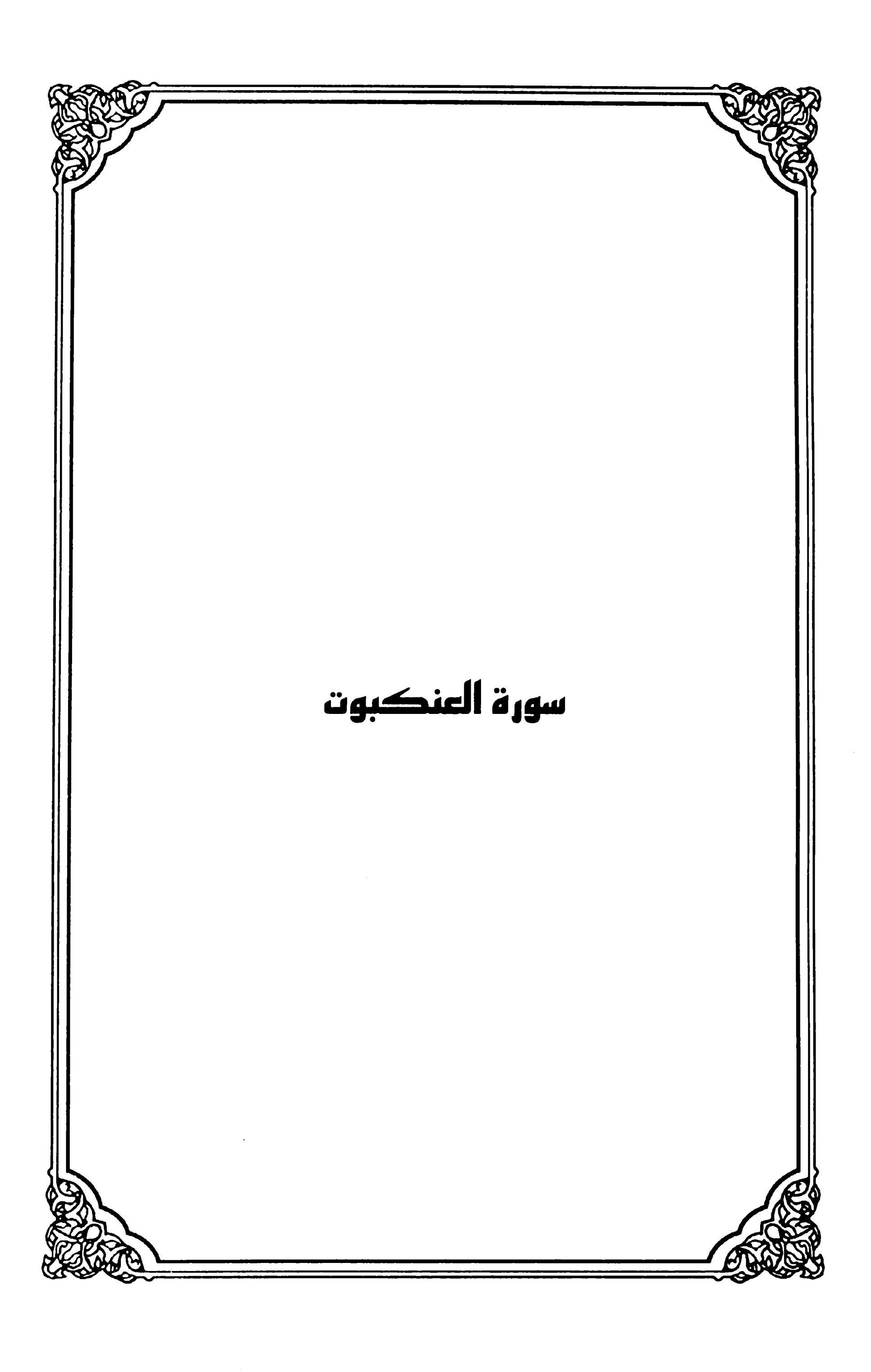
٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٧، س ١٤.

٥ ـ التوحيد: ص ١٥١، ح ٧، باب ١٢ ـ تفسير قول الله عزّوجلّ: «كُلُّ شيءٍ هَـالِكٌ إلَّا وَجَهَهُ».

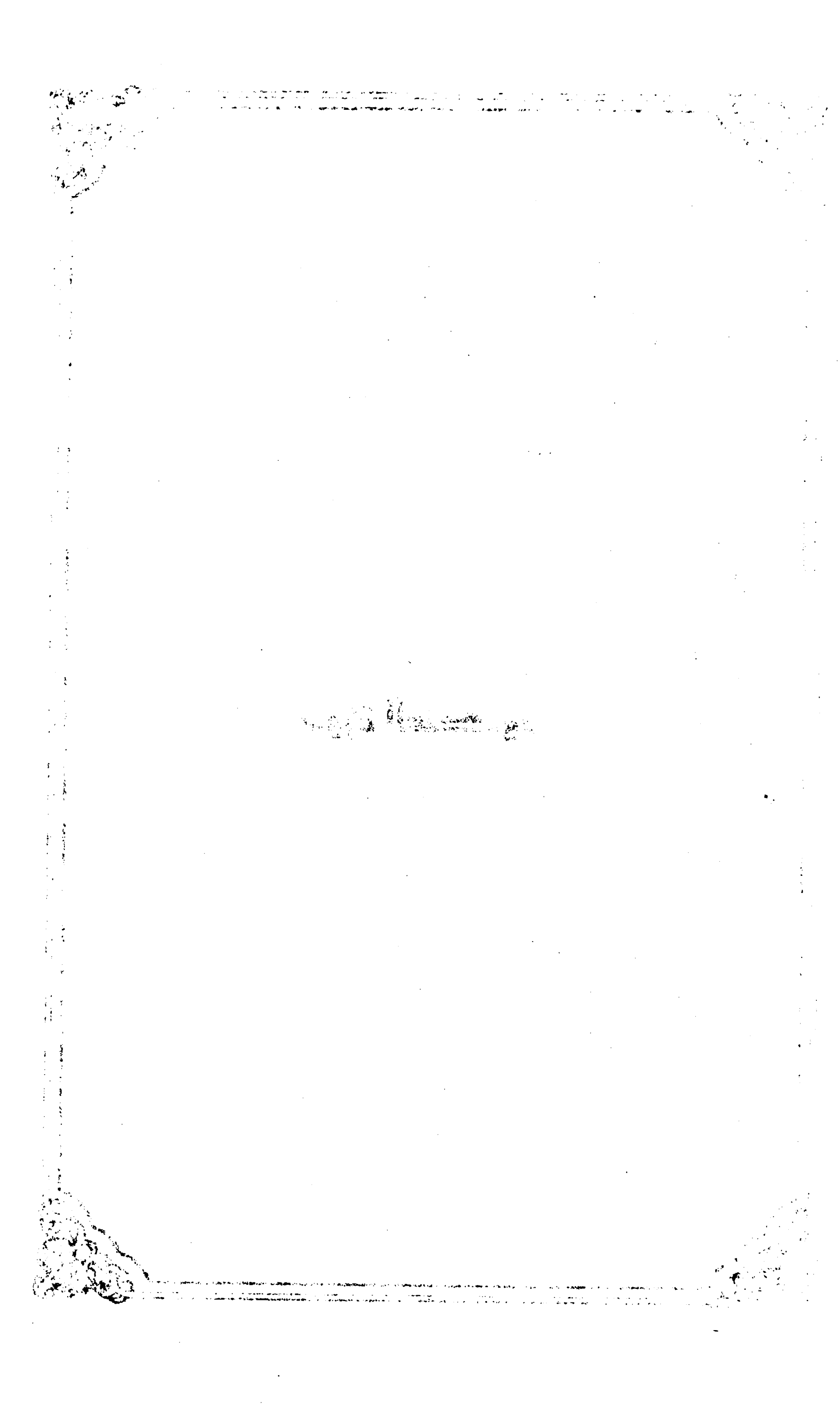
٦ ـ الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧.

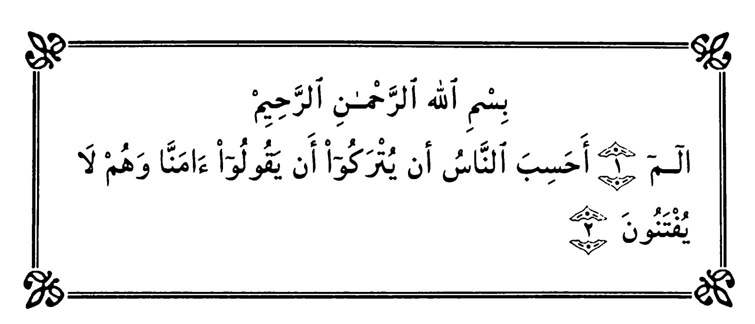
٧ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٧، إحتجاجه عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٨ ـ الكافي: ج ١، ص ١٤٣، ح ١، باب النوادر.

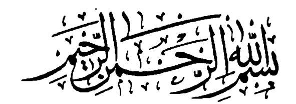


سورة العنكبوت





سورة العنكبوت: مكيّة كلّها في قول، مدنية في آخر، مكيّة إلّا عشر آيات من أوّلها فإنّها مدنيّة في ثالث، عدد آيها تسع وستون آية.



﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ﴾: لقولهم.

﴿ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: لا يختبرون، في المجمع: عن الصّادق عليه السلام معنى يفتنون: يبتلون في أنفسهم وأموالهم(١).

وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله: إنّه لمّا نزلت هذه الآية قال: لابدّ من فتنة تبتلى بها الأُمّة بعد نبيّها ليتعيّن الصّادق من الكاذب لأنّ الوحي قد إنقطع، وبقي السّيف وإفتراق الكلمة إلى يوم القيامة(٢).

وفي نهج البلاغة: قام رجل فقال: يا مير المؤمنين أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنها؟ فقال عليّ عليه السلام: لمّا أنزل الله سبحانه قوله: «الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله بين أظهرنا،

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٧٢، س٢٥.

٢ ـ مجمع البيان: ج٣ ـ ٤، ص٣١٥، س٢٥.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾

فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة الّتي أخبرك الله بها؟ فقال: يا عليّ إنّ أُمّتي سيفتنون من بعدي، فقلت: يا رسول الله أوليس قد قلت لي يوم أُحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عنّي الشهادة فشق ذلك عليّ فقلت لي أبشر فإنّ الشهادة من ورائك، فقال لي: إنّ ذلك كذلك فكيف صبرك إذن، فقلت: يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصّبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر، فقال: يا عليّ إنّ القوم سيفتنون بأموالهم ويمنّون بدينهم على ربّهم، ويتمنّون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء السّاهية، فيستحلّون الخمر بالنّبيذ، والسّحت بالهديّة، والرّبا بالبيع، قلت: يا رسول الله فبأيّ المنازل أنزلهم أبمنزلة ردّة أم بمنزلة فتنة؟ فقال: بمنزلة فتنة[١].

والقمّي: عن الكاظم عليه السلام قال: جاء العبّاس إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إنطلق يبايع لك النّاس، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أو تراهم فاعلين؟ قال: نعم، قال: فأين قوله عزّوجلّ: «الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ» الآية[٢].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّه قرأ هذه الآية، ثمّ قال: ما الفتنة؟ قيل: الفتنة في الدّين، فقال: يفتنون كما يفتن الذّهب، ثمّ قال: يخلصون كما يخلص الذّهب[٣].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: اختبرناهم، فإنّ ذلك سنّة قديمة جارية في الأُمم كلّها فلا ينبغي أن يتوقّع خلافه.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾: فليعلمنّهم في الوجود ممتحنين بحيث يتميّز الّذين صدقوا في الإيمان والّذين كذبوا فيه بعدما كان يعلمهم قبل ذلك

---

١ ـ نهج البلاغة: ص ٢٢٠، الخطبة ١٥٦. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٤٨، س٥.
٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٧٠، ح٤، باب التمحيص والإمتحان.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

إنّهم سيوجدون ويمتحنون.

في المجمع: عن أمير المؤمنين، والصّادق عليهما السلام إنّهما قرءا بضّم الياء وكسر اللّام فيهما من الإعلام أي ليعرفنّهم النّاس(١).

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الكفر والمعاصي.

﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾: أن يفوتونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساويهم.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ * مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ﴾: القمّي: قال: من أحبّ لقاء الله جاءه الأجل(٢).

وفي التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني من كان يؤمن بأنّه مبعوث فإنّ وعد الله لآت من الثواب والعقاب، قال: فاللّقاء هاهنا ليس بالرّؤية، واللّقاء: هو البعث(٣).

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال العباد.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بمعتقداتهم(٤) وأعمالهم.

﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾: القمّي: قال: أمال نفسه عن اللّذات والشهوات، والمعاصي(٥).

﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾: لأنّ منفعته لها.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٧١، في القراءة.
٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٨، س١٠.
٣ ـ التّوحيد: ص٢٦٧، س١٢، ح٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة.
٤ ـ وفي نسخة: [بعقائدهم].
٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٨، س١٠.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

﴿إِنَّ ٱللهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: فلا حاجة به إلى طاعتهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أحسن جزاء أعمالهم.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْناً﴾: القمّي: قال: هما اللّذان ولداه[1].

﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: بآلهيّته، عبّر عن نفيها بنفي العلم بها إشعاراً بأنّ ما لا يعلم صحّته لا يجوز إتّباعه وإن لم يعلم بطلانه فضلاً عمّا علم بطلانه.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾: في ذلك فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالجزاء عليه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: في جملتهم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٤٨، س١٢.

وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾: القمّي: قال: إذا أذاه إنسان أو أصابه ضرّ أو فاقة أو خوف من الظّالمين دخل معهم في دينهم، فرأى أنّ ما يفعلونه هو مثل عذاب الله الذي لا ينقطع[١].

﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: فتح وغنيمة، والقمّي: يعني القائم عليه السلام[٢].

﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾: في الدّين فاشركونا فيه.

﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: من الإخلاص والنّفاق.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بقلوبهم.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾: فيجازي الفريقين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾: القمّي: قال: كان الكفّار يقولون للمؤمنين: كونوا معنا فإنّ الذي تخافون أنتم ليس بشيء، فإن كان حقّاً نتحمّل نحن ذنوبكم فيعذّبهم الله عزّ وجلّ مرّتين مرّة بذنوبهم ومرّة بذنوب غيرهم[٣].

﴿وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ * وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: أثقال ما اقترفته أنفسهم.

﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: وأثقالاً أُخر معها لما تسبّبوا له بالإضلال والحمل على

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٩، س ٦. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٩، س ٨.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٩، س ١٠.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

المعصية من غير أن ينقص من أثقال من تبعهم شيء.

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: سؤال تقريع وتبكيت.

﴿عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: من الأباطيل التي أضلّوا بها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾: في الإكمال: عن الباقر عليه السلام لم يشاركه في نبوّته أحد[١].

وفي الكافي: عنه عليه السلام يدعوهم سرّاً وعلانية فلمّا أبوا وعتوا قال: «ربّ أنّي مغلوب فانتصر»[٢][٣].

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ * فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: يتّعظون ويستدلّون بها.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: ممّا أنتم عليه.

---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٢١٥، ح٢، باب ٢٢ ـ إتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام وأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله.

٢ ـ اقتباس من قوله تعالى: «فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ»، القمر ١٠.

٣ ـ الكافي: ج٨، ص٢٨٢ ـ ٢٨٣، ح٤٢٤.

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ ٱلَّـذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَـهُ إِلَـيْهِ تُـرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَـا عَـلَى ٱلرَّسُـولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُـبِينُ ﴿١٨﴾

﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكـاً﴾: وتكذبون كذباً في تسميتها آلهة، وإدّعاء شفاعتها عند الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَٱبْتَغُواْ عِـندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾: وأن تكذّبوني.

قيل: هي من جملة قصّة إبراهيم عليه السلام[1].

والقمّي: إنقطع خبر إبراهيم عليه السلام وخاطب الله أمّة محمّد صلى الله عليه وآله فقال: «وَإِن تُكَذِّبُواْ» إلى قوله: «لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» ثمّ عطف على خبر إبراهيم عليه السلام فقال: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ»[2] فهذا من المنقطع المعطوف[3].

أقول: الوجه فيه أنّ مساق قصة إبراهيم عليه السلام لتسلية الرّسول صلى الله عليه وآله، والتّنفيس عـنه، بإنّ أباه خليل الله كان ممنوّاً بنحو ما منى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال إبراهيم عليه السلام في قومه ولذلك توسّط مخاطبتهم بين طرفي قصّته.

﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾: الرّسل فلم يضرّهم تكذيبهم وإنّما ضرّ أنـفسهم فكذا تكذيبهم.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٠٦، س٢٠.

٢ ـ العنكبوت: ٢٤. ٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٩، س١٥.

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ * أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: وقرئ بالتّاء على تقدير القول.

﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: إذ لا يفتقر في فعله إلى شيء.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: خطاب لمحمّد صلّى الله عليه وآله إن كانت هذه الآيات معترضة في قصّة إبراهيم كما ذكره القمّي[1] وحكاية كلام الله لإبراهيم عليه السلام إن كانت من جملة قصّته.

﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: وقرئ بفتح الشّين والمدّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: تردّون.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ربّكم عن إدراككم.

﴿وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: إن فررتم من قضائه بالتّواري في إحداهما.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: يحرسكم عن بلائه.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٤٩.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَـٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦ﴾: بالبعث.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾: لإنكارهم البعث والجزاء.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: بكفرهم.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾: قوم إبراهيم عليه السلام له.

﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾: قيل: وكان ذلك قول بعضهم، لكن لمّا قال فيهم ورضي به الباقون، أُسند إلى كلّهم[1].

﴿فَأَنجَـٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾: أي فقذفوه فيها فأنجاه منها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في انجائه منها.

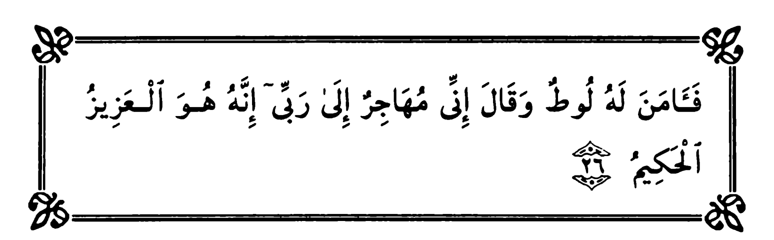
﴿لَأَيَـٰتٍ﴾: هي حفظه من أذى النّار وإخمادها مع عظمها في زمان يسير وإنشاء روض مكانها.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: لأنّهم المنتفعون بها.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾: وقرئ بالإضافة منصوبة ومرفوعة.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٠٧، س١٨.



﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي لتتوادّوا بينكم، وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام يعني يتبرأ بعضكم من بعض[1].

وفي التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام الكفر في هذه الآية البراءة، يقول: فيبرأ بعضكم من بعض، قال: ونظيرها في سورة إبراهيم عليه السلام قول الشّيطان «إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ»[2] وقول إبراهيم عليه السلام خليل الرّحمن «كَفَرْنَا بِكُمْ»[3] أي تبرّأنا منكم[4].

﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾: أي يقوم التّناكر، والتّلاعن بينكم أو بينكم وبين الأوثان كقوله: «وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً»[5].

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام ليس قوم إئتمّوا بإمام في الدّنيا إلّا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلّا أنتم ومن كان على مثل حالكم[6].

وفي المحاسن: عنه عليه السلام أما ترضون أن يأتي كلّ قوم يلعن بعضهم بعضاً إلّا أنتم، ومن قال بمقالتكم[7].

﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾: يخلصونكم منها.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾: وكان ابن خالته كما سبق في قصّتهما.

---

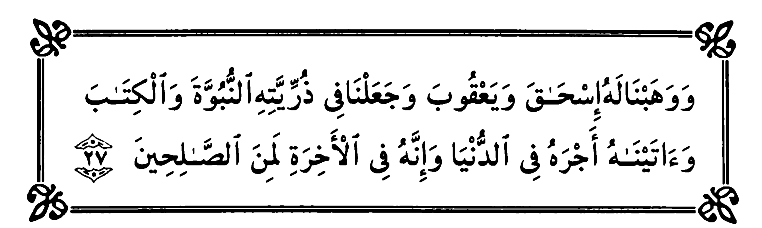
١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٩١، ذيل ح ١، باب وجوه الكفر.

٢ ـ إبراهيم: ٢٢. ٣ ـ الممتحنة: ٤.

٤ ـ التّوحيد: ص ٢٦٠، ح ٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة.

٥ ـ مريم: ٨٢. ٦ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٤٦، ح ١٢٢.

٧ ـ المحاسن: ج ١، ص ٢٣٩، ح ٤٣٨/ ٤٣، باب ١٢ ـ يوم ندعو كل أُناس بإمامهم.



﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾: قيل: مهاجر من قومي إلى حيث أمرني ربّي[1].

القمّي: قال: المهاجر: من هجر السّيئات وتاب إلى الله[2].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الّذي يمنعني من أعدائي.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الّذي لا يأمرني إلّا بما فيه صلاحي، في الإكمال: عن الباقر عليه السلام إنّ إبراهيم عليه السلام كانت نبوّته بكوثي، وهي قرية من قرى السّواد يعني به الكوفة، قال: فيها بدا أوّل أمره ثمّ هاجر منها وليست بهجرة قتالٍ، وذلك قول الله عزّوجلّ: «إنّي مهاجر إلى ربّي سيهدين»[3][4].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾: ولداً ونافلة حين آيس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر إسماعيل.

﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾: فكثر منهم الأنبياء.

﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾: يشمل الكتب الأربعة والصّحف.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾: باعطاء الولد في غير أوانه، والذّريّة الطّيبة الّتي من جملتهم خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين، وأمير المؤمنين عليهما السلام، وعرتهما الطّيّبين وإستمرار النبوّة فيهم وإنتماء الملل إليه والصلاة والثنّاء عليه إلى آخر الدّهر.

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: لفي عداد الكاملين في الصّلاح.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٠٨، س١٠.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٤٩ ـ ١٥٠.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٢٢٠، ح٢، باب ٢٢ ـ إن الأرض لا تخلو من حجة لله.

٤ ـ اقتباس من قوله: «إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ»، الصافّات: ٩٩.

وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ﴾: وقرئ بحذف همزة الإستفهام على الخبر.

﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾: الفعلة البالغة في القبح.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾: وتتعرّضون للسّابلة بالفاحشة والفضيحة حتّى إنقطعت الطّرق.

﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾: في مجالسكم الغاصّة، ولا يقال النّادي إلّا لما فيه أهله.

﴿ٱلْمُنكَرَ﴾: في المجمع: عن الرّضا عليه السلام كانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء(١).

والقمّي: قال: كان يضرط بعضهم على بعض(٢).

وفي العوالي: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله هو الخذف(٣)(٤).

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ *

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص ٢٨٠، س ٣٢.

٢ ـ لم نعثر عليه في تفسير القمّي المطبوع ج٢، ص ١٥٠، ذيل هذه الآية، ولعلّه سهو حدث أثناء الطباعة، حيث عثرنا عليه في تفسير نور الثقلين: ج٤، ص١٥٧، ح٣٥ نقلاً عن تفسير القمّي. ووجدناه أيضاً في تفسير البرهان: ج٣، ص٢٤٧، ح١، نقلاً عن تفسير القمّي، فمن المحتمل أنّ هذه الجملة كانت موجودة في الأصل أي (النسخة الخطيّة) وحذفت أثناء الطباعة، وممّا يؤيّد ذلك وجود فراغ لهذه الجملة في المطبوع.

٣ ـ الخذف: بالمعجمتين: الرمي بالحصى. منه رحمه الله.

٤ ـ عوالي اللئالي: ج١، ص٣٢٧، ح٧٢.

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾

قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: بابتداع الفاحشة فيمن بعدهم.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: بالبشارة بالولد والنافلة.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: قرية سدوم.

﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾: وقرئ بالتّخفيف.

﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقين في العذاب.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيٓءَ بِهِمْ﴾: جاءته المساءة والغمّ بسببهم.

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً﴾: وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته.

﴿وَقَالُواْ﴾: لمّا رأوا فيه من أثر الضّجرة.

﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾: وقرئ بالتّخفيف.

﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ * إِنَّا مُنزِلُونَ﴾: وقرئ بالتّشديد.

﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: عذاباً منها.

﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾: بسبب فسقهم.

وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةَ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَاداً وَثَمُوداْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةَ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: هي منزل لوط بقي عبرة للسّيّارة كما سبق في قصّتهم المشروحة في سورة هود[1].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾: وافعلوا ما ترجون به ثوابه، وقيل: إنّه من الرّجاء بمعنى الخوف[2].

﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزّلزلة الشّديدة الّتي فيها الصّيحة.

﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾: باركين على الرّكب ميّتين.

﴿وَعَاداً وَثَمُوداْ﴾: أي واذكرهما أو أهلكناهما.

﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ﴾: بعض مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾: من الكفر والمعاصي.

﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: السّبيل السّويّ الّذي بيّن لهم الرّسل.

﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾: متمكنين من النظر والإستبصار، ولكنّهم لم يفعلوا.

---

١ ـ ذيل الآية ٨٢، أُنظر كتابنا تفسير الصافي: ج٤، ص٦٣.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٢١٠، س١.

وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـٱلْبَيِّنَـٰتِ فَاسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّن خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنْكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَـيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ﴾: قدّم قارون لشرف نسبه.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـٱلْبَيِّنَـٰتِ فَـاسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَـا كَـانُواْ سَـٰبِقِينَ﴾: فائتين بل أدركهم أمر الله.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً﴾: حصباء كقوم لوط.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: كمدين وثمود.

﴿وَمِنْهُم مَّن خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: كقارون.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾: كفرعون وقومه وقوم نوح.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: فيعاقبهم بغير جرم.

﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بالتعريض للعذاب.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾: فيما إتّخذوه معتمداً ومتّكلاً.

﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنْكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾: فيما نسجه بالوهن والخور[1].

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾: لا بيت أوهن وأقلّ وقاية للحر والبرد منه.

---

١ ـ الخَورَ ـ بالتحريك ـ: الضعف. الصحاح: ج ٢، ص ٦٥٠، مادة «خور».

إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: يرجعون إلى علم لعلموا أنّ هذا مثلهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ﴾: وقرئ بالياء.

﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾: يعني هذا المثل، ونظائره.

﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾: تقريباً لما بعد من أفهامهم.

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾: الذين يتدّبرون الأشياء على ما ينبغي.

القمّي: يعني آل محمّد صلوات الله عليهم(١).

وفي المجمع: عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله إنّه تلا هذه الآية، فقال: العالم الّذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه(٢).

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: لأنّهم المنتفعون بها.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: تقرّباً إلى الله بقراءته وتحفظاً لألفاظه، وإستكشافاً لمعانيه.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٥٠، س ١٤.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢٨٤، س ٢٧.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾: القمّي: قال: من لم تنهه الصلاة عن الفحشاء والمنكر لم تزدده من الله عزّوجلّ إلّا بُعداً[١].

وفي المجمع: عن النّبيّ ﷺ مثله[٢].

وروي أنّ فتى من الأنصار كان يصلّي الصّلوات مع رسول الله ﷺ ويرتكب الفواحش فوصف ذلك لرسول الله ﷺ فقال: إنّ صلاته تنهاه يوماً ما فلم يلبث أن تاب[٣].

وفي التّوحيد: عن الصّادق عليه السلام قال: الصلاة حجزة الله، وذلك أنّها تحجز المصلّي عن المعاصي مادام في صلاته، ثمّ تلا هذه الآية[٤].

وفي الكافي: عن سعد الخفّاف عن الباقر عليه السلام إنّه سأله هل يتكلّم القرآن؟ فتبسّم، ثمّ قال: رحم الله الضّعفاء من شيعتنا أنّهم أهل تسليم، ثمّ قال: نعم يا سعد والصلاة تتكلّم ولها صورة وخلق تأمر وتنهى، قال: فتغيّر لذلك لوني، وقلت هذا شيء لا أستطيع أن أتكلّم به في النّاس، فقال عليه السلام: وهل النّاس إلّا شيعتنا فمن لم يعرف الصّلاة فقد أنكر حقّنا، ثمّ قال: يا سعد أسمعك كلام القرآن؟ قال سعد: فقلت بلى صلوات الله عليك، فقال: «إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ» فالنّهي: كلام، والفحشاء والمنكر: رجال، ونحن: ذكر الله، ونحن أكبر[٥].

أقول: الفحشاء والمنكر: الأوّلان، إذ هما صورتها وخلقها، والصلاة من ينهى عنهما، وهو معروف.

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول: ذكر الله لأهل الصلاة أكبر من ذكرهم إيّاه، ألا ترى أنّه يقول: «ٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ»[٦][٧].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام في قوله تعالى: «وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ» قال: ذكر الله عندما

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٥٠، س ١٦.
٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢٨٥، س ١٠.
٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢٨٥، س ١٤.
٤ ـ التّوحيد: ص ١٦٦، ح ٤، باب ٢٣ ـ معنى الحجزة.
٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٩٨، ذيل ح ١، باب فضل القرآن.
٦ ـ اقباس من قوله تعالى: «فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ»، البقرة: ١٥٢.
٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٥٠، س ١٩.

وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّـذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾

أحلّ وحرّم[١].

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ * وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: قد مضى تفسيره في سورة النّحل عند قوله تعالى: «وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ»[٢].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾: بالإفراط في الإعتداء.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: هو من المجادلة بالّتي هي أحسن، وروي عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم، وقولوا: آمنّا بالله وبكتبه، ورسله فإن قالوا: باطلاً لم تصدّقوهم، وإن قالوا: حقّاً لم تكذّبوهم[٣].

﴿وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: مطيعون له خاصّة، ولعلّ فيه تعريضاً باتّخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: القمّي: هم آل محمّد صلوات الله عليهم[٤].

﴿وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: قال: يعني أهل الإيمان من أهل القبلة[٥].

---

١ ـ لم نعثر عليه في المجمع، بل عثرنا عليه في تفسير نور الثقلين: ج٤، ص١٦٢، ح٦١، نقلاً عن المجمع.

٢ ـ النحل: ١٢٥، أُنظر كتابنا تفسير الصافي: ج٤، ص٣٦٥ ـ ٣٦٧.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٢١١، س٢٢.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٥٠، س٢٠.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٥٠، س٢١.

وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾: بالقرآن.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: مع ظهورها وقيام الحجّة عليها.

﴿إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: القمّي: يعني مايجحد بأميرالمؤمنين والأئمّة عليهم السلام إلّاالكافرون[١].

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾: فإنّ ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم الشريفة على أُمّي لم يعرف بالقراءة والتعلّم خارق للعادة، وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفى، ونفي للتجوّز في الإسناد.

﴿إِذاً لَّارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: أي لو كنت ممّن تخطّ وتقرأ لقالوا: لعلّه تعلّمه أو التقطه من كتب الأقدمين.

القمّي: هذه الآية معطوفة على قوله في سورة الفرقان: «ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً»[٢] فردّ الله عليهم، فقال: كيف يدّعون أنّ الّذي تقرأه أو تخبر به تكتبه عن غيرك وأنت: «مَاكُنتَ تَتْلُواْمِن قَبْلِهِ مِن كِتَـٰبٍ وَلَاتَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ» أي شكوا[٣].

وفي العيون: عن الرّضا عليه السلام في حديث ومن آياته: أنّه كان يتيماً، فقيراً، راعياً، أجيراً، لم يتعلّم كتاباً، ولم يختلف إلى معلّم، ثمّ جاء بالقرآن الّذي فيه قصص الأنبياء، وأخبارهم حرفاً حرفاً، وأخبار من مضى، ومن بقي إلى يوم القيامة[٤].

﴿بَلْ هُوَ﴾: القرآن.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٥١، س ٦.　　٢ ـ الفرقان: ٥.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٥١، س ١.

٤ ـ عيون أخبر الرضا: ج ١، ص ١٦٧، س ١٠، ح ١، باب ١٢ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التّوحيد عند المأمون.

وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

﴿ءَايَـٰتٌ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّه تلا هذه الآية فأومى بيده إلى صدره[١].

وعنه عليه السلام: إنّه تلاها فقال: ما قال بين دفّتي المصحف[٢]، قيل: من هم؟ قال: من عسى أن يكونوا غيرنا؟[٣].

وعن الصادق عليه السلام: هم الأئمّة عليهم السلام[٤]، وقال: نحن وايّانا عني في أخبار كثيرة[٥].

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ * وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: مثل ناقة صالح، وعصا موسى عليه السلام، ومائدة عيسى عليه السلام، وقرئ آيات.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: ينزّلها كما يشاء لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: ليس من شأني إلّا الإنذار وإبانته بما أُعطيت من الآيات.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾: آية مغنية عمّا إقترحوه.

﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: يدوم تلاوته عليهم.

---

١ ـ الكافي: ج١، ص٢١٣، ح١، باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم.

٢ ـ «ما» في قوله عليه السلام: «ما قال» نافية يعني ما قال: آيات بيّنات بين دفّتي المصحف، بل قال: «ءَايَـٰتٌ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ». منه رحمه الله.

٣ ـ الكافي: ج١، ص٢١٤، ح٣، باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدروهم، وبصائر الدرجات: ص٢٢٥، ح٣، و٦ و٩ و١٣، باب ١١ ـ في أنّ الأئمّة أُوتوا العلم وأُثبت ذلك في صدورهم، ج٤.

٤ ـ الكافي: ج١، ص٢١٤، ح٤ و ٥، باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدروهم.

٥ ـ بصائر الدرجات: ص٢٢٤ ـ ٢٢٧، ح١ و ١٠ و١٥ و١٦ باب ١١، الجزء الرابع، باب في أنّ الأئمّة أُوتوا العلم وأُثبت ذلك في صدورهم.

قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِالْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِاللهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في ذلك الكتاب الّذي هو آية مستمرّة وحجّة مبيّنة.

﴿لَرَحْمَةً﴾: لنعمة عظيمة.

﴿وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: وتذكرة لمن همّه الإيمان دون التعنّت.

روي إنّ أناساً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ بكتف كتب فيها بعض ما يقوله اليهود، فقال: كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عمّا جاء به نبيّهم إلى ما جاء به غير نبيّهم فنزلت[١].

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾: بصدقي وقد صدّقني بالمعجزات.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فلا يخفى عليه حالي وحالكم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِالْبَٰطِلِ﴾: وهو ما يعبد من دون الله.

﴿وَكَفَرُواْ بِاللهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: بقولهم: «أمطر علينا حجارة من السماء»[٢].

﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: لكلّ عذاب وقوم.

﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: عاجلاً.

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾: فجأة في الدّنيا كوقعة بدر أو في الآخرة عند نزول الموت بهم.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بإتيانه.

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٢١٢، س١٩، وتفسير الطبري: المجلد ٩ ـ ج٢١، ص٦، س١١، والكشاف: ج٣، ص٤٥٩، س١٧.

٢ ـ اقتباس من قوله تعالى: «فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ»، الأنفال: ٣٢.

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَٰفِرِينَ﴾: لإحاطة أسبابها بهم.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ﴾: وقرئ بالنّون.

﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَاعْبُدُونِ﴾: أي إذا لم تتيسر لكم العبادة في بلدة فهاجروا إلى حيث يتمشّى لكم ذلك.

القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: يقول: لا تطيعوا أهل الفسق من الملوك فإن خفتموهم أن يفتنوكم عن دينكم فإنّ أرضي واسعة وهو يقول: «فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ» فقال: «أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا»[1][2].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام إذا عصى الله في أرض أنت بها فاخرج منها إلى غيرها[3].

وفي الجوامع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب بها الجنّة، وكان رفيق إبراهيم عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله[4].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: تناله لا محالة.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾: وقرئ بالياء، وقد مرّ في سورة آل عمران أخبار في هذه الآية[5].

---

١ ـ النساء: ٩٧.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٥١، س ١٠.
٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢٩١، س ١.
٤ ـ جوامع الجامع: ج ٣، ص ٣٥٣، س ١.
٥ ـ ذيل الآية: ١٨٥، أنظر كتابنا تفسير الصافي: ج ٢، ص ١٦٠ ـ ١٦١.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: لننزلنّهم، وقرئ لنثوينّهم بالثّاء من الثواء أي لنقيمنّهم.

﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفاً﴾: علالي[1].

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ * ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾: على المحن والمشاق.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: ولا يتوكّلون إلّا على الله.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾: القمّي: قال: كانت العرب يقتلون أولادهم مخافة الجوع، فقال الله: «ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ»[2].

وقيل: لمّا أمروا بالهجرة قال بعضهم: كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة؟ فنزلت[3].

وفي المجمع: عن ابن عمر، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى بعض حيطان الأنصار فأخذ يأكل تمراً، فقال: هذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاماً، ولو شئت لدعوت ربّي فأعطاني مثل ما ملك كسرى وقيصر فكيف بك يابن عمر إذا بقيت مع قوم يخبئون رزق سنتهم لضعف اليقين فوالله ما برحنا حتّى نزلت هذه الآية[4].

---

١ ـ العليّة ـ بكسر العين المهملة ـ: الغرفة، والعلالي من البيوت واحدتها عليّة. لسان العرب: ج٩، ص٣٧٩، مادة «علا».

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٥١، س١٥.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢١٤.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٩١.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: لقولكم، وبضميركم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك بالفطرة.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾: لمن يبسط على التّعاقب، أو لمن يشاء لإبهامه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: يعلم مصالحهم ومفاسدهم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: فيتناقضون حيث يقرّون بأنّه خالق كلّ شيء، ثمّ إنّهم يشركون به الأصنام.

﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾: إلّا كما يلهي ويلعب به الصّبيان يجتمعون عليه ويتبهّجون به ساعة، ثمّ يتفرّقون متعبين.

﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾: لهي دار الحياة الحقيقيّة، لإمتناع طريان الموت عليها، وفي لفظة الحيوان من المبالغة ما ليست في لفظة الحياة لبناء فعلان على الحركة

فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾

والاضطراب اللّازم للحياة.

﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: لم يؤثروا عليها الدّنيا الّتي حياتها عارضة سريعة الزّوال.

﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ﴾: على ما هم عليه من الشّرك.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: كائنين في صورة من أخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون إلّا الله، ولا يدعون سواه لعلمهم بأنّه لا يكشف الشّدائد إلّا هو.

﴿فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾: فأجاؤوا المعاودة إلى الشرك

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾: لكي يكونوا كافرين بشركهم نعمة النّجاة.

﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾: بإجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادّهم عليها، وقرئ بسكون اللّام.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: عاقبة ذلك حين يعاقبُون.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾: يعني أهل مكّة.

﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾: أي جعلنا بلدهم مصوناً عن النّهب والتّعدي، آمناً أهله عن القتل والسبي.

﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾: يختلسون قتلاً وسبياً، إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب.

﴿أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ﴾: أبعد هذه النّعمة الظّاهرة وغيرها ممّا لا يقدر عليه إلّا الله بالصنم أو الشيطان[1].

---

١ ـ العبارة غير مفهومة.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوىً لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾: حيث أشركوا به غيره.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾: بأن زعم أنّ له شريكاً.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُ﴾: حين جاءه من غير تأمّل وتوقّف.

﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوىً لِّلْكَـٰفِرِينَ * وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا﴾: في حقّنا، يشمل جهاد الأعادي الظاهرة والباطنة.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: سبل السّير إلينا، والوصول إلى جنابنا.

وفي الحديث: من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم[١].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: بالنّصر والإعانة، القمّي: «ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ» أي صبروا وجاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله «لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» أي لنثبتنّهم[٢].

وعن الباقر عليه السلام: هذه الآية لآل محمّد صلوات الله عليهم ولأشياعهم[٣].

وفي المعاني: عنه عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: الأوانّي مخصوص في القرآن بأسماء إحذروا من أن تغلبوا عليها فتضلّوا في دينكم، أنا المحسن يقول الله عزّ وجلّ: «إِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ»[٤].

في ثواب الأعمال[٥]، والمجمع: عن الصّادق عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت والرّوم في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين فهو والله من أهل الجنّة لا أستثني فيه أبداً ولا أخاف أن يكتب الله عليّ في يميني إثماً وإنّ لهاتين السّورتين من الله لمكاناً[٦].

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٢١٥، س١١. ٢ و ٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٥١.

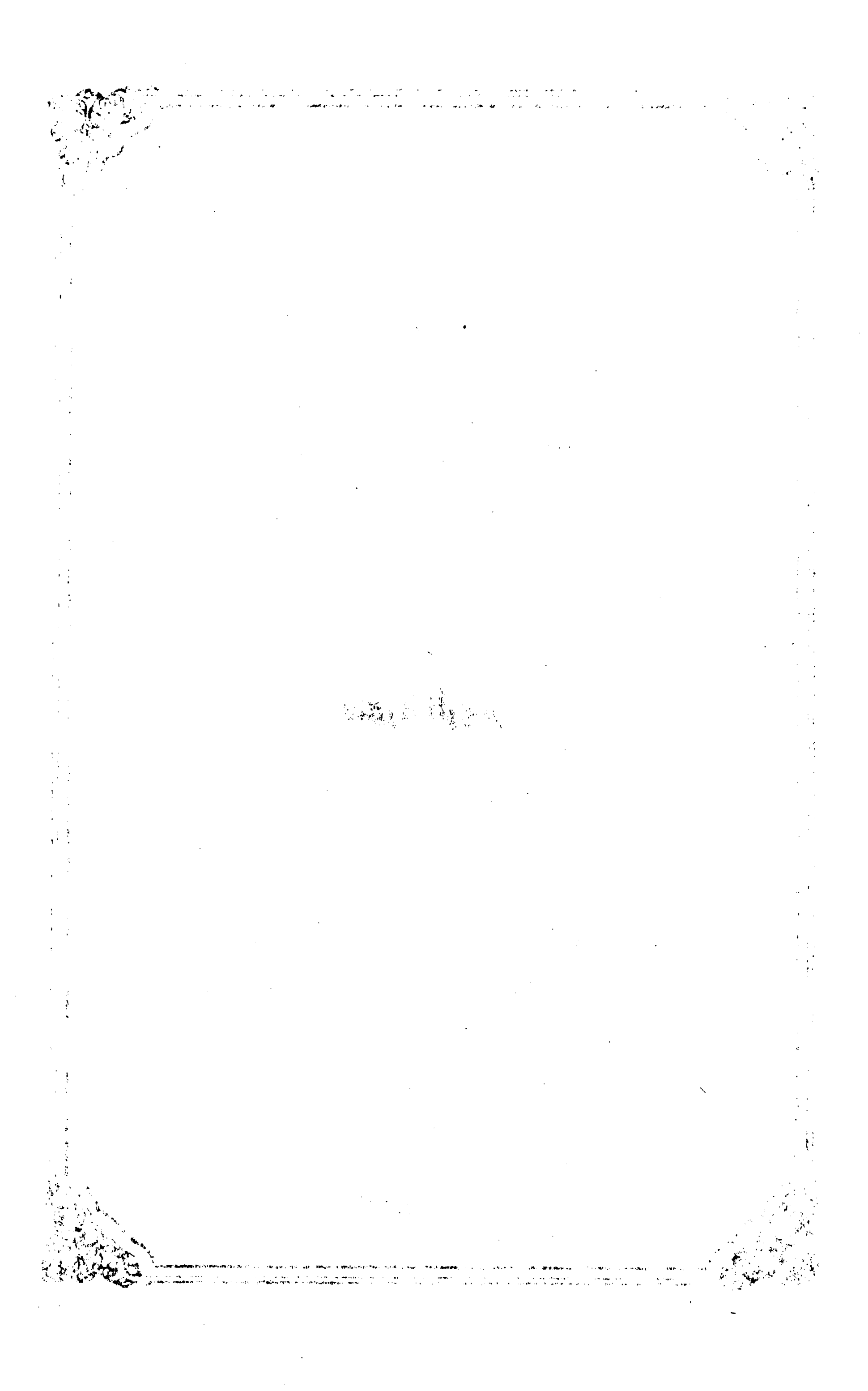
٤ ـ معاني الأخبار: ص٥٩، ح٩، باب معاني أسماء محمّد وعلي وفاطمة....

٥ ـ ثواب الأعمال: ص١٠٩، ح١، باب ثواب من قرأ سورة العنكبوت والروم.

٦ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٧١، في فضلها.



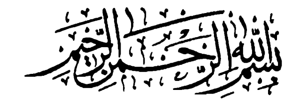
سورة الروم



بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمْ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾

سورة الروم: مكيّة، قيل: إلّا قوله: «فَسُبْحَٰنَ ٱللهِ حِينَ تُمْسُونَ»[1]، الآية، عدد آيها تسع وخمسون آية.



﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾: غلبتها فارس.

﴿فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾: قيل: أي أدنى أرض العرب منهم أو أدنى أرضهم من العرب[2].

﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾: قيل: من قبل كونهم غالبين، وهو وقت كونهم مغلوبين[3].

أي له الأمر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما إلّا بقضائه.

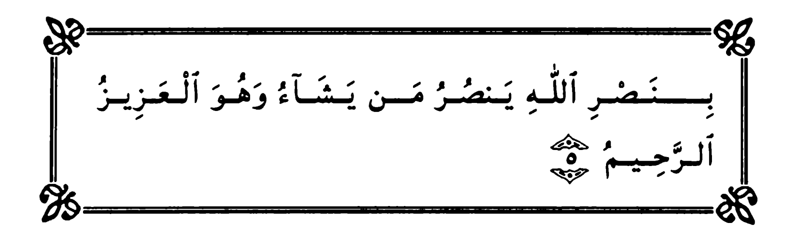
وفي الخرائج: عن الزكيّ عليه السلام إنّه سئل عنه عليه السلام فقال: له الأمر من قبل أن يأمر به، وله

---

١ ـ الروم: ١٧.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢١٥، س١٧.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢١٦، س١١.



الأمر من بعد أن يأمر به يقضي بما يشاء(١).

والقمّي: عن الباقر عليه السلام لله الأمر من قبل أن يأمر، ومن بعد أن يقضي بما يشاء(٢).

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾: ويوم يغلبون.

﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾: فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء أُخرى.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾: ينتقم من عباده بالنّصر عليهم تارة، ويتفضّل عليهم بنصرهم أُخرى.

قيل: غلبت فارس الرّوم وظهروا عليهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ففرح بذلك كفّار قريش من حيث أنّ أهل فارس كقريش لم يكونوا أهل كتاب، وساء ذلك المسلمين، وكان بيت المقدس لأهل الرّوم كالكعبة للمسلمين فدفعتهم فارس عنه، ثمّ ظهرت، الرّوم على فارس يوم الحديبيّة(٣).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية، فقال: إنّ لها تأويلاً لا يعلمه إلّا الله والرّاسخون في العلم من آل محمّد صلوات الله عليهم، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا هاجر إلى المدينة، وأظهر الإسلام كتب إلى ملك الرّوم كتاباً وبعث به مع رسول يدعوه إلى الإسلام، وكتب إلى ملك فارس كتاباً يدعوه إلى الإسلام وبعثه إليه مع رسوله، فأمّا ملك الرّوم فعظّم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأكرم رسوله، وأمّا ملك فارس فإنّه إستخفّ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومزّقه وإستخفّ برسوله، وكان ملك فارس يومئذ يقاتل ملك الرّوم، وكان المسلمون يهوون أن يغلب ملك

---

١ ـ الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٦٨٦، ح ٨، فصل في اعلام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٥٣، س ١.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢٩٤، س ٢٥.

الرّوم ملك فارس، وكانوا لناحيته أرجى منهم لملك فارس، فلمّا غلب ملك فارس ملك الرّوم كره ذلك المسلمون، واغتمّوا به فأنزل الله عزّوجلّ بذلك كتاباً: «الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ» يعني غلبتها فارس «فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ» وهي الشّامات وما حولها، «وَهُم» يعني فارس «مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ» الرّوم «سَيَغْلِبُونَ»، يعني يغلبهم المسلمون «فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ» قال: فلمّا غزا المسلمون فارس وافتتحوها فرح المسلمون بنصر الله عزّوجلّ.

قيل: أليس الله يقول: «فِي بِضْعِ سِنِينَ» وقد مضى للمؤمنين سنون كثيرة مع رسول الله ﷺ وفي أمارة أبي بكر، وإنّما غلب المؤمنون فارس في إمارة عمر فقال: ألم أقل لك إنّ لهذا تأويلاً وتفسيراً، وللقرآن ناسخ ومنسوخ؟ أما تسمع لقول الله عزّوجلّ:«لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ»؟ يعني إليه المشيّة في القول أن يؤخّر ما قدّم ويقدّم ما أخرّ في القول إلى يوم أن يحتم القضاء بنزول النّصر فيه على المؤمنين، وذلك قوله عزّوجلّ: «وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ» أي يوم تحتّم القضاء بالنّصر[1].

والقمّي: عنه عليه السلام مثله إلّا أنّه لم يذكر قوله: «يعني يغلبهم المسلمون» ولا قوله: «فلمّا غزا المسلمون» إلى قوله: «بِنَصْرِ ٱللَّهِ»[2].

وبناء الرّوايتين على قراءته سيُغلبون بضمّ الياء مع ضمّ غلبت وقرئ في الشّواذّ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضّم وعليه بناء ما في كتاب الإستغاثة لابن ميثم قال: لقد روينا من طريق علماء أهل البيت عليهم السلام في أسرارهم وعلومهم الّتي خرجت منهم إلى علماء شيعتهم أنّ قوماً ينسبون إلى قريش وليسوا من قريش بحقيقة النّسب، وهذا ممّا لا يعرفه إلّا معدن النّبوة، وورثة علم الرّسالة، وذلك مثل بني اُمّية ذكروا أنّهم ليسوا من قريش وأنّ أصلهم من الرّوم، وفيهم تأويل هذه الآية: «الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ» معناه إنّهم غلبوا على الملك وسيغلبهم على ذلك بنو العبّاس[3].

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٢٦٩، ح٣٩٧.
٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٥٢، س٦.
٣ ـ الإستغاثة: ٨٧ ـ ٨٨.

وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِراً مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمّىً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَـٰهِراً مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ما يشاهدون منها.

﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ﴾: الّتي هي غايتها والمقصود منها.

﴿هُمْ غَـٰفِلُونَ﴾: لا تخطر ببالهم، القمّي: قال: يرون حاضر الدنيا، ويتغافلون عن الآخرة[1].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن قوله تعالى: «يَعْلَمُونَ ظَـٰهِراً مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا» فقال: منه الزّجر والنّجوم[2].

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم﴾: أولم يحدثوا التفكّر فيها، أو أولم يتفكّروا في أمر أنفسهم فإنّها أقرب إليهم من غيرها، ومرآة يجتلي للمُستبصر ما يجتلي له في سائر المخلوقات لتتحقّق لهم قدرة مبدعها على إعادتها قدرته على إبدائها .

﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمّىً﴾: تنتهي عنده ولا تبقى بعده.

﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ﴾: جاحدون، يحسبون أنّ الدّنيا أبديّة وأنّ الآخرة لا تكون.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٥٣، س ١٠.
٢ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٢٩٥، س ١١.

أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: تقرير لسيرهم في أقطار الأرض، ونظرهم إلى آثار المدمّرين قبلهم، وفي الخصال: عن الصّادق عليه السلام إنّ معناه أو لم ينظروا في القرآن[1].

﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: كعاد وثمود.

﴿وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ﴾: وقلّبوا وجهها لاستنباط المياه، واستخراج المعادن، وزرع البذور وغيرها.

﴿وَعَمَرُوهَآ﴾: وعمروا الأرض.

﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾: من عمارة أهل مكّة إيّاها فإنّهم أهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها، وفيه تهكّم بهم من حيث أنّهم مغترّون بالدّنيا، مفتخرون بها، وهم أضعف حالاً فيها.

﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾: بالآيات الواضحات.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: فيدمّرهم من غير جرم ولا تذكير.

﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: حيث علموا ما أدّى إلى تدميرهم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: قيل: أي ثمّ كان عاقبتهم العقوبة،

---

١ ـ الخصال: ص٣٩٦، س١٣، ح١٠٢، باب السبعة.

ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾

وضع الظاهر موضع الضّمير للدّلالة على ما اقتضى أن يكون تلك عاقبتهم و«ٱلسُّوٓأَىٰٓ» تأنيث أسوء[١]، وقرئ عاقبة بالنّصب.

﴿أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾: قيل: لأنّ كذّبوا أو بدل أو هو خبر كان و«ٱلسُّوٓأَىٰٓ» مصدر أساؤوا أو مفعوله بمعنى، ثمّ كان عاقبة الّذين إقترفوا الخطيئة أن طبع الله على قلوبهم حتّى كذّبوا الآيات وإستهزؤوا بها[٢].

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: ينشئهم.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: يبعثهم.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: للجزاء، وقرئ بالياء.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: يسكتون متحيّرين آيسين.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾: ممّن أشركوهم بالله.

﴿شُفَعَٰٓؤُا۟﴾: يجيرونهم من عذاب الله.

﴿وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ * وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾: القمّي: قال إلى الجنّة والنّار[٣].

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢١٧، س ١٤.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢١٧، س ١٦.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٥٣، س ١٥.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾: القمّي: أي يكرمون، وأصله السّرور[١].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: لا يغيبون عنه.

﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: قيل: إخبار في معنى الأمر بتنزيه الله سبحانه وتعالى والثناء عليه في هذه الأوقات الّتي تظهر فيها قدرته وتتجدّد فيها نعمته[٢].

وقيل: الآية جامعة للصّلوات الخمس، «تُمْسُونَ»: صلاة المغرب والعشاء، و«تُصْبِحُونَ»: صلاة الفجر، و«عَشِيًّا»: صلاة العصر، و«تُظْهِرُونَ»: صلاة الظّهر[٣].

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: القمّي: قال: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن[٤].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٥٣، س١٦.

٢ و٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢١٨، س٨ و١١.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٥٤، س١.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَن خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾

ورواه في المجمع: عنهما عليهما السلام كما مرّ[١].

﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: من قبوركم، وقرئ بفتح التّاء.

في الكافي: عن الكاظم عليه السلام في قوله: «يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» قال: ليس يحييها بالقطر، ولكن يبعث الله رجالاً فيحيون العدل فتحيي الأرض لإحياء العدل، ولإقامة الحد فيه أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحاً[٢].

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَن خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾: لتميلوا إليها وتألفوا بها فإنّ الجنسيّة علّة للضم والإختلاف سبب للتنافر.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾: بواسطة الزّواج.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فيعلمون ما في ذلك من الحكم.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾: لغاتكم.

﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾: بياض الجلد وسواده وما بينهما.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾: وقرئ بكسر اللّام، وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٢٩٩، س٢٣.

٢ ـ الكافي: ج٧، ص١٧٤، ح٢، باب التحديد. وفيه: «ولإقامة الحد لله أنفع».

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ مَنَامُكُم بِالَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

قال الإمام عليه السلام: إذا أبصر الرّجل عرفه وعرف لونه، وإن سمع كلامه من خلف حائط عرفه وعرف ما هو، إنّ الله يقول: «وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ» الآية، قال: وهم العلماء فليس يسمع شيئاً من الأمر ينطق به إلّا عرفه ناج أو هالك، فلذلك يجيبهم بالّذي يجيبهم[1].

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ مَنَامُكُم بِالَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾: منامكم في الزّمانين لإستراحة البدن وطلب معاشكم فيهما أو منامكم باللّيل وإبتغاؤكم بالنّهار، فلفّ وضمّ بين الزّمانين والفعلين بعاطفين، إشعاراً بأنّ كلّاً من الزّمانين وإن اختصّ بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة، ويؤيّده سائر الآيات الواردة فيه.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: سماع تفهّم واستبصار فإنّ الحكمة فيه ظاهرة.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً﴾: من الصّاعقة وللمسافر.

﴿وَطَمَعاً﴾: في الغيث وللمقيم.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِ بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: بالنّبات.

﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: يبسها.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم في إستنباط أسبابها، وكيفيّة تكوّنها، ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته.

---

١ ـ الكافي: ج١، ص٤٣٨ ـ ٤٣٩، ح٣، باب في معرفتهم أولياءهم والتفويض إليهم.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾: قيامهما بإقامته لهما وإرادته لقيامهما.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾: ثمّ خروجكم من القبور بغتة إذا دعاكم من الأرض دعوة واحدة بلا توقّف.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾: منقادون لفعله فيهم، لا يمتنعون عليه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: بعد هلاكهم.

﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾: والإعادة أسهل عليه من الإبداء بالإضافة إلى قدركم، والقياس على أُصولكم وإلّا فهما عليه سواء.

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الوصف العجيب الشّأن الّذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه، في التّوحيد: عن الصّادق عليه السلام وللهِ المثلُ الأعلى الّذى لا يشبهه شيء، ولا يوصف، ولا يتوّهم فذلك المثل الأعلى[1].

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: وأنت المثل الأعلى[2].

---

١ ـ التّوحيد: ص٣٢٣ ـ ٣٢٤، ح١، باب ٥٠ ـ العرش وصفاته.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٦، ح١٣، باب الثلاثين في ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المنثورة.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

وفي رواية إنّه قال في آخر خطبته: نحن كلمة التّقوى، وسبيل الهدى، والمثل الأعلى[1].

وفي الزيارة الجامعة الجواديّة: السلام على أئمّة الهدى، إلى قوله: وورثة الأنبياء، والمثل الأعلى[2].

﴿فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: يصفه به ما فيهما دلالة ونطقاً.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: القادر الّذي لا يعجز عن إبداء وإعادة.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الّذي يجري الأفعال على مقتضى حكمته.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: منتزعاً من أحوالها الّتي هي أقرب الأُمور إليكم.

﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم﴾: من مماليككم.

﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾: من الأموال وغيرها.

﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾: فتكونون أنتم وهم فيه سواء، يتصرّفون فيه كتصرّفكم مع أنّهم بشر مثلكم وإنّها معارة لكم.

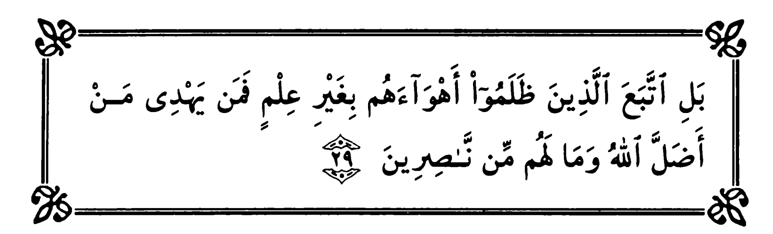
﴿تَخَافُونَهُمْ﴾: أن تستبدّوا بتصرّف فيه.

﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: كما يخاف الأحرار بعضهم من بعض.

---

١ ـ الخصال: ص٤٣٢، ح١٤، باب ١٠ ـ عشر خصال جمعها الله عزّوجلّ لنبيه وأهل بيته صلوات الله عليهم.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٣٧٠، ح١٦٢٥/ ٢، باب٢٢٥ ـ زيارة جامعة لجميع الأئمّة عليهم السلام، ولكن الرواية مرويّة عن الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام كما جاء في سنده فراجع. وهكذا راجع عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٢٧٣، ح١، باب زيارة أُخرى جامعة للرضا علي بن موسى عليه السلام ولجميع الأئمّة عليهم السلام، والرواية أيضاً مرويّة عن الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام.



﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ﴾: نبيّنها فإنّ التمثيل ممّا يكشف المعاني ويوضحها.

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم في تدبّر الأمثال، والقمّي: كان سبب نزولها إنّ قريشاً والعرب كانوا إذا حجّوا يلبّون، وكانت تلبيتهم: لبيّك اللّهمّ لبّيك، لبيّك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنّعمة لك والملك، لا شريك لك، وهي تلبية إبراهيم عليه السلام والأنبياء عليهم السلام فجاءهم إبليس في صورة شيخ، فقال لهم: ليست هذه تلبية أسلافكم، قالوا: وما كانت تلبيتهم؟ قال: كانوا يقولون: لبّيك اللّهمّ لبّيك، لا شريك لك إلّا شريك هو لك، فتفرّق القريش[1] من هذا القول، فقال لهم إبليس: على رسلكم حتى آتي على آخر كلامي، فقالوا: ما هو؟ فقال: إلّا شريك هو لك تملكه وما يملكك، ألا ترون أنّه يملك الشريك وما ملكه، فرضوا بذلك وكانوا يلبّون بهذا قريش خاصّة، فلمّا بعث الله عزّوجلّ رسوله صلى الله عليه وآله أنكر ذلك عليهم، وقال: هذا شرك، فأنزل الله عزّوجلّ: «ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ» أي ترضون أنتم فيما تملكون أن يكون لكم فيه شريك وإذا لم ترضوا أنتم أن يكون لكم فيما تملكون شريك فكيف ترضون أن تجعلوا لي شريكاً فيما أملك[2].

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: بالإشراك.

﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلين لا يكفهم شيء فإنّ العالم إذا اتّبع هواه ردعه علمه.

﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾: فمن يقدر على هدايته.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾: يخلصونهم من الضّلالة ويحفظونهم عن آفاتها.

---

١ ـ هكذا في الأصل. والصحيح: فنفرت قريش، كما جاء في المصدر.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٥٤، س ٨.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾: القمّي: أي طاهراً[1].

قيل: هو تمثيل للإقبال والإستقامة عليه والإهتمام به[2].

وفي الكافي[3]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام قال هي الولاية[4].

وفي التهذيب: عن الصّادق عليه السلام قال: أمره أن يقيم وجهه للقبلة ليس فيه شيء من عبادة الأوثان[5].

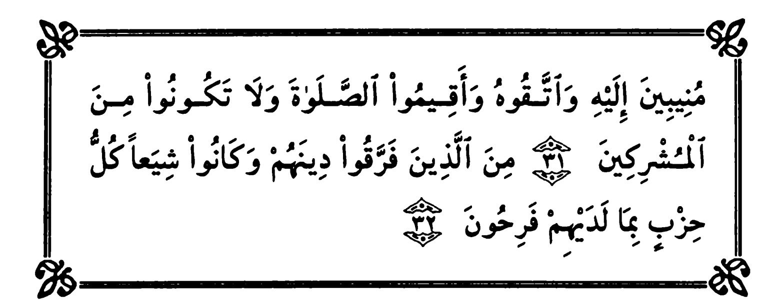
والقمّي: عنه عليه السلام إنّه سئل عنه؟ قال: يقيم للصلاة لا يلتفت يميناً ولا شمالاً[6].

﴿فِطْرَتَ ٱللهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عنه عليه السلام ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام فطرهم الله سبحانه حين أخذ ميثاقهم على التّوحيد، فقال: ألست بربّكم؟ وفيهم المؤمن والكافر[7].

وعنه عليه السلام: قال إنّ الله خلق النّاس كلّهم على الفطرة الّتي فطرهم عليها لا يعرفون إيماناً بشريعة ولا كفراً بجحود، ثمّ بعث الله الرّسل تدعوا العباد إلى الإيمان به فمنهم من هدى الله، ومنهم من لم يهده الله[8].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٥٤.
٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٢١.
٣ ـ الكافي: ج١، ص٤١٨ ـ ٤١٩، ح٣٥، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٥٤، س٢٢.
٥ ـ تهذيب الأحكام: ج٢، ص٤٢ ـ ٤٣، ح١٣٣/١، باب ٥ ـ القبلة.
٦ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٥٥، س٦.
٧ ـ الكافي: ج٢، ص١٢، ح٢، باب فطرة الخلق على التّوحيد. وفيه: «قال ألست بربكم»؟
٨ ـ الكافي: ج٢، ص٤١٦ ـ ٤١٧، ح١، باب ثبوت الإيمان وهل يجوز أن ينقله الله.



وفيه(١)، وفي التّوحيد: عنه عليه السلام في أخبار كثيرة، قال: فطرهم على التّوحيد(٢).

وعن الباقر عليه السلام: فطرهم على المعرفة به(٣).

والقمّي: عنه عليه السلام قال: هو لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله، إلى هاهنا التّوحيد(٤).

وفي البصائر(٥)، والتّوحيد: عن الصّادق عليه السلام قال: فطرهم على التّوحيد، ومحمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وعليّ أمير المؤمنين عليه السلام(٦).

وفي التّوحيد: عن الباقر عليه السلام قال: فطرهم على التّوحيد عند الميثاق على معرفة أنّه ربّهم، قلت: وخاطبوه؟ قال: فطأطأ رأسه ثمّ قال: لولا ذلك لم يعلموا من ربّهم ولا من رازقهم(٧).

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾: لا يقدر أحد أن يغيّره.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: المستوى الّذي لا عوج فيه.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: إستقامته.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: راجعين إليه مرّة بعد أُخرى.

﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟

١ ـ الكافي: ج٢، ص١٣، ح٥، باب فطرة الخلق على التّوحيد.

٢ ـ التّوحيد: ص٣٢٩، ح٤ و ٥ و ٦، باب ٥٣ ـ فطرة الله عزّوجلّ الخلق على التّوحيد.

٣ ـ التّوحيد: ص٣٣٠، ح٩، باب ٥٣ ـ فطرة الله عزّوجلّ الخلق على التّوحيد.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٥٥، س٣.

٥ ـ بصائر الدرجات: ص٩٨، ح٧، الجزء الثاني، باب النوادر من الأبواب في الولاية.

٦ ـ التّوحيد: ص٣٢٩ ـ ٣٣٠، ح٧، باب ٥٣ ـ فطرة الله عزّوجلّ الخلق على التّوحيد.

٧ ـ التّوحيد: ص٣٣٠، ح٨، باب ٥٣ ـ فطرة الله عزّوجلّ الخلق على التّوحيد.

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾

دِينَهُمْ﴾: إختلفوا فيما يعبدونه على إختلاف أهوائهم، وقرئ فارقوا أي تركوا.

﴿وَكَانُواْ شِيَعاً﴾: فرقاً يشايع كلّ إمامها الّذي أضلّ دينها.

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾: مسرورون ظنّاً بأنّه الحقّ.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾: شدّة.

﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: راجعين إليه من دعاء غيره.

﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾: خلاصاً من تلك الشدّة.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾: فأجاؤوا الإشراك بربّهم الّذي عافاهم.

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾: اللّام فيه للعاقبة.

﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾: التفات.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: عاقبة تمتعكم.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰناً﴾: حجّة أو ذا سلطان، أي من معه برهان.

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِ يُشْرِكُونَ﴾: بإشراكهم.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾: نعمة من صحّة وسعة.

﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾: بطروا بسببها.

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: شدّة.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بشوم معاصيهم.

﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾: من رحمته، وقرئ بكسر النّون.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السرّاء والضرّاء كالمؤمنين.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يستدلّون بها على كمال القدرة والحكمة.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾: يقصدون بمعروفهم إيّاه خالصاً.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: حيث حصّلوا بما بسط لهم النعيم المقيم.

في المجمع: عنهما عليهما السلام أنّه لمّا نزلت هذه الآية على النّبيّ صلى الله عليه وآله أعطى فاطمة عليها السلام فدكاً وسلّمه إليها[١]. وقد سبق في سورة بني إسرائيل الكلام في هذا المعنى مستوفى[٢].

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾: هديّة يتوقّع بها مزيد مكافاة، وقرئ أتيتم بالقصر.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٠٦، س٨.

٢ ـ الآية: ٢٦. راجع كتابنا تفسير الصافي: ج٤، ص٤٠٠ ـ ٤٠١.

﴿لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾: ليزيد ويزكو في أموالهم يعني ينمو فيها ثمّ يرجع إليه، وقرئ بالتّاء المضمومة وسكون الواو.

﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾: فلا يزكّو عنده يعني لا يثاب عليه من عند الله.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: الرّبا رباءان: ربا يؤكل، وربا لا يؤكل، فأمّا الّذي يؤكل: فهديّتك إلى الرّجل تطلب منه الثّواب أفضل منها فذلك الرّباء الّذي يؤكل وهو قول الله عزّ وجلّ: «وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ»، وأمّا الّذي لا يؤكل: فهو الّذي نهى الله عنه وأوعد عليه النّار[1].

والقمّي: عنه عليه السلام الرّبا: رباءان: أحدهما حلال والآخر حرام، فأمّا الحلال: فهو أن يقرض الرّجل أخاه قرضاً حسناً طمعاً أن يزيده ويعوّضه بأكثر ممّا يأخذه بلا شرط بينهما فإن أعطاه أكثر ممّا أخذه على غير شرط بينهما فهو مباح له وليس له عند الله ثواب فيما أقرضه، وهو قوله: «فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ» وأمّا الحرام: فالرّجل يقرض قرضاً ويشترط أن يردّ أكثر ممّا أخذه فهذا هو الحرام[2].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام هو أن يعطي الرّجل العطيّة أو يهدي الهديّة ليثاب أكثر منها فليس فيه أجر ولا وزر[3].

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾: تبتغون به وجهه خالصاً.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾: ذوو الاضعاف من الثّواب في الأجل والمال في العاجل، القمّي: أي ما بررتم به إخوانكم، وأقرضتموهم لا طمعاً في الزّيادة[4].

وقال الصّادق: عليه السلام على باب الجنّة مكتوب القرض بثمانية عشر، والصّدقة بعشرة[5].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام فرض الله الصلاة تنزيهاً عن الكبر، والزّكاة تسبيباً للرزّق[6].

---

١ ـ الكافي: ج٥، ص١٤٥، ح٦، باب الربا.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٥٩، س١٦.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٠٦، س١٣.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٥٩، س٢١.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٥٩ ـ ١٦٠.

٦ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٠٦، س٢٠.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

وفي الفقيه: عن فاطمة عليها السلام ما يقرب منه[١].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: وقرئ بالتّاء.

في مصباح الشّريعة: عن الصّادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحريص محروم، ومع حرمانه مذموم في أيّ شيء كان، وكيف لا يكون محروماً وقد فرّ من وثاق الله وخالف قول الله تعالى حيث يقول: «ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ»[٢].

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾: القمّي: قال: في البرّ فساد الحيوان إذا لم تمطر، وكذلك هلاك دواب البحر بذلك، قال الصّادق عليه السلام: حياة دواب البحر بالمطر فإذا كفّ المطر ظهر الفساد في البرّ والبحر، وذلك إذا كثرت الذّنوب والمعاصي[٣].

وفي الكافي[٤]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام قال: ذاك والله حين قالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير[٥].

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾: بعض جزائه فإنّ تمامه في الآخرة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عمّا هم عليه.

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٣٧٢، ح١٧٥٤/١٠، باب ١٧٩ ـ معرفة الكبائر التي أوعد الله عزّوجلّ عليها النار.

٢ ـ مصباح الشريعة: ص١١٧.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦٠، س٦.

٤ ـ الكافي: ج٨، ص٥٨، ح١٩.

٥ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦٠، س١١.

قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾: لتشاهدوا مصداق ذلك، في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية، فقال: عنى بذلك أي أُنظروا في القرآن فاعلموا كيف كان عاقبة الّذين من قبلكم، وما أخبركم عنه[1].

﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾: أي كان سوء عاقبتهم لفشو الشرك فيهم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾: البليغ الإستقامة.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ﴾: لتحتّم مجيئه.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: يتصدّعون أي يتفرّقون، فريق في الجنّة، وفريق في السّعير.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾: أي وباله وهو النّار المؤبدّة.

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: يسوّون منازلهم في الجنّة.

في المجمع: عن الصّادق عليه السلام: قال: إنّ العمل الصّالح ليسبق صاحبه إلى الجنّة فيمهّد له كما يمهّد لأحدكم خادمه فراشه[2].

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: إكتفى عن ذكر جزائهم بالفحوى.

---

١ ـ الكافي: ج٨، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩، ح٣٤٩.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٠٧، س٣١.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَـاحَ مُـبَشِّرَٰتٍ وَلِـيُذِيقَكُم مِّـن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَـضْلِهِ وَلَـعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَـوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُـؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾: رياح الرَّحمة.

﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾: بالمطر.

﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾: المنافع التّابعة لها.

﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ﴾: يعني تجارة البحر.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ولتشكروا نعمة الله فيها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ فَـانتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾: بالتّدمير.

﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُـؤْمِنِينَ﴾: فيه إشعار بأنّ الإنتقام لهم وإظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقّين على الله أن ينصرهم.

في المجمع: عن النبيّ صلّى الله عليه وآله ما من إمرئ مسلم يردّ عن عرض أخيه إلّا كان حقّاً على الله أن يردّ عنه نار جهنّم يوم القيامة، ثمّ قرأ: «وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُـؤْمِنِينَ»[1].

وفي الفقيه: عن الصّادق عليه السلام قال: حسب المؤمن من الله نصرة أن يرى عدوّه يعمل بمعاصي الله[2].

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٠٩، س١٦.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٢٨٤، ح٨٤٧/٢٧، باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِ مَن يَشَآءُ مِن عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً﴾: القمّي: أي ترفعه[١].

﴿فَيَبْسُطُهُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: سائراً وواقفاً، مطبّقاً وغير مطبّق، من جانب دون جانب إلى غير ذلك.

﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً﴾: قيل: قطعاً أي يبسطه تارة، وأُخرى يجعله قطعاً[٢].

والقمّي: قال: بعضه على بعض[٣].

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: المطر.

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِ﴾: في المجمع: عن عليّ عليه السلام من خلله[٤].

﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِ مَن يَشَآءُ مِن عِبَادِهِ﴾: يعني بلادهم وأراضيهم.

﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بمجيء الخصب.

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾: المطر.

﴿مِّن قَبْلِهِ﴾: تكرير للتّأكيد.

﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: لآيسين.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٠، س ٢.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٢٤، س ٥.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٠، س ٣.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٠٨، في القراءة.

فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾

﴿فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾: أثر الغيث من النّبات والأشجار وأنواع الثمـار، وقرئ آثار.

﴿كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: يعني الّذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها.

﴿لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: ليحييهم لا محالة.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً﴾: قيل: فرأوا الأثر والزّرع فإنّه مدلول عليه بما تقدّم[١].

وقيل: السحاب لأنّه إذا كان مصفرّاً لم يمطر[٢].

﴿لَظَلُّواْ مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾: قيل: هذه الآيات ناعية على الكفّار بـقلّة تـثبتّهم، وعدم تدبّرهم، وسرعة تزلزلهم، لعدم تفكّرهم، وسوء رأيهم، فإنّ النّظر السّوي يـقتضي أن يتوكّلوا على الله ويلتجؤوا إليه بالإستغفار إذا إحتبس القطر عنهم، ولم ييئسوا من رحمته، وأن يبادروا إلى الشكر والإستدامة، بالطّاعة إذا أصابهم برحمته، ولم يفرطوا في الإستبشار، وأن يصبروا على بلائه إذا ضرب زروعهم بالإصفرار ولم يكفروا نعمه[٣].

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: وهم مثلهم لمّا سدّوا عن الحقّ مشاعرهم.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٢٤، س ١٥.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٢٤، س ١٥.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٢٤، س ١٧.

وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾

﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾: وقرئ بالياء مفتوحة ورفع الصمّ.

﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾: قيل: قيّد الحكم ليكون أشدّ إستحالة فإنّ الأصمّ المقبل وإن لم يسمع الكلام تفطّن منه بواسطة الحركات شيئاً[1].

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: لأنّه الّذي يتلقى اللّفظ ويتدبّر المعنى.

﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: لما تأمرهم به.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾: ابتدأكم ضعفاء أو خلقكم من أصل ضعيف وهو النّطفة.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾: وهو بلوغكم الأشد.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾: إذا أخذ منكم السن.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: من ضعف وقوّة وشيبة وشبيبة، وقرئ بفتح الضّاد في الجميع.

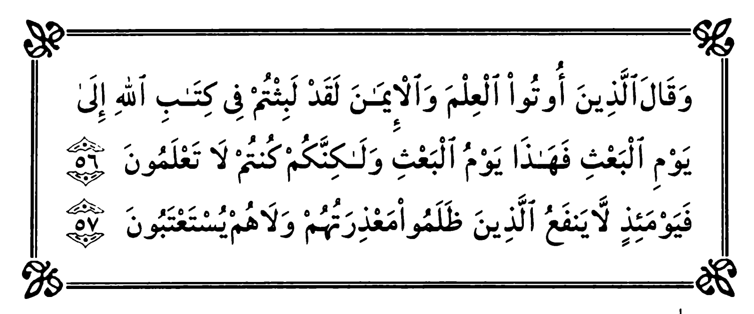
﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ * وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامة وهي من الأسماء الغالبة.

﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ﴾: في الدّنيا أو في القبور.

﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾: إستقلّوا مدّة لبثهم.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٢٤، س ٢١.



﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك التصرّف عن الصّدق.

﴿كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾: يصرفون في الدّنيا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ﴾: في الكافي[1]، والعيون: عن الرّضا عليه السلام في الحديث الّذي يصف فيه الإمامة والإمام قال: فقلّدها صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام بأمر الله عزّوجلّ على رسم ما فرض الله تعالى فصارت في ذريّته الأصفياء الّذين أتاهم الله تعالى العلم والإيمان بقوله: «وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ» الآية[2].

﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾: في علمه وقضائه وما أوجبه لكم وكتبه.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾: الّذي أنكرتموه.

﴿فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: أنّه حقّ لتفريطكم في النّظر فقد تبيّن لكم بطلان إنكاركم، القمّي: هذه الآية مقدّمة ومؤخّرة وإنّما هو: «وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لَقَدْ لَبِثْتُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ»[3].

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ﴾: وقرئ بالياء.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يدعون إلى ما يقتضي إعتابهم أي إزالة عتبهم من التّوبة والطّاعة كما دعوا إليه في الدّنيا من قولهم إستعتبني فلان فأعتبته أي إسترضاني فأرضيته.

---

١ ـ الكافي: ج١، ص١٩٩ ـ ٢٠٠، ح١، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢١٨، ح١، باب ٢٠ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام في وصف الإمامة والإمام وذكر فضل الإمام ورتبته.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦٠، س١٥.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: من فرط عنادهم وقسوة قلوبهم.

﴿إِنْ أَنتُمْ﴾: يعنون الرّسول والمؤمنين.

﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: مزوّرون.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * فَاصْبِرْ﴾: على أذاهم.

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بنصرتك وإظهار دينك على الدّين كلّه.

﴿حَقٌّ﴾: لابدّ من إنجازه.

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾: ولا يحملنّك على الخفّة والقلق بتكذيبهم وإيذائهم فإنّهم شاكّون ضالّون لا يستبدع منهم ذلك.

والقمّي: أي لا يغضبنّك[1]. وثواب قراءة هذه السّورة قد سبق ذكره.

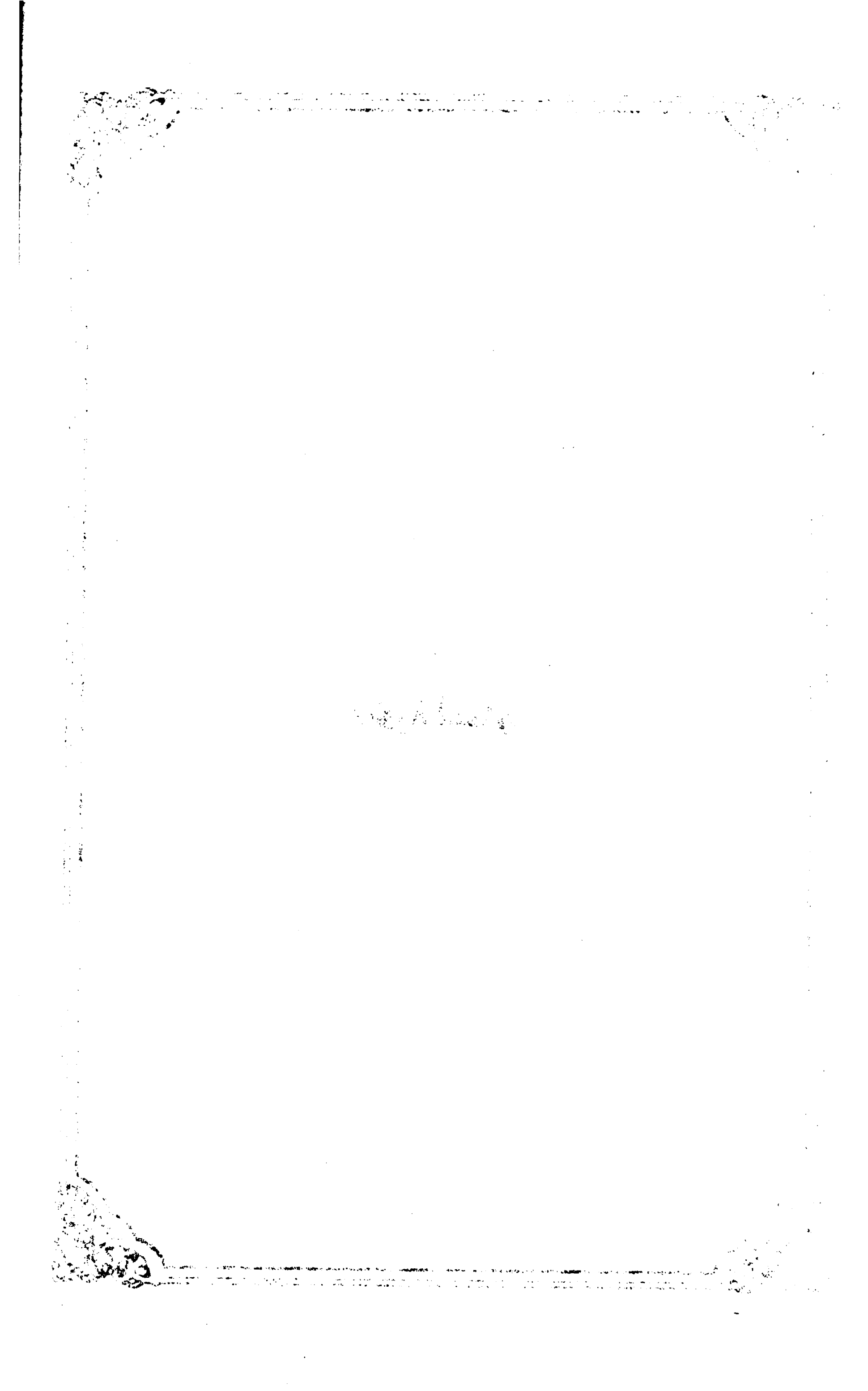
* * *

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٠، س ١٧.



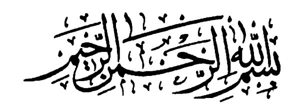
سورة لقمان



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

سورة لقمان: مكيّة عن ابن عبّاس، ثلاث آياتٍ نزلن بالمدينة «وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ»[1] إلى آخرهنّ، وعدد آيها ثلاث وثلاثون آية حجازيّ، أربع في الباقي.



﴿الٓمٓ * تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾: ذي الحكمة أو المحكم آياته.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾: وقرئ بالرّفع.

﴿لِّلْمُحْسِنِينَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: بيان لإحسانهم أو تخصيص لهذه الثّلاثة من شعبه لفضل إعتداد بها.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: لإستجماعهم العقيدة الحقّة، والعمل الصّالح.

---

١ ـ لقمان: ٢٧.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: ما يلهي عمّا يعني كالأحاديث الّتي لا أصل لها والأساطير الّتي لا اعتبار فيها، والمضاحيك، وفضول الكلام.

القمّي: قال: الغناء، وشرب الخمر، وجميع الملاهي[١]. ويأتي تمام القول فيه عن قريب.

﴿لِيُضِلَّ﴾: وقرئ بفتح الياء.

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: القمّي: قال: يحيدهم عن طريقه[٢].

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: بحال ما يشتريه.

﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾: وقرئ بالنّصب.

﴿هُزُواً﴾: ويتخذ السبيل سخرية.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: لإهانتهم الحقّ بإيثار الباطل عليه.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً﴾: متكبراً لا يعبؤ بها.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾: ثقلاً لا يقدر أن يسمع.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أعلمه به، وإنّما ذكر البشارة على التّهكّم، القمّي: عن الباقر عليه السلام هو النّضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، من بني عبد الدّار بن قصّي، وكان النّضر ذا رواية لأحاديث النّاس وأشعارهم يقول الله تعالى: «وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا» الآية[٣].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام قال: هو الطّعن في الحقّ، والإستهزاء به، وما كان أبو جهل

---

١ و٢ و٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦١، س٦ و٧ و٨.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّاً وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْـقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّـمَآءِ مَآءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾

وأصحابه يجيؤون به إذ قال: يا معاشر قريش ألا أطعمكم من الزّقّوم الّذي يخوّفكم به صاحبكم ثمّ أرسل إلى زبد وتمر، فقال: هو الزّقوم الّذي يخّوفكم به قال: ومنه الغناء[١].

وفي المعاني[٢]، والكافي: عنه عليه السلام قال: منه الغناء[٣].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام الغناء ممّا أوعد الله عليه النّار، وتلا هذه الآية[٤].

وعنه عليه السلام: إنّه سئل عن كسب المغنّيات فقال: الّتي يدخل عليها الرّجال حرام، والّتي تدعى إلى الأعراس ليس به بأس وهو قول الله عزّ وجلّ: «وَمِنَ ٱلنَّاسِ» الآية[٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾: أي لهم نعيم جنّات فعكس للمبالغة.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّاً وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الّذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن إنجاز وعده ووعيده.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الّذي لا يفعل إلّا ما يستدعيه حكمته.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: صفة لعمد، القمّي: عن الرّضا عليه السلام ثمّ

١ـ مجمع البيان: ج٧ـ٨، ص٣١٣، س٣٠.

٢ـ معاني الأخبار: ص٣٤٩، ح١، باب معنى فاجتنبوا الرجس من الأوثان، وقول الزّور، ولهو الحديث.

٣ـ الكافي: ج٦، ص٤٣١، ح١، باب الغناء.

٤ـ الكافي: ج٦، ص٤٣١، ح٤، باب الغناء.

٥ـ الكافي: ج٥، ص١١٩، ح١، باب كسب المغنيّة وشرائها.

هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّـذِينَ مِـن دُونِـهِۦ بَـلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

عمد ولكن لا ترونها[١].

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً شوامخ.

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهة أن تميل بكم، قيل: إنّ بساطة أجزائها تقتضي تبدّل أحيازها وأوضاعها لإمتناع إختصاص كلّ منها لذاته أو لشيء من لوازمه بحيّز ووضع معيّنين[٢].

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِـن كُـلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: من كلّ صنف كثير المنفعة.

﴿هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾: مخلوقه.

﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: حتّى استحقّوا مشاركته في الألوهيّة.

﴿بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: إضراب عن تبكيتهم إلى التّسجيل عليهم بالضّلال.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾: في الكافي: عن الكاظم عليه السلام قال: الفهم والعقل[٣].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: أُوتي معرفة إمام زمانه[٤].

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾: لأنّ نفعه عائد إليها، وهـو دوام النّعمة واستحقاق مزيدها.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص٣٢٨، س٦.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٢٧، س١٦.

٣ ـ الكافي: ج١، ص١٦، ح١٢، باب العقل والجهل.

٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦١، س١٧.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾: لا يحتاج إلى الشّكر.

﴿حَمِيدٌ﴾: حقيق بالحمد حُمِد أو لم يُحْمَد، أو محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام شكر كلّ نعمة وإن عظمت أن يحمد الله عزّ وجلّ عليها[١].

وفي رواية: وإن كان فيما أنعم عليه حقّ أدّاه[٢].

وفي أُخرى: عنه عليه السلام من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه فقد أدّى شكرها[٣].

وعنه عليه السلام: أوحى الله عزّوجلّ إلى موسى عليه السلام يا موسى اُشكرني حقّ شكري، فقال: يا ربّ وكيف أشكرك حقّ شكرك؟ وليس من شكر أشكرك به إلّا وأنت أنعمت به عليّ، قال: يا موسى الآن شكرتني حين علمت أنّ ذلك منّي[٤].

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّه قال: حقّاً. أقول: لم يكن لقمان نبيّاً ولكن كان عبداً كثير التفكّر، حسن اليقين، أحبّ الله فأحبّه، ومنّ عليه بالحكمة كان نائماً نصف النّهار إذ جاءه نداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأض تحكم بين النّاس بالحقّ؟ فأجاب الصّوت: إن خيّرني ربّي قبلت العافية ولم أقبل البلاء، وإن هو عزم عليّ فسمعاً وطاعة، فإنّي أعلم أنّه إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني. فقالت الملائكة بصوت لا يراهم: لِمَ يا لقمان؟ قال: لأنّ الحكم أشدّ المنازل وآكدها يغشاه الظّلَم من كلّ مكان، إن وفى فبالحري أن ينجو، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنّة، ومن يكن في الدّنيا ذليلاً وفي الآخرة شريفاً خير من أن يكون في الدّنيا شريفاً وفي الآخرة ذليلاً، ومن يختر الدّنيا على الآخرة تفته الدّنيا ولا يصيب الآخرة.

فعجبت الملائكة من حُسن منظقة فنام نومة فأُعطي الحكمة فأنتبه يتكلّم بها، ثمّ كان يؤازر داود عليه السلام بحكمته، فقال له داود: طوبى لك يا لقمان أُعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى[٥].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن لقمان وحكمته الّتي ذكرها الله عزّوجلّ فقال: أما والله ما أُوتي لقمان الحكمة بحسب، ولا مال، ولا أهل، ولا بسط في جسم، ولا جمال، ولكنّه كان رجلاً قويّاً في أمر الله، متورّعاً في الله، ساكناً سكيتاً[٦]، عميق النّظر، طويل الفكر، حديد

---

١ و٢ و٣ و٤ـ الكافي: ج٢، ص٩٥ و٩٦ و٩٧، ح١١ و١٢ و١٥ و٢٧، باب الشكر.

٥ـ مجمع البيان: ج٧ـ٨، ص٣١٥ـ٣١٦. ٦ـ وفي المصدر: «ساكتاً سكيناً».

النّظر، مستغن بالعبر[١]، لم ينم نهاراً قطّ[٢]، ولم يره أحد من النّاس على بول ولا غـائط ولا إغتسال لشدّة تستّره، وعموق نظره[٣]، وتحفّظه في أمره، ولم يضحك من شيء قطّ مخافة الإثم، ولم يغضب قطّ، ولم يمازح إنساناً قطّ، ولم يفرح بشيء إن أتاه من أمر الدّنيا، ولا حزن منها على شيء قطّ، وقد نكح من النّساء، وولد له الأولاد الكثيرة، وقدّم أكثرهم إفراطاً فما بكى على موت أحد منهم، ولم يمرّ برجلين يختصمان أو يقتتلان إلّا أصلح بينهما، ولم يمض عنهما حتّى تحابّا، ولم يسمع قولاً قطّ من أحد إستحسنه إلّا سأل عن تفسيره وعمّن أخـذه، فكـان يكـثر[٤] مجالسة الفقهاء والحكماء، وكان يغشي القضاة والملوك والسّلاطين، فيرثي للقضاة ممّا ابتلوا به، ويرحم الملوك والسّلاطين لعزّتهم[٥] بالله وطمأنينتهم في ذلك، ويعتبر ويتعلّم ما يـغلب بـه نفسه، ويجاهد به هواه، ويحترز به من الشّيطان، وكان يداوي قلبه بالتفكّر، ويداوي[٦] نفسه بالعبر، وكان لا يظعن إلّا فيما يعينه[٧]، فبذلك أُوتي الحكمة، ومـنح العـصمة، وإنّ الله تـبارك وتعالى أمر طوائف من الملائكة حين إنتصف النّهار، وهدأت العيون بالقائلة فنادوا لقمان حيث يسمع ولا يراهم، فقالوا: يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين النّـاس؟ فقال: لقمان إن أمرني ربّي بذلك فالسّمع والطّاعة، لأنّه إن فعل بي ذلك أعانني عليه وعلّمني وعصمني، وإن هو خيّرني قبلت العافية، فقالت الملائكة: يا لقمان لِمَ قلت ذلك؟ قال: لأنّ الحكم بين النّاس بأشدّ المنازل من الدّين، وأكثر فتناً وبلاءاً، ما يخذل ولا يعان ويغشاه الظُّلم من كلّ مكان، وصاحبه منه بين أمرين إن أصاب فيه الحقّ فبالحرّي أن يسلم، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنّة، ومن يكن في الدّنيا ذليلاً ضعيفاً كان أهون عليه في المعاد من أن يكون فيه حكماً سريّاً شريفاً، ومن اختار الدّنيا على الآخرة يخسرهما كلتيهما تزول هـذه ولا تـدرك تـلك، قـال:

---

١ ـ وفي المصدر: «مستعبراً بالعبر».

٢ ـ وفي نسخة توجد هذه الزيادة: «ولم يتّك في مجلس قط، ولم يتفل في مجلس قط، ولم يعبث بشيء قط».

٣ ـ وفي المصدر: «وعمق نظره». ٤ ـ وفي المصدر: «وكان يكثر».

٥ ـ وفي نسخة: [لغرّتهم]، كما جاء في بحار الأنوار: ج١٣، ص ٤١٠، س٨، باب١٨ ـ قصص لقمان وحكمه.

٦ ـ والصحيح يداري، كما جاء في بحار الأنوار. نفس المصدر السابق.

٧ ـ وفي نسخة: [ينفعه]، وفي بحار الأنوار نفس المصدر السابق: «وكان لا يظعن إلّا فيما يعنيه».

وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾

فعجبت[١] الملائكة من حكمته واستحسن الرّحمان منطقه، فلمّا أمسى وأخذ مضجعه من اللّيل أنزل الله عليه الحكمة فغشاه بها من قرنه إلى قدمه وهو نائم وغطّاه بالحكمة غطاءاً فاستيقظ وهو أحكم النّاس في زمانه، وخرج على النّاس ينطق بالحكمة ويبثّها فيها، قال: فلمّا أُوتي الحكم بالخلافة ولم يقبلها أمر الله عزّوجلّ الملائكة فنادت داود عليه السلام بالخلافة فقبلها ولم يشترط فيها بشرط لقمان فأعطاه الله عزّوجلّ الخلافة في الأرض وإبتلى فيها غير مرّة، وكلّ ذلك يهوى في الخطأ يقيله الله تعالى ويغفر له، وكان لقمان يكثر زيارة داود عليه السلام ويعظه بمواعظه وحكمته وفضل علمه، وكان داود عليه السلام يقول له: طوبى لك يا لقمان أُوتيت الحكمة، وصرفت عنك البليّة، وأعطي داود الخلافة وابتلى بالحكم والفتنة[٢].

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَـٰبُنَىَّ﴾: تصغير إشفاق وقرئ بكسر الياء وبإسكانها.

﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾: لأنّه تسوية بين من لا نعمة إلّا منه، ومن لا نعمة منه.

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام الظّلم ثلاثة: ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله، فأمّا الظّلم الّذي لا يغفره الله: فالشّرك، وأمّا الظّلم الّذي يغفره: فظلم الرّجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأمّا، الظّلم الّذي لا يدعه الله فالمداينة بين العباد[٣].

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾: تضعف ضعفاً فوق

---

١ ـ وفي المصدر: «فتعجّبت»، كما جاء في بحار الأنوار، نفس المصدر السابق.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٢، س ٢.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١، ح ١، باب الظلم.

وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

ضعف فإنّها لا يزال يتضاعف ضعفها، وقرئ بفتح الهاء.

﴿وَفِصَـٰلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾: وفطامه في إنقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدّة والجملتان إعتراض مؤكّد للتوصية في حقّها.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾: فأحاسبك على شكرك وكفرك.

في العيون: عن الرّضا عليه السلام في حديث وأُمرنا بالشّكر له، وللوالدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله[1].

وعنه عليه السلام: من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّوجلّ[2].

﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: باستحقاقه الاشراك تقليداً لهما يعني ما ليس.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾: في ذلك.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾: صحاباً معروفاً يرتضيه الشّرع، ويقتضيه الكرم.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ رجلاً أتى النّبيّ صلّى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أُوصني، فقال: لا تشرك بالله شيئاً وإن حرقت بالنّار وعذّبت إلّا وقلبك مطمئنّ بالإيمان، ووالديك فأطعهما وبرّهما حيّين كانا أو ميتّين، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل فإنّ ذلك من الإيمان[3].

---

١ ـ عيون أخبار الرّضا: ج١، ص٢٥٨، ذيل ح١٣، باب ٢٦ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتّى.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٢٤، ح٢، باب ٣١ ـ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

٣ ـ الكافي: ج٢، ص١٥٨، ح٢، باب البر بالوالدين.

وعنه عليه السلام جاء رجل إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله من أبرّ؟ قال: أمّك، قال: ثمّ من؟ قال: أمّك، قال: ثمّ من؟ قال: أمّك، قال: ثمّ من؟ قال: أباك[١].

وعن الرّضا عليه السلام: قيل له أدعو لوالدّي إن كانا لا يعرفان الحقّ؟ قال: أدع لهما وتصدّق عنهما وإن كانا حيّين لا يعرفان الحقّ فدارهما فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله بعثني بالرّحمة لا بالعقوق[٢].

وفي العيون: عنه عليه السلام وبرّ الوالدين واجب وإن كانا مشركين، ولا طاعة لهما في معصية الخالق، ولا لغيرهما فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[٣].

وفي مصباح الشّريعة: قال الصّادق عليه السلام برّ الوالدين من حسن معرفة العبد بالله إذ لا عبادة أسرع بلوغاً بصاحبها إلى رضاء الله تعالى من حرمة الوالدين المسلمين لوجه الله تعالى لأنّ حقّ الوالدين مشتّق من حقّ الله تعالى إذا كانا على منهاج الدّين والسّنة، ولا يكونان يمنعان الولد من طاعة الله تعالى إلى معصيته، ومن اليقين إلى الشّك، ومن الزّهد إلى الدّنيا، ولا يدعوانه إلى خلاف ذلك، فإذا كانا كذلك فمعصيتها طاعة، وطاعتها معصية قال الله تعالى: «وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا» وأمّا في باب العشرة فدارهما وأرفق بهما واحتمل أذاهما نحو ما احتملا عنك في حال صغرك ولا تضّيق عليهما بما قد وسع الله عليك من المأكول والملبوس، ولا تحوّل بوجهك عنهما، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، فإنّ تعظيمهما من الله تعالى، وقل لهما بأحسن القول وألطفه فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين[٤].

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾: بالتوحيد والإخلاص في الطّاعة.

والقمّي: عن الباقر عليه السلام يقول: إتّبع سبيل محمّد صلى الله عليه وآله[٥].

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: الآيتان معترضتان في تضاعيف

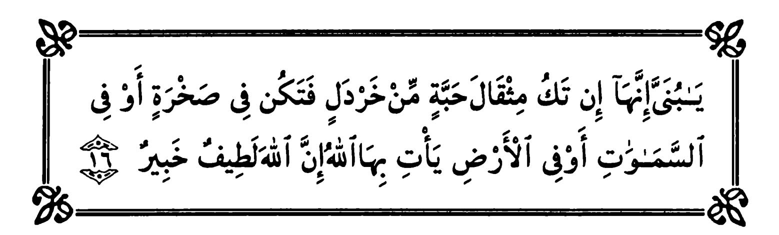
١ـ الكافي: ج٢، ص١٥٩ ـ ١٦٠، ح٩، باب البر بالوالدين.

٢ـ الكافي: ج٢، ص١٥٩، ح٨، باب البر بالوالدين.

٣ـ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص١٢٤، س٢٠، ح١، باب ٣٥ ـ ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين.

٤ـ مصباح الشريعة: ص٧٠ ـ ٧١.

٥ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦٥، س١٢.



وصيّة لقمان تأكيداً لما فيها من النّهي عن الشّرك، كأنّه قال: وقد وصّينا بمثل ما وصّى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فإنّهما مع إنّهما تلوا الباري في إستحقاق التعّظيم والطّاعة لا يجوز أن يستحقّا في الإشراك فما ظنّك بغيرهما.

﴿يَٰبُنَيَّ﴾: وقرئ بكسر الياء.

﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: أي الخصلة من الإساءة أو الإحسان «إِنْ تَكُ» مثلاً في الصّغر كحبّة الخردل، وقرئ مثقال بالرّفع فالهاء للقصّة والكون تامّة[١].

﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: في أخفى مكان وأحرزه، أو أعلاه أو أسفله.

﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾: يحضرها ويحاسب عليها.

والقمّي: قال: من الرّزق يأتيك به الله[٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: يصل علمه إلى كلّ خفيّ.

﴿خَبِيرٌ﴾: عالم بكنهه، العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إتقّوا المحقّرات من الذّنوب فإنّ لها طالباً لا يقولنّ أحدكم أذنب وأستغفر الله[٣] إنّ الله يقول: «إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ»

---

١ ـ لا مفهوم لكلامه وبالأخص قوله رحمه الله «والكون تامّة» ويحتمل أن يكون مقصوده رحمه الله «كان» التامّة.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٦٥، س١٥.

٣ ـ روى الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج٤، ص٥٦٩، ذيل الآية ٨ من سورة التحريم: إنّ علياً عليه السلام سمع أعرابيّاً يقول: اللّهمّ إنّي أستغفرك وأتوب إليك، فقال: يا هذا إنّ سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذّابين. قال: وما التوبة؟ قال: يجمعها ستّة أشياء: على الماضي من الذنوب؛ الندامة، وللفرائض: الإعادة، ورد المظالم، واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله، كما ربيتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي. ⇦

يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِـٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْـهَ عَـنِ ٱلْمُـنْكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَـرَحاً إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾

الآية، رواه في المجمع عنه عليه السلام[1].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام مثله[2].

﴿يَـٰبُنَيَّ﴾: وقرئ بكسر الياء وإسكانها.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِـٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْـهَ عَـنِ ٱلْمُـنْكَرِ وَٱصْـبِرْ عَـلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾: من الشّدائد، في المجمع: عن عليّ عليه السلام من المشقّة والأذى في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر[3].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: قطعه قطع إيجاب وإلزام، ومنه الحديث: إنّ الله يحبّ أن يؤخذ برخصه كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه[4].

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: ولا تمل وجهك من النّاس تكبّراً، ولا تعرض عمّن

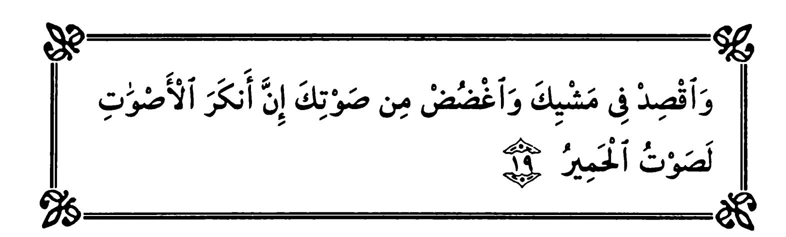
⇐ ومن الكلمات القصار لأمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، ص٥٤٩، تحت رقم ٤١٧: قال عليه السلام لقائل قال بحضرته: «أستغفر الله»: ثكلتك أُمّك أتدري ما الاستغفار؟ الإستغفار: درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان، أوّلها: الندم على ما مضى، والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة، والرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيعتها فتؤدّي حقّها، والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان، حتّى تلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله.

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣١٩، س١٣.

٢ ـ الكافي: ج٢، ص٢٧٠ ـ ٢٧١، ح١٠، باب الذنوب.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣١٩، س١٨.

٤ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص٢٨١، س٨.



يكلّمك إستخفافاً به كذا، في المجمع: عن الصّادق عليه السلام[1].

قيل: هو من الصعر وهو داء يعتري البعير فيلوي عنقه[2].

والقمّي: أي لا تذلّ للنّاس طمعاً فيما عندهم[3] وقرئ لا تصاعر، وقرئ لا تصعر.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحاً﴾: وهو البطر، والقمّي: عن الباقر عليه السلام يقول بالعظمة[4].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾: علّة النّهي، في المجالس[5]، والفقيه: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّه نهى إن يختال الرّجل في مشيته، وقال: من لبس ثوباً فاختال فيه خسف الله به من شفير جهنّم وكان قرين قارون لأنّه أوّل من اختال فخسف به وبداره الأرض، ومن اختال فقد نازع الله في جبروته[6].

﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: توسّط فيه بين الدّبيب والإسراع، والقمّي: أي لا تعجل[7].

وفي الخصال: عن الصّادق عليه السلام قال: سرعة المشي تذهب ببهاء المؤمن[8].

﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾: أقصر منه، والقمّي: أى لا ترفعه[9].

﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾: أوحشها.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣١٩، س٢٥.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٢٩، س١٧.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦٥، س١٦. ٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦٥، س١٨.

٥ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص٣٤٨، ح١، المجلس: السادس والستون.

٦ ـ من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٧، ح١/١، باب ذكر جمل من مناهي النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٧ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦٥، س١٨.

٨ ـ الخصال: ص٩، ح٣٠، باب الواحد ـ خصلة تذهب ببهاء المؤمن.

٩ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦٥، س١٩.

﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[١]: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عنه عليه السلام فقال: العطسة القبيحة[٢].

وفي المجمع: عنه عليه السلام قال: هي العطسة المرتفعة القبيحة، والرّجل يرفع صوته بالحديث رفعاً قبيحاً، إلاّ أن يكون داعياً أو يقرأ القرآن[٣].

والقمّي: عنه عليه السلام في قول الله تعالى: «وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِابْنِهِ» الآيات قال: فوعظ لقمان ابنه بآثار حتّى تفطّر وإنشقّ، وكان فيما وعظ به أن قال: يا بنيّ إنّك منذ سقطت إلى الدّنيا إستدبرتها واستقبلت الآخرة، فدار أنت إليها تسير أقرب إليك من دار أنت عنها متباعد، يا بنيّ جالس العُلماء وزاحمهم بركبتيك، ولا تجادلهم فيمنعوك، وخذ من الدّنيا بلاغاً ولا ترفضها فتكون عيالاً على النّاس، ولا تدخل فيها دخولاً يضرّ بآخرتك، وصُم صوماً يقطع شهوتك، ولا تصم صياماً يمنعك من الصلاة، فإنّ الصلاة أحبّ إلى الله من الصّيام، يا بنيّ إنّ الدّنيا بحر عميق قد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان، واجعل شراعها التوكّل، واجعل زادك فيها تقوى الله، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن هلكت فبذنوبك، يا بنيّ إن تادّبت صغيراً انتفعت به كبيراً، ومن عنى بالأدب إهتمّ به، ومن إهتمّ به تكلّف علمه، ومن تكلّف علمه، إشتدّ له طلبه ومن إشتدّ له طلبه أدرك منفعته، فإتخذه عادة فإنّك تخلف في سلفك، وتنفع به من خلفك، ويرتجيك فيه راغب، ويخشى صولتك راهب، وإيّاك والكسل عنه، والطّلب لغيره، فإن غلبت على الدّنيا فلا تغلبنّ على الآخرة، وإذا فاتك طلب العلم في مظانّه فقد غلبت على الآخرة، واجعل في أيّامك ولياليك وساعاتك لنفسك نصيباً في طلب العلم فإنّك لن تجد له تضييعاً أشدّ من تركه، ولا تمارينّ فيه لجوجاً، ولا تجادلنّ فقيهاً، ولا تعادينّ سلطاناً ولا

---

١ ـ وفي هامش المخطوطة: روي أنّه سئل أمير المؤمنين عليه السلام ما معنى هذا الحمير؟ فقال عليه السلام: الله أكرم من أن يخلق شيئاً ثمّ ينكره، إنّما هو زرَيق وصاحبه في تابوت في النار في صورة حمارين إذا شهقا في النار انزعج أهل النار من صراخهما.

٢ ـ الكافي: ج٢، ص٦٥٦، ح٢١، باب العطاس والتسميت.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص ٣٢٠، س٢.

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠﴾

تماشينّ ظلوماً، ولا تصادقنّه ولا تواخينّ فاسقاً نطفاً[1]، ولا تصاحبنّ متّهماً، واخزن علمك كما، تخزن ورقك، يا بني خف الله عزّوجلّ خوفاً لو أتيت يوم القيامة ببرّ الثقلين خفت أن يعذّبك، وارج الله رجاءاً لو وافيت يوم القيامة بإثم الثّقلين رجوت أن يغفر الله لك، فقال له ابنه: يا أبت وكيف أطيق هذا وإنّما لي قلب واحد؟ فقال له لقمان: يا بنيّ لو استخرج قلب المؤمن فشق لو جد فيه نوران: نور للخوف، ونور للرّجاء، لو وزنا ما رجّح أحدهما على الآخر بمثقال ذرّة، فمن يؤمن بالله يصّدق ما قال الله عزّوجلّ، ومن يصدّق ما قال الله عزّوجلّ يفعل ما أمر الله عزّوجلّ، ومن لم يفعل ما أمر الله لم يصدّق ما قال الله، فإنّ هذه الأخلاق يشهد بعضها لبعض، فمن يؤمن بالله إيماناً صادقاً يعمل لله خالصاً ناصحاً، فقد آمن بالله صادقاً، ومن أطاع الله خافه، ومن خافه فقد أحبّه، ومن أحبّه، فقد إتّبع أمره، ومن إتّبع أمره إستوجب جنّته ومرضاته، ومن لم يتبّع رضوان الله فقد هان عليه سخط الله، نعوذ بالله من سخط الله، يابنيّ لا تركن إلى الدّنيا، ولا تشغل قلبك بها، فما خلق الله خلقاً هو أهون عليه منها، ألا ترى أنّه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين، ولم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين[2].

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾: بأن جعله أسباباً لمنافعكم.

﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بأن مكّنكم من الإنتفاع به.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾: محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه، وقرئ نعمه على الجمع.

---

١ ـ نطف ـ ككتف ـ الرجل المريب. القاموس المحيط: ج٣، ص٢٠١، مادة «نطف».

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦٣ ـ ١٦٥.

في المجمع[١]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام أمّا النّعمة الظّاهرة: فالنّبيّ صلى الله عليه وآله وما جاء به من معرفة الله وتوحيدة، وأمّا النّعمة الباطنة: فولايتنا أهل البيت، وعقد مودّتنا[٢].

وفي الإكمال[٣]، والمناقب: عن الكاظم عليه السلام النّعمة الظّاهرة: الإمام الظّاهر، والباطنة: الإمام الغائب[٤].

وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أمّا ما ظهر: فالإسلام وما سوى الله من خلقك، وما أفضل عليك من الرّزق، وأمّا ما بطن: فستر مساوئ عملك ولم يفضحك به[٥].

وفي الأمالي: عن الباقر عليه السلام إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: قل: ما أوّل نعمة أبلاك الله عزّ وجلّ وأنعم عليك بها؟ قال: أن خلقني جلّ ثناؤه ولم أك شيئاً مذكوراً، قال: صدقت فما الثانية؟ قال: إن أحسن بي إذ خلقني فجعلني حيّاً لا مواتاً، قال: صدقت، فما الثّالثة؟ قال: أن أنشأني وله الحمد في أحسن صورة وأعدل تركيب، قال: صدقت، فما الرّابعة؟ قال: أن جعلني متفكّراً راعياً لا ساهياً، قال: صدقت، فما الخامسة؟ قال: أن جعل لي شواعر أدرك ما إبتغيت بها وجعل لي سراجاً منيراً قال: صدقت، فما السّادسة؟ قال: أن هداني الله لدينه ولم يضلّني عن سبيله، قال: صدقت فما السّابعة؟ قال: أن جعل لي مردّاً في حياة لا انقطاع لها، قال: صدقت، فما الثامنة؟ قال: أن جعلني ملكاً مالكاً لا مملوكاً، قال: صدقت فما التاسعة؟ قال: أن سخّر لي سماءه وأرضه وما فيها وما بينهما من خلقه، قال: صدقت، فما العاشرة؟ قال: أن جعلنا سبحانه ذكرانا قوّاماً على حلائلنا لا أُناثاً، قال: صدقت فما بعدها، قال: كثرت نعم الله يا نبيّ الله وطابت: «وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللهِ لَا تُحْصُوهَآ»[٦] فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ليهنئك الحكمة، ليهنئك العلم يا أبا الحسن، فأنت وارث علمي، والمبيّن لأُمّتي ما اختلفت فيه من بعدي الحديث[٧].

---

١ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص ٣٢٠، س١٥.   ٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٦٥، س ٢٢.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النّعمة: ص٣٦٨، ح٦، باب ٣٤ ـ ما روى عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في النص على القائم عليه السلام وغيبته وأنّه الثاني عشر من الأئمة.

٤ ـ المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤، ص ١٨٠، س ٣.

٥ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص ٣٢٠، س٨. وفيه: «وما أفاض عليك من الرزق».   ٦ ـ النّحل: ١٨.

٧ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص٤٩٢، ح١٠٧٧/٤٦، المجلس السابع عشر.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾: في توحيده وصفاته.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: مستفاد من برهان.

﴿وَلَا هُدًى﴾: راجع إلى رسول أو وصي رسول.

﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾: أنزله بل تقليد من لا يجوز تقليده.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام: هو النّضر ابن الحارث، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إتّبع ما أنزل إليك من ربّك، قال: بل أتّبع ما وجدت عليه آبائي[1].

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: بأن فوّض أمره إليه وأقبل بشراشره عليه.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: في عمله.

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: تعلّق بأوثق ما يتعلّق به.

القمّي: قال: بالولاية[2].

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: إذ الكلّ صائر إليه.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾: فإنّه لا يضرك.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٦، س ٩.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٦، س ٦.

نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾

﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: لوضوح البرهان بحيث إضطرّوا إلى الإذعان.

في التّوحيد: عن الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ مولود يولد على الفطرة يعني على المعرفة بأنّ الله عزّوجلّ خالقه فذلك قول الله عزّوجلّ: «وَلَئِن سَأَلْتَهُم» الآية[1].

وعن الجواد عليه السلام: إنّه سئل ما معنى الواحد فقال: إجتماع الألسن عليه بالتّوحيد كما قال الله عزّوجلّ: «وَلَئِن سَأَلْتَهُم» الآية[2].

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على إلزامهم وإلجائهم إلى الإعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنّ ذلك يلزمهم.

﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لا يستحقّ العبادة فيهما غيره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾: عن حمد الحامدين.

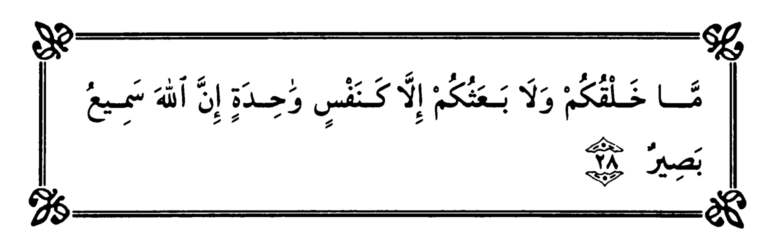
﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المستحقّ للحمد وإن لم يحمد.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾:

---

١ ـ التّوحيد: ص ٣٣٠ ـ ٣٣١، ذيل ح ٩، باب ٥٣ ـ فطرة الله عزّوجلّ الخلق على التّوحيد.

٢ ـ التّوحيد: ص ٨٣، ح ٢، باب ٣ ـ معنى الواحد والتوحيد والموحّد.



والبحر المحيط بسعته مداداً ممدوداً بسبعة أبحر فأغنى عن ذكر المداد بمدّه لأنّه من مدّ الدّواة وأمدّها، وقرئ والبحر بالنّصب، وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام إنّه قرأ والبحر مداده[1].

﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾: يكتبها بتلك الأقلام وبذلك المداد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه شيء.

﴿حَكِيمٌ﴾: لا يخرج عن علمه وحكمته أمر، القمّي: وذلك أنّ اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرّوح؟ فقال: «ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً»[2]، قالوا: نحن خاصّة، قال: بل النّاس عامّة، قالوا: فكيف يجتمع هذا يا محمّد؟ تزعم أنّك لم تؤت من العلم إلّا قليلاً، وقد أُوتيت القرآن، وأُوتينا التّوراة، وقد قرأت: «وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ»[3] وهي التّوراة «فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً»[4]، فأنزل الله تبارك وتعالى: «وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ» الآية يقول: علم الله أكثر من ذلك، وما أُوتيتم كثير فيكم، قليل عند الله[5].

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: قيل: إلّا كخلقها وبعثها إذ لا يشغله شأن عن شأن[6].

القمّي: عن الباقر عليه السلام بلغنا والله أعلم أنّهم قالوا: يا محمّد خلقنا أطواراً نطفاً، ثمّ علقاً، ثم أنشأنا خلقاً آخر كما تزعم، وتزعم إنّا نبعث في ساعة واحدة، فقال الله: «مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ»، إنّما يقول له كن فيكون[7].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٢١، في القراءة.　　٢ ـ الإسراء: ٨٥.

٣ و ٤ ـ البقرة: ٢٦٩.　　٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٦، س ١٢.

٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٣١، س ١٠.

٧ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٧، س ٢.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: لا يشغله سمع عن سمع، ولا إبصار عن إبصار.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾: القمّي: يقول: ما ينقص من الّليل يدخل في النّهار، وما ينقص من النّهار يدخل في اللّيل[١].

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾: من النيرين.

﴿يَجْرِىٓ﴾: في فلكه.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: القمّي: يقول كلّ واحد منهما يجري إلى منتهاه لا يقصر عنه ولا يجاوزه[٢].

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالم بكنهه.

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى الّذي ذكر من سعة العلم، وشمول القدرة، وعجائب الصّنع، وإختصاص الباري عزّ إسمه بها.

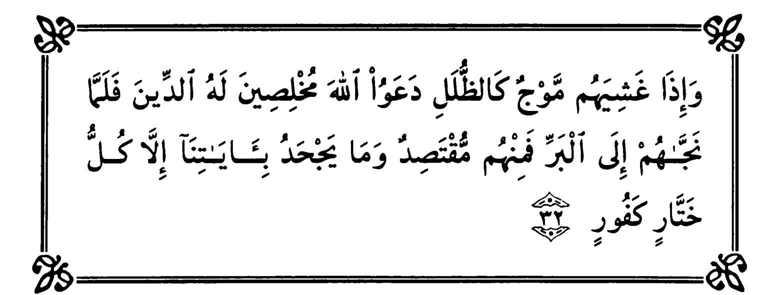
﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾: وقرئ بالياء.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾: المترفّع على كلّ شيء والمتسلّط عليه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾: بإحسانه في تهيئة أسبابه.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٧، س ٥.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٧، س ٧.



القمّي: قال: السّفن تجري في البحر بقدرة الله[١].

﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾: دلائله.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: قيل: أي لكلّ من حبس نفسه على النظر في آيات الله، والتفكّر في آلائه، والشكر لنعمائه[٢].

والقمّي: قال: الّذي يصبر على الفقر والفاقة، ويشكر الله على جميع أحواله[٣].

أقول: ولعلّه أراد به من لا يركب البحر لطلب الرّزق، ويعتبر لمن ركبه لذلك.

وقيل: اُريد بالصبّار الشكور: المؤمن[٤].

وفي الحديث: الايمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر رواه في المجمع[٥].

أقول: راكب البحر بين خوف من الغرق ورجاء للخلاص، فهو لا يزال بين بليّة ونعمة، والبليّة تطلبه بالصّبر، والنّعمة تطلبه بالشكر، فهو صبّار شكور.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾: علاهم وغطّاهم يعني في البحر.

﴿مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾: كما يظلّ من جبل أو سحاب أو غيرهما.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى، والتقليد بما

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٧، س ١٠.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٣٥٩، س ١.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٧، س ٩.

٤ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشّاف: ج ٣، ص ٥٠٣.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٢٣، س ٢٣.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْماً لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾

دها بهم[1] من الخوف الشّديد.

﴿فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: القمّي: أي صالح[2].

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: غدّار بنقض العهد الفطري، وما كان في البحر[3]، والختر: أشدّ الغدر، والقمّي: قال: الختّار: الخدّاع[4].

﴿كَفُورٍ﴾: للنعم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْماً لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾: لا يقضي عنه، وقرئ لا يجزي من أجزأ أي لا يغني.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: بالثواب والعقاب، القمّي: قال: ذلك القيامة[5].

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: بتشويقها، في الكافي: عن السّجاد عليه السلام الدّنيا دنياءان: دنيا بلاغ ودنيا ملعونة[6].

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: الشيطان بأن يرجيكم التّوبة والمغفرة فيجرئكم على المعاصي.

---

١ ـ وفي نسخة: [بما دهاهم].

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٧، س ١١.

٣ ـ أي غدّار بنقض الإيمان الحاصل له عندما كان في البحر حين داهمه الخوف. منه قدّس سرّه.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٧، س ١٢.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٧، س ١٣.

٦ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٣٠ ـ ١٣١، ذيل ح ١١، باب ذم الدنيا والزهد فيه.

إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسُۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: علم وقت قيامها.

﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾: في إبّانه[١] المقدّر له، والمحلّ المعيّن له في علمه، وقرئ بالتّشديد.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾: في نهج البلاغة: من ذكر أو أُنثى، وقبيح أو جميل، وسخي أو بخيل، وشقيّ أو سعيد، ومن يكون للنّار حطباً أو في الجنان للنبيّين مرافقاً[٢].

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً﴾: من خير أو شرّ، وربّما تعزم على شيء فتفعل خلافه.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسُۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾: القمّي: عن الصّادق عليه السلام هذه الخمسة أشياء لم يطّلع عليها ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل، وهي من صفات الله تعالى[٣].

وفي نهج البلاغة: فهذا هو علم الغيب الّذي لا يعلمه أحد إلّا الله[٤].

وفي المجمع: جاء في الحديث أنّ مفاتيح الغيب: خمس لا يعلمهنّ إلّا الله، وقرأ هذه الآية[٥].

وقد روى عن أئمّة الهدى عليهم السلام إنّ هذه الأشياء الخمسة لا يعلمها على التّفصيل والتحقيق غيره تعالى[٦].

أقول: وإنّما قيل على التفصيل والتحقيق، لأنّهم عليهم السلام ربّما كانوا يخبرون عن بعض هذه

---

١ ـ إبّان كلّ شيء ـ بالكسر والتشديد ـ: وقته وحينه الذي يكون فيه. لسان العرب: ج ١، ص ٥٢، مادة «أبن».

٢ ـ نهج البلاغة: ص١٨٦، الخطبة ١٢٨.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٦٧، س١٥.

٤ ـ نهج البلاغة: ص١٨٦، ذيل الخطبة ١٢٨.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص٣٢٤، س١٤.

٦ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص٣٢٤، س١٩.

على الإجمال، وإنّما كان ذلك تعلّماً من ذي علم كما قاله أمير المؤمنين عليه السلام[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾: يعلم الأشياء كلّها.

﴿خَبِيرٌ﴾: يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها.

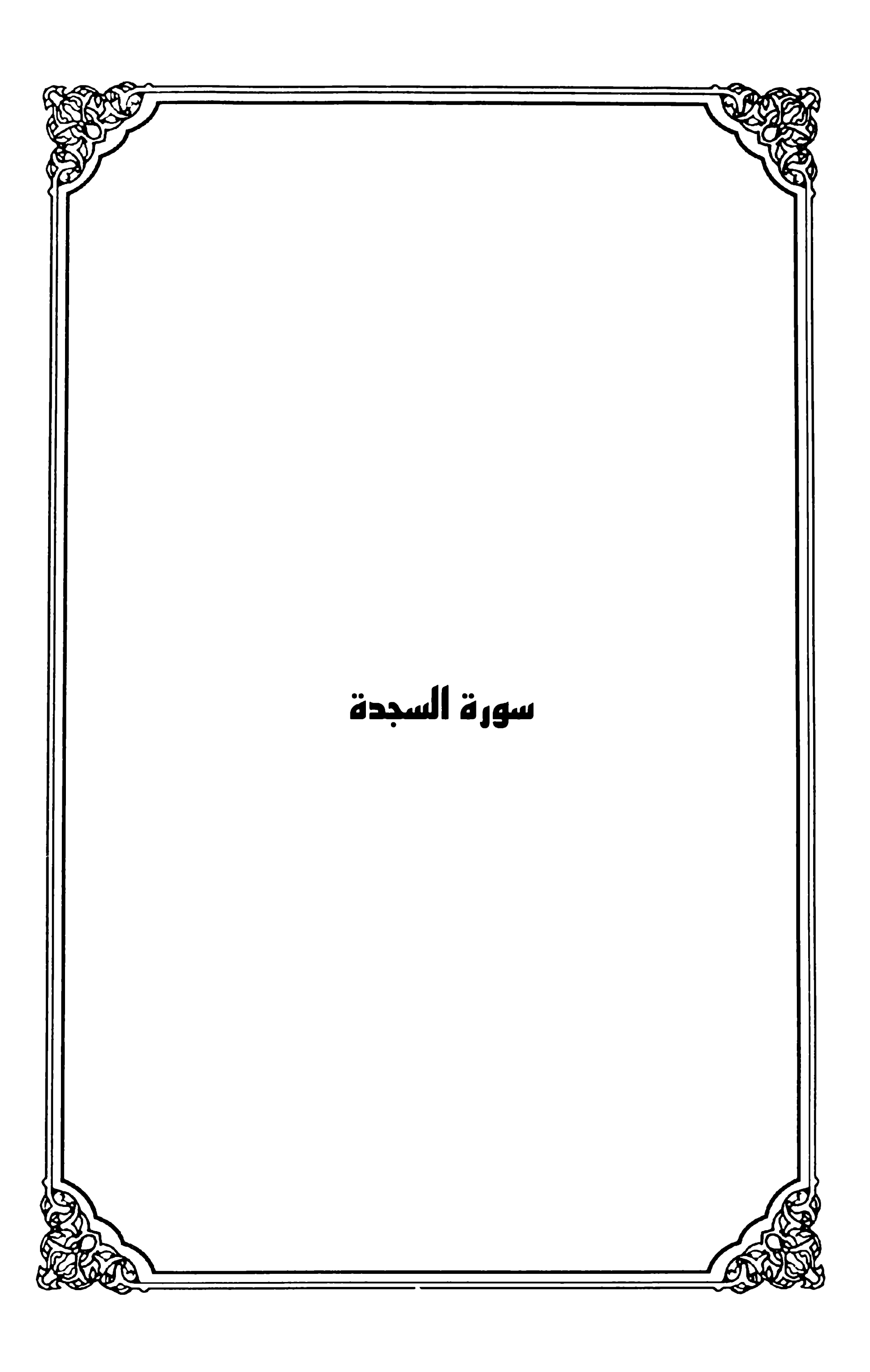
في ثواب الأعمال[٢]، والمجمع: عن الباقر عليه السلام من قرأ سورة لقمان في كل ليلة وكّل الله به في ليلته ملائكة يحفظونه من إبليس وجنوده حتّى يصبح، وإذا قرأها بالنّهار لم يزالوا يحفظونه من إبليس عليه اللّعنة وجنوده حتّى يمسي[٣].

❊ ❊ ❊

١ ـ أُنظر بصائر الدرجات: ص١٢٩، الجزء الثاني الباب ٢١ ـ وغير ذلك من الأبواب.

٢ ـ ثواب الأعمال: ص١١٠، باب ثواب قراءة سورة لقمان.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣١٢، في فضلها.



سورة السجدة

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَارَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَـٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَالَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَاشَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾

سورة السَّجدة: مكيّة إلّا ثلاث آيات منها فإنّها نزلت بالمدينة «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً»[1] إلى تمام الآيات، عدد آيها تسع وعشرون آية بصري، وثلاثون في الثاني.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَـٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: إذ كانوا أهل الفترة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: بإنذارك إيّاهم.

﴿ٱللهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ

---

١ ـ السجدة: ١٨.

يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾

عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: سبق تفسيره في سورة الأعراف[1].

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾: إذا جاوزتم أمره.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: بمواعظ الله.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: القمّي: يعني الأمور الّتي يدبّرها، والأمر والنّهي الّذي أمر به، وأعمال العباد كلّ هذا يظهر يوم القيامة فيكون مقدار ذلك اليوم ألف سنة من سني الدّنيا[2].

وقد سبق في سورة الحجّ أخبار في هذا المعنى[3].

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: فيدبّر أمرها على وفق الحكمة.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب على أمره.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: على العباد في تدبيره.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾: موفّراً عليه ما يستعدّه ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة، وقرئ بفتح اللّام.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾: القمّي: قال هو آدم عليه السلام[4].

---

١ ـ الآية: ٥٤، راجع تفسيرنا الصافي: ج ٣، ص ١٨٤ ـ ١٨٧.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٨، س ١.

٣ ـ ذيل الآية: ٤٧، راجع هذا الجزء، ص ١٥٥.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٦٨، س ٤.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠﴾

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾: ذرّيته سمّيت به لأنّها تنسل منه أي تنفصل.

﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾: القمّي: يعني نسله أي ولده، «مِن سُلَٰلَةٍ» قال: هو الصّفوة من الطّعام والشّراب[١].

﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾: قال: النطفة: المني[٢].

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾: قوّمه بتصوير أعضائه على ما ينبغي.

القمّي: إستحاله من نطفة إلى علقة، ومن علقة إلى مضغة، حتّى نفخ فيه الرّوح[٣].

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾: أضافه إلى نفسه تشريفاً وإظهاراً بأنّه خلق عجيب، وأنّ له لشأناً له مناسبة ما إلى الحضرة الربوبيّة ولأجله من عرف نفسه فقد عرف ربّه[٤].

وقد مضى في معنى الرّوح أخبار في سورة الحجر[٥].

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾: خصوصاً لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا.

﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾: شكراً قليلاً.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي صرنا تراباً مخلوطاً بتراب الأرض لا نتميّز عنه أو غبنا فيها، وقرئ بحذف الهمزة، وفي الجوامع: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قرئ بالمهملة وكسر اللّام من صلّ اللحم إذا أنتن[٦].

---

١ و٢ و٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦٨. ٤ ـ أنوار التنزيل: ج٢، ص٢٣٤، س١٢.

٥ ـ الآية: ٢٩، أنظر كتابنا تفسير الصافي: ج٤، ص٢٧٣ ـ ٢٧٨.

٦ ـ جوامع الجامع: ج٣، ص٢٩٠، س٢.

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢﴾

﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: يجدّد خلقنا، وقرئ بحذف الهمزة.

﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾: في التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني البعث فسمّاه الله عزّوجلّ لقاءه[1].

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم﴾: يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئاً ولا يبقى منكم أحداً.

﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾: بقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: للحساب والجزاء، القمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أسري بي إلى السّماء رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوح من نور لا يلتفت يميناً ولا شمالاً مقبلاً عليه كهيئة الحزين، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ قال: هذا ملك الموت مشغول في قبض الأرواح، فقلت: أُدنني منه يا جبرئيل لأكلمه، فأدناني منه، فقلت له: يا ملك الموت أكلّ من مات أو هو ميّت فيما بعد أنت تقبض روحه؟ قال: نعم، قلت: وتحضرهم بنفسك قال: نعم، ما الدّنيا كلّها عندي فيما سخّرها الله عزّوجلّ لي ومكنّني منها إلّا كالدّرهم في كفّ الرّجل يقلّبه كيف شاء، وما من دارٍ في الدّنيا إلّا وأدخلها في كلّ يوم خمس مرّات، وأقول إذا بكى أهل البيت على ميّتهم: لاتبكوا عليه فإنّ لي إليكم عودة وعودة حتّى لايبقى منكم أحد،فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كفى بالموت طامّة ياجبرئيل، فقال جبرئيل: مابعدالموت أطمّ[2] وأعظم من الموت[3].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: من الحياء والخزي.

---

١ ـ التّوحيد: ص٢٦٧، س٨، ح٥، باب ٣٦، الرد على الثنوية والزنادقة.

٢ ـ الطامّة: الداهية لأنّها تَطُمُّ على كلّ شيء أي تعلوه، من طمَّ الأمر: علاه. مجمع البحرين: ج٦، ص١٠٧، مادة «طمم».

٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص١٦٨، س٩.

وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿رَبَّنَآ﴾: قائلين ربّنا.

﴿أَبْصَرْنَا﴾: ما وعدتنا.

﴿وَسَمِعْنَا﴾: منك تصديق رسلك.

﴿فَارْجِعْنَا﴾: إلى الدنيا.

﴿نَعْمَلْ صَٰلِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾: إذ لم يبق لنا شكّ بما شاهدنا. القمّي: «أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا» في الدّنيا ولم نعمل به[1].

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾: ما تهتدي به إلى الإيمان والعمل الصّالح بالتّوفيق له.

القمّي: قال: لو شئنا أن نجعلهم كلّهم معصومين لقدرنا[2].

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾: ثبت قضائي وسبق وعيدي.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ * فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾: القمّي: أي تركناكم[3].

﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: من التكذيب والمعاصي.

---

١ ـ لم نعثر عليه في تفسير القمّي المطبوع، بل عثرنا عليه في تفسير نور الثقلين: ج٤، ص٢٢٦، ح٢٥، نقلاً عن تفسير القمّي، وهكذا وجدناه في تفسير البرهان: ج٣، ص٢٨٣، نقلاً عن تفسير القمّي، فمن المحتمل أن تكون هذه العبارة في النسخة الخطيّة موجودة، فحذفت عند الطباعة سهواً.

٢ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦٨، س١٩.

٣ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦٨، س٢٠.

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّداً وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾: وعظوا بها.

﴿خَرُّواْ سُجَّداً﴾: خوفاً من عذاب الله.

﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: ونزّهوه عمّا لا يليق به كالعجز عن البعث حامدين له شكراً على ما وفّقهم للإسلام وأتاهم الهدى.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن الإيمان والطّاعة.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾: ترتفع وتتنحّى.

﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾: الفرش ومواضع النّوم، في المجمع: عنهما عليهما السلام هم المتهجّدون باللّيل الّذين يقومون عن فرشهم للصّلاة[1].

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾: داعين إيّاه.

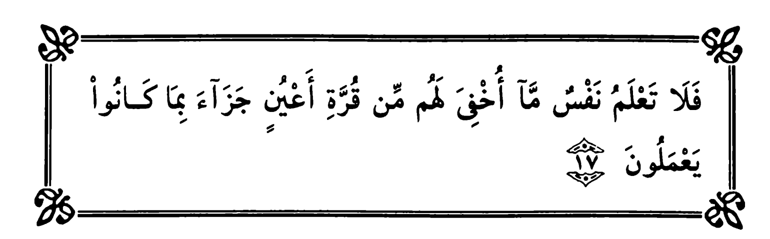
﴿خَوْفاً﴾: من سخطه.

﴿وَطَمَعاً﴾: في رحمته.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في وجوه الخير، في العلل: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: لعلّك ترى أنّ القوم لم يكونوا ينامون لابّد لهذا البدن أن تريحه حتّى يخرج نفسه فإذا خرج النفس إستراح البدن ورجع الرّوح قوّة على العمل، قال: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه من شيعتنا ينامون في أوّل الليل فإذا ذهب ثلثا اللّيل أو ما شاء الله فزعوا إلى ربّهم راغبين مرهبين طامعين فيما عنده فذكرهم الله في كتابه فأخبركم بما أعطاهم أنّه أسكنهم في جواره

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٣١، س ٣.



وأدخلهم جنّته وآمنهم خوفهم وأذهب رعبهم[١].

وفي الكافي: عنه عليه السلام[٢]، وفي المجالس عن الصّادق عليه السلام[٣]، وفي المجمع: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله ألا أُخبرك بأبواب الخير؟ قيل: نعم، قال: الصّوم جنّة من النّار، والصّدقة تكفر الخطيئة، وقيام الرّجل في جوف اللّيل يبتغي وجه الله[٤]. وفي رواية يذكر الله[٥].

وفي أُخرى يناجي ربّه، ثمّ قرأ هذه الآية: «تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ»[٦].

وفي الأمالي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال: لا ينامون حتّى يصلّوا العتمة[٧].

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم﴾: وقرئ بسكون الياء.

﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: ممّا تقرّ به عيونهم.

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: القمّي: عن الصّادق عليه السلام ما من عمل حسن يعمله العبد إلّا وله ثواب في القرآن إلّا صلاة الليل فإنّ الله عزّوجلّ لم يبيّن ثوابها لعظم خطره عنده فقال جلّ ذكره: «تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ» إلى قوله: «يَعْمَلُونَ» ثمّ قال: إنّ لله كرامة في عباده المؤمنين في كلّ يوم جمعة فإذا كان يوم الجمعة بعث الله إلى المؤمن ملكاً معه حلّتان فينتهي إلى باب الجنّة فيقول: إستأذنوا لي على فلان فيقال له: هذا رسول ربّك على الباب، فيقول لأزواجه

---

١ ـ علل الشرائع: ص٣٦٥، ح٤، باب ٨٦ ـ العلة التي من أجلها مدح الله عزّوجلّ المستغفرين بالأسحار.

٢ ـ الكافي: ج٢، ص٢٣ و ٢٤، ح١٥، باب دعائم الإسلام.

٣ ـ لم نعثر عليه في الأمالي للشيخ الصدوق: بل وجدناه في المحاسن: ج١، ص٤٥١، ح١٠٣٩/٤٤١، باب الشرائع كتاب مصابيح الظلم.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٣١، س٧.

٥ ـ الكافي: ج٢، ص٢٣ و ٢٤، ح١٥، باب دعائم الإسلام.

٦ ـ المحاسن: ج١، ص٤٥١، ح١٠٣٩/٤٤١، باب الشرائع كتاب مصابيح الظلم.

٧ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص٢٩٤، ح٥٧٦/٢٣، المجلس الحادي عشر.

أيّ شيء ترين عليّ أحسن؟ فيقلن: يا سيّدنا والّذي أباحك الجنّة ما رأينا عليك شيئاً أحسن من هذا، بعث إليك ربّك فيتزّر بواحدة ويتعطّف بالاُخرى، فلا يمرّ بشيء إلّا أضاء له حتّى ينتهي إلى الموعد، فإذا إجتمعوا تجلّى لهم الرّب تبارك وتعالى، فإذا نظروا إليه خرّوا سجّداً فيقول: عبادي إرفعوا رؤوسكم ليس هذا يوم سجود ولا يوم عبادة قد رفعت عنكم المؤونة، فيقولون: يا ربّ وأيّ شيء أفضل ممّا أعطيتنا؟ أعطيتنا الجنّة، فيقول: لكم مثل ما في أيديكم بسبعين ضعفاً فيرجع المؤمن في كلّ جمعة بسبعين ضعفاً مثل ما في يديه وهو قوله: «وَلَدَيْنَا مَزِيْد»[١] وهو يوم الجمعة ليلتها ليلة غرّاء، ويومها يوم أزهر، فأكثروا فيها من التسبيح والتّكبير والتهليل والثناء على الله والصلاة على محمّد وآله، قال: فيمّر المؤمن فلا يمرّ بشيء إلّا أضاء له فينتهي[٢] إلى أزواجه فيقلن والّذي أباحنا الجنّة يا سيّدنا ما رأيناك قطّ أحسن منك السّاعة، فيقول: إنّي قد نظرت إلى نور ربّي، ثمّ قال: إنّ أزواجه لا يغرن ولا يحضن ولا يصلفن[٣] قال الراوي: قلت جعلت فداك: إنّي أردت أن أسألك عن شيء أستحي منه، قال: سل، قلت: في الجنّة غناء؟ قال: إنّ في الجنّة شجراً يأمر الله رياحها فتهبّ فتضرب تلك الشّجرة بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها حسناً، ثمّ قال: هذا عوض لمن ترك السّماع للغناء في الدّنيا من مخافة الله، قال: قلت: جعلت فداك زدني، فقال: إنّ الله خلق جنّة بيده، ولم ترها عين، ولم يطلع عليها مخلوق يفتحها الرّب كلّ صباح فيقول: إزدادي ريحاً إزدادي طيباً وهو قول الله «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ»[٤].

وفي المحاسن: عنهما عليهما السلام قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا اُسري بي رأيت في الجنّة نهراً أبيض من اللّبن وأحلى من العسل وأشدّ إستقامة من السهم فيه أباريق عدد النجّوم على شاطئه قباب الياقوت الأحمر والدّر الأبيض، فضرب جبرئيل بجناحيه فإذا هو مسكة ذفرة، ثمّ قال: والّذي نفس محمّد صلى الله عليه وآله بيده إنّ في الجنّة لشجراً يتصفّق بالتّسبيح بصوت لم يسمع الأوّلون والآخرون يثمر ثمراً كالرّمان يلقي ثمرة إلى الرّجل فيشقّها عن سبعين حلّة والمؤمنون

---

١ ـ قٓ: ٣٥.
٢ ـ وفي نسخة: [حتّى ينتهي].
٣ ـ صلفت المرأة تصلف صَلْفاً: إذا لم تحظ عند زوجها. مجمع البحرين: ج٥، ص٨٢، مادة «صلف».
٤ ـ تفسير القمّي: ج٢، ص١٦٨ ـ ١٧٠.

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُـزُلَا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰـهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

على الكراسي وهم الغرّ المحجلون حيث شاؤوا من الجنّة فبيناهم كذلك إذا شرفت عليهم إمرأة من فوقه فتقول: سبحان الله يا عبدالله أما لنا منك دولة؟ فيقول: من أنت فتقول: أنا من الّلواتي قال الله: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ»[١].

وفي المجمع: عن النّبيّ ﷺ يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر بله ما إطّلعتكم عليه اقرؤوا إن شئتم: «فَلَا تَـعْلَمُ نَفْسٌ» الآية[٢].

أقول: بله ككتف بمعنى دع أو سوى.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً﴾: خارجاً عن الإيمان.

﴿لَّا يَسْتَوُنَ﴾: في الشرف والمثوبة.

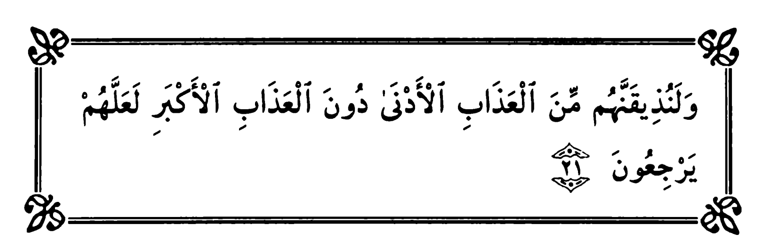
﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلَا﴾: النّزل ما يعدّ للنّازل من طعام وشراب وصلة.

﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰـهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾: عبارة عن خلودهم فيها.

---

١ ـ المحاسن: ج١، ص٢٨٨، ح٥٦٩/١٧٤، باب ٤١ ـ في البعث من كتاب الصفوة والنور والرحمة.

٢ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٣١، س١٩.



﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: إهانة لهم، وزيادة في غيظهم، القمّي: قال: إنّ جهنّم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً فإذا بلغوا أسفلها زفرت بهم جهنّم فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد فهذه حالهم[١].

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾: أي قبل أن يصلوا إلى الآخرة، القمّي: قال: العذاب الأدنى: عذاب الرّجعة بالسيف[٢].

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: قال: فإنّهم يرجعون في الرّجعة حتّى يعذّبوا[٣].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام إنّ العذاب الأدنى عذاب القبر[٤] قال: والأكثر في الرّواية عن الباقر والصّادق عليهما السلام: إنّ العذاب الأدنى: الدابّة، والدجال[٥].

القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام، والوليد بن عقبة تشاجرا فقال: الفاسق الوليد بن عقبة أنا والله أبسط منك لساناً وأحدّ منك سناناً وأمثل[٦] منك جثوا[٧] في الكتيبة، فقال علي عليه السلام: إسكت إنّما أنت فاسق فأنزل الله هذه الآيات[٨].

وفي الإحتجاج: عن الحسن المجتبى عليه السلام في حديث له وأمّا أنت يا وليد بن عقبة فوالله ما ألومك أن تبغض عليّاً، وقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة، وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر، أم

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧٠، س ١٥.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧٠، س ١٩.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧٠، س ٢٠.
٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٣٢، س ٢٤.
٥ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٣٢، س ٢٥.
٦ ـ الأمثل: الأفضل والأشرف والأعلى، يقال هو أمثل قومه: أي أفضلهم، وهؤلاء أماثل القوم: أي خيارهم. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٧٠، مادة «مثل».
٧ ـ جثواً وجثيّاً ـ بضمهما ـ: جلس على ركبتيه، أو قام على أطراف أصابعه. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٣١١ مادة «الجثوة».
٨ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧٠، س ٩.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾

كيف تسبّه وقد سمّاه الله مؤمناً في عشر آيات من القرآن وسمّاك فاسقاً، وهو قول الله عزّوجلّ: «أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ»[١].

أقول: الأخبار مستفيضة من طريق العامّة[٢] والخاصّة بإنّ هذه الآيات نزلت في عليّ عليه السلام والوليد[٣].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾: فلم يتفكّر فيها، وثمّ لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها وإرشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكّر بها.

﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾: فكيف بمن كان أظلم من كلّ ظالم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾: قيل: من لقاء موسى عليه السلام ربّه في الآخرة كذا عن النّبيّ صلى الله عليه وآله[٤][٥].

---

١ ـ الإحتجاج: ج١، ص٤١٢، س٣، إحتجاج الحسن بن علي عليهما السلام على منكري فضله وفضل أبيه عليهما السلام.

٢ ـ أُنظر الكشاف: ج٤، ص٥١٤، س١٠، وتفسير النيسابوري غرائب القرآن ورغائب الفرقان بهامش تفسير الطبري: ج٢١، ص٧٢، وتفسير الطبري: ج٢١، ص٦٨، والبحر المحيط: ج٧، ص٢٠٣، وتفسير ابن عباس: ص٣٤٨، وشواهد التنزيل: ج١، ص٥٨٤، ح٦٢٦، وغير ذلك.

٣ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٣٢، س٤، وتفسير القمّي: ج٢، ص١٧٠.

٤ ـ مجمع البيان: ج٧ ـ ٨، ص٣٣٣، س١.

٥ ـ وقيل: معناه لا تكن في شك من لقائك الكتاب لقوله: «وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ» فإنّا لقيناك من الكتاب مثل ما لقيناه منه. فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتّى ترتاب فيه، أو المعنى من لقاء موسى الكتاب، أو من لقائك موسى يوم القيامة، أو ليلة المعراج لما روي أنّه صلى الله عليه وآله رآه فيها. منه قدس سره.

أقول: وإليك نص الرواية: قال صلى الله عليه وآله: رأيت ليلة أُسري بي إلى السماء موسى بن عمران رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنّه من رجال شنوءه. جوامع الجامع: ج٣، ص٢٩٤،، س١٥. ولا يخفى عليك: أنّ فهم عبارته قدس سره لا يخلو من تكلّف.

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾

﴿وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ﴾: وقرئ بكسر اللّام والتّخفيف.

القمّي: قال: كان في علم الله أنّهم يصبرون على ما يصيبهم فجعلهم أئمّة[1].

وعن الصّادق عليه السلام: عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: الأئمّة في كتاب الله إمامان، قال: الله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» لا بأمر النّاس يقدّمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم الحديث[2].

﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾: لإمعانهم فيها النّظر.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: يقضي الحقّ من الباطل بتمييز المحقّ من المبطل.

﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: من أمر الدين.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾: أي كثرة من أهلكناهم.

﴿يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ﴾: قيل: يعني أهل مكّة يمرّون في متاجرهم على ديارهم[3].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾: سماع تفكّر[4] واتّعاظ.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧٠، س ٢١.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧١، س ١.
٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ٢، ص ٢٣٧، س ٣.
٤ ـ وفي نسخة: [تدبّر].

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾: التي جرز نباتها أي قطع وأُزيل، القمّي: قال: الأرض الخراب[1].

﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ﴾: كالتبن والورق.

﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾: كالحبّ والثمر.

﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾: فيستدلّون به على كمال قدرته وفضله.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: في الوعد به.

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: ولا يمهلون.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾: القمّي: هو مثل ضربه الله في الرّجعه والقائم عليه السلام فلمّا أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بخبر الرّجعة قالُوا: «مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ» وهذه معطوفة على قوله: «وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ»[2].

في ثواب الأعمال[3]، والمجمع: عن الصّادق عليه السلام من قرأ سورة السّجدة في كلّ ليلة جمعة أعطاه الله كتابه بيمينه، ولم يحاسبه بما كان منه، وكان من رفقاء محمّد وأهل بيته عليهم السلام[4].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧١، س ٦.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٧١، س ٦.
٣ ـ ثواب الأعمال: ص ١١٠، باب ثواب من قرأ سورة السجدة.
٤ ـ مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨، ص ٣٢٥، س ٣.

وفي ثواب الأعمال: عنه عليه السلام من إشتاق إلى الجنّة وإلى صفتها فليقرأ الواقعة، ومن أحبّ أن ينظر إلى صفة النّار فليقرأ سجدة ولقمان[١].

وفي الخصال: عنه عليه السلام قال: إنّ العزائم أربع أقرأ باسم ربّك الذي خلق، والنجم، وتنزيل السجدة، وحم السّجدة[٢] والله يعلم.

إلى هنا ينتهي الجزء الخامس حسب تجزئتنا، ويليه الجزء السادس إن شاء الله وأوّله سورة الأحزاب، وذلك في غرّة شهر ربيع الأوّل سنة ١٤١٨ هـ.

قم المقدّسة

السيد محسن الحسيني الأميني



---

١ ـ ثواب الأعمال: ص١١٧، باب ثواب قراءة سورة الواقعة: ح٢.

٢ ـ الخصال: ص٢٥٢، ح١٢٤، باب الأربعة ـ سجدة العزائم التي يسجد فيها أربع سور.

الفهرس

﴿ سورة طه ﴾

(٢٠)

﴿ سورة الأنبياء ﴾
(٢١)

﴿ سورة الحجّ ﴾
(٢٢)

﴿ سورة المؤمنون ﴾
(٢٣)

﴿ سورة النُّور ﴾
(٢٤)

﴿ سورة الفرقان ﴾

(٢٥)

﴿ سورة الشعراء ﴾

(٢٦)

❊ ❊ ❊

﴿ سورة النمل ﴾
(٢٧)

﴿ سورة القصص ﴾

(٢٨)

﴿ سورة العنكبوت ﴾

(٢٩)

﴿ سورة الرّوم ﴾
(٣٠)

﴿ سورة لقمان ﴾
(٣١)

﴿ سورة السجدة ﴾
(٣٢)

❊ ❊ ❊

مصادر التحقيق

١ ـ الإحتجاج: لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، منشورات القدس ـ إيران.

٢ ـ إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي، منشورات دار الفكر ـ بيروت.

٣ ـ إرشاد القلوب: للشيخ أبو محمّد الحسن بن محمّد الديلمي، منشورات الشريف الرضي، إيران ـ قم.

٤ ـ أسباب النزول: للواحدي النيسابوري، منشورات دار ومكتبة الهلال ـ بيروت.

٥ ـ أسرار الصلاة: للشهيد قدّس سرّه.

٦ ـ الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني، منشورات دار صادر ـ بيروت.

٧ ـ الإعتقادات في دين الإماميّة: للشيخ الصدوق، منشورات محلاتي إيران ـ قم.

٨ ـ اعلام الورى لأعلام الهدى: للشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران ـ قم.

٩ ـ اقبال الأعمال: للسيد ابن طاووس، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

١٠ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: منشورات الأعلمي، بيروت ـ لبنان.

١١ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: منشورات دار الثقافة، إيران ـ قم.

١٢ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لعبدالله بن عمر البيضاوي، اُفست إيران.

١٣ ـ بحار الأنوار: للعلامة المجلسي، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

١٤ ـ البداية والنهاية: لابن كثير، منشورات دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٥ ـ البرهان في تفسير القرآن: للعلامة السيد هاشم البحراني، منشورات اسماعيليان، إيران ـ قم.

١٦ ـ بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: لأبي القاسم الطبري، منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها في النجف.

١٧ ـ بصائر الدرجات: للشيخ محمّد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، إيران ـ طهران.

١٨ ـ تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي، منشورات دار الهداية، تحقيق مصطفى حجازي.

١٩ ـ التبيان: للشيخ الطوسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٠ ـ تحف العقول: لابن شعبة الحراني، منشورات النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم.

٢١ ـ تفسير أبي السعود: للقاضي أبي السعود، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢ ـ تفسير البغوي: لحسين بن مسعود الفرّاء البغوي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٢٣ ـ تفسير روح البيان: للعلّامة الشيخ إسماعيل حقي، طبع بيروت.

٢٤ ـ تفسير روح المعاني: للعلّامة الآلوسي البغدادي، منشورات دار إحياء التراب العربي، بيروت.

٢٥ ـ تفسير العياشي: لمحمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعيّاشي، منشورات المكتبة العلميّة الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٢٦ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للعلّامة حسن بن محمّد بن حسين القمّي النيسابوري، منشورات دار الجيل ـ بيروت.

٢٧ ـ تفسير غريب القرآن الكريم: للشيخ الطريحي، منشورات الزاهدي، إيران ـ قم.

٢٨ ـ تفسير فرات الكوفي: لفرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق محمّد كاظم، إيران.

٢٩ ـ تفسير القرآن العظيم: لإسماعيل بن كثير، منشورات دار القلم.

٣٠ ـ تفسير القرآن الكريم: لصدر المتألهين الشيرازي، منشورات بيدار، إيران ـ قم.

٣١ ـ تفسير القمّي: لعلي بن إبراهيم القمّي، منشورات دار الكتاب للطباعة والنشر،

إيران ـ قم.

٣٢ ـ تفسير الكبير للفخر الرازي: الطبعة الثالثة، إيران ـ قم.

٣٣ ـ تفسير الكبير المسمّى البحر المحيط: لأبي حيّان، منشورات مؤسسة التاريخ العربي دار إحياء التراث العربي.

٣٤ ـ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، منشورات مدرسة الإمام المهدي، إيران ـ قم.

٣٥ ـ التوحيد: للشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم.

٣٦ ـ تهذيب الأحكام: للشيخ الطوسي، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٣٧ ـ ثواب الأعمال: للشيخ الصدوق، منشورات الشريف الرضي، إيران ـ قم.

٣٨ ـ جامع الأُصول: لابن أثير الجزري، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٣٩ ـ جامع البيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، منشورات دار الجيل ـ بيروت.

٤٠ ـ الجامع الصغير للإمام السيوطي: منشورات دار الفكر، بيروت.

٤١ ـ الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، منشورات دار إحياء التراث العربي بيروت.

٤٢ ـ جوامع الجامع: للشيخ الطبرسي، منشورات جامعة طهران، إيران ـ طهران.

٤٣ ـ الخرائج والجرائح: لقطب الدين الراوندي، منشورات مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام إيران ـ قم.

٤٤ ـ الخصال: للشيخ الصدوق، نشر جماعة المدرسين، إيران ـ قم.

٤٥ ـ الدر المنثور: للإمام السيوطي، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران ـ قم.

٤٦ ـ ديوان الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، منشورات الشريف الرضي ـ قم.

٤٧ ـ الذريعة: للشيخ أغا بزرك الطهراني، منشورات دار الأضواء، بيروت.

٤٨ ـ روضة الواعظين: للفتال النيسابوري، منشورات الرضي، إيران ـ قم.

٤٩ ـ السرائر: لابن إدريس الحلي، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم.

٥٠ ـ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: للمحدث الشيخ عباس القمي، دار الاسوة للطباعة والنشر، إيران ـ قم.

٥١ ـ سنن أبي داود: لأبي داود السجستاني، منشورات دار إحياء السنّة النبويّة.

٥٢ ـ سنن الترمذي: لمحمّد بن عيسى بن سورة، منشورات دار الفكر ـ بيروت.

٥٣ ـ سنن النسائي: لأحمد بن شعيب النسائي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٥٤ ـ السيرة الحلبيّة: لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، منشورات دار إحياء التراث العربي.

٥٥ ـ شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران ـ طهران.

٥٦ ـ الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهري، منشورات دار العلم للملايين، بيروت.

٥٧ ـ صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري، منشورات دار إحياء التراث العربي، لبنان ـ بيروت.

٥٨ ـ الصحيفة الكاملة السجاديّة: لزين العابدين وسيّد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٥٩ ـ الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: لعلي بن يونس العاملي النباطي البياضي، منشورات المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، إيران ـ قم.

٦٠ ـ عدة الاصول: للشيخ الطوسي، منشورات مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، إيران.

٦١ ـ علل الشرائع: للشيخ الصدوق، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٢ ـ عوالي اللآلي العزيزيّة: لابن أبي جمهور، منشورات العراقي ـ إيران.

٦٣ ـ عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام: للشيخ الصدوق، منشورات جهان، إيران ـ طهران.

٦٤ ـ كتاب الغيبة: للشيخ الطوسي، منشورات مكتبة بصيرتي، إيران ـ قم.

٦٥ ـ فتح الباري لشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، منشورات دار المعرفة ـ

بيروت.
٦٦ـ كتاب الفهرست للنديم: لأبي الفرج محمّد بن إسحاق المعروف بالنديم.
٦٧ـ القاموس المحيط: للشيخ الفيروزآبادي، منشورات دار المعرفة، بيروت.
٦٨ـ الكافي: للشيخ الكليني، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.
٦٩ـ الكامل في التاريخ: لابن الأثير، منشورات دار صادر ـ بيروت.
٧٠ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: منشورات أدب الحوزة، إيران.
٧١ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: للعلّامة أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي فتح الإربلي، منشورات دار الكتاب الإسلامي، بيروت ـ لبنان.
٧٢ـ كمال الدين وتمام النعمة: للشيخ الصدوق، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم.
٧٣ـ كنز العمال: للعلّامة علي التقي الهندي، منشورات مؤسسة الرسالة، لبنان.
٧٤ـ لسان العرب: لابن منظور، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٥ـ مجازات النبويّة: للشريف الرضي، منشورات مكتبة البصيرتي، إيران ـ قم.
٧٦ـ مجمع البحرين: للشيخ الطريحي، منشورات المكتبة المرتضويّة، إيران ـ قم.
٧٧ـ مجمع البيان: للشيخ الطبرسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٨ـ المجموع شرح المهذب: للإمام النوري، منشورات دار الفكر ـ بيروت.
٧٩ـ محجة البيضاء: للفيض الكاشاني، منشورات جماعة العلماء بقم، إيران ـ قم.
٨٠ـ المحاسن: لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي، منشورات المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، إيران ـ قم.
٨١ـ مختصر بصائر الدرجات: للشيخ سليمان الحلي، منشورات الرسول المصطفى، إيران.
٨٢ـ مستدرك وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، إيران ـ قم.
٨٣ـ مصابيح السنة: لحسين بن مسعود الفراء البغوي، منشورات دار المعرفة بيروت.

٨٤ـ مصباح الشريعة: للإمام الصادق عليه السلام، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
٨٥ـ مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: للشيخ الطوسي، منشورات إسماعيل الأنصاري، إيران.
٨٦ـ المصباح المنير: للفيومي، منشورات دار الهجرة، إيران ـ قم.
٨٧ـ معاني الأخبار: للشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، إيران ـ قم.
٨٨ـ معجم البلدان: للشيخ الحموي الرومي البغدادي، منشورات دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٨٩ـ مفاتيح الغيب: لصدر الدين الشيرازي، منشورات مركز الثقافي، إيران.
٩٠ـ مناقب آل أبي طالب: لأبي جعفر رشيد الدين محمّد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، منشورات مؤسسة انتشارات علامة، إيران ـ قم.
٩١ـ من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.
٩٢ـ الميزان في تفسير القرآن: للعلّامة الطباطبائي، منشورات إسماعيليان، إيران ـ قم.
٩٣ـ نور الثقلين: للعلّامة الحويزي، منشورات دار الكتب العلميّة إسماعيليان، إيران ـ قم.
٩٤ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمّد الجزري، ابن الأثير، منشورات المكتبة الإسلاميّة، بيروت.
٩٥ـ نهج البلاغة: للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق صبحي صالح، منشورات دار الهجرة، إيران ـ قم.
٩٦ـ الوافي: للفيض الكاشاني، منشورات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، اصفهان ـ إيران.
٩٧ـ وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات المكتبة الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

❊ ❊ ❊